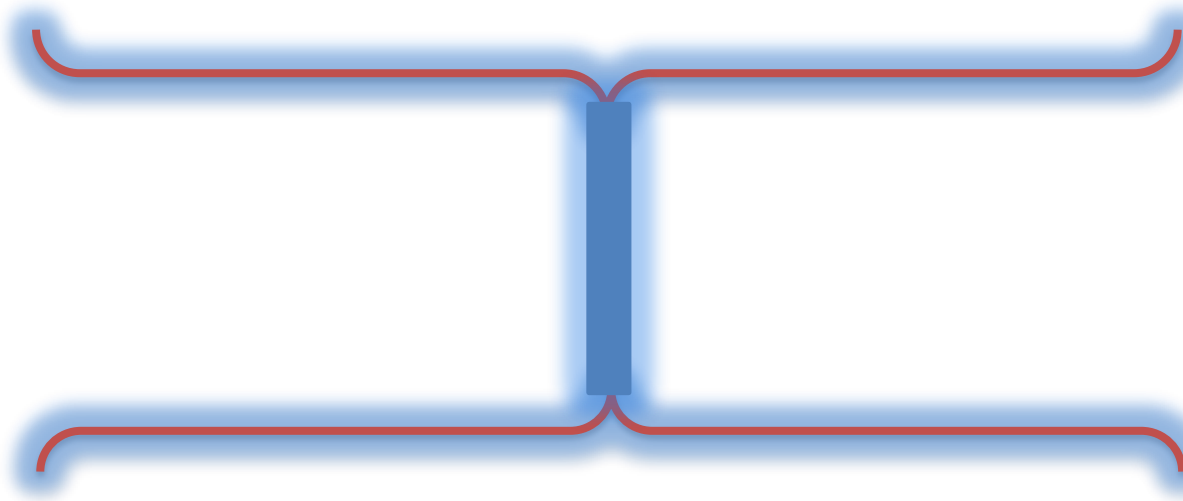
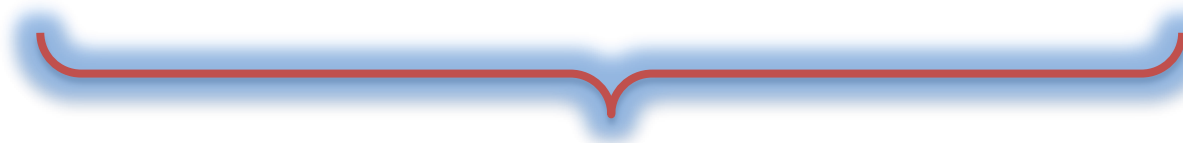
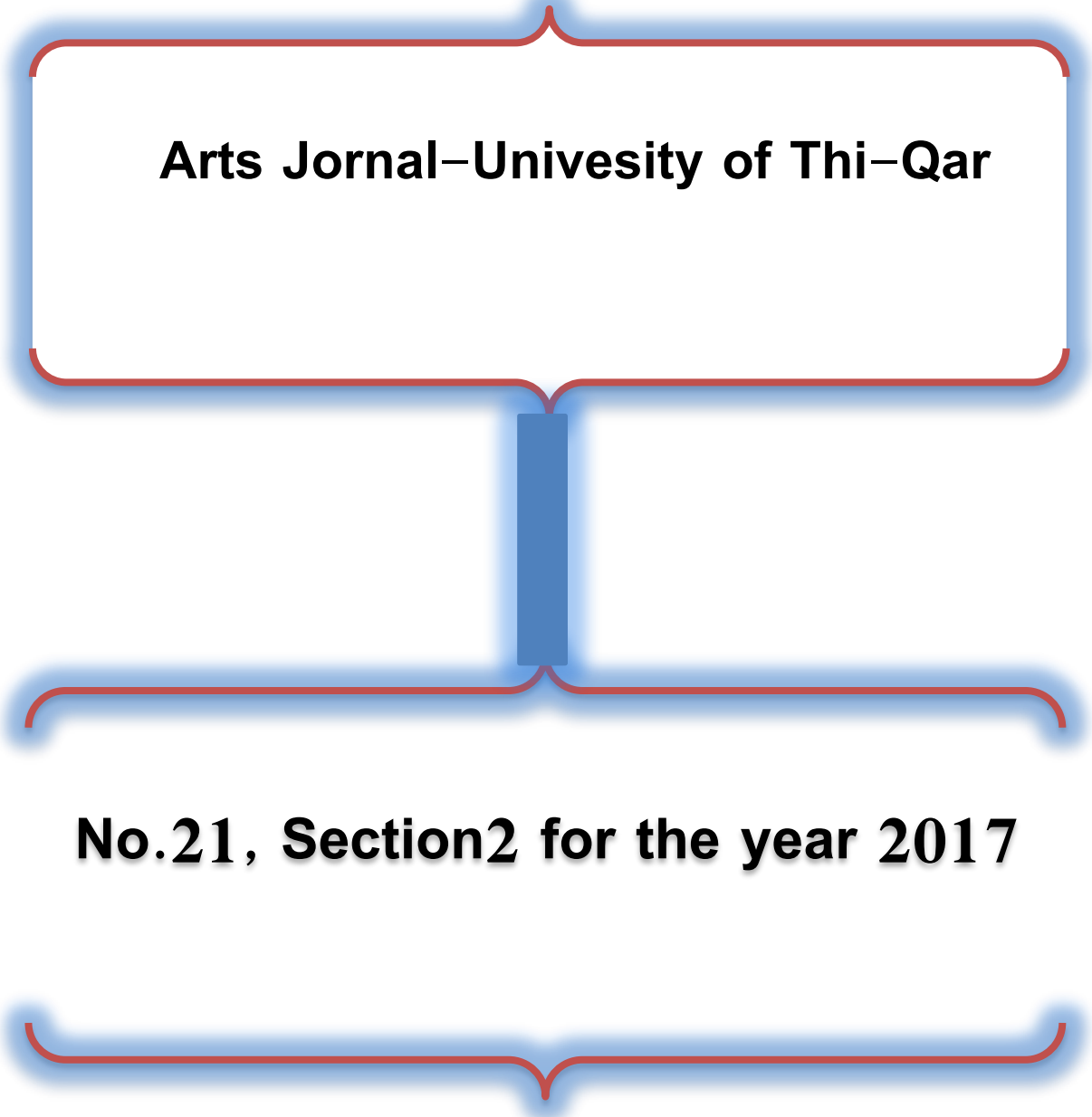


مجلة آداب _ جامعة ذي قار



العدد ٢١ القسم الثاني لسنة ٢٠١٧م





Arts Jornal–Univesity of Thi–Qar

No.21, Section2 for the year 2017

مجلة كلية الآداب فصلية علمية محكمة

الترقيم الدولي: ISSN: 155420736584

العدد ٢١ / القسم الثاني / لسنة ٢٠١٧م

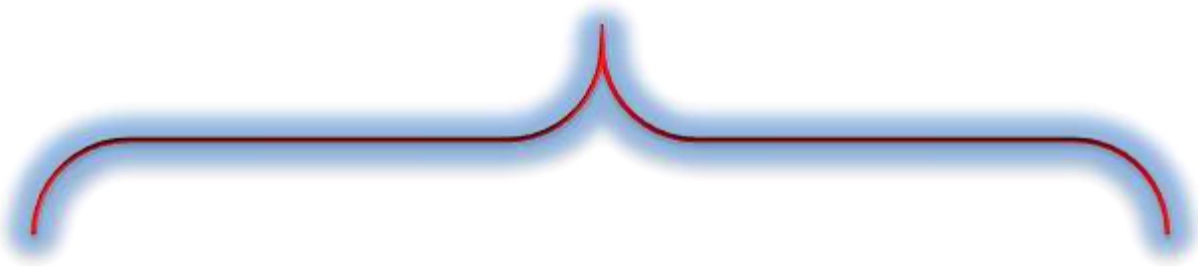
جمهورية العراق - ذي قار - جامعة ذي قار - كلية
الآداب

موبايل: ٠٧٨١٦١٨٨٧٩٢

البريد الالكتروني: ARTS.Ma@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة: كلية الآداب - جامعة ذي قار





دعوة

تدعو مجلة آداب -ذي قار العلمية المحكمة

الباحثين الى الكتابة في محور النقد الثقافي

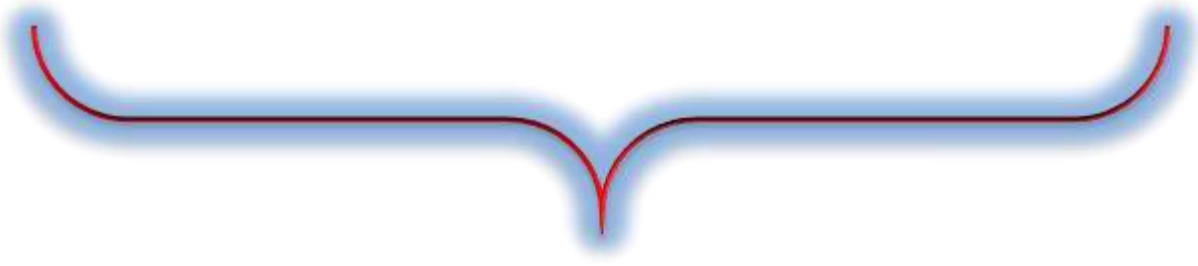
الاصول والتداخل والتجلي

وتتكفل المجلة باجور النشر للباحثين المشاركين وعرض البحوث على

الخبراء واصدارها في كتاب ترسل البحوث على البريد الالكتروني:

ARTS.Ma@yahoo.com

ا.د. عواد كاظم الغزي



تعليمات النشر

ترحب هيئة تحرير مجلة آداب ذي قار بإسهامات الباحثين داخل البلد وخارجه، وهي تستقبل البحوث العلمية الانسانية ، ويتم النشر فيها بعد تقويم البحث علمياً من هيئة التحرير وخبراء معتمدين مشهود لهم بالكفاءة العلمية وتعتذر المجلة عن البحوث التي لا تخضع للضوابط الآتية .:

١. يثبت عنوان البحث في الصفحة الاولى ، وأسم الباحث ومكان عمله .
٢. يطبع البحث على وجه واحد من كل ورقة حجم (A4) ولا تتجاوز الصفحات (٢٠ صفحة)
٣. تجمع هوامش البحث في نهايته مثل المصادر والمراجع.
٤. تسلم المجلة ثلاث نسخ ورقية ويكون قياس الصفحة (٢٤.٥ × ١٨) مع قرص من.
٥. تنقل الجداول والمخططات والرسوم والخرائط والصور الى نهاية البحث قبل الهوامش وتثبت على شكل ملاحق ويشار اليها في المتن.
٦. ينبغي أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً.
٧. يتم إعلام الباحث بقرار هيئة التحرير بقبول النشر خلال مدة (٢٠ يوماً).
٨. البحوث المنشورة لا يجوز إعادة نشرها الى بموافقة خطية من رئيس التحرير.
٩. البحوث لاتعاد الى الباحثين سواء نشرت ام لم تنشر.
١٠. يتحمل الباحث المسؤولية القانونية والاعتبارية في حال ظهور نقل او اقتباس لم يشر اليه.
١١. تنشر البحوث وفقاً لرأي هيئة التحرير.
١٢. تعاد البحوث الى اصحابها في حال ما اقترح الخبراء التعديلات.
١٣. اجور نشر البحث تخضع للضوابط الوزارية وحسب المرتبة العلمية.

الهيئة الاستشارية:

١. د.مهند طالب الحمدي امريكا
٢. د.كاظم جهاد فرنسا
٣. د.اسماء غريب ايطاليا
٤. د.انسية ابو القاسم خزعلي إيران
٥. د.عبدالحليم محمد ماليزيا
٦. د.احسان يعقوب الديك فلسطين
٧. د.وجيه فانوس لبنان
٨. د.حياة الخياري تونس
٩. د.عمارية حاكم شريف الجزائر
١٠. د.خالد السعدون الامارات
١١. د.ريم احمد عبد العظيم مصر
١٢. د.فايز عارف سليمان القرعان الاردن
١٣. د.منتهى طه الحراشة عمان
١٤. د.بشرى موسى صالح العراق
١٥. د.فاطمة ابو الفتوح المغرب
١٦. د.زكية بنت محمد العتيبي السعودية
١٧. د.محمد احمد الرقيبات الاردن
١٨. د.بشرى اسماعيل احمدارنوط مصر
١٩. د.لؤي حمزه عباس العراق
٢٠. د.خيرة مبارككي الجزائر

هيئة التحرير:

رئيس هيئة التحرير

مدير التحرير

عضواً

عضواً

عضواً

عضواً

عضواً

عضواً

عضواً

١. أ. د. كاظم عبد نتيش

٢. أ. د. عواد كاظم لفتة

٣. أ. د. عبد الحسن علي ههلهل

٤. أ. د. علي حسين نمر

٥. أ. د. مجيد مطشر عامر

٦. أ. م. د. حسين خضير عباس

٧. أ. د. رحيم حميد عبد

٨. أ. د. حسين لفتة حافظ

٩. أ. د. كاظم فاخر حاجم

المصحح اللغوي للعربية :

المصحح اللغوي للإنكليزية :

التنضيد والمتابعة :

م. د. د. حميد فرج السعداوي

أ. م. د. خالد شاكر

م. م. شيماء زاحم حسوني

كلمة العدد

يشكل عام ٢٠١٧م انعطافة مهمة في مسيرة مجلة آداب ذي قار، إذ تمكنت المجلة من استقطاب باحثين كبار في مجال العلوم الانسانية تقاسموا الكتابة فيها او الاشراف على مسيرتها العلمية بوساطة وجودهم في الهيئة الاستشارية ، وإذ امتد فضاء الهيئة الاستشارية الى مختلف الجامعات العالمية، ويوازي هذا الانتشار العلمي جودة في البحوث المنشورة وجمالية في التنضيد والطباعة والاخراج، فضلاً عن سعي هيئة التحرير الى استصدار كتاب سنوي يتضمن البحوث التي فيها ابتكار و جودة ومواكبة للقضايا الآنية وتحاول هيئة التحرير اجترح محاور تخصصية للكتابة فيها وتشجيع الباحثين على الانخراط في مواكبة الحداثة واستيعاب تطوراتها ، ولم يكن هذا لولا دعم عمادة كلية الاداب ممثلة بشخص عميدها الدكتور جابر محسن عليوي ومن الله التوفيق.

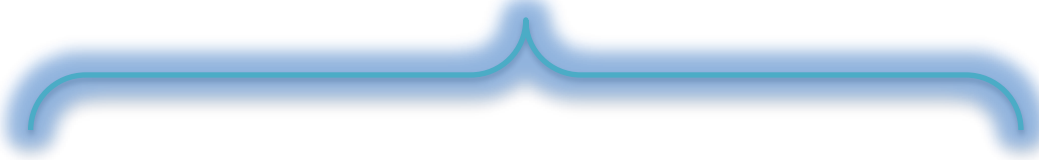
مدير التحرير

ا.د. عواد كاظم الغزي

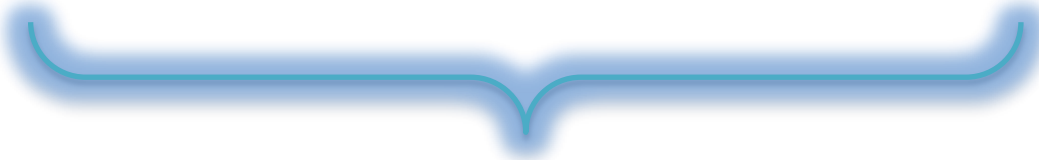
الفهارس

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
محور الدراسات العربية			
١.	الحجاج بين الإقناع والإمتاع "دراسة حجاجية في قصيدة (تاج النملة) للشاعر عقيل علي"	أ.م.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي العراق	١
٢.	صيغة (فَاعِلَة) في التعبير القرآني بين الاحتمال الصرفي والإعجاز البياني	أ.م.د. هاشم جعفر حسين العراق	٤٦
٣.	القَصْدِيَّةُ فِي سُورَةِ التَّكْوِيْنِ	م.م. حكيم موحان الموسوي العراق	١٠٠
٤.	أصول الدين عند السيد محمد باقر الصدر	م . آلاء جاسم كاطع العراق	١٣٤
محور الدراسات الجغرافية			
٥.	تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة	أ.م.د.حسين عليوي ناصر الزيايدي الباحث أركان ناھي موسى خضر العراق	١٦٨
٦.	التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى	م.د. لطيف كامل كليوي العراق	٢١١

٢٥٤	م.د علي مجيد ياسين البوعلي العراق	٧. التحليل المورفومتري لحوض نهر المالح وبعض اخطار المنطقة الجيومورفولوجية في جنوب شرق العراق
محور الدراسات التاريخية		
٣٠١	م.د: علاء حميد فيصل م.د: أحمد عبد الكاظم لجلاج العراق	٨. الختان و مراسيمه في الدولتين العباسية والفاطمية
٣٣١	م.د عدنان محمد مجلي الغزي العراق	٩. "مملكة إبيلا وعلاقاتها السياسية والاقتصادية مع بلاد الرافدين"
محور الدراسات المتفرقة		
٣٥٤	أ.م.د. طالب عبد الكريم كاظم العراق	١٠. عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية دراسة ميدانية في عدد من المحافظات العراقية



محور الدراسات العربية



الحجاج بين الإقناع والإمتاع

"دراسة حجاجية في قصيدة (تاج النملة) للشاعر عقيل علي"

أ.م.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي

الحجاج بين المفهوم والتطبيق:

تُعَدُّ إشكالية تعدد المصطلحات اللسانية للمفهوم الواحد، أو تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد من أهم الصعوبات التي تواجه الدرس النقدي في تطبيق المفاهيم التداولية على الخطاب الشعري.

فالحجاج الذي بدأ يتخذ سمة الاستقلالية في أبحاث الدارسين منذ منتصف القرن الماضي تقريباً، وحظي بجهود علماء المنطق، والفلاسفة واللسانيين على أساس أنَّ اللغة تحمل في طياتها بعداً حجاجياً موجهاً نحو المتلقي، وتهدف دراسة الحجاج إلى البحث عن العلاقات القائمة بين المقدمات والنتائج الواردة في المحتوى الكلامي مثلاً، وذلك يبدو جلياً في الخطابات العادية أو النثرية، ولكن يزداد صعوبة وخفاءً في الخطابات الشعرية وذلك لغلبة جانب التخيل فيها^(١).

وجاءت الدراسات العربية في مفهوم الحجاج وتطبيقاته متفاوتة، ولاسيما في المشرق العربي . والعراق تحديداً . فتنوعت الدراسات وكان الخلط بين المفاهيم السمة البارزة فيه كما هو الحال في مختلف الدراسات اللسانية هنا؛ وذلك لغياب الرؤية الواضحة، والعمق الفكري، والخروج من عباءة المناهج العربية والتراثية، ومحاولة الولوج في هذه المناهج دون التعمق في منطلقاتها، فجاءت الرؤية ضبابية فـ_____بابية فـ_____المفهوم والتطبيق_____ق

ويجب التركيز على أن دراسة الحجاج أخذت تهتم باستراتيجية الخطاب الذي يسعى إلى استمالة المتلقي استناداً إلى أنماط الاستدلال الصورية، وذلك لإحداث تأثير في المخاطب

أطروحة بوساطة الحجج^(٤)، كما أن لفظة Argumentation تعطينا معان عديدة منها:
القيام باستعمال الحجج.

مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة^(٥).

ويُقابل لفظ حاجّ (Argumentation) ألفاظ عديدة مثل (برهن، أثبت، أقام الدليل)، فالخطاب الحجاجي ليس خطاباً يحمل الأدلة والبراهين فحسب، كما أنه ليس خطاباً لقيم استنتاجية منطقية و(حاجّ) لا تعني مطلقاً برهن على صحة قضية أو إبراز الطابع المنطقي للبرهان^(٦)، في حين تنتظر له الدراسات اللسانية العربية الحديثة على أنّه (كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها)^(٧)، أو أنه سلسلة من الحجج تتجه نحو النتيجة نفسها^(٨)، وحاول أبو بكر العزاوي بيان الفرق بين الحجاج والاستدلال والبرهان، فالحجاج (يرتبط بالخطاب، والبرهنة ترتبط بالمنطق أو

بالوسائل اللسانية، والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية^(٩)).

إذ وضع اللغوي الفرنسي ديكرو (ducrot) نظرية الحجاج في اللغة منذ سنة ١٩٧٣م، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، انطلاقاً من فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، إذ يقول (إننا حين نتكلم إنما نهدف إلى التأثير في هذا السامع، أو مواساته أو إقناعه، أو جعله يأتي عملاً ما، أو إزعاجه أو إحراجة وغير ذلك)^(١٠).

فالحجاج هو توجيه خطاب إلى متلقٍ ما لتعديل موقفه أو رأيه أو سلوكه وغايته الإقناع، وجاء في قاموس (Legrande Robert) مصطلح (Argumentation) هو (فن استعمال الحجج أو الاعراض بها في مناقشة معينة والفعل حاجج (Argumenter) هو الدفاع عن اعتراض أو

الرياضيات ولفظ الاستدلال هو المصطلح الأعم الذي يشملها جميعاً، فكل حجاج استدلال وليس كل استدلال حجاجاً، وكل برهنة أو استنباط أو قياس تعتبر استدلالاً والعكس غير صحيح^(٩). لذا على الدارسين إدراك هذه المفاهيم في الدراسات التطبيقية، لأن غاية الحجاج التأثير في المتلقي لإقناعه بفكرة أو لتبني موقف ما، ليكون بذلك سمة قصف كل الخطابات . تقريباً . على اعتبار أنّ الحجاج ظاهرة لغوية تحتضن كل خطاب سواء أكان فلسفياً أو أدبياً أو دينياً أو اقتصادياً أو سياسياً^(١٠). وقد حصر بيرلمان وتيتكا موجّهات التعبير والحجاج في (الإثبات) و(الإلزام والاستفهام) و(التمني) فضلاً عن صيغ لغوية أخرى لها بعدها الحجاجي وفعاليته كتوظيف الأزمنة والضمائر واعتماد الحكم والأمثال والتاريخ والتي تشكل بحكم انتشارها منطلقاً قوياً للاستدلال في الخطاب، فضلاً عن الصور البلاغية، إذ يصف صابر الحباشة البلاغة الجديدة أنها (نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة

النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج)^(١١)، لذلك نجد أن نظرية الحجاج فتحت آفاقاً واسعة وجديدة أمام الدرس البلاغي والتداولي بعده نشاطاً تواصلياً يقصد التأثير .

وأضحت نظرية الحجاج من أهم المداخل التي يمكن التوصل بها لاستنتاج النصوص الأدبية، وكشف جمالياتها للخروج منها بخلاصات متعددة لاسيما إذا كانت هذه النصوص تتخذ من الإقناع والاقناع غايتين لها فهناك نصوص شعرية أو نثرية باعثة على التأثير الإقناعي، وتكون تبعاً لذلك وبفضل تأثير قوة الخطاب، واستعداد المتلقي للاستجابة لمؤثرات الخطاب في تعديل السلوك أو الرأي أو الإحساس، نصوصاً حجاجية أو إقناعية وكما يشير إلى ذلك ميشال مايبير حين يعرف الحجاج على أنه جهد إقناعي ويعتبر البعد الحجاجي بعداً جوهرياً في اللغة لسعي كل خطاب إلى إقناع من يتوجه إليه^(١٢)، فمصطلح الخطاب أكثر عمومية من النص، لامتلاكه القدرة على استيعاب النص وتقديم رؤية جماعية ذات دلالة تتصف بالكلية لا الجزئية^(١٣).

سيمائية العنوان:

الحجاج هو نظرية خطابية تُعنى بالتقنيات الخطابية، والفعاليات الحجاجية اللغوية والاجتماعية والعقلانية التي تسعى إلى الإقناع والتأثير عن طريق (دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من طروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم والإذعان)^(١٤).

وكما تخضع المقدمات الحجاجية Les Permisses للاختيار يخضع الاختيار بدوره لطريقة العرض La Pre'senation، فنجاعة العرض شرط ضروري لكل خطاب حجاجي يسعى إلى الإقناع والتأثير، ولا يفصل بيرلمان وتيتكا بين الشكل والمضمون في الخطابة، إذ لا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية، وحتى الإيقاع والتناغم وغيرهما من الظواهر الشكلية يمكن أن يكون لها تأثير حجاجي عن طريق ما تحدثه من إعجاب وانبساط وحماس لدى المتلقين^(١٥)، وقد اهتمت الدراسات اللسانية والسيمائية الحديثة بدراسة

العنوان وتحليله من نواحيه التركيبية والدلالية لأنّه (يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض فيه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد انتاج نفسه، وهو الذي يجدد هوية القصيدة، فهو . إن صحت المشابهة . بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي تبنى عليه)^(١٦)، فللعنوان دلالات مختلفة ومعاني متضاربة قد تتفق داخل لحظة شعورية مكثفة تتجسد كعمل فني يتطلب قارئاً مثقفاً واعياً بضروب التعبير الشعري يسهل عليه الغوص في عالم الرموز المعقدة التي تخلق أحياناً فضاءً مغلقاً.

العنوان نظام سيميائي وعلامة لسانية لها دلالاتها الصريحة والضمنية الإيحائية التي يمكن استجلاؤها بالنظر العميق في بنية النص بوصفه عملاً مترابطاً تحكمه بعض العلاقات الدلالية والنصية والسياقية والتي ينظر لها على وفق هذا المنظور المتكامل بافتراض وجود خيط دلالي يربط هذه العتبة النصية بما يليها من عتبات قد تتفق معها سطحيًا وقد تفترق مع لحاظ الرابط العميق بينها^(١٧)، إذ إنّ العنوان هو العتبة الرئيسة التي يستنطقها المتلقي قبل الولوج إلى

أعماق النص، وعلى الرغم من أن اللغة هي البوابة التي يدخل منها النص إلى عالمه الرحب، فإن الدخول إلى عالم النص ينطلق من العنوان لأنه العنصر الأساس في التشكيل الأدبي، ويقود إلى خيوط أساسية في بناء النص وحلّ شفراته، وتوحي قراءته الأولى دلالات تسعى إلى لملمة المغزى تليها القراءة الثانية^(١٨)، إذ إنّ بعض الشعراء يميل إلى أن يواشج بين مهمة الشعر الفكرية والاجتماعية ووظيفته الجمالية والدلالية، ذلك أن للشعر وظيفة انفعالية وتوجيهية وحجاجية وإقناعية فضلاً عن الوظيفة الشعرية الجمالية.

إنّ اللغة ليست ذات طاقة حجاجية في ذاتها ولا بد من معطيات تميل بالخطاب الشعري إلى الحجاج، وقد تضافرت عدة عوامل واعتبارات لغوية وأدبية وفكرية وأسلوبية لتؤسس لدينا إقناعاً بمضمون قصيدة (تاج النملة) لشاعرنا إذ كان لظروف المجتمع في حياة الشاعر أثر كبير في بناء شخصيته وتحديد ملامحها وتوجيه سماته الفكرية، فتميز مع جيله السبعيني بنوع من الإبداع الخاص بدأ في شكل (كسر الإيهام) عن

طريق التجديد في مستويات القصيدة السبعينية واستسقاء مواهبهم بتقنيات شكلية فضلاً عن المضمون الذي يصف واقع الإنسان العربي المتأزم.

وعقيل علي وُصِفَ بأنّه (شاعر وجد نفسه خارج معادلة مهادنة الزمن؛ ما وضعه أمام نوع من القلق الوجودي والاندفاع المبكر للمغامرة والتمرد والفرادة وغواية الكتابة، تلك التي تحولت من حدوس وانشغالات نفسية ساخطة إلى محاولات جريئة في التوغل إلى أعماق متن الكتابة الشعرية)^(١٩)، وتصفه باحثة محدثة عاشقة لشعره بأنه شاعر أمتن الهرب نحو الحلم نحو ذاته الباحثة، اللجوجة، نحو اكتشاف العالم بوساطة التمرد عليه، وربما أراد عبر الإفراط بأحلامه أن يحث الخطى بحثاً عن حريته تلك التي تلمس الطريق إلى قلقها في رحلته الوجودية، هو شاعر موقف صعب على الرغم من رهافته عنيد على الرغم من وداعته لتحدد بعد ذلك ثلاثة محاور لتأثير نص عقيل علي في الشعر تتمثل في الانتقاء الواعي الذي يعلن عن لغة تمارس أثراً بارزاً في مواجهة الثقافات

السائدة، ويتمرد ليرسم حدودًا جديدة لخارطة الوجود الإنساني، وترصد نصوصه كذلك التمزق السياسي وترقب الهموم الوجودية^(٢٠). ونضيف أنّ همه الذاتي والاجتماعي والسياسي جعل صوته خافتًا في البوح لكن في قصائده صوتًا خفيًا وصراخًا قد يقنع به من ينظر له من تلك الزوايا الخفية وهذه المعطيات مجتمعة كقيلة بأن تثري رغبتنا نحو هذا الإبداع، وانطلاقًا من قناعة راسخة بتواشج الشكل والمضمون في العمل الأدبي لدراسة البنى الأسلوبية ضمن أهدافها الحجاجية والتواصلية، لذلك ارتأينا مقارنة قصيدة (تاج النملة) لبيان أسلوب الشاعر فيها وقوته الإقناعية، بوصفه مدخلًا من مداخل جماليات النص الأدبي لرصد عمل أساليب الخطاب والإقناع، وقدرته على إشراك المتلقي لفكره ورؤيته وشاعريته، وكشف الوجه الآخر غير المتداول من شخصيته، أملا في الفوز بمحصلة معرفية تثري أهمية هذه التجربة. وتكمن خصوصية هذه القصيدة في غموض حجاجيتها وخفاء معالم بوحها في القراءة الأولى، لذا على

المتلقي أن يغوص في أغوارها لكشف أسرارها الخفية وسماع صدى صوت مبدعها.

(تاج النملة) عنوان لا يخلو من مفارقة تترك المتلقي، فالتاج يتكئ على القوة والقدرة، في حين أنّ قدر النملة هو الضعف والصغر والتواضع.

عنوان القصيدة يحتمل أكثر من قراءة (تاج) يعني ملك ومملكة (النملة) قد تعني العبودية والضعف. ففي العنوان قراءة ضمنية تتسجم مع التحليل الحجاجي للنص. والظواهر اللغوية فيه كالروابط الحجاجية والأفعال وتكرار الجمل والعبارات، فضلاً عن قراءة ظاهرة تواشج مضمون القصيدة غير الخفي، فالقراءة الأولى للعنوان تزيل الغطاء عن روابط حجاجية بين مقاطع النص، ذات الشاعر وهمومه وتطلعاته وحائط واقعه الاجتماعي الذي تناثرت أمامه تلك التطلعات، وذلك يرصده قوله:

بهدهوءٍ أرفع التاج عن الرأس

المنصوب فوق جبال

من الفرائس وكطُرقات تحت جلدي

أَقْرَبَ شمس ثدييها إلى مركز الخطوة

تسعى به نحو الإقناع، معتمداً أحياناً أسلوب
بلاغي محدد.

يتحدثون عن اليابسة والجثث تغرق تباغاً

الاستهلال والخصائص المناظرية للخطاب
الحجاجي:

قراصنة ومجانين وأنبياء وأولياء وملوك
وصعاليك^(٢١)

لتأتي الطبيعة الحجاجية للعنوان كحجة طيّعة
لنتيجة أدركها هو من واقعه. وبهذا التوجيه يزداد
العنوان (تاج النملة) انضباطاً وإحكاماً في تفسير
دلالة النص ولاسيما من المنظور النفسي أو
الوظيفي عن طريق ارتباطه عضوياً بالنص
ليثمر عن نسق دلالي يحكمه التجانس التام فبنية
العنوان . هنا . تحمل علامة سيميائية تعكس أحد
أشكال التواصل مع الواقع المعاش وما يحمله من
وقائع وأفكار يدركها النص واستطاع تأويلها
وبيان دلالتها عن طريق مستويات اللغة الموظفة
في النص لتكتسب وظيفة سيموطيقية تعكس
متانة الروابط والتواشج بين المضمون الفكري
والشكل التعبيري، بترتيب التقنيات الحجاجية
لتأدية الغرض الإقناعي، وتوظيف البعد الجمالي
لما له من إثارة واستمالة في مدركات المتلقي

يُعدّ الاستهلال نقطة تماس ينفذ العنوان
بوساطتها إلى النص، والنص إلى العنوان على
مستوى الإبداع أو مستوى التلقي حين تتشظى
أشعة العنوان في جسد النص الشعري ليكون
ظهوره إشارة دلالية مساندة للعتبات الموازية
ويمثل دلالات استباقية، ليشكل المقطع الأول
ثلث النص تقريباً ينفذ بوساطته إلى المضمون
الثاني للقصيدة، إذ يقول:

بجانبا ألتصق، لصقها تماماً

وكومة من ذئاب جانبا أيضاً

تلتصق تماماً

برق ينسلّ من غمده

وأنياب تحيط بمعصمه

بجانبا ألتصق، تماماً جانبا

فتشطرني اليقظة نصفين،

بسيفٍ من تراب

تقطّر دم النصف الأول في طست

من خشب ساقياها

وتقطّر دم الآخر في رجة رحمها

لتشكل هذه المقدمة الحجاجية نقطة انطلاق يتكئ عليها في حجاجه، فالوقائع والافتراضات وهرمية القيم والمواضع مسلّمات يحاول الشاعر أن يبني عليها حجاجه، ذلك أنّ الوقائع حقائق يتم التسليم بها مباشرة، أما الافتراضات فقد توقّر للمتكلم مبررات تؤيّد ظنه على الرغم من عدم تأكيدها، في حين يقوم الحجاج بكل ضروره على القيم والتي وإن خلت من الاستدلالات العلمية فإنّها (تمثّل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاءً أساسياً، فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء)^(٢٢). وتخضع الحجج إلى مراتب متدرجة وهرمية، إذ تتفاوت درجة التسليم بالقيم من

جمهور لآخر، فالذي يميز كل جمهور طريقة ترتيب القيم التي يسلم بها^(٢٣).

إذ تسعى تلك المقدمة إلى أن تكون وسيلة تدرج لإقناع المتلقي والتأثير فيه، حين نبصر المعايير السيميولوجية مثل نظام علامات الوقف والمعايير اللغوية الأخرى فإنّنا نقف على ثلاث مساحات تؤلف مضمار شعره يمكن أن نلمسها في هذه القصيدة (المرأة/ الوطن/ الحياة . الغائبة) أو هو وهي والآخر، هي الرمزية التي بنيت على انقاضها القصيدة، كأنّها الواسطة والرمزية لبيان استلاب الآخر له الحياة والسياسة التي تساند الآخر في حمل سوطه، حدد الشاعر أطراً للقصيدة تمثلت بذاك الوصف والحجاج ليتخذ من الأول سبيلاً لتعزيز الثاني، مقدمة تهىء المتلقي نفسياً لقبول أطروحاته.

ففي قصيدته هذه نلمس سعيًا إلى التماهي في فضاء السرد والنهل من معطياته، وتقدم صراعاً منتجاً لحبكة تؤلف شعرية الخطاب فيها^(٢٤)، للوصول إلى غايتين متكاملتين (ينظر الملحق رقم ١)

ذلك أنّ الأبحاث التداولية تنظر إلى الخطاب الأدبي على أنّه عمل تواصل ينهض على جملة من قواعد التفاعل القولي الذي توجه مقاصد المتخاطبين فلا وجود لخطاب خارج الحجاج ولا حجاج بلا تواصل باللسان^(٢٥).

فالبنية المضمونية في هذا النص ينتظمها خيطان أساسيان هما: الخيط الذاتي والخيط السياسي وتتناثر بينهما الخط الاجتماعي، فقصيدة عقيل تستجيب لهاجسها وحده^(٢٦)، إذ بدا الحاضر مقتحمًا الحيز النصي، موطرًا تخومه الجانبية وبؤرته العميقة، عاكسًا أسي الشاعر وانفتاح وعيه على إجداب الآن وخوائه، أما الماضي فيأتي على العكس من ذلك طافحًا بالحياة محملاً بفعالية تذكريّة تستحضر حركية الذات العليا^(٢٧)، فللخطاب القدرة على استيعاب الأيديولوجيا والسياسة ومواجهتها كما أنّ له القدرة على تعدد الأصوات^(٢٨).

ففي استهلال القصيدة كأنّ الشاعر يقدم لنا عرضاً مسرحياً يرفع الستارة عن ثلاثة أبطال شخصية ذاته التي تبوح بوجعها للحبيبة الرمز،

وصراع قائم بين الطرف الأول والثالث الذي يمثل صوت السياسة في ثلاثية يستميل بها مدارك المتلقي ويمكن هنا أن نفترض أو نتخيل رابط حجاجي مضمّر يمسك بهذه المساحات الثلاث، ويؤيد هذا الافتراض عنوان القصيدة (تاج النملة) الذي يوحي بالعلاقة الحجاجية بين أجزاء القصيدة، وضمن إحدى القراءات الممكنة للعنوان قد تكون علاقة السببية، وهو حين يقول:

برقّ ينسلّ من غمده

وأنيابٌ تحيط بمعصمه

فتشطرني اليقظة نصفين^(٢٩)

يشير إلى أمنيات وحلم ولد ميتاً، ويقظة من أمنية وأدت في مهدها ليصحو على واقع مؤلم، فالنص مترع بقيم قد تبدو جمالية حجاجية وتداولية يخرج فيها المتلقي الفطن من دائرة التذوق الجمالي الحيادي، حين اتكأ على التشبيه في قوله: (بسيف من تراب) وقوله: (من خشب ساقها) والاستعارة في قوله: (فتشطرني اليقظة نصفين، ليكشف لنا عن واجهة حجاجية في شعره، سعى فيها لترسيخ موقفه وإحساسه وهذا

هو الحجاج التداولي، وليس الغرض من الحجة الحية هنا الوصول إلى الحقيقة الوصفية وإنما الوصول إلى الحقيقة المعيارية، والحقيقة الوصفية تعني (الأسباب الظاهرة للأشياء) أمّا الحقيقة المعيارية فهي (المقاصد الخفية للأشياء) أو الحكم التي تتطوي عليها، فكل خبر مزود بقيمة معينة هي حكمته^(٣٠)، فالشاعر يقدم لنا مزيجاً ممتعاً من الرؤى والتأملات التي يفيض وحده في البوح بها واستجلاء كوامنه، سعياً منه إلى التأثير في المتلقي ودغدغة مشاعره وانفعالاته بوساطة اللغة والخطاب، فالخطاب الشعري خطاب تواصل يمتد التأثير في المتلقي تأثيراً تتحقق معه مقاصد وغايات محددة يحملها خطابه وتتسجم مع السياقات التواصلية، لذلك يُشير بول ريكور إلى أن تأويل الخطاب (لا يعني البحث عن قصد مختلف وراء النص، وإنما يعني متابعة حركة المعنى نحو المرجع بمعنى نحو العالم، التأويل هو إظهار التوسّطات الجديدة التي أقامها الخطاب بين الإنسان والعالم)^(٣١)، لذلك يُعد الحجاج التداولي من أهم المقاربات في استنتاج النص واستكناه مكنونه، وذات فعالية في هتك

أسرار الخطاب وسبر أغواره واستجلاء خباياه وترسيخ قيم الحوار والإقناع، ولا بد من حضور شخصية الشاعر، إذ يتطلب الحجاج حضور شخصية المتكلم والمتلقي الذي من أجله تقوم المحاجة والإقناع والذي يتحدد بحسب المقام^(٣٢)، ولا بد من أن تسبقه قناعة المبدع نفسه إذ لا يمكن الفصل بين الإقناع والإمتاع لأنّ الأول (هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد، وطرفها الآخر هو الإقناع وهذان الطرفان متلازمان وجوداً وعدماً فلا وجود للإقناع دون وجود الإقناع)^(٣٣)، ولا يمكن وصف قول الشاعر بأنّه إقناعي إذا لم يؤدّ إلى حدوث إقناع المتلقي بالفكرة المطروحة في القول الشعري وذلك يتطلب متلقياً واعياً ومدركاً، وحصول الإقناع لدى المتلقي (لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه باعتباره دليلاً وحجة مادية تتسحب على المتكلم وتزكي موقفه وتؤكد^(٣٤)). والإقناع من أساليب التأثير في المتلقي حين يحمل المتكلم خطابه شحنة منطقية يحاول بها إلزام المتلقي على التسليم بمدلول رسالته^(٣٥)، وتزداد هيمنة التأثير الإقناعي

بصفة واحدة في الخطاب الحجاجي الذي توظف فيه وسائل الإقناع التي (لا تكتسي صبغة الإكراه ولا تُدرج على منهج القمع وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية تجرُّ الغير جرًّا إلى الإقناع)^(٣٦)، لذلك يرى بيرلمان Perelman أن (الغاية من الحجاج هي إثارة مستمع ما واستمالته نحو الأطروحات المراد تركيتها أو زيادة التزكية وليس استنباط النتائج من بعض المقومات فإنّها لا تدور في فراغ إنها تقتضي تماسًا فكريًا بين المتكلم والمستمع، وينبغي للخطاب أن يكون مسموعًا ولكتاب ما أن يكون مقروءًا إذ بدون هذا يغدو تأثيرها صفرًا)^(٣٧).

وفي هذا النص تتراءى ذات الشاعر كحدقة متسعة ترتقب بانتباه واقعها المرير وتأسى من عبثه حين تتموأل في النص السابق بؤرته ومساحات التوتر فيه ويتعالى حسه المفجوع ويتناثر مكنون الأسى المبطن بمناجاة الذات.

الرابط الحجاجي واستحضار التاريخ:

إنّ الجوانب الجمالية في الخطاب الشعري تزيده قيمًا حجاجية، لينتقل المتلقي من التذوق الجمالي

إلى نوايا حجاجية بارزة تعدّل في مواقفه أو تزيد من قناعاته، ليضطلع البعد الجمالي للنص بوظيفة حجاجية، وقد لا يُقَيّد الشاعر بالأحداث الخاصة، بل يستمد من نظريته العميقة والواسعة إلى الكون، لأن (عالم الشعرية يسيّج موضوعه الذي يشغل فيه وهو شكل النص وجماليته، وهو الشكل الذي يتمتع بمفاهيم ومصطلحات ومجال اشتغال متميز، غير أن لا شيء يمنع تدخل عالم الحجاج في نفس حقل الشعر لدراسته باعتبار مقاصده الحجاجية)^(٣٨).

قد جُنّت من الجوع^(٣٩)

فالظلم قديم قدم الإنسان لذا يجيء توظيف قابيل وهابيل كاستدلال وبرهان يمس به قناعة المتلقي، فيقول:

غزاة يعبرون حياتي التي أنهكت

أبجديتها خمور الزمان المعنقة^(٤٠) وآمن الشاعر إيمانًا حقيقيًا بما آمن به جيله السبعيني من رؤى وأفكار ومال . مثلهم . إلى استعمال الإشارة والرمز في الشعر، وتوظيف التراث بأنواعه، ليطمئن النص بمستويات عديدة للتلقي ويتمتع

بافتتاح دائم على آفاق تأويلية متعددة^(٤١). في نص القصيدة حوار لكنه حوار عمودي يتأرجح بين الصريح والمضمر.

في الجزء الثاني من النص يستدعي الشاعر التراث بأسلوب بلاغي اعتمد التمثيل والاستعارة في أغلب مفاصله، فحين يبصر أحلامه تنتثر يعتمد التراث لإقناع المتلقي، فيقول:

أشعل أصابعي في مركز البعد تمامًا
مثل شموع تستيقظ من نومة أهل الكهف

وتتمو مثل ساعاتٍ يقال عنها أنها
لتبدأ بعدها علاقات التتابع التي تبدأ بمنذ:

منذ قرون قابيل وهابيل

منذ يوم ميلاد أول بندقية صدئت أسنانها

منذ خروج لسان الأفعى الذي لحس الصبيان
كلها

منذ أن ضل الأبن الضال،

منذ أن أول إشارة لا تشير إلى اتجاه

عضتها أسناني

منذ أول حرف لثغ به لساني^(٤٢)

هذا التكرار الموحى بقدرته وإصراره على استمالة المتلقي هو حجاج تدريجي اعتمد التأثير والاستمالة والبرهان. وحين يقول:

بهدهوء أرفع التاج عن الرأس

يكون تحت فيء الأنثى العمياء، التي تحمل
دلالتها ضعف الحياة التي يعيشها، فهي رمز
للحياة المستلبة.

ثم المفارقة والمقابلة ورمزيته في كذب الحياة
بأشكاله:

يتحدثون عن اليابسة والجثث تغرق تباعًا

قراصنة ومجانين وأنبياء وأولياء

وملوك وصعاليك^(٤٣)

ووصف خاص بشدة التيه، يؤكد مجده الغابر
الذي سبق ذكره ببداه بـ:

وأفتتح خرائطي على سعتها

هنا وهناك تتقافز فوقها بصماتُ مدنٍ ومخلوقات

تركع في نومها وتقبض على غزو كاذب^(٤٤)

ومباشرة ينتقل إلى أمام أنظار الكون والغزاة، هذا التتابع والتكرار الذي يليه يمثل سلطته الخاصة على عقل المتلقي عن طريق إستراتيجية هدفها التأثير في عقل المتلقي واستمالاته، وهنا يجب أن نميز بين المتلقين لشعره ففي عصره كانت الأساليب البلاغية والانزياحية غطاءه الذي يتخفى فيه ولا يؤثر إلا في متلقٍ واعٍ، للطرف الاجتماعي والسياسي آنذاك فضلاً عن المنهج الخطابي للشاعر، أما إن كان يوجه خطابه لمتلقٍ لمرحلة أخرى فأننا نشعر أنه يشغل نفسه بالبوح بوجعه ومحاولة إيصال هذا الوجد لمتلقيه عن طريق نبرة خاصة تؤثر في سامعه وقارئه وتحرك فيه كوامن الشجن، وظف فيها تلك الاستشهادات والشواهد لما لها من (سلطة مرجعية تجعلها قادرة على إقناع المتلقي وإفحام الخصم)^(٤٥)، لأنها حجج جاهزة تكسب قوتها من مصدرها وأثرها مصداقيتها في المتلقي لتبرز في

هذه الصورة براعته في بناء خطابه الحجاجي المتخفي وتساعد صدى البوح للمتلقي.

فالمثل التاريخي هنا المرتبط بالاستعارة والتشبيه التمثيلي هو من أكثر الحجج استخداماً (لقدرته العالية على إثارة التصديق واعتماده على الحقيقة)^(٤٦)، واستخلاص العبر منه والكشف عن العلاقات التي تربط الحاضر بالماضي، إذ يمكن للتاريخ الموظف هنا وبهذا التصور أن يمثل طاقة حجاجية ذات فعالية في توجيه المتلقي نحو الفعل والتأثير ولكي تكتسب الإحالة التاريخية فعاليتها الحجاجية وقوتها الإقناعية يشترط فيها حازم (أن تكون مشهورة أي متصلة بالوعي الجماعي وليست مفارقة له، كما يلح على مبدأ المشابهة بين قصص الماضي ووقائع الحاضر حتى يتمكن المتلقي من الربط المؤثر بين الواقعتين)^(٤٧)، وربما وظف الشاعر تلك المشاهد استخلاصاً للعبر لا اعتماداً على المشابهة بل بتلاحم النص مع الخطاب لأنه خطاب وجد نفسه عبر خطاب آخر^(٤٨).

وتتجاوز بلاغة الحجاج الأسلوب المنمق البليغ، لتحز تفكير المتلقي وإدراكه ويخضع لحالة نفسية ما.

والشاعر هنا يلمح أكثر مما يصرح، ويعلم أن المعاني المضمرة في الأدلة تلزم بوجه من الوجوه عما هو مصرح به. وهذا يتجلى لنا بوساطة العلاقة الحوارية مع النص والغوص في أعماقه وتلمس أبعاده الجمالية والفنية ومستوى النسق العام، والنظر إلى أسلوب خطابه الشعري وآلياته الحجاجية فضلاً عن دلالاته الأخرى، لتتبين لنا الوظيفة الحجاجية والإقناعية والتي تُعد إحدى وظائف النص الشعري.

ففي النص مناجاة مترعة بالعاطفة غارقة في ذاتيتها متوهجة للتدوق والاستماع الجماليين، وفيها دعوة بخفاء لتغيير المواقف والسلوك والأحوال النفسية ومناجاة العقل والعواطف، ويبدو فيها الصدع المتبطن أعماق الشاعر المستدل بصور ماضٍ موغل وماضٍ قريب تراءت فيه أوجاع الشاعر لينشطر ذاته متأرجحاً بين ماضٍ سوداوي، ومستقبل أتمم بالضبابية والعدم،

والحاضر بينهما بؤرة صراع نفسي لا ينقطع، يعلو فيه الحس الثنائي في ذاته العميقة المصطرع بين جدليتي الوجود وقطبيه المتنافرين أبداً، الحياة والتي بدا رافضاً لها ناقماً منها، والموت الذي يدنو منه بإجذاب العدم، وما موته مشرداً في شوارع بغداد إلا استكمالاً لذلك التصدع.

خطاب الرفض بين الإقناع والإقناع:

يتسم خطابه في القصيدة بطابعه الفكري المنسجم مع التأثيرات التي انبثق عنها ذلك الخطاب النقدي وبلغ ذروته في المحور السياسي إلى أن تحول بفعل مجموعة من المتغيرات إلى خطاب رفض متمرد على الواقع والقيم لكنه لا يخلو من الخطاب التأملية ذي الطابع الفلسفي المغرق بذاتيته المتشظية وتأثرت صورته الفوضوية بالأدب والفلسفة الوجوديين وبرز سخطه وسخريته من الثوابت الاجتماعية الذي ينم عن إحساس عديمي بالوجود ظهر في صورته الموحشة والقائمة لحياة تتبدى في هياة لا معنى لها^(٤٩).

فخطابه هو خطاب الرفض والمعارضة، خطاب السؤال والقلق، لذلك ارتهنت التحولات الشعرية في خطابه بتحولات وعيه العميق حين عزز رؤيته الشعرية بمنظور فلسفي زواج فيه بين الشعرية بوصفها مفهوما والقدرة على إيجاد إمكانات تعزز هذه الشعرية التي تتيح انفتاح القصيدة على اللانهائي^(٥٠)، وتمثل ذلك الرفض والقلق واليأس بقوله:

هنا وهناك تتقاذف فوقها بصمات مدن ومخلوقات

تركع في نومها وتقبض على غزو كاذب

والنهر يتمرأى في مائه وبعد أن يُطفأ آخر مصباح

يكون لصقها تماماً تماماً

وأصابه تغفو في فم ذئبٍ أفضل النوم بابه^(٥١)

في هذا الجزء النصي نشعر بصوت يتدفق وتتصاعد وثيرة التمزق لتبلغ أقصى لحظاتها وأشدّها تأزماً واحتداماً ليتشظى الصوت هنا ويتفرّع لا لمناجاة ذاته الضائعة فقط بل لدغدة السلطة السياسية وانتظار محاكمتها لفعلها الذي

غيّب صوته، سعياً منه لإقناع الآخر متلقيه والظفر في كسب وجوده في مرحلة ثم انتظار الفعل في مرحلة تتبعها، ذلك أن (حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي والاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في مرحلة ثانية أمر قد أجمع عليه الدارسين المهمين بالحجاج وأفانينه)^(٥٢)، لأنّه يسعى إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى اتخاذ موقف ما من القضية التي شكلت موضوع القصيدة أو محورها العام، ليأتي النغم العام للنص متسارع الإيقاع بحركة تصاعدية قصدها الشاعر، يضحج بإشارات السخط والغضب واليأس وموغلا في المعطى الآتي في صراع متواصل مع تناقضاته المتصاعدة التي توهّجت أمامها صدامات ذاته الشعرية.

وأنّ ضبابية الرسالة الأدبية هنا لا تخلو من غاية جمالية يسعى بوساطتها إلى خلق حالة من التوالد المعنوي أو التناثر الدلالي، فهو يتبنى المفارقة مشروعا جماليا وفكرياً ذلك أن منشئ الخطاب مبدع هارب من نمطية الاستهلاك، هارب من استبدادية السلطة وقهر الانصياع

مرورًا بغموض الوضع والاستقرار الصادر من محكمة النقطة في آخر القصيدة^(٥٣)، فالشاعر لا يمكنه الانفصال عن ذاته في شعره، فالذات هي مصدر إبداعه وجمال فنه وبنية لا تتجزأ أمام تشكيل صورته.

حاجية الأساليب البلاغية:

يظفر المتلقي بوساطة الأساليب البلاغية بالقصد الكامن في النص ذاته ونفس منتجة مع بيان البعد الجمالي والإثارة، لأن الخطاب الأدبي (خلق لغة من لغة)^(٥٤). يقوم المبدع ببعث لغة وليدة تتمثل بلغة الخطاب الأدبي في اللغة، فيسبغها بصبغة الأسلوبية كوظيفة مركزية منظمة أي الوظيفة الشعرية كما يسميها جاكسون Jakobson ليتمكن الخطاب من أن يفرز أنماطه الذاتية وسننه العلامية والدلالية فيكون سياقه الداخلي مرجعه في تقييم دلالاته حتى لكأن الخطاب هو معجم بذاته^(٥٥).

فالشعر يتوافق مع الوظيفة البلاغية التي تبعث الجمال والإمتاع الذي يستميل القلب والعقل وتلك ركيزة مهمة من ركائز الحجاج

الإقناعية، فالبلاغة كما يصنفها بيرلمان PereLman مطابقة لنظرية الحجاج إذ عبّر العنوان الفرعي لكتابة المصنف في الحجاج (البلاغة الجديدة)، عن هذا الاتجاه جعل فيه البلاغة علمًا مستقبليًا هدفه تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسسة عليها^(٥٦)، ويأتي قول السكاكي (تتبع مرور المعنى الواحد في طرق مختلفة يكون في الدلالات العقلية)^(٥٧)، متطابقًا مع آليات الحجاج وتدرج وسائل الإقناع فيه وتتبع دلالة الحجاج المضمرة فيه ليستدل عليه المتلقي ولاسيما عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية ف (المستدل يفتن فيسلك تارة طريق التصريح فيتم الدلالة وأخرى طريق الكناية)^(٥٨)، فتنتقل البلاغة لوظيفتها الجمالية بهذا التحول من التعبير الاعتيادي إلى التعبير القائم على خرق المعتاد بالمجاز والاثارة التريني، فالبلاغة كما يراها ديكره هي (فن ابتكار الاختيار والتعبير المزيّن بشكل ملائم والذي يمكن استخدامه في الإقناع)^(٥٩)، ويشمل ميدانها كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، وكل

خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة^(٦٠)، والبحث البلاغي هو بحث في الحجاج لأن تقنياته تميل للتأثير والإقناع فضلاً عن القيم الجمالية والتزنيّة، وتجاوزت فن الإقناع والتأثير عند ميشال لتغدو طرحاً اشكالياً يُعنى بكل القضايا داخل نظام اللغة وخارج الذاكرة أو العقل ف (القول الحجاجي هو جزء من اللغة يبدأ في الوقت الذي يعطي فيه الإنسان الحق في القول وكذلك الفعل)^(٦١).

وفي هذه القصيدة ينسج الشاعر غموضه الشعري عن طريق التشكيل الصوري بفضائه بمستوى آخر من التعبير والتصوير والترميز على النحو الذي ينتج مفارقة شعرية فهو شاعر يوجز ببلاغة آسرة رؤاه وتشعر أنه يتمظهر خارج التقليدي في تكوين مفارقتة الزمكانية، هو يوثق قصيدته بمخيلة طفل مذهول^(٦٢)، لأنه ببساطة (الشاعر المغامر صانع الغموض والعزلة المثيرة للأسئلة دائماً)^(٦٣).

وكأنه في صوره البيانية يفاوض المتلقي ليلهب عقله بقضيته، وبمعرفة الصور البيانية للشاعر نلج شخصيته ونسلط الأضواء على نفسه في تطورها ونموها وانحدارها^(٦٤)، وحتى تسمو فعاليتها الحجاجية وتأثيرها الإقناعي لابد من أن تتمظهر بوسائل التخيل لإغراء المتلقي ببساطة المزوجة بين المضمون العقلي للحجة وصورها البيانية فالوجوه البلاغية . أحياناً . قد لا تكفي للدلالة على صدق الخطاب وإيقاع التصديق، فتطفح الحاجة في ذهن المتلقي أن يتكئ على الوسائل التي تسوّغ رأيه وترجحه لتلقي . هنا . البلاغة بالحجاج^(٦٥).

قصيدة (تاج النملة) تكشف عن براعة الشاعر الفنية في الكتابة الشعرية حين يعمد إلى تغذية عقل المتلقي بصوره المجازية والخيالية المنتقاة بمعانيها العميقة، ينتشت معها عقل القارئ ضمن القراءة الأولى في فضاء السؤال: ما الذي يريده الشاعر هنا؟ وما قيمة هذه المفارقات الدلالية في حمل رسائله؟

ولذلك أعلى قيمه^(٦٨)، ونجد الشاعر يميل إلى حجج التمثيل في صوره التشبيهية ولا يستند إلى القياس والاستنتاج كغيره، بل يضع الصورة مباشرة أمام أنظار المتلقي ليكسب الصدمة الأولى في تخيل صورة الموقف ثم بعد ذلك وباستقراء بلاغي يدرك التأويل المستمد منها ومن دلالتها الخفية المكتسبة من الواقع.

فالتمثيل (وسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المتلقي من جهات عديدة، فهو خطاب للعقل بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصويرية العادية إلى الحالة التصديقية لأنه بمثابة إحضار المعنى المدعي ليشاهد كما هو في الواقع)^(٦٩)، ففي صوره التي تجمع بين الاستعارة والتمثيل حين يختم بها القصيدة:

والنهر يتمرأى في مائه وبعد أن يُطفأ آخر
مصباح

يكون لصقها تماماً تماماً

وأصابعه تغفو في فم ذئبٍ أقفل النوم بابه^(٧٠)

لندرك بعد لملمة أشلاء العقل ليحاور الخيال والعاطفة بأن نجاعة أسلوبه تبرزت في إيقاع مضامين الخطاب الإقناعي في نفس المتلقي وذهنه بعناصرها التعبيرية والفنية وآلياتها الحجاجية ضمن سياقها واعتماد أسلوب بلاغي دون غيره من الأساليب ف (الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج)^(٦٦).

حجاجية التمثيل والصور التشبيهية:

الصور البلاغية مقومات حجاجية وإقناعية تمتلك القدرة بوساطة التحسين والتقبيح أن تحت على القيام بأمره أو تجاوزه.

والتشبيه على الرغم من أنه قد لا يفوق الاستعارة التي تعتمد التأويل والادعاء في إثبات المعنى إلا أنه يمتاز بتنوع دلالاته في المبالغة والمقارنة، وله قيمة حجاجية كبيرة استثمرها الشاعر هنا لإبصال فكرته تماماً، في صوره: (بسيف من تراب) و(أشعل أصابعي) (أقرب شمس ثدييها إلى مركز الخطوة)^(٦٧)، فهي صور مختارة بدقة وعناية مقصودة، لا تعود قيمتها للعلاقة بين طرفي التشبيه، بل هي مكتسبة من الموقف التعبيري،

واقع يؤس منه الشاعر وماتت أمانيه في
إصلاحه فاعتمد وعي المتلقي في إدراكه أو
تغيره.

حجاجة الاستعارة

تُعد الاستعارة من أهم آليات الحجاج ف(لا حجاج
بلا مجاز)^(٧٣) ولها القدرة في بناء القول
الحجاجة وبصورها التأثيرية والجمالية والإقناعية
التي تثير المتلقي وتقنعه بالحجة عن طريق
الاستنتاج وتحليل الصور إذ تقوم على (توريط
المتلقي وإجباره على تأويل البيت وتفكيك
الصورة، وبذلك يقع إلزامه بالنتيجة التي انتهى
إليها بعد تفكيك وتأويل)^(٧٤)، وتكمن قوتها
الحجاجة والإقناعية بقدرتها على الفعل في
المتلقي بما تضيفه من سحر وجمال على
الكلام، يتمثل في تصوير المعنى المراد تصويرا
يجمع بين الرونق والإيجاز بمبالغة محببة تزيد
المعنى قوة، وتعتمد التخيل كثيرا الذي هو (قوام
المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني
الخطابية، واستعمال الإقناع في الأقاويل
الشعرية سائع ... لذلك ساغ للشاعر أن يخطب

ليستقيم السلم الحجاجة على وفق
العلاقات الحجاجة كما في الشكل الآتي (ينظر
ملحق رقم ٢)

فالنص هنا شكلاً ومحتوى بنيات بلاغية
تتجز وظيفة استراتيجية ضمن العمل التواصلية
وهي استمالة المتلقي أولاً وإقناعه بالمضمون
الذي يحمله الخطاب، وهذه البنيات (ذات طبيعة
وظيفية أساساً تستهدف نجاعة النص في المقام
التواصلية)^(٧٥)، بما وفر الشاعر لها من ألبسة
أسلوبية وبلاغية وطاقات صوتية لإحداث التأثير
المطلوب.

فالقدره الحجاجة لهذا التمثيل شديدة لأنه
يصور المعنى ويخترق الذهن أو يمثل أمامه،
لتعد هذه الصورة من أهم وسائل الحجاج في هذه
القصيدة بما تحمل من دلالات لأن يريد فيها
(إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدلّ على معنى
آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد
أن يشير إليه)^(٧٦)، وتكسب هذه الصور
حجاجيتها بتعددتها واستدلال الشاهد على الغائب
فيها فرسمت في ذهن المتلقي صوراً توحى بدلالة

تصديقاً لمنطق نظرية السلام الحجاجية، التي تعتمد الشكل الآتي (ينظر ملحق رقم ٣).

إذ تلعب الكفاءة التأويلية لدى المتلقي دوراً بالغاً في تفتيت دلالة النص الحجاجي، وعليه يحكم على القول بالفعل الحجاجي^(٧٨)، فالتأويل يزيد من ثراء المعاني وتزويدها في النص السابق بُعد تداولي مقامي لبلاغة الخطاب الأدبي، الذي يعد الظاهرة البلاغة ظاهرة لغوية متجسدة في الخطاب تخضع لشروط القول والتلقي ليغدو الخطاب هنا تواصلًا له خصائصه البنائية التي تميزه من غيره من الخطابات الإخبارية والحكائية أو السردية، ويتبع هذا السياق المشترك بين المرسل والمرسل إليه لبروز قيمة القصدية عند الذوات المتخاطبة.

حجاجية اللغة:

أسهمت التقنيات اللغوية وآلياتها فضلاً عن الأساليب الموظفة توظيفاً حجاجياً في إقناع المتلقي والتأثير فيه عن طريق تنويع الخطاب ومراعاة مقامه، وإن الوظيفة الحجاجية تتوافر على خصائص في بنية اللغة ذاتها ذلك (أن

لكن في الأقل من كلامه وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه)^(٧٩)، ويبرز هذا المعنى الحجاجي أكثر في قول القرطاجني (القصد في التخيل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعل واعتقاده)^(٨٠)، ويلتئم الخيال في صدر الشاعر هنا ماثلاً في مخيلة المتلقي، ولا سيما في صوره التي يقول فيها:

بجانبيها ألنصق، تماماً بجانبها

فتشطرني اليقظة نصفين

وقوله:

مثل ساعات يلتف النهر على خصرها

غزاة يعبرون حياتي التي أنهكت^(٨١)

فقد وظّف الشاعر الخاصية الاستعارية ويقظته تشطره حين يصطدم الحلم بالواقع، وضياح ساعاته التي التف نهره على خصرها، لتضيع حياته تحت سطوة واقع اجتماعي وسياسي لا يألفه، وبذلك منح خطابه بعداً تأملياً إقناعياً معتمداً التلازم بين القول الحجاجي والنتيجة المعلنة، مع ملاحظة تفاوت القوة في بناء الحجج

الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ والتي فضلاً عن محتواها الإخباري تصلح لإعطاء توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك^(٧٩)، وتسعى نظرية الحجاج إلى أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وهناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها ومن هنا يصبح الحجاج بعداً جوهرياً في اللغة ذاتها مما نتج عن ذلك أنه حيثما وُجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة إستراتيجية معينة نعمل عليها لغوياً وعقلياً إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته^(٨٠)، ولابد من الانتباه لمسألة مهمة هي أن الحجاج ليس عملية حشو الحجج وبسط مفاصل الكلام وتعليق بعضه ببعض فحسب، بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم والتركيب وأزمة الأفعال وصياغة الكلمات وأنواع الخطاب والتي تستجيب لعلاقة الشاعر بالمتلقي وملاءمة وضع المتلقي ومقتضيات المقام^(٨١).

وتعد الصياغة اللغوية من أهم متطلبات الحجاج والإقناع (فلا يكفي أن تكون الأدلة مقنعة مالم

تقدم بأسلوب مقنع يجوز مجموعة من العناصر التعبيرية والفنية والجمالية)^(٨٢).

أتكأ شعراء السبعينات . بصورة عامة . في خطابهم على مرتكزات عديدة من أهمها: مخاطبة الذات والغوص في أعماقها وسرديتها ومناهاتها، وهي ذات وجودية تتحدث بلغة الضمير المعذب، من الذات إلى ذاتها أو من الذات إلى الآخر ويكون عن الذات من منظور الآخر أو التماهي مع الآخر^(٨٣)، وفي هذه القصيدة تشعر أن الشاعر بنى نصه على وفق تسلسل بدء برسم محاورها الثلاثة بدأت بصب هموم الذات المعذب في بوتقة ضمت نقداً سياسياً واجتماعياً تحت جناح رمز تمثل بالمرأة، وهذا التسلسل الهرمي يقبله الوضع اللغوي ضمن تعبيره المجازي في توجيه أوضاع الكلام بدءاً بـ:

الحجة ← تقتضي التبرير الذي يدركه المتلقي
بين ثنايا النص ← نتيجة الوصول إلى
الإقناع عن طريق تحليل شفرة النص
وفق رموزه

الروابط الحجاجية وحجاجية الأفعال الانجازية:

وتكرار منذ في ستة مواضع متسلسلة، يستدرج ذهن المتلقي فيها لتكون وسيلة إقناعية في ترتيب الحجج، إذ يقول:

منذ قرون هابيل وقابيل

منذ يوم ميلاد أول بندقية صدئت أسنانها

منذ خروج لسان الأفعى الذي لحس الصليبان
كلها

منذ أن ضل الابن الضال

منذ أول إشارة لا تشير إلى اتجاه

منذ أول حرف لثغ به لساني^(٨٤)

إنّ تكرار الرابط الحجاجي نحو (مثل) و(منذ) هنا يعد تكراراً للعلاقة الحجاجية التي أثمرت عن تنامي النص وانسجامه، فالعلاقات الحجاجية تقوم بينها علاقات تسلسل وترباط، على وفق المبدأ السيميائي المعروف: مبدأ ارتباط اللاحق بالسابق ثم أن العلاقة الحجاجية الجديدة تضيف عناصر دلالية وحجاجية جديدة إلى العلاقة السابقة^(٨٥)، فتكرار الموقف (بجانبيها ألتصق) أو

إنّ تكرار الرابط الحجاجي أو مفردات بعينها في هذا النص أثر في بناء النص وانسجامه حجاجياً وتداولياً لبعده عن الرتابة المألوفة أو التقليدية، وساهم بتوليد بنيات لغوية جديدة لأنه أحد ميكاترمات عملية إنتاج الكلام ويرتكز التكرار هنا في أغلبه على عنصرين، تكرار صيغ تركيبية تمثل مواقف الشاعر نحو تكرار قوله:

بجانبيها ألتصق

وتكرار بعض الألفاظ التي تعد بمثابة روابط حجاجية كقوله في تكرار أداة التشبيه (مثل)

أشعل أصابعي في مركز البعد تماماً

مثل شموع تستيقظ من نومة أهل الكهف

وتتمو مثل ساعات يقال عنها إنها قد جُنت من الجوع

مثل ساعات يلتف النهر على خصرها

الرابط (منذ) يعطي زخمًا يثري الدلالة ويشد ذهن المتلقي، فالخطاب يهدف إلى التمايز ومن ثم التواصل المثير، فلا غربة أن يكون الشاعر نزقًا بعبادة اللغة، ليتجاوز الحدث اللساني إلى غائية الحدث الأدبي، أي من عملية الإخبار إلى إحداث المفاجأة الجمالية^(٨٦)، فالمفارقة التي تحطمت أمامها ذات الشاعر المنكسرة هي مفارقة الحلم والظلم والتي تراءت عن طريقها تلك الذات المحطمة لتتسع مسافة التواتر بين ديمومة الحلم وفنائه تحت مأكنة الظلم، وهو يحاول أن يوصل لنا نظرتة وجزعه من واقعه وعبث نواميسه السائرة عكس لأمنيات بعيدًا عن المنطق.

وتلعب العناصر الصوتية والمعجمية دورًا بارزًا في انسجام النص، وهنا نجده يوظف كثيرًا الرابط النحوي (الواو) الذي يتكرر في بداية بعض المقاطع للربط بينها، كقوله:

ببطء أرفع التاج عن رأسها

وأثقياً أنثاي العمياء بهدوء

وأمام أنظار الكون

.....

وأفتح خرائطي على سعتها

والنهر يتمرأى في مائه وبعد أن يُطفأ آخر
المصباح

يكون لصقها تمامًا تمامًا

وأصابعه تغفو في فم ذئب أقفل النوم بابه^(٨٧)

ليحقق للنص الشعري اتساقه وانسجامه النحوي بعد أن سعى إلى الانسجام التداولي بتكرار (منذ) وكانت اللغة بمهاراتها من أهم أدواته الفنية في الإثارة والإقناع عن طريق تطويع المفردات ورسم الصور غير المألوفة التي تحمل بصمته الفنية، فخطابه الشعري إعادة بناء لا ينفصل عن البنى الثقافية والاجتماعية السائدة فجاء في بعض صوره متمردًا على الذاكرة النصية الجاهزة التي ورثناها، لتصل لغته في بعض صيغها التعبيرية إلى مرحلة تكثيف عالية واستثنائية فريدة على الصعيدين اللغوي والدلالي^(٨٨)، ومن صيغته: (برق ينسل من غمده، فتشطرني اليقظة نصفين، وتقطر دم الآخر في رحبة رحمها، قردة ترقص

أثناء الأداء الكلامي فإنه يخرج عن سلطة اللغة إلى ابداعية الكلام^(٩١)، إذ نجد الشاعر يعمد الى توظيف أفعال بقصدية كلها مضارعة نصفها يبعث عن الحياة والأمل وهي (التصق، أشعل، أقرب، أمسح، أفتح، أقيًا) في حين يدل نصفها الآخر على اليأس والضياع نحو (تشطرنى، تقطر، يلطم، ترقص، تنحو، تركع). وهذه الأفعال والصيغ الفعلية على الرغم من تضادها لكنه أضفى عليها ألقا حضوريا متوهجًا أحالت إلى ديمومة فاعلية الذات المفقودة، فالأفعال اللغوية تعدّ إحدى مكونات الخطاب الأساسية.

فقوله مثلاً (فتشطرنى اليقظة) هو حجة يوظفها الشاعر بمثابة النتيجة والإجابة، ذلك أنّ حجته صريحة ونتيجتها ضمنية يستتبطها القارئ من الكلام والذي تجلت فيه ذات الشاعر المتشظية والضائعة وتراءت الأحلام وقد فقدت ماهيتها المتطاولة وتزيّت بركود قاتل.

ويندرج الخطاب الشعري ضمن الحقل التواصلى، ولتحديد السياق يمكن استخراج متضمنات القول، لأن التداولية تدرس (الطريقة التي يستخرج بها

حول عنقها المحاط، غزاة يعبرون حياتي التي أنهكت، أبجديتها خمور الزمان المعتقد، أقرب شمس تديبها إلى مركز الخطوة، تركع في نومها وتقبض على غزو كاذب)^(٩٢)، فهو يحاول أن يقنعا هنا أنّ طريقه لاكتشاف عالمه وكتابة ذاته يأتي عن طريق الوهم اللغوي الحامل لبوحه وحلمه وهوسه هو يسعى للمفارقة الدلالية لبنية خطابه ليترك هامشاً من القصدية في بنيتها السيميائية، فتخرج لغته الشعرية من تراكيب وجمل تنتظمها الانزياحية إلى مادة طيبة تتشكل بأشكال غير مألوفة للدائقة التقليدية، ويتفاعل الكلمات مع غيرها منحت بعضها البعض دلالات واعية وفاعليات خاصة يدركها المتلقي بوعي^(٩٣).

إنّ القول اللغوي الذي نجسد التجربة الشعرية أو الشعرية للمبدع من غاياته التأثير في المتلقي بتوجيه الخطاب نحو غاية ما، ذلك أن الفعل الحجاجي نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي، وحين يعمد الشاعر إلى الاختيار أو الانتقاء اللغوي الواعي وما يتبعه من تغير في علاقة الدال بمدلوله أو علاقة الدوال ببعضها

وأصابعه تغفو في فم ذئب أقفل النوم بابه^(٩٣)

ففي الخاتمة شعرية دافقة، لا تخلو من قيمة
حجاجية منحته أياه المقاصد الحجاجية والسياق
الاستدلالي لتخرج المتلقي من مدار التذوق
الجمالي الحيادي إلى التفاعل والتأثير.

المخاطب مقترحات ضمنية عن طريق ما يقال
له في سياق مفرد، ولاسيما عندما تكون العبارة
مخصصة لإطلاق استدلال ما^(٩٢)، إذ يُحدد
قصد المتكلم ضمن السياق الذي يتحدث فيه.

ونهاية القصيدة أجمل ما فيها. هي ضربة
الخاتمة، وهنا شدة القسوة في استلاب حياته من
الآخر، فيقول:

الملاحق:

ملحق رقم ١

تعبير ذاتي جمالي ← بعد امتناعي وخيالي.

بعد تأثيري ↙

↖



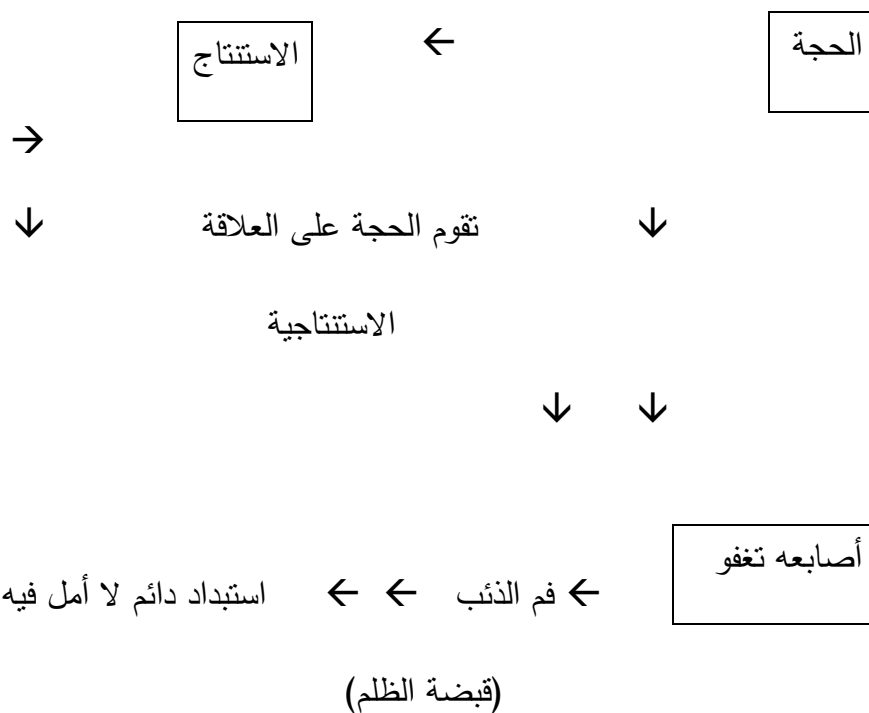
حجاجي إقناعي

. توجيه ووصف معين

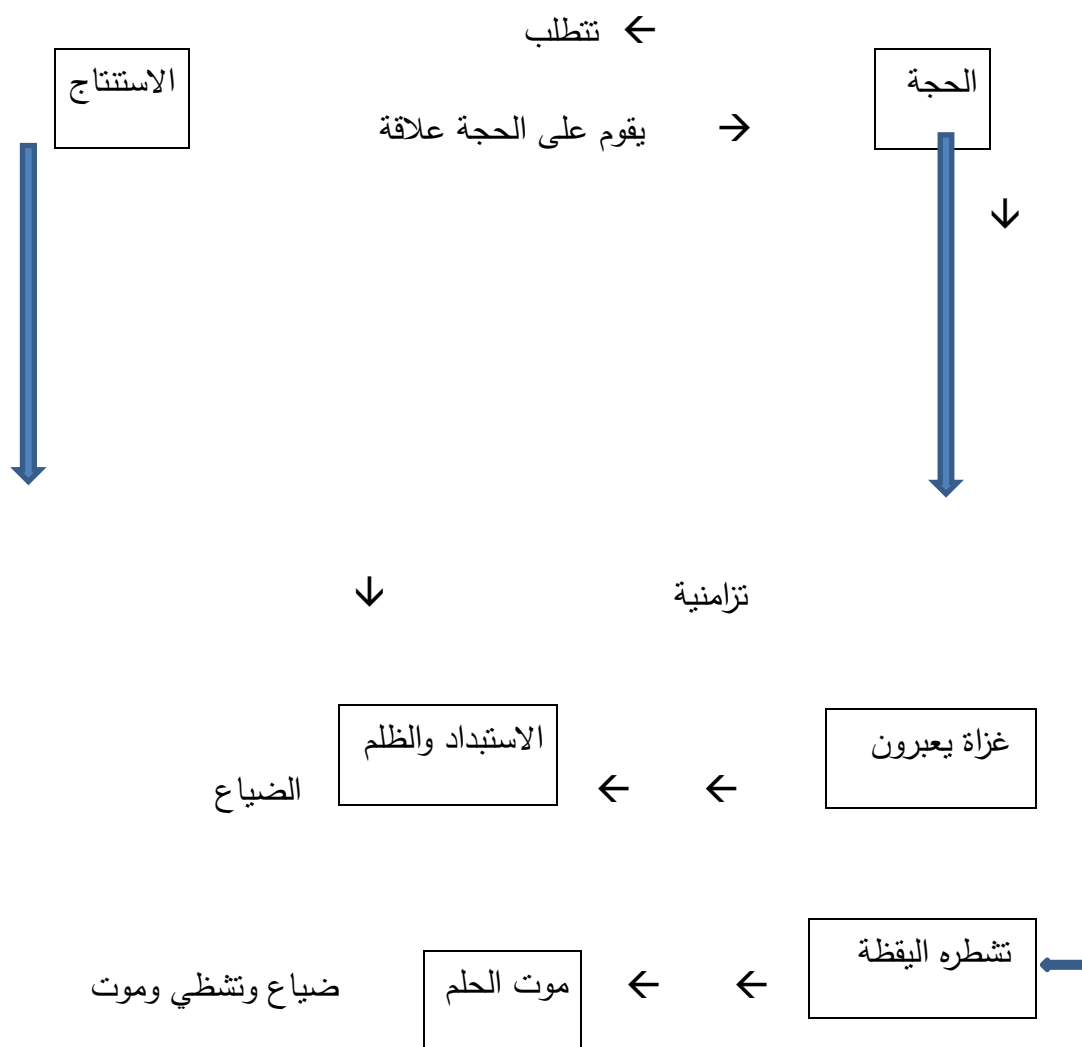
↙ بعد توجيهي ↘

استدلالي

ملحق ٢



ملحق ۳



ملحق: القصيدة كاملة (تاج النملة)

بجانبيها ألتصقُ، لصقها تمامًا

وكومة من ذئابٍ بجانبها أيضًا

تلتصق تمام

برق ينسل من غمده

وأنياب تحيط بمعصمه

بجانبيها ألتصقُ، تمامًا بجانبها

فتشطرنني اليقظة نصفين،

بسيف من تراب

تقطر دم النصف الأول في طست

من خشب سيقها

وتقطر دم الآخر في رحبه رحمها

قردة ترقص حول عنقها المحاط

بقبائل وسيوف ورقية

أشعل أصابعي في مركز البعد تمامًا

مثل شموع تستيقظ من نومه أهل الكهف

وتتمو مثل ساعاتٍ يقال عنها انها قد جُنَّتْ من الجوع،

مثل ساعاتٍ يلتفّ النهر على خصرها

ويلطم نهاياتها بعد أن يطفئ آخر جمرة

ببطء أرفع التاج عن رأسها

وأتقياً أنثاي العمياء بهدوء

وأمام أنظار الكون

غزة يعبرون حياتي التي أنهكت

أبجديتها خمور الزمان المعنّقة

منذ قرون هابيل وقابيل

منذ يوم ميلادٍ أولٍ بندقية صدئت اسنانها

منذ خروج لسان الأفعى الذي لحس الصلبان كلّها

منذ أن ضل الابن الضالّ

منذ أول إشارة لا تشير إلى اتجاه

عظّتها أسناني

منذ أول حرف لثغ به لساني

وكلّها تجاوزوها خطوة التفتوا وبصقوا لعابهم

بهدهوءٍ أرفعُ التاج عن الرأس

المنصوب فوق جبالٍ

من الفرائس وكطرقاتٍ تحت جلدي

أقرب شمس ندييها إلى مركز الخطوة

يتحدثون عن اليابسة والجثث تغرق تباعاً

قراصنة ومجانين وأنبياء وأولياء

وملوك وصعاليك

أمسح مخاط كوكبي بكمّ تائه

وأفنتح خرائطي على سعتها

هنا وهناك تتقافز فوقها بصماتُ مدنٍ ومخلوقات

تركع في نومها وتقبض على غزو كاذب

والنهر يتمرأى في مائه وبعد أن يُطفأ آخر مصباح

يكون لصقها تماماً تماماً

وأصابعه تغفو في فم ذئبٍ أقفل النومُ بابه

الهوامش:

*ولد عقيل علي عام ١٩٤٩ في الناصرية - العراق، وتوفي مشرداً في العراق، ببغداد يوم ١٥/٥/٢٠٠٥، مارس أعمالاً يدوية عديدة في الناصرية وبغداد. تُرجمت بعض قصائده إلى الألمانية، والفرنسية. صدر له (جنائن آدم) شعر، الدار البيضاء، ١٩٩٠، و(طائر آخر يتوارى) شعر، باريس - كولونيا ١٩٩٢، (جنائن آدم وقصائد أخرى، عقيل علي، ط١، ٢٠٠٩، منشورات الجمل)، وكذلك مجلد صدر له حديثاً يضم مجموعاته السابقة وقصائد أخرى تحت عنوان (طائر آخر يتوارى وقصائد أخرى، انطولوجيا شعرية، مؤسسة أوروك للإنتاج الثقافي، مطبعة السيماء، بغداد، سنة ٢٠١٥م.

^١ (ينظر حاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث - بو خشنة خديجة، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٣ - ٢٠١٤، ص ١.

^٢ (ينظر عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج). عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦، ص ٦٧.

^٣ (Anscombre. Et ducrot: L'argumentation dans la Langue, Philosophie et Langage troisième e'dition, MARDAGA, P.05.

^٤ (Legrand Robert: Dictionnaire de la Langue française, T.1 Paris 1,8,, P,535.

^٥ (Legrand Robert: Dictionnaire de la Langue française P.535.

^٦ (ينظر الحجاج وأشكال التأثير . باتريك شارودو . ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ إسماعيل علوي، ص ٢٩٩.

- ^٧ (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٢٦.
- ^٨ (ينظر النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية . محمد طروس ، دار الثقافة ، الدار البيضاء . ط١، ٢٠٠٥م، ص٨.
- ^٩ (حوار حول الحجاج . أبو بكر العزاوي، الأحمدي للنشر، الدار البيضاء ، ٢٠١٠م، ص ٢٠، وينظر في مقومات الحجاج: في خطابة أرسطو الباتوسية . الولي محمد، ص ٤٠ . ٤٩، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب والفنون ، المطبعة الرسمية - تونس - ص ٦٦.
- ^{١٠} (ينظر الخطاب والحجاج . د. أبو بكر العزاوي، العمدة للطبع، الدار البيضاء/ المغرب، ط١، ص٣٧.
- ^{١١} (التداولية والحجاج . مداخل ونصوص . صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٥.
- ^{١٢} (ينظر الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله . رضوان الرقيبي ، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٠، العدد ٣، أكتوبر ٢٠١١م، ص٨٢.
- ^{١٣} (ينظر الخطاب الشعري في السبعينات . دراسة فنية ودلالية ، د. أحمد الصغير المراغي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع . ط١، ٢٠٠٩، ص٣٨.
- ^{١٤} (CH. PereLman et D.Titikade 1 argumentation: La nouvelle re'thorique. Edition de l' universite'de BruxeLLe. 5e' Me e'dition, 200. P5.
- ^{١٥} (ينظر أساليب الخطاب والإقناع في نثر ابن زيدون . دراسة فنية ، عزيز لدبة ، رسالة ماجستير ، كلية اللغات ، جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا ، ٢٠١٢م، ص١٧.
- ^{١٦} (Mit Pres,s, semantiesand cognition، وينظر الخطاب والحجاج- أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب، ط١، ص٣٩.

- ^{١٧} (ينظر سيميائية العنوان في سورة الكوثر، د. خالد كاظم حميدي ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، النجف الأشرف . العدد ٣٥، السنة ٢٠١٤م، ص ١٨٠.
- ^{١٨} (ينظر المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديثة، جدار للكتاب العلمي . عمان ٢٠١٠م، ص ٥٨.
- ^{١٩} (تحولات الخطاب في شعر عقيل علي . مسار حميد عبد ،رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار- ، ٢٠١٦ ص ١٦.
- ^{٢٠} (ينظر م.ن، ص ١٥، ٢٩.
- ^{٢١} (جنائن آدم وقصائد أخرى- عقيل علي، منشورات الجمل ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م
- ^{٢٢} (في نظرية الحجاج . دراسات وتطبيقات . عبد الله صولة، مسيكياني للنشر، المغرب، ط١- ٢٠١١م، ص ٢٦ .
- ^{٢٣} (ينظر م.ن، ص ٢٦.
- ^{٢٤} (ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي . ص ٢١.
- ^{٢٥} (ينظر الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة (مشروع قراءة إنشائية)، صالح بن رمضان ، جامعة منوبة، تونس . منشورات كلية الآداب، ٢٠٠١م، وينظر اللسان والميزان ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء. ط١، ١٩٩٨م، ٢٥٤.
- ^{٢٦} (ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي - ص ٢٢.
- ^{٢٧} (ينظر الكتابة وهاجس التجاوز، قراءات نقدية . بهاء بن نوار، دار فضاءات، للنشر والتوزيع ، عمان، ط١، ٢٠١٢م.
- ^{٢٨} (ينظر الخطاب الشعري في السبعينيات، ص ٥٢.
- ^{٢٩} (جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩٢.

^{٣٠} (التواصل والحجاج . عبد الرحمن طه ، المملكة المغربية . جامعة ابن زهر . كلية الآداب ، سلسلة الدروس الافتتاحية ،

الدرس العاشر . منتديات سور الأزيكية ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط.

^{٣١} (العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة . الزواوي بغورة - عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

العدد ٣، المجلد ٣٥، مارس ٢٠٠٧، ص ١٢١.

^{٣٢} (ينظر الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية . محمد الولي ، دار الأمان ، الرباط ، ط ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م،

ص ٣٦٨.

^{٣٣} (اللسانيات . المجال والوظيفة والمنهج . سمير شريف أستيتية - عالم الكتب ، الكويت ، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

، ص ٧٠٤.

^{٣٤} (عندما نتواصل نغير . عبد السلام عشير . ص ١٣٤.

^{٣٥} (ينظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . عبد الرحمن طه، وينظر حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري، ص ٨٤.

^{٣٦} (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام - عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ٢٠٠٠م،

ص ٨٣.

^{٣٧} (الحجاج في الدرس اللغوي . بوزناشة نور الدين نقلاً عن:

CH.PereLmanile champed l'argumentation P23. Lessue 44, Year 7th. Jan 2010. www.

uLum.nL. عن الحكمة.

^{٣٨} (مدخل إلى الحجاج . أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان . محمد الولي ، مجلة عالم الفكر ، العدد ٤٠، أكتوبر ٢٠١١م،

ص ١٥، وينظر حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث ص ٨١.

^{٣٩} (جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩٢.

^{٤٠} (م.ن. ص ١٩٢

- ^{٤١} (ينظر تحولات الشعر والواقع في السبعينيات . صبري حافظ، مجلة ألف، ع ١١، السنة ١٩٩١م، ص ١٢.
- ^{٤٢} (م.ن. ص ١٩٣.
- ^{٤٣} (م.ن، ص ١٩٣
- ^{٤٤} (م.ن ص ١٩٣
- ^{٤٥} (الحجاج في الرسائل الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري، قادا عبد العالي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، ص ١١٨.
- ^{٤٦} (الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء - مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد ٤٠، سبتمبر ٢٠١١م، ص ٢٨٤.
- ^{٤٧} (م.ن ص ٢٨٧.
- ^{٤٨} (ينظر الأسلوبية وتحليل الخطاب . نور الدين السد ، دار هومة ، الجزائر، ١٩٩٧م، د.ط، ٣١/٢.
- ^{٤٩} (ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي، ص ١٨ . ٢٦.
- ^{٥٠} (ينظر الشعرية العراقية أسئلة ومقترحات للقراءة- دار الينابيع- علي حسين الفوز دار الينابيع - سوريا، ط ٢٠١٠م، ص ٢٤٥.
- ^{٥١} (جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩٣.
- ^{٥٢} (الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة- بنيته وأساليبه، ساميه الدريدي ، عالم الكتب الحديث، عمان - الأردن، ط ٢٠٠٨م، ص ٩.
- ^{٥٣} (ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي ص ١١.
- ^{٥٤} (ينظر الأسلوبية وتحليل الخطاب . نور الدين السد، ١١/٢، وينظر الخطاب الحجاجي- أنواعه وخصائصه، ص ٦٧.
- ^{٥٥} (الأسلوبية وتحليل الخطاب ١٢/٢.

^{٥٦} (ينظر الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة . بحث في بلاغة النقد المعاصرة . محمد سالم محمد الأمين ، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٢ .

^{٥٧} (مفتاح العلوم، السكاكي . تحقيق . عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م، ط١، ص٤٣٧ .

^{٥٨} (م، ن، ص٥٤٧ .

^{٥٩} (القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان . أوزوالد ديكر جان ماري شفاير . ترجمة منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء . المغرب . ط٢، ٢٠٠٧م، ص١٦١ .

^{٦٠} (ينظر بلاغة الحجاج في الشعر العربي . شعر ابن الرومي، نموذجاً . إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، ص١٣٤ .

^{٦١} (عندما نتواصل نغير . عبد السلام عشير، ص١٩٥ .

^{٦٢} (ينظر عقيل علي . متاهة شعرية . عبد جبر الشنان ، جريدة عكد الهوى: ٣، ذي قار - العراق .

^{٦٣} (ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي، ص١٥ .

^{٦٤} (ينظر المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية ضمن كتاب التداوليات ، علم استعمال اللغة ، منال النجار، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط١ - ٢٠١١م، ص٥٧٩ .

^{٦٥} (ينظر الأبعاد التداولية البلاغية حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء . مصطفى الغرافي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٤٠، ٢٠١١م، ص٢٨٢ .

^{٦٦} (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية - عبد الله صولة، جامعة منوبة، تونس، ط١، ٢٠٠١م،

ص٢١

^{٦٧} (ينظر جنائن آدم وقصائد أخرى ص ١٩٢

^{٦٨} (ينظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور . رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ط٢، ١٩٧٩، ص١٧٥ .

- ^{٦٩} (الحجاج والاستدلال الحجاجي في البلاغة الجديدة . حافظ إسماعيل علوي، دار ورد الأردنية للنشر، . عمان، ط١، ٢٠١١م، ص٢٥ . ٢٦ .
- ^{٧٠} (جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩١
- ^{٧١} (النص بنياته ووظائفه . مدخل أولي إلى عالم النص . ديك فان . ترجمة محمد العمري ، ضمن نظرية الأدب . إفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٦٥ .
- ^{٧٢} (نقد الشعر . أبو الفرج قدامته بن جعفر . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ص١٥٩ .
- ^{٧٣} (اللسان والميزان . طه عبد الرحمن ص٢٣٢ .
- ^{٧٤} (الحجاج في الشعر العربي القديم . سامية الدريدي ص٢٦٩ .
- ^{٧٥} (منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م، ص٣٦ .
- ^{٧٦} (م.ن، ص١٩ .
- ^{٧٧} (جنائن آدم وقصائد أخرى ص ١٩٢
- ^{٧٨} (ينظر عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) . عبد السلام عشير، ص٣٠ .
- ^{٧٩} (Ducrot Oss Wald: LesEchelles argumentativ: P. 18.)
- ^{٨٠} (ينظر الحجاج والاستدلال الحجاجي . حبيب أعراب -مجلة عالم الفكر العدد ١، المجلد ٣٠، ص٦٧، وينظر حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث ص١٢، ١٨ .
- ^{٨١} (ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم . سامية الدريدي، ص٨٨ .
- ^{٨٢} (من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، الولي محمد فكر ونقد، السنة الأولى، العدد (٨)، إبريل، ١٩٩٨م، ص١٣٤ .
- ^{٨٣} (ينظر الخطاب الشعري في السبعينات . د. أحمد الصغير، ص٤٢ .

^{٨٤} (جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩٣

^{٨٥} (ينظر الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص ٥١.

^{٨٦} (ينظر الخطاب الشعري المعاصر . فتحية كحلوش المقدمة ب، وينظرتحولات الخطاب في شعر عقيل علي، ص ٨.

^{٨٧} (جنائن آدم وقصائد أخرى ١٩٢

^{٨٨} (ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي ، ص ١١ . ١٨، وينظر الشعرية العراقية . علي حسين، ص ٢٣٨.

^{٨٩} (ينظر جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩٣

^{٩٠} (ينظر البنية التركيبية . عقيل هاشم ٢، وينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي ص ٢٠ . ٢١.

^{٩١} (ينظر الخطاب الشعري المعاصر . فتحية كحلوش . المقدمة ب.

^{٩٢} Dominique mainquenean lAborder La Linquistique, Edition du seuil collection Me'Mo, Paris, (

P.29.

^{٩٣} (جنائن آدم وقصائد أخرى - ص ١٩٣

المصادر والمراجع العربية :

.. الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية . محمد الولي . دار الأمان . الرباط، ط١، ١٤٢٦ هـ .

٢٠٠٥م.

. الاسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٧م، د.ط.

. بلاغة الحجاج في الشعر العربي . شعر ابن الرومي . نموذجًا . إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، مكتبة الآداب -

القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

. التداولية والحجاج . مداخل ونصوص . صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الإصدار الأول،

٢٠٠٨م.

. التواصل والحجاج . عبد الرحمن طه، المملكة المغربية . جامعة ابن زهر، كلية الآداب . سلسلة الدروس

الافتتاحية . الدرس العاشر . منتديات سور الأزيكية . مطبعة المعارف الجديدة الرباط.

. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه - سامية الدريدي-

عالم الكتب الحديث - أريد الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٨م

. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، جامعة منوبة- تونس، ط١،

٢٠٠١م.

. الحجاج من البلاغة العربية المعاصرة . بحث في بلاغة النقد المعاصرة . محمد سالم محمد الأمين، دار

الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٨م.

. الحجاج والاستدلال الحجاجي في البلاغة الجديدة . حافظ اسماعيل علوي، دار ورد الأردنية للنشر عمان،

ط١، ٢٠١١م.

. الحجاج واشكال التأثير باتريك شارودو . ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي

إشراف حافظ اسماعيل علوي.

- حوار حول الحجاج- أبو بكر العزاوي، الأحمديّة للنشر،الدار البيضاء،ط١، ٢٠١٠م

- الخطاب الحجاجي - أنواعه وخصائصه - هاجر مدقن، منشورات الاختلاف - الجزائر،ط١، ٢٠١٣م

- الخطاب الشعري في السبعينات . دراسة فنية ودلالية . د. أحمد الصغير المراغي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع . ط ١، ٢٠٠٩م.
- . الخطاب والحجاج . أبو بكر العزاوي - العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب - ط ١.
- . جنائن آدم وقصائد أخرى - عقيل علي، منشورات الجمل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.
- . الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة (مشروع قراءة انشائية)، صالح بن رمضان . جامعة منوية، تونس، منشورات كلية الآداب، ٢٠٠١م.
- . الشعرية الواقعية . أسئلة ومقترحات للقراءة - علي حسين الفوز، دار الينابيع - سوريا، ط ١ - ٢٠١٠م.
- . عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) . عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق . المغرب . ٢٠٠٦م.
- . فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور . رجاء عبد - منشأة المعارف، الاسكندرية، ط ٢، ١٩٧٩م.
- . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . عبد الرحمن طه ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ٢ - ٢٠٠٠م.
- . في نظرية الحجاج . دراسات وتطبيقات . عبد الله صولة . مسيكياني للنشر - المغرب، ط ١ - ٢٠١١م.
- . القاموس الموسوي الجديد لعلوم اللسان . أوزوالد ديكر و جان ماري سنفاير . ترجمة منذر عياشي . الثقافي العربي . الدار البيضاء . المغرب، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- . الكتابة وهاجس التجاوز قراءات نقدية . بهاء بن نوار . دار فضاءات للنشر والتوزيع . عمان، ط ١، ٢٠١٢م.

- . اللسان والميزان . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.
- . اللسانيات . المجال والوظيفة والمنهج . سمير شريف استيتية- عالم الكتب- الكويت- ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- . المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب . دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديثة جدار للكتاب العلمي، عمان، ٢٠١١م.
- . مفتاح العلوم، السكاكي . تحقيق . عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.
- . المقولات البلاغية، دراسة مقامية براغماتية ضمن كتاب التداوليات . علم استعمال اللغة . منال النجار، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١- ٢٠١١م.
- . منهاج البلغاء وسراج الأدباء- حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة- دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.
- . النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية . محمد طروس . دار الثقافة . الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.
- . نقد الشعر . ابو الفرج قدامته بن جعفر . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية، بيروت.

الرسائل والأطاريح

- . أساليب الخطاب والإقناع في نثر ابن زيدون، دراسة فنية . غدير لدية، رسالة ماجستير . كلية اللغات . جامعة المدينة العالمية ماليزيا . ٢٠١٢م.

. تحولات الخطاب في شعر عقيل علي- مسار حميد عبد، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، العراق،

٢٠١٦م.

-حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، بوخشنة خديجة، أطروحة دكتوراه - جامعة وهران، ٢٠١٣-

٢٠١٤م.

الحجاج في الرسائل الاندلسية خلال القرن الخامس الهجري، قادا عبد العالي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات

المعمقة، كلية اللغة العربية - مراكش ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

الخطاب الشعري المعاصر من استبدادية السلطة إلى حركة الابداع . فتحية كحلوش، أطروحة دكتوراه ،

جامعة منتوري ، الجزائر ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

الدوريات والمجلات

-الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلاغ وسراج الأدباء، مصطفى الغرافي، مجلة عالم

الفكر، العدد ١، المجلد ٤٠، سبتمبر ٢٠١١م.

-الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله . رضوان الرقبي . مجلة عالم الفكر، اكتوبر ٢٠١١م.

-البنية التركيبية في مستويات النص . عقيل هاشم الزبيدي - جريدة عكد الهوا- ملف إبداع العدد ٤٠، السنة

٢٠١٠م.

-تحولات الشعر والواقع في السبعينيات، صبري حافظ، مجلة ألف، السنة ١٩٩١م.

-الحجاج والاستدلال الحجاجي . حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد ٣٠:

. سيميائية العنوان في سورة الكوثر، د. خالد كاظم حميدي . مركز دراسات الكوفة . النجف الأشرف . العدد

٣٥، السنة ٢٠١٤م.

-عقيل علي . متاهة شعرية . عبد جبر الشنان . جريدة عكد الهوى: ٣.

- العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة . الرواوي بغورة -عالم الفكر . المجلس الوطني للثقافة والعنوان

والآداب . الكويت . العدد ٣، المجلد ٣٥، مارس ٢٠٠٧م

-من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، فكر ونقد- الولي محمد . السنة الأولى، العدد ٨، إبريل ١٩٩٨م

المصادر الأجنبية

Anscombe. Et ducrot: L'argumentation dans La Langue, Philosophie et Langage .

troisième édition, MARDAGA.

CH. Perelman et L. Olbrechts-Tyteca: L'argumentation. Lessue 44, year 7th. Jan 2010. .

www.ulb.ac.be/~philosophie/argumentation/

CH. Perelman et L. Olbrechts-Tyteca: 1 argumentation: La nouvelle rhétorique. Edition de

l' université de Bruxelles. 5^e Me édition, 200.

Dominique Maingueneau: L'Aborder La Linguistique, Edition du seuil collection .

Me'Mo, Paris,

Ducrot Oss Wald: LesEchelles argamentativ: .

.

Legrand Robert: Dictionnaire de La Langue fran caise .

.

Legrand Robert: Dictionnaire de LaLangue fransaise, T.1 Paris 1,8. –

صيغة (فَاعِلَة) في التعبير القرآني بين الاحتمال الصرفي والإعجاز البياني

أ.م.د. هاشم جعفر حسين

توطئة: (فَاعِلَة) في القرآن الكريم، البناء والدلالة.

جاوزت أمثلة البناء (فاعلة) مئة لفظة في القرآن الكريم تفرقت بين أربع دلالات هي:

الأولى؛ فاعلة: اسم فاعلٍ صفةً للمؤنث، وهو على نوعين، أولهما: اسم فاعل قائم بالفعل نحو (والدة، سارقة، زانية، كافرة، قائمة، ذائقة، قانتة، حافظة، بارزة، ظالمة، قاطعة، خافضة، رافعة، وغيرها).

ومن أمثلة (فاعلة) القائمة بالفعل (فاقرة) في قوله تعالى: {تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة: ٢٥]، وهي مشتقة من الجذر (فقر) وهو "أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْفِرَاجٍ فِي شَيْءٍ، مِنْ عَضْوٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. مِنْ ذَلِكَ: الْفَقَارُ لِلظَّهْرِ، الْوَاحِدَةُ فَقَارَةٌ، سُمِّيَتْ لِلْحُرُوزِ وَالْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَهَا. وَالْفَقِيرُ: الْمَكْسُورُ فَقَارَ الظَّهْرِ" ^(١). فتسمية الفقير كناية عن ذلِّهِ وَمَسْكَنَتِهِ كَأَنَّهُ مَكْسُورُ الْفَقَارِ، ومن هذا المعنى سميت الداهية بالفارقة إذ يقال: فقرته فاقرة، أي داهية تكسر الفقار ^(٢)، والتعبير القرآني "جَعَلَ لَفْظَ الْفَاقِرَةِ كِنَايَةً عَنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشَّرِّ وَالذَّوَاهِي" ^(٣). ومنها أيضا (غاشية) في قوله تعالى: {أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ} أي "عقوبة تغشاهم وتتبسط عليهم وتغمرهم" ^(٤).

وورد في التعبير القرآني وصف الريح بالنعث المؤنث (عاصفة) في قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} [الأنبياء : ٨١] وبالنعث المذكر (عاصف) في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [يونس: ٢٢] والنكته في هذا التباين النعتي للمنوعات الواحد في التعبير القرآني مفهومة من سياق الآيتين ، فأية سليمان نعنت فيها الريح بالعاصفة وهي اسم فاعل من النوع القائم بالفعل دالّ على التحول والانتقال والتصرف لأنها مسخرة لسليمان تجري بأمره حيث شاء فناسب مجيؤها مؤنثة لتطابق موصوفها المؤنث من جهة وتدل على

التحول والتغير من حال إلى غيره من جهة أخرى. أما (العاصف) فهو اسم فاعل من النوع المتصرف بالفعل لا القائم به وهو بمنزلة (لابن وتامر ودارع) وعبر عنه الصرفيون بالدلالة على النسب^(٥)، يريدون تجرده من مفهوم اسم الفاعل الدال على التحول والانتقال إلى الوصف الثابت الملازم حالة واحدة دون تغيير، فالمحصل من (الريح العاصف) أنها ريح مجبولة على العصف لا تتفك منه ولا يتوقع خمودها ولذا وردت في سياق إظهار العذاب وطغيان الموج والإحاطة بالمعاندِين.

والآخر: اسم فاعل متصرف بالفعل نحو (صالحة، كاملة، خاوية، يابسة، واسعة، آمنة، هامة، غافلة، جامدة، صابرة، خاشعة، باسقة، بالغة، تائبة، عالية، واجفة، واسعة، آخرة، راسية، داحضة، واعية، خالية، شامخة، ناعمة، حامية، وغيرها)، ومنها (قاسية) في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، والقاسية اسم فاعل متصرف بالفعل من (قسا يقسو)^(٦) وهي القراءة الشائعة، وقرأ حمزة والكسائي (قسيّة) بتشديد الياء من غير

ألف^(٧). ورأى فريق من المفسرين أن لا فرق بين القراءتين "وهما لغتان مثل العلية والعالية والزكية والزاكية"^(٨). على حين قال آخرون منهم: بل معنى قسيّة غير معنى القسوة، وإنما القسية في هذا الموضع: القلوب التي لم يخلص إيمانها بالله، ولكن يخالط إيمانها كُفْرًا، كالدرهم "القسيّة"، وهي التي يخالط فضتها غش من نحاس أو رصاص وغير ذلك، كما قال أبو زبيد الطائي^(٩):

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السَّلَامِ كَمَا ... صَاحَ
الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيَارِفِ^(١٠)

ومن ثم رأى الفارسي أن (القسيّة) ليست من ألفاظ العرب في الأصل، وإنما هي كلمة أعجميّة معرّبة مأخوذة من قولهم: درهم قسيّ، أي: مغشوش، شبه قلوبهم في كونها غير صافية من الكدر بالدرهم المغشوشة غير الخالصة^(١١). لكن الزمخشري صحّ عروبة اللفظة فرأى أن قولهم (درهم قسيّ) مشتق من القسوة؛ لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين، والمغشوش فيه صلابة ويُبَسّ^(١٢). وهذا القول سبقه إليه المبرّد، فإنه قال: يسمّى الدرهم المغشوش قسيّاً لصلابته وشدّته للغش الذي فيه^(١٣).

وواضح من هذا أنّ اللَّفْظَةَ عَرَبِيَّةً، ولكن ثمة فرق بين (القاسية) و(القسية) في وصف القلوب لأنَّ (فَعِيل) للمبالغة و (فاعل) لا يدل على المبالغة وبهذا بان الفرق بين (شاهد وشهيد)، فكذلك قاسٍ وقَسِيٍّ، ولما كان (فَعِيل) أبلغ من (فاعل) رجَّح الطبري قراءة (قسية) على (قاسية) فقال: " أعجبُ القراءتين إلَيَّ في ذلك، قراءة من قرأ: (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً) على فعيلة، لأنَّها أبلغ في ذم القوم من قاسية. وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من تأول (فعيلة) من (القسوة)، كما قيل: نفس زكية وزاكية، وامرأة شاهدة وشهيدة، لأن الله جل ثناؤه وصف القوم بنقضهم ميثاقهم وكفرهم به، ولم يصفهم بشيء من الإيمان، فتكون قلوبهم موصوفة بأنَّ إيمانها يخالطه كفر، كالدرهم القَسِيَّة التي يخالط فضَّتها غشٌّ" (١٤).

الثانية: فاعلة مصدرا، أقرَّ علماء العربية تحوُّل المصادر إلى أسماء الفاعلين فجوّزوا مجيء اسم الفاعل مراداً به المصدر (١٥). وهذا رأي فريق من المفسرين المتقدمين منهم الفراء وأبو عبيدة والطبري (١٦). ثم جَوَّز الصرفيون نيابة اسم الفاعل عن المصدر، نحو قم قائماً، أي: قياماً، كما ينوب

المصدر مقام اسم الفاعل نحو: رجل عدل وصوم، أي: عادل وصائم (١٧). وبهذا فسّرت طائفة من ألفاظ القرآن الكريم جاءت على فاعلة نحو قوله تعالى: {لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة: ٢]، أي: كذب (١٨). وقوله تعالى: {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} [الحاقة: ٨]، أي: بقاء (١٩). ثم كثرت أمثلتهم من كلام العرب كقولهم: عافاه الله عافية، أي: معافاة، وقائلة بمعنى: القيلولة (٢٠). وإقرار الصرفيين دلالة (فاعلة) على المصدر في مثل هذه الأمثلة لم يأت لديهم على وجه الوجوب واللزوم، وإنما هو جائز أن يقال به وجائز أن يعدل عنه الى وجوه أخرى ذكروها في تلمس دلالة مثل هذه الألفاظ وهي (٢١):

١- إنّ هذه الألفاظ محمولة على حذف موصوف مؤنث والهاء فيها للتأنيث فتكون هي من نوع اسم الفاعل المتصف بالفعل لا القائم به، إذ جوز الزمخشري في قوله تعالى: {لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ} أن يكون التقدير: نفس كاذبة، وكذا: {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} بمعنى: نفس باقية (٢٢).

٢- إنها محمولة على حذف موصوف مذكّر والهاء فيها للاسمية لا للتأنيث والتقدير: شيء باقية وشيء كاذبة.

وذكر المفسرون من أمثلة (فاعلة) ادالة على المصدر: (العافية والعاقبة والكاذبة واللاعية والواقية وغيرها)، ومنه قوله تعالى: {فَاهْلِكُوا بالطاغية} [الحاقة: ٥] أي: بالطغيان، وقوله تعالى: {لَا تَسْمَعْ فِيهَا لَأْغِيَةً} [الغاشية: ١١] أي: لغواً. وقوله تعالى: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ} [المائدة: ١٣] أي على خيانة، قال الزجاج: "خائنة في معنى خيانة، المعنى: لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلة في أسماء المصادر كثيرة، نحو عافاه الله عافية، وقوله: {فَاهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}""^{٢٣} يؤيد هذا الوجه قراءة الأعمش (على خِيَانَةٍ)^{٢٤}. وتقول العرب: سمعت رَاغِيَةَ الإبل، وثاغية الشاء، يعنون رُغَاءَهَا وَثُغَاءَهَا^{٢٥}.

الثالثة: فاعلة اسم ذات مؤنث، ومنه (صاعقة، دابة، فاحشة، مائدة، ناصية، نافلة، الجارية). وقد تُغلب الاسمية على بعض الصفات إذا كثر استعمالها دون ذكر الموصوف بها كلفظة الآزفة

في قوله تعالى: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} أي دَنَتِ الْقِيَامَةُ، واقتربت، والتقدير: الساعة الآزفة بدليل قوله تعالى: {اقتربت الساعة} [القمر: ١] وفاعل أزفت في الحقيقة القيامة أو الساعة فكأنه قال: أزفت القيامة الآزفة أو السَّاعَةُ الْآزِفَةُ. أو أن يكون المراد بالآزفة الدلالة على القيامة بالغلبة^{٢٦}.

ومثل هذا {وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} إذ " لا بُدَّ فيه من تأويل، وهو أن تكون الواقعة صارت علماً بالغلبة على القيامة، أو الواقعة العظيمة، وإلا فقام القائم لا يجوز، إذ لا فائدة فيه"^{٢٧}.

وورد في التعبير القرآني مجيء (فاعلة) من لفظ فعلها كما في {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} و {وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}. وهو تعبير شائع في كلام العرب أيضاً من قبيل قولهم (كانت الكائنة). وهذا الاستعمال على وجهين^{٢٨}:

الأول: إذا كان الفاعل صار فاعلاً لمثل ذلك الفعل من قبل، ثم فعله مرة أخرى، يقال: فعله الفاعل كقوله: حَاكَه الْحَاكُ أي من شغله ذلك من قبل فعله. والآخر: أن يصير الفاعل فاعلاً بذلك الفعل، يقال: إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وإذا غصب العين غاصبٌ ضَمِنَهُ، فقوله: أَزِفَتِ الْآزِفَةُ

يحتمل أن يكون من الأول أي قربت الساعة التي كل يوم تزداد قريباً فهي كائنة قريبة وزادت في القرب، ويحتمل أن يكون من الثاني كقوله: وَقَعَت الْوَاقِعَةُ أي قرب وقوعها.

ومن الصفات الغالبة (الجارية) في قوله تعالى {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: ١١] والمراد بها سفينة نوح (ع) وهي في الأصل صفة للمرأة التي تجري بأمر سيدها واستعيرت اسماً للسفينة للدلالة على جريانها في الطوفان فكأنه الماء الطافي (الطوفان) سيد غاضب فلا حلّ للسفينة إلا أن تخضع لهذا السلطان فسميت جارية بهذا الملحوظ ولو سميت سفينة أو فلك أو ذات ألواح ودسر كما في سائر تفاصيل القصة لما تحقق المراد من هذا التقابل التصويري بين (طغيان الماء) و(الجارية).

وفي قوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] جوزوا في إعراب (نافلة) ثلاثة أوجه:

الأول: أن يَنْصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ والفعل محذوف أي نَفَّلْنَاكَ نَافِلَةً.

الثاني: أن يَنْصِبَ بالفعل المذكور (تَهَجَّدْ) إذا ذهب به إِلَى مَعْنَى (تَقَلَّ) فيكون (نافلة) مَصْدَرًا على (فاعلة) بِمَعْنَى التَّهَجُّدِ^{٢٩}.

والثالث: - وهو الأظهر- أن يكون (نافلة) حالا بمعنى صَلَاةٍ نَافِلَةٍ. وَهُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي بِهِ وَيَكُونُ عَائِدًا عَلَى الْقُرْآنِ^{٣٠}. وإنما كان هذا الإعراب هو الظاهر لأن النافلة أعربت حالا في آية أخرى هي قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ} [الأنبياء: ٧٢] ف(نافلة) حَالٌ مِنْ يَعْقُوبَ^{٣١}. ولا يصح إعرابها في هذه الآية مصدراً وَالْعَامِلُ فِيهِ مَعْنَى الفعل قبله (وَهَبْنَا)^{٣٢} لأن هذا يقود إلى كون (نافلة) مشتركاً معنويًا فتارة تأتي بمعنى (تهجد) وأخرى بمعنى (وهب) وهذا غير موجّه فالأظهر إعراب (نافلة) حالا لأن فيه مندوحة عن الإغراق في التأويل المتكلف.

الرابعة: فاعلة اسم جمع كالطائفة والفاكهة وكافة وخاصة ، وقد فرق التعبير القرآني بين الطائفة والفرقة فذكر فالمحصل من قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا

إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢] أَنَّ الطائفة بعض الفرقة وذكروا أَنَّ الطائفة تصدق على الواحد فما فوقه كما في قول الراغب " قوله تعالى: (قُلْ لَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) ، قال بعضهم: قد يقع ذلك على واحد فصاعداً^{٣٣}، وعلى ذلك قوله: (إِنَّ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ، و(إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ)، والطائفة إذا أريد بها الجمع فجمع طائف، وإذا أريد بها الواحد فيصح أن يكون جمعا، ويكنى به عن الواحد، ويصح أن يجعل كراوية وعلامة ونحو ذلك^{٣٤}.

الخامسة: فاعلة عددا، نحو (واحدة، ثلاثة، خامسة)، ومنه قوله تعالى: {وَمِنَ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى} [النجم: ٢٠]، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: مناة " كانت أعظم هذه الأوثان قدرا وأكثرها عبدا وكانت الأوس والخزرج تهل لها ولذلك قال تعالى " الثالثة الأخرى " فأكدتها بهاتين الصفتين كما تقول رأيت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا اجل منهما فتقول وفلانا الآخر الذي من امره شأنه ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات وذلك نص في الآية^{٣٥}. لكن ابن عاشور استحسن أن يكون توالي

الوصفين " الثَّالِثَةُ الْآخَرَى جَرَى عَلَى أُسْلُوبِ الْعَرَبِ إِذَا أَخْبَرُوا عَنْ مُتَعَدِّ وَكَانَ فِيهِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْخَبَرِ لِعِظَمِهِ أَوْ تَبَاعُدِهِ عَنِ التَّلَبُّسِ بِمَثَلِ مَا تَلَبَّسَ بِهِ نَظَرَاؤُهُ أَنْ يَخْتِمُوا الْخَبَرَ فَيَقُولُوا: «وَقَلَّانِ هُوَ الْآخَرُ» وَوَجْهُهُ هُنَا أَنَّ عِبَادَ مَنَاءَ كَثِيرُونَ فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ كَثْرَةَ عِبَادَتِهَا لَا يَزِيدُهَا قُوَّةً عَلَى بَقِيَّةِ الْأَصْنَامِ فِي مَقَامِ إِبْطَالِ إِلَهِيَّتِهَا وَكُلُّ ذَلِكَ جَارٍ مَجْرَى التَّهْكُمِ وَالتَّسْفِيهِ^{٣٦}.

وثمة عدة ألفاظ في التعبير القرآني على صيغة (فاعلة) فسرت تفسيراً احتماليا واعم بين التحول الصرفي والعدول التركيبي والتوجيه الاعتباري ولم يُركن فيه إلى الإعجاز البياني في تلمس مدلول اللفظة ، وقد اخترنا عشر ألفاظ منها للدراسة والتحليل وهي:

١- باقية

قال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَفَرَّى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَمَنْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ) الحاقة ٦-٨. وفي تأويل دلالة (باقية) أربعة أوجه هي:

الأول: أن تكون (باقية) مصدرا على فاعلة؛ إذ قال الطبري: الآية " بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء؛ وكما قيل: العاقبة وماله من ناهية، وكما قيل (لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةً) بمعنى تكذيب، (وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) بمعنى خيانة"^{٣٧}. وفي هذا تكون تاء (باقية) للمرة الواحدة^(٣٨).

الثاني: أن تكون (باقية) اسم فاعل مؤنث وهو صفة لموصوف مؤنث محذوف، والتقدير: من نفس باقية أو فئة باقية أو جماعة باقية أو فرقة باقية، وفي جميع هذه التقديرات تكون تاء (الباقية) للتأنيث والتعبير القرآني كناية عن استيعاب الهلاك لهم جميعا^(٣٩). واستحسن السمين الحلبي هذا الوجه فقال: " التاء في (باقية) قيل: للمبالغة، أي: مِنْ بَاقٍ، والأحسنُ أَنْ تكونَ صفةً لفرقةٍ أو طائفةٍ ونحو ذلك"^{٤٠}.

الثالث: أن تكون (باقية) اسم فاعل بمعنى (باقٍ) وتأوّه للمبالغة كناء علامة ونسابة، والمعنى: فهل ترى لهم باقيا قد بلغ من الشدة والقوة ما مكّنه من أن يبقى حيّا على الرغم من قوة هذا العقاب وشدته. وعزي هذا الوجه إلى أبي بكر ابن الأنباري^(٤١).

الرابع: أن تكون (باقية) اسم ذات على فاعلة كالباخرة والسارية والصاعقة، وهو بمعنى البقية من الشيء، والمعنى هل تحسّ يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحدا من بقاياهم ينتسب إليهم؟ أم بادوا جميعا ولم يبق لهم خلف ولا عقب^(٤٢).

وهذا الوجه هو أرجح ما قيل في توجيه دلالة اللفظة ذلك أن معنى المبالغة المذكور آنفا - على الرغم من حفاظه على ظاهر اللفظ - غير مقبول في تأويل دلالة الباقية لأن الخطاب في الآية موجّه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصيغة الاستفهام عن رؤيته (صلى الله عليه وآله وسلم) بقيتهم وعقبهم، لا عن رؤيته (صلى الله عليه وآله وسلم) رجلا واحدا منهم قد قاوم الفناء منذ هلاك عاد حتى البعثة النبوية، فهذا استفهام عن المحال، لأن ذلك الـ (باقية) لو كان قد نجا فعلا بقوته وشدته من الريح الصرصر لما بقي حيّا حتى البعثة النبوية، فلا يسأل التعبير القرآني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن رؤيته حيّا. وقد نقل في قصة هلاك عاد أنّهم " كانوا سبع ليالٍ وثمانية أيام أحياء في عذاب الله من الريح فلما

أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتلمتهم الرياح فألقته في البحر^(٤٣). وهذا النقل موافق لحمل دلالة (باقية) على إنها اسم لما يبقى من الشيء بعد نفاده، والتاء في هذا الوجه هي تاء النقل إلى الاسم في بمنزلتها في الفاتحة والنطيحة والذرية.

٢- الحاقّة

قال تعالى: (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) {الحاقّة ١-٣}، وفي تأويل دلالة الحاقّة ستة أوجه صرفية هي:

الأول: أن تكون الحاقّة مصدرا جاء على صيغة اسم الفاعل كالكاذبة والطاغية والعافية، ومعناها الحقّ وتأوها للمرة الواحدة لأنها اسم من أسماء القيامة سيتحقق مدلوله عندما يحق الله الحق دفعة واحدة دون تدرج ولا تأخير^(٤٤).

الثاني: أن تكون الحاقّة صيغة نسب على وزن (فاعل) كاللبن والدارع أي؛ ذو اللبن والدرع، وهي بمعنى ذات الحقّ أو ذات الحواقّ أي؛ الأمور الصادقة والواجبة الصدق^(٤٥).

الثالث: أن تكون الحاقّة اسم فاعل بمعنى مُفعل لأنها أَحَقَّتْ لَأَقْوَامِ الْجَنَّةِ وَأَحَقَّتْ لَأَقْوَامِ النَّارِ، فهي

حاقّة بمعنى مُحَقَّة^(٤٦). لكنّ القرآن الكريم استعمل الفعل أَحَقَّ متعديا بالهمزة وفاعله هو الله تعالى كما في قوله تعالى {وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَه تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال ٧].

الرابع: أن تكون الحاقّة اسم فاعل بمعنى مفاعل من قولهم: حاقفته فحقفته كخاصمته فخصمته والمعنى إنّ القيامة سمّيت حاقّة لأنها تحقّ كل محاقّ وهو المخاصم في دين الله بالباطل، فهي حاقّة بمعنى محاقة. وهذا رأي الأزهرى، وتبعه فيه سائر اللغويين^(٤٧).

الخامس: أن تكون الحاقّة مجازا إسناديا وذلك إنّ القيامة سمّيت حاقّة لأنّ الأمور حاقّة فيها أي واجبة الوقوع صادقة الحدوث فأطلق الفعل لها وهو لما فيها من إقامة الحقّ لأنها هي الساعة التي نُحَقِّقُ فيها الأمور وتعرف فيها الثوابت على حقيقتها كالحساب والثواب والعقاب والجزاء على الأعمال من ضلال أو هدى ومثل الحاقّة في الإسناد المجازي قولهم: ليل نائم أي منوم فيه^(٤٨).

السادس: أن تكون الحاقة اسم فاعل من النوع القائم بالفعل لأنها تحقق حقائق الأمور أي تبديها وتظهرها دونما تحريف ولا زيغ. أو أنها هي التي تحقق لكل عامل عمله من خير وشر، فهي من الفعل المتعدّي: حقّ الشيء يحقّه حقاً وحقوقاً إذا أوجده وأوجبه فهو حاقّ، وهذا رأي الزجاج واختاره آخرون^(٤٩).

وكل ما سبق ذكره لا يركن إليه في تأويل مدلول اللفظة ولذا كان الأظهر أن يقال: الحاقة اسم فاعل من النوع المتصرف بالفعل لا القائم به وهي من الفعل اللازم حقّ الشيء يحقّ إذا كان صحيح الوجود ثابت الوقوع واجب الحدوث كائن لا محالة والمعنى أنها " الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها "^(٥٠). وما يعضد هذا الوجه أنّ التعبير القرآني استعمل الفعل (حقّ) لازماً في جميع القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

- {كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس ٣٣].
- {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس ٩٦].

- {فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} [النحل ٣٦].

- {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس ٧].

٣-خائنة

قال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة ١٣]. وقال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر ١٩].

وفي تأويل دلالة (خائنة) في الآيتين أربعة أوجه هي:

الأول: أن تكون خائنة مصدراً جاء على بناء اسم الفاعل كالطاغية والكاذبة والعافية. ومن ثم فسّرت (خائنة) في الآيتين بأنها مصدر بمعنى الخيانة والتقدير فيهما: (على خيانة منهم) و(خيانة الأعين)^(٥١). وقد استدلل مؤيدو هذا الوجه عليه بأن " فاعلة في أسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية و (المؤتفكات بالخائنة) و (أهلكوا

بالطاغية) ويقال: قائلة بمعنى القيلولة، كل ذلك بمعنى المصدر ^(٥٢).

الثاني: أن تكون الخائنة صيغة نسب على فاعل والتقدير (ذات خيانة منهم) و(ذات خيانة من الأعين) وهو وجه جوزه الزمخشري ^(٥٣).

الثالث: أن تكون خائنة اسم فاعل مؤنث وتاؤه للتأنيث وهو في الأصل وصف لموصوف مؤنث محذوف قد يكون مفردا مؤنثا أو جمعا عومل معاملة المؤنث والتقدير (نفس خائنة منهم) أو (طائفة خائنة) أو (فرقة خائنة منهم)، وفي (خائنة الأعين) يكون التقدير (الأعين الخائنة)، وهذا النعت في الأصل من إضافة الصفة إلى الموصوف ^(٥٤).

الرابع: أن تكون خائنة اسم فاعل وتاؤه للمبالغة ^(٥٥). وضعف الطبري هذا الوجه لأن التعبير القرآني يخبر ابتداء عن جماعة وهم بنو النضير الذين هموا بقتل رسول الله فأطلع الله تعالى على ما هموا به وعرفه أخبار أسلافهم وأن آخروهم على نهج أولهم من الغدر والخيانة فلا يلائم هذا أن يكون المراد بخائنة رجلا واحدا بل جماعة ^(٥٦). لكن الطوسي عضده بسماع أمثلة فاعلة في كلام

العرب دالة على المبالغة كقولهم: " راغية الإبل وثاغية الشاء ويقال: رجل خائنة ... فخائنة على وجه المبالغة " ^(٥٧). واختاره العكبري فقال: " خائنة بمعنى خائن والهاء للمبالغة كما قالوا: رجل علامة ونسابة. " ^(٥٨)

ونقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يعضد هذا الوجه وذلك لما سئل عن معنى (خائنة الأعين) فقال: " ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين " ^(٥٩) والمعنى أنه قد يتناول بعضهم بنظره إلى أعراض الناس دون أن يره أحد إلا الله تعالى. وهو تفسير ملائم لذكر (ما تخفي الصدور) بعده في {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}.

٤- الخائطة.

قال تعالى: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ} [الحاقة ٩]، وفي تأويل دلالة الخائطة خمسة أوجه هي:

الأول: أن تكون الخائطة صيغة فاعلة محولة إلى مصدر بمعنى الخطأ وهو ما جاء به فرعون موسى ومن قبله قري قوم لوط من الكفر والشرك والعصيان. وعلى هذا الوجه فريق من المفسرين

الذين عضدوه بسماع مجيء المصدر على فاعلة كالعاقبة والعافية ^(٦٠). وفسر الطبري الخاطئة بالخطيئة ^(٦١)، وعلّق المحقق بهذا التفسير قوله: " كنت أؤثر أن يقول: إنه مصدر جاء على فاعلة مثل العافية إلا أن يكون أبو جعفر أراد أن الخطيئة مصدر على فعيلة كالشبيبة والفضيحة وأشباهها وهي قليلة " ^(٦٢). واختار ابن عاشور أن تكون الخاطئة في الأصل مصدر مرّة " وهاء هاء المرة الواحدة فلما استعمل مصدرا قطع النظر عن المرة " ^(٦٣).

الثاني: أن تكون الخاطئة صيغة نسب إي ذات الخطأ العظيم وهو وجه ذكره الألويسي ^(٦٤).

الثالث: أن تكون الخاطئة وصفا على فاعلة لموصوف مفرد محذوف مؤنث تأنيثا مجازيا والتقدير: النفس الخاطئة وفي هذا الوجه تكون الخاطئة اسم فاعل وتاؤه للتأنيث والتعريف فيه للجنس ^(٦٥).

الرابع: أن تكون الخاطئة وصفا لموصوف يدلّ على الجمع محذوف والتقدير: الأفعال الخاطئة أو النفوس الخاطئة فتكون الخاطئة دالة على مجموع الخطايا التي كان فرعون ومن قبله يأتي بها،

وعزي هذا الوجه إلى مجاهد الذي فسر الخاطئة بالخطايا ^(٦٦).

الخامس: أن تكون الخاطئة تعبيرا مجازيا والتقدير: خاطئ أصحابها؛ لأن الخطأ الحقيقي ليس للفعل بل هو حقيقة في أصحابه و " لا يجعل الفعل خاطئا إلا إذا كان صاحبه بليغ الخطأ " ^(٦٧).

والأظهر أن تكون الخاطئة اسما على فاعلة يدلّ على المبالغة في القيام بالخطأ أي أنها أقصى ما يمكن أن يبلغه البشر من الخطأ كادعاء فرعون الربوبية وإتيان قوم لوط الذكور دون الإناث، والدليل على أن من عظيم آثامهم هذا الخطأ العظيم أن التعبير القرآني أخبر عن عقابهم في قوله تعالى: {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} الحاقة ١٠ لأنهم جاؤوا بالخطيئة الكبرة فكانت عقوبتهم رابية أي " الزائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار " ^(٦٨).

والإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ولذا قيل للرياح العادلة عن المهاب: المؤتلفة ^(٦٩). وإنما سميت جماعات قوم لوط بالمؤتفكات لإتيانها الذكور دون الإناث وهو

انصراف قبيح عن الفطرة الإلهية التي فطر الباري تعالى الناس عليها في التنازل والتكاثر. ومعنى التعبير القرآني في الآيتين أن كلا " منهم جاء بالذنب المستحق للعقاب عنه ذنبهم المعبر عنه بالخاطئة فقال: {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً} [الحاقة: ١٠]، وهذا التفرع للتفصيل نظير التفرع في قوله {كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ} [القمر: ٩]، في أنه تفرع بيان على المبين^(٧٠).

٥-خالصة

قال تعالى: {وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ص: ٤٥-٤٧]، قرئ (بخالصة) منونة وغير منونة^(٧١) وفي كلا القراءتين أربعة أقوال في توجيه معنى (خالصة) اثنتان منها حملتا اللفظة على التحول الصرفي من المصدر أو اسم المصدر وحمل وجه منها اللفظة على تقدير محذوف وأبقى أحد الأوجه اللفظة على ظاهرها تلك الأوجه هي:

الأول: أن تكون خالصة مصدرا للثلاثي (خلص) بمعنى الخلوص كالعاقبة وخائنة الأعين فمن لم ينون خالصة فذكرى مضافة إلى المصدر ومن نونها فذكرى في موضع رفع بالمصدر والتقدير: إنا أخلصناهم أي جعلناهم مخلصين ومخلصين من الأنداس قد أخلصوا العمل لله تعالى وذلك بأن خلصت لهم ذكرى الدار وهي الآخرة يذكرونها ولا يريدون بذلك الدنيا وعزا بعضهم هذا الوجه إلى الفراء^(٧٢). ويؤيده مجي (خالصة) مصدرا في أربعة مواضع أخرى من القرآن الكريم^(٧٣). فـ "خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك إحلال ما أحلنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة^(٧٤) .

الثاني: أن تكون خالصة مصدرا بمعنى الإخلاص من أخلص على حذف الزوائد أي أن خالصة اسم مصدر على فاعلة وضع موضع المصدر الحقيقي من (أخلصنا) وهمزة أخلص المحذوفة تفيد التعدية فيكون ذكرى الدار في موضع نصب بالمصدر والتقدير: إنا أخلصناهم بأن أخلصوا تذكير الدار. ويعضد هذا الوجه قراءة الأعمش (بخالصتهم

ذكرى الدار) فنصب ذكرى الدار بالمصدر (خالصة) وهو مثل قوله تعالى {لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ} [فصلت: ٤٩] (٧٥).

الثالث: أن تكون خالصة صيغة مبالغة على فاعلة وتأوها كتاء علامة ونسابة وراوية وهذا ما عزي إلى الكسائي، وعضد هذا الوجه ظهور معنى المبالغة في اللفظ نفسه الوارد في قوله تعالى {وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٣٩] (٧٦).

الرابع: أن تكون خالصة اسم فاعل على فاعلة وتأوه للتأنيث وهي وصف لموصوف مؤنث محذوف كأنه عبر بها عن مزية أو خصلة أو رتبة فمن نون (بخالصة) ف " ذِكْرَى الدَّارِ بدلا منها والتقدير: إنا أخلصناهم بأن يذكروا الدار الآخرة ويتأهبوا لها ويرغبوا فيها ويرغبوا الناس فيها " (٧٧) ومن لم ينون فقد أضاف (ذكرى الدار) إلى خالصة. وهي مصدر مضاف إلى اسم الفاعل. والهمزة في أخلصناهم للجعل والباء في (بخالصة)

تفيد بيان السبب والمعنى: جعلناهم خالصين بسبب خصلة

خالصة لا شوب فيها وفتحوا لها فاختاروها وهي تذكيرهم الناس بالدار الآخرة وتزهيدهم إياهم في الدنيا وكذلك شأن الأنبياء (٧٨).

والأولى أن تكون خالصة اسما على فاعلة كصاعقة وعاصفة وليست صفة لموصوف محذوف ويعضد هذا أن (ذكرى الدار) اسم أيضا يعرب بدلا من (خالصة) والمصدر من الثلاثي هو الذكر ومن المزيد هو التذكير والتذكر أي أن الخالصة اسم لخصلة عظيمة الشأن هي تذكر الآخرة على الدوام لأنها مطمح أنظارهم ومسرح أفكارهم وهي اسم يفسره نقيضه (شائبة) في قولنا : هذا الأمر لا تشوبه شائبة ، والشوب الخلط على حين إن الخالص هو ما زال عنه شوبه فصار صافيا نقيا (٧٩) ولما كانت الباء في (بخالصة) تدل على السبب فإن المراد بذكر التعبير القرآني (خالصة) هو التنبيه على سبب عصمتهم " وعبر عن هذا السبب تعبيرا مجملا تنبيها على أنه أمر عظيم دقيق لا يتصور بالكنه ولكن يعرف بالوجه ولذلك استحضر هذا السبب بوصف مشتق من

فعل أخلصناهم على نحو قول النبي (صلى الله عليه وآله) لمن سألته عن اقتناعه من أكل الضب : إني تحضرني منه حاضرة (^(٨٠)). وأفضل تقدير لمعنى هذه الآية عند تنوين خالصة وهي القراءة الأشهر ما ذكره الفخر الرازي بقوله: " من نون كان التقدير أخلصناهم أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خالصة لا شوب فيها وهي ذكرى الدار ^(٨١) " .

٦-شاكلة.

تعددت أقوال المفسرين في معنى الشاكلة في قوله تعالى: {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكَلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا} [الإسراء: ٨٤] فنقل عن ابن عباس أنها الناحية وعن الضحاك الحدة وعن مجاهد الطبيعة وعن قتادة النية وعن مقاتل الجبلية وعن الحسن السجية وعن الفراء الطريقة أو المذهب ^(٨٢) . ومجمل هذه المعاني التي ذكرت في تفسير اللفظة تكاد تجتمع على معنيين الأول هو الطبيعة والخلقة والجبلية والآخر الطريقة والمذهب والناحية وهذان المعنيان بينهما وشيجة قوية لتحديدتهما أفعال الإنسان وتقييدهما لحركته على وفق سنن معينة يراعيها في جميع أعماله فتأتي

تلك الأعمال على وفق تلك القيود والمحددات. وعلى الرغم من وضوح دلالة اللفظة يبقى القول لدى المفسرين في تحدد طبيعة بنائها الصرفي ومن ثم دلالتها على معناها الدقيق مبهما إذ أثر عنهم ثلاثة أوجه في دلالتها أقر اثنتان منها تحولها صرفيا وأبقى الثالث اللفظة على بنائها تلك الأوجه هي:

الأول: أن تكون (شاكلة) من الشكل بكسر الشين بمعنى الهيئة يقال : جارية حسنة الشكل ^(٨٣) فتكون محولة من بناء (أفعل) الدال على التفضيل وقد استحسن النحاس هذا الوجه فقال: " من أحسن ما قيل فيها أن المعنى قل كل يعمل على ما هو أشكل عنده وأولى بالصواب فريكم أعلم بما هو أولى بالصواب ولذا تستعمله العرب بعد تبين الشيء مثل { وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [سبأ : ٢٤] وكما يقول الرجل لخصمه إن أحدنا لكاذب فصار في الكلام معنى التوبيخ ^(٨٤) " وكون الشاكلة من الشكل أي الهيئة يعضده ما ذكر من أنها بمعنى الجبلية أو الخلقة أو الطبيعة .

الثاني: أن تكون الشاكلة من الشكل بفتح الشين بمعنى المثل والنظير^(٨٥) ويعضده ما ذكره الفراء وغيره أن اللفظة تعني الطريقة والمذهب والناحية واختار الزجاج هذا الوجه ففسر (على شاكلته) بـ " على طريقته وعلى مذهبه ويدل عليه { قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُيْكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا } [الإسراء : ٨٤] أي أهدى طريقا ، ويقال : هذا طريق ذو شواكل أي يتشعب منه طرق"^(٨٦) وتلقف الزمخشري قول الزجاج لكنه قدر اللفظة على فاعلة محولة من باب المفاعلة فهي شاكلة بمعنى مشاكلة فقال : المراد " بشاكلته أي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه "^(٨٧) واستحسن أكثرهم هذا الوجه بعد أن عزوه إلى الزجاج والزمخشري قائلين : إن الشاكلة هي الطريقة والناحية والأخلاق التي تشاكل أحوال الإنسان ومزاجه فكل أحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها وهذا التعبير ذم للكفار ومدح للمؤمنين^(٨٨).

أي " أن المراد كل أحد يفعل على وفق ما شاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فإن كانت نفسه نفسا

مشرقة خيرة طاهرة علوية صدرت عنه أفعال فاضلة كريمة وإن كانت نفسه نفسا كدرة ندلة خبيثة مضلة ظلمانية صدرت عنه أفعال خسيصة فاسدة "^(٨٩).

الثالث: أن الشاكلة اسم على فاعلة يدل على طبيعة الإنسان وسجيته وخلقه وبها تنقيد أفعال الإنسان وتنظم لتكون الأفعال طبقا للطبيعة الإنسانية ، والتاء في الشاكلة للنقل إلى الاسمية بمنزلة تاء الفاتحة التي صارت اسما لسورة الحمد ، وفي هذا الوجه الشاكلة اسم مشتق من الشكل بفتح الشين ومعناه تقييد الدابة بالشكال هو الزمام والرباط الذي تقيده الدابة بمنزلة العقال وهو وثاق أيضا فكأنها تقيده الإنسان فيجري على ما يناسبها فتكون أعماله مساوقة لها^(٩٠) وقد سبقت الإشارة إلى ما نسب إلى مجاهد من أنها تعني الطبيعة وإلى مقاتل أنها تعني الجبل لأن سلطان الطبيعة على الإنسان ظاهر وهوة ضابط له وقاهر ولما كانت طبائع كل انسان وعاداته تقيده بصفات معينة لذا يقال لذلك شاكلة^(٩١).

٧-عاقبة .

قال تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: ١٣٥]، وقال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [القصص: ٣٧]. وفي تأويل دلالة التركيب (عاقبة الدار) ساق المفسرون ثلاثة أوجه هي:

الأول: عاقبة مصدر على فاعلة وهو بمعنى (العقبى) في قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ} أي نهايتها الحسنة وخاتمتها المحمودة^{٩٢}. ولذا ساوى أكثرهم بين عاقبة الدار وعقبى الدار في المعنى^{٩٣}. وكرر فريق من المفسرين تنظير طائفة من ألفاظ التنزيل العزيز جاءت على فاعلة بالعاقبة لأنهم فسروها بالمصدرية نحو (خالصة) في قوله تعالى {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص: ٤٦] إذ يجوز أن " تكون مصدراً وقع موقع الخالص، كالعاقبة"^{٩٤} وكاذبة في قوله تعالى: {لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة: ٢] إذ جوزوا أن تكون مصدراً كالعاقبة بمعنى التكذيب^{٩٥}، وناشئة الليل في قوله تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل: ٦] يجوز أن

يكون "الناشئة مصدراً من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة: كالعاقبة"^{٩٦} وكاشفة في {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم: ٥٨] "يحتمل أن يكون مصدراً كالعاقبة"^{٩٧} والطاغية في {فَأَمَّا تَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} [الحاقة: ٥] يجوز أن تكون مصدراً كالعاقبة^{٩٨}. ولاغية في {لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً} [الغاشية: ١١] فهي " مصدر كالعاقبة والخائنة"^{٩٩}

واختار السمين الحلبي هذا الوجه في تأويل مدلول اللفظة في قوله تعالى {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} [آل عمران: ١٣٧] إذ رأى أن " (كَيْفَ) خبرٌ مقدَّم، و (عاقبة) اسمها، ولم يُؤنَّث، فعلها؛ لأنَّ تأنيثها غير حقيقي؛ ولأنَّها بتأويل المآلِ والمُنْتَهَى، فإنَّ العاقبة مَصْدَرٌ على وزن (فاعلة) وهو محفوظ في ألفاظ تقدَّم ذِكْرُهَا وهي منتهى الشيء وما يصيرُ إليه"^{١٠٠}.

والعاقبة إذا أُطْلِقَتْ اختصت بالثواب قال تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: ١٢٨] وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة كقوله تبارك وتعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السَّوْءُ} [الروم: ١٠]، {فَكَانَ

عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا} [الحشر: ١٧] فَصَحَّ أَنْ تَكُونَ اسْتِعَارَةً مِنْ ضِدِّهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١]¹¹. الثاني: العاقبة اسم فاعل لموصوف مؤنث وأصل (عاقبة الدار): الدار العاقبة. فأضيفت الصفة إلى موصوفها. والعاقبة: هي الحالة العاقبة، أي التي تجيء عقب غيرها، فيؤذن هذا اللفظ بتبدل حال إلى ما هو خير، فلذلك لا تطلق إلا على العاقبة المحمودة.

الثالث: العاقبة اسم مصدر على فاعلة بمعنى الجنة¹² والمصدر من باب المفاعلة أي المعاقبة بين أمرين ف قيل: العاقبة اسم بمعنى المعاقبة¹³، وكون العاقبة اسم مصدر فإن المراد بِعَاقِبَةِ الدَّارِ "هي العاقبة المحمودة. والدليل عليه قوله تعالى: (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتٍ عَدْنٍ) وقوله: (وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) والمراد بالدار: الدنيا، وعاقبتها وعقباها: أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت. فإن قلت: العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهاما يصح أن تسمى عاقبة الدار؛ لأنَّ الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر، فلم اختصت خاتمتها

بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر؟ قلت: قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير، وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق، ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف؛ فإذا عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير. وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها؛ لأنها من نتائج تحريف الفجار"¹⁴. فعَاقِبَةُ الدَّارِ هي "العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها. وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك، فيه إنصاف في المقال وأدب حسن، مع تضمن شدة الوعيد، والثوق بأنَّ المنذر محقّ والمنذر مبطل"¹⁵.

قد تكرر في التعبير القرآني مجيء العاقبة المطلقة مثل وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ، مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ والمراد في جميع ذلك: عقبى الخير والسعادة، والزمخشري في قوله "العاقبة هي العاقبة المحمودة" يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير أنها هي التي أرادها الله فهي الأصل والعاقبة الأخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والأصل لم يكن من حقها أن يعبر عنها إلا بتقيد

يفهمها كقوله وَعُقِبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ كل ذلك من الزمخشري تهالك على أن ينسب إلى الله إرادة ما لم يقع ومشينة ما لم يكن مصادمة لما أنطق الله به السنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس في مجيء ذلك على الإطلاق ما يعين أنه الأصل باعتبار الإرادة، ففعله الأصل باعتبار الأمر، ونحن نقول: إن المؤدى إلى حمد العاقبة مأمور به، والمؤدى إلى سوتها منهي عنه، فمن ثم كانت عاقبة الخير هي الأصل، والله موفق.

والعاقبة المحموده والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها خيرا أو شرا، فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر؟ قلت: لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازا للأخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله، كما قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف، لأن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير، وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار. والمحصل مما سبق أن تكون {عاقبة الدار} كلمة

جرت مجرى المثل في خاتمة الخير بعد المشقة تشبيهاً لعامل العمل بالسائر المنتجع إذا صادف دار خصب واستقر بها وقال الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله^{١٠٦}.

٨- كاشفة

للمفسرين في تأويل دلالة (كاشفة) في قوله تعالى: (أَزِفْتُ الْأَرْفَةَ لَئِيَسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) {النجم ٥٧-٥٨}، أربعة أوجه حمل أحدها اللفظة على التحول الصرفي من المصادر وحملها الآخر على التفسير الاعتيادي فأقرّ محذوفاً في سياقها وأبقى وجهان منها اللفظة على ظاهرها في الدلالة على اسم الفاعل مع اختلاف في التقدير بينهما، تلك الأوجه هي:

الأول : أن تكون (كاشفة) مصدراً بمعنى الكشف أو الانكشاف وهو رأي الفراء الذي سبقت الإشارة إلى أنه يفسر نظائر هذه اللفظة بأنها مصادر جاءت على صيغة اسم الفاعل وتأوّها للمرة الواحدة ، إذ قال: " تأنيث الكاشفة كقولك : ما لفلان باقية ، أي بقاء والعافية والعاقبة وليس له ناهية كل هذا في معنى المصدر "^(١٠٧) ، وعُزي هذا الوجه - أيضاً - إلى الرماني وجماعة ممن

جَوَزًا مجيء المصادر على (فاعل) نحو (كاذبة) في قوله تعالى { لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ } الواقعة ٢ و (باقية) في قوله تعالى : (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ) الحاقة { ٨ } و (خائنة) في قوله تعالى : (وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ } المائدة ١٣ وغيرها^(١٠٨) .

الثاني: أن تكون (كاشفة) وصفا على صيغة اسم الفاعل لموصوف مؤنث محذوف فتكون تاؤها للتأنيث، والتقدير: نفس كاشفة أو حال كاشفة أو فئة كاشفة أو جماعة كاشفة، ومن أسماء القيامة (الغاشية) فيكون رد غشيانها كشفا وهذا معنى الكاشفة أي ليس لها الآن نفس كاشفة تنزّل الخوف عن الناس منها فإنه باق فيهم إلى أن يأتي الله سبحانه بها، وهذا ما ألمح إليه الزمخشري بقوله: " ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير "^(١٠٩).

الثالث: أن تكون (كاشفة) اسم فاعل مذكر بمعنى (كاشف) وهو الذي يكشف ما فيها من جهد ومشقة وشدة وهول والتاء للمبالغة كما في: رجل راوية وداهية وعلامة ونسابة ورحالة، وشاعر نابغة وغيرها. والمعنى ليس لوقعها الشديد كاشف فائق الكشف إلا الله عز وجل ولا يكشفه إلا عن

المؤمنين، وهذا الوجه ذكره النحاس ابتداء وجوزه ابن الأنباري وابن عطية وآخرون^(١١٠). لكن هذا الوجه ردّ " بأنّ المقام يأباه لإيهامه بثبوت أصل الكشف لغيره عز وجل وفيه نظر "^(١١١) . ورد هذا الرد بأنه " لا يلزم من الكشف نفي نفس الكاشف لأننا نقول: لو كشفها أحد لكن كاشفا بالوجه الكامل فلا كاشف لها ولا يكشفها أحد، وهو كقوله تعالى: {وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} ق ٢٩ من حيث نفي كونه ظالما مبالغا فيه ... لأنه لو ظلم عبده الضعفاء لكان في غاية الظلم وليس في غاية الظلم فلا يظلمهم أصلا "^(١١٢).

الرابع: أن تكون (كاشفة) اسما على فاعلة، وتاؤها للنقل إلى الاسمية فهي كتاء الفاتحة والنطيحة والذبيحة، وهذا رأي ذكره الزجاج وأكد النحاس نسبته إليه، ثم قدمه الزمخشري على سائر الأوجه^(١١٣).

وجوزا في معنى الكشف وجهين : الأول : أن يكون المراد به كشف السر أي؛ التبيين عما خفي منها وهو إزالة الخفاء عنها فيكون المعنى : لا يبين وقت الآزفة أحد له قدرة على البيان إلا هو تعالى كما في قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ

أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا
لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا
عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {
الأعراف: ١٨٧} فالمعنى إن الله تعالى هو العالم
بوقتها لا يعلمه أحد إلا إذا شاء تعالى أن يطلع
عليه أحدا من رسله أو ملائكته. والآخر: أن يكون
كشف بمعنى التعرية وهو إزالة وعيدها، ومجيء
الكشف بمعنى التعرية وارد في القرآن الكريم كما
في قوله تعالى: {لَمَنْ يُجِيبِ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ} النمل ٦٢، فيكون المعنى: لا
يستطيع أحد إزالة وعيدها غير الله وقد أخبر تعالى
بأنها واقعة بقوله تعالى: لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
كَاشِفَةٌ، كناية عن تحقق وقوعها^(١١٤).

والراجح أن يكون معنى (كاشفة) جامعا الوجهين
معا فيكون أحدهما مقدمة لآخر والتقدير: دنت
القيامة فليس لها من يبين سرّها ليزيل وعيدها.
٩-كافة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ
كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ} [البقرة: ٢٠٨]، وفي تلمس مدلول (كافة)

فضلا عن سياق الآية إشكال واسع بين أهل
التأويل والمفسرين، فاختلّفوا أولا في المراد بالذين
آمنوا (المسلمون حقيقة) أم (المسلمون المنافقون)
أم (أهل الكتاب)^(١١٥)؟ واختلّفوا في المراد بالسلم
(الإسلام) أم (شرائعه)^(١١٦) وذكروا في توجيه
الأمر بالدخول في السلم " ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن
يكون أمراً للمؤمنين بألسنتهم أن يؤمنوا بقلوبهم.
والثاني: أن يكون أمراً للمؤمنين بالدخول في جميع
شرائعه. والثالث: أن يكون أمراً لهم بالثبات عليه،
كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ"^(١١٧). وعلى الرغم من إطباقهم على
إعراب (كافة) حالا اختلفوا في صاحبه أيضا (واو
الجماعة) أم (السلم)^(١١٨). وعلى وفق اختلافهم
في توجيه هذا المشكل اختلفوا في تلمس دلالة
(كافة) صرفيا على أربعة أوجه هي^(١١٩):

الأول: أن تكون (كافة) اسم فاعلٍ مِنْ كَفَّ يَكْفُ،
أي: مَنَع، ومنه كَفَّ الإنسان؛ لأنها يُكْفُّ بها عن
سائر البدن، وهي الراحة مع الأصابع، ويقال:
كَفَفْتُ فُلَانًا عَنْ السُّوءِ، أي: منَعْتُهُ، ورجل
مَكْفُوفٌ، أي: كُفَّ بَصَرُهُ مِنْ أَنْ يَبْصُرَ، وَالْكُفَّةُ -
بالضَّم- لكل مستطيل، وبالكسْر، لكل مُسْتَدِير

(١٢٠). فعلى هذا تكون اللفظة اسم فاعل مؤنث تُعرب حالا من (السلم) وهو لفظ مؤنث في التعبير القرآني كما في قوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال: ٦١] أو يكون (السلم) اسم جمع معناه شرائع الإسلام وجمع التكسير يوصف بالمفرد المؤنث كقوله تعالى {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: ٢٤]. وهذا اختيار الطبري في قوله: "كافة من صفة السلم، ويكون تأويله: ادخلوا في العمل بجميع معاني السلم، ولا تضيعوا شيئاً منه يا أهل الإيمان" (١٢١). على حين عضد الزمخشري إعراب "كافة حالا من السلم، لأنها توثت كما توثت الحرب. فقال: "السلم تأخذ منها ما رَضِيتَ بِهِ ... وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ" (١٢٢). ورده أبو حيان بأن قال "تعليله جواز أن يكون: كافة، حالا من السلم بقوله: لأنها توثتت كما توثتت الحرب، ليس بشيء، لأن التاء في: كافة، وإن كان أصلها للتانيث، ليست فيها إذا كانت حالا للتانيث، بل صار هذا نقلاً محضاً إلى معنى: جميع وكل، كما صار: قاطبة، وعامة، إذا كان حالا نقلاً محضاً إلى معنى: كل وجميع. فإذا

قُلْتَ: قَامَ النَّاسُ كَافَّةً، أَوْ قَاطِبَةً، أَوْ عَامَّةً، فَلَا يَدُلُّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ عَلَى التَّانِيثِ، كَمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ: كُلُّ، وَلَا جَمِيعٌ" (١٢٣). وواضح أن أبا حيان في رده هذا يمنع تأويل (كافة) بالمفرد المؤنث ويرجح حملها على أسماء الجموع (قاطبة وعامة وخاصة) ومن ثم تعرب حالا من ضمير الجماعة (الواو) ولو كانت اللفظة اسماً مفرداً مؤنثاً لم يصح إعرابها حالا من ضمير الجماعة لاختلاف الجنس والعدد.

الثاني: أن تكون (كافة) مصدراً كالعاقبة والعافية، فَيَكُونُ عَلَى حَذَفِ مُضَافٍ، أَيْ إِلَّا ذَا كَافَّةً، أَيْ ذَا كَفٍّ لِلنَّاسِ، أَيْ مَنَعٍ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، أَوْ ذَا مَنَعٍ مِنْ أَنْ يَشِدُّوا عَنْ تَبْلِيغِكَ" (١٢٤). وهذا اختيار الزجاج في قوله الآخر لتأويل مدلول اللفظة في قوله تعالى {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة: ٣٦] إذ قال: "كافة" منصوب على الحال، وهو مصدر على فاعله كما قالوا العاقبة والعافية. وهو في موضع قَاتِلُوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم. وهذا مشتق من كَفَّ الشَّيْءُ، وهي حَرْفُهُ، وإنما أخذ من أن الشيء إذا انتهى إلى ذلك كَفَّ عن الزيادة، ولا يجوز أن يُتَنَّى ولا

يَجْمَع، ولا يقال قاتلوهم كَافَاتٍ ولا كَافَيْن، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامّة لم تثنّ ولم تجمع، وكذلك خاصّة^{١٢٥}. ومجيء المصدر حالا وإن كان خلاف الأصل لأنه جامد والحال لا تكون إلا مشتقة لكنه شائع في التعبير القرآني على سبيل التأويل بالمشتق كقوله تعالى: {ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٦٠]، أي ساعيات^{١٢٦}، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [البقرة: ٢٧٤] أي مسرين ومعلنين^{١٢٧}. وعلى الرغم من ذلك يبقى هذا الوجه ضعيفا لعدم سماع مصادر الثلاثي على (فاعلة) ولذا لم يشع هذا الوجه في كتب المعربين وأصحاب المعاني.

الثالث: أن تكون كَافَة بِمَعْنَى جَامِعًا، وَالْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ، وعزي هذا الوجه إلى الزجاج^{١٢٨}. ولم أتبين هذا الوجه في كتاب الزجاج معاني القرآن وإعرابه لكن فريقا من المفسرين^{١٢٩} احتقوا به في إعراب قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: ٢٨] فاستحسنوا إعراب (كافة) حالا من كاف (أَرْسَلْنَاكَ) والمعنى: إِلَّا جَامِعًا لِلنَّاسِ فِي الْإِبْلَاجِ.

والكافّة بمعنى الجامع، والهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ كهي في: عَلَامَة وراوية. وأنكر أبو حيان هذا الوجه قائلا: "إِنَّ اللَّغَةَ لَا تُسَاعِدُ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ كَفَّ لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ أَنْ مَعْنَاهُ جَمَعَ"^{١٣٠}

الرابع: أن تكون (كافة) لفظا مفردا دالا على الجماعة، فهو اسم جمع كالْمِلَّةُ وَالْأُمَّةُ وَالْفِرْقَةُ وَالشَّيْعَةُ وَالْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ، وتاؤه للجماعة بمنزلتها في (القبيلة) و(العشيرة)، وعزي إلى قطرب أنه قال: "تَقُولُ الْعَرَبُ: رَأَيْتُ الْقَوْمَ كَافَّةً وَكَافَيْنَ وَرَأَيْتُ النِّسْوَةَ كَافَاتٍ"^{١٣١}، أي إنه رأى أن كافة بمنزلة الجمع السالم وهذا أحد قولي الزجاج الذي رأى أن (كافة) في آية الدخول في السلم "بمعنى الجميع والإحاطة، فيجوز أن يكون معناه ادخلوا جميعاً"^{١٣٢} واشتقاق كافة مما يكف الشيء في آخره^{١٣٣}، ومعنى (كافة) الجماعة التي تكف مخالفيها أي تمنعهم من اللحاق بها، ثم صار اسْتِعْمَالُهَا بِمَعْنَى جَمِيعٍ وَكُلٍّ. وكافة وقاطبة مِمَّا لَزِمَ نَصْبُهَا عَلَى الْحَالِ، وإِخْرَاجُهَا عَنْ ذَلِكَ لَحْنٌ^{١٣٤}. وأبين ما قيل في مدلول (كافة) صرفيا: إنها "اسْمٌ يُفِيدُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَاءِ مَا وَصَفَ بِهِ، وَهُوَ فِي صُورَةِ صَوْغِهِ كَصَوْغِ اسْمِ الْفَاعِلَةِ مِنْ كَفَّ

وَلَكِنَّ ذَلِكَ مُصَادَقَةً فِي صِيغَةِ الْوَضْعِ، وَلَيْسَ فِيهَا مَعْنَى الْكَفِّ وَلَا حَاجَةٌ إِلَى تَكْلُفٍ بَيَانِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ صُورَةِ لَفْظِهَا وَبَنِي مَعْنَاهَا الْمَقْصُودِ فِي الْكَلَامِ لِقِلَّةِ جَدْوَى ذَلِكَ، وَتُقِيدُ مُفَادَ الْفَافِ التَّوَكِيدِ الدَّالَّةِ عَلَى الشُّمُولِ وَالْإِحَاطَةِ. وَالتَّاءُ الْمُفْتَرِئَةُ بِهَا مُلَازِمَةٌ لَهَا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ كَيْفَمَا كَانَ الْمُؤَكَّدُ بِهَا مُؤَنَّثًا كَانَ أَوْ مُذَكَّرًا مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا^{١٣٥}.

وفي هذا الوجه تعرب (كافة) حالا من واو الجماعة في (ادخلوا) والمراد (ادخلوا جميعا في الإسلام) كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم وعلى هذا أكثرهم^{١٣٦}. على حين جوز الزجاج وتبعه آخرون أن تكون (كافة) حالا من الواو، أو من السلم معا فيكون " معنى الآية: ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه، فكفوا من أن تعدوا شرائعه. أو ادخلوا كلكم حتى يكف عن عددٍ وأحدٍ لم يدخل فيه"^{١٣٧}. وأنس ابن عطية بهذا فاستظهر أن تَسْتَعْرِقُ كَافَّةً، الْمُؤْمِنِينَ وَجَمِيعَ أَجْزَاءِ الشَّرْعِ، فَيَكُونُ الْحَالُ مِنْ شَيْئَيْنِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَنتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} [مريم : ٢٧]^{١٣٨} ووصف أبو حيان قول ابن عطية بأن " هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ

مُحْتَمَلٌ، وَلَكِنَّ الْأَظْهَرَ أَنَّهُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ، يَعْنِي: مَجِيءُ الْحَالِ الْوَاحِدَةِ مِنْ شَيْئَيْنِ، وَفِي ذَلِكَ تَفْصِيلٌ ذَكَرَ فِي النَحْوِ وَقَوْلُهُ: نَحْوُ قَوْلِهِ: (فَأَنتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) يَعْنِي أَنَّ تَحْمِلُهُ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ الْمُسْتَكِنِّ فِي أَنتَ، وَمِنْ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ بِالْبَاءِ، هَذَا الْمِثَالُ لَيْسَ بِمُطَابِقٍ لِلْحَالِ مِنْ شَيْئَيْنِ، لِأَنَّ لَفْظَ: تَحْمِلُهُ، لَا يَحْتَمِلُ شَيْئَيْنِ، وَلَا يَقَعُ الْحَالُ مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا إِذَا كَانَ اللَّفْظُ يَحْتَمِلُهُمَا، وَاعْتِبَارُ ذَلِكَ بِجَعْلِ ذَوِي الْحَالِ مُبْتَدَأَيْنِ، وَالْإِخْبَارِ بِتِلْكَ الْحَالِ عَنْهُمَا، فَمَتَى صَحَّ ذَلِكَ صَحَّتِ الْحَالُ، وَمَتَى امْتَنَعَ امْتَنَعَتْ^{١٣٩}. واختار الواحدي أن يكون اسم الجمع (كافة) حالا من (السلم) الذي يعني الإسلام أي ادخلوا في كُلِّ شَرَائِعِهِ فقال: "الكافة: اسم للجملة الجامعة لأنها تمنع من الشذوذ والتفرق، والمعنى: ادخلوا في شرائع الإسلام جملة مانعة من شريعة لم تدخلوا فيها. والكافة في اللغة: الحاجزة المانعة، يقال: كففت فلانا عن السوء فكف يكف كفا"^{١٤٠}. ووصف الرازي قول الواحدي بأنه "الْيَقُ بَظَاهِرِ التَّفْسِيرِ لِأَنَّهُمْ أُمِرُوا بِالْقِيَامِ بِهَا كُلِّهَا"^{١٤١}.

ولنا أن نسأل أي سلم هذا الذي أمر الباري عز وجل المؤمنين بالدخول فيه بعد إسلامهم وإيمانهم وصلاح أمرهم وأمان عيشهم؟ وما المحصل من أمر المسلمين المؤمنين بالدخول في الإسلام أهو تجديد بيعة للدين نفسه أم ثمة إسلام جديد نسخ القديم فأمرنا بالدخول فيه؟ يقينا لا هذا ولا ذاك ولا يعدو الأمر ضعف التأويل وقصور التفسير. إذ تخطبوا كثيرا في الاهتداء إلى المعنى الدقيق للألفاظ الثلاث (السلم السلم والسلم) فأبو عبيدة لما أعيته الحيلة زعم في مجاز قوله تعالى (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ) أن " السلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحروف بالفتحة واحد "١٤٢. والمعنى في الآية " رجعوا إلى المسالمة، وطلبوا الصلح "١٤٣ والمحصل من مجمل أقوال أبي عبيدة أن السلم بكسر السين من المشترك اللغوي فيدل على الاسلام (الدين) والسلام (المسالمة) والاستسلام (الصلح). على حين فسر الاخفش السلم بالإسلام والسلم بالصلح والسلم بالاستسلام. واختار النحاس أن يكون " أصل السلم الصلح والمسالمة فيجوز أن يكون المعنى اثبتوا على الإسلام ويجوز أن يكون المعنى لمن آمن بلسانه "١٤٤. ورجح

الزمخشري أن يكون السلم هو " الاستسلام والطاعة، أي استسلموا لله وأطيعوه وهذا الوجه أقرب لوقائع التاريخ والحاضر المعاش فلما لم يدخل المؤمنون كافة في الطاعة صاروا يتقاتلون فيما بينهم مذ قبض الله رسوله إليه حتى يومنا هذا؟ ولكن أي طاعة هذه التي ألمح إليها الزمخشري وغيره، لن نظفر بالمحصل إلا في الكتب الروائية لمدرسة أهل البيت، ففي اصول الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: ٢٠٨] قال: في ولايتنا^{١٤٥}. وفي تفسير على بن ابراهيم قوله: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) قال: في ولاية أمير المؤمنين^{١٤٦}. وفي أمالي شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى محمد بن ابراهيم قال: " سمعت الصادق جعفر بن محمد (ع) يقول في قوله تعالى: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) قال: في ولاية على بن أبي طالب: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) قال: لا تتبعوا غيره^{١٤٧}. وفي تفسير العياشي عن أبي بصير قال: " سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ {
قال: أتدرى ما السلم؟ قال: قلت: أنت أعلم، قال:
ولاية على والأئمة الاوصياء من بعده، قال و
(خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ) والله ولاية فلان وفلان^{١٤٨}.
وفى رواية أبى بصير عن أبى عبد الله عليه
السلام في قوله: " وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ
قال: هي ولاية الثاني والاول^{١٤٩}. فالدخول في
قبول ولاية (عليّ) عليه السلام كالدخول في قبول
نبوة (محمد) صلى الله عليه وآله، فانه لا يكون
مسلمًا من قال: إن محمدا رسول الله، فاعترف به
ولم يعترف بأنّ عليا وصيه وخليفته وخير أمته.
وأصاب الطبري دون قصد لما اختار تعميم مدلول
(الذين آمنوا) فقال: " الصواب من القول في ذلك
عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر الذين آمنوا
بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها، وقد
يدخل في "الذين آمنوا" المصدّقون بمحمد صلى
الله عليه وسلم، وبما جاء به، والمصدقون بمن
قبله من الأنبياء والرسل، وما جاءوا به، وقد دعا
الله عز وجل كلا الفريقين إلى العمل بشرائع
الإسلام وحدوده، والمحافظة على فرائضه التي
فرضها، ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك، فالآية

عامة لكل من شمله اسم الإيمان، فلا وجه
لخصوص بعض بها دون بعض^{١٥٠}.
فالراجح -إذن- أن تكون (كافة) حالا من ضمير
الجماعة لأنها وردت في سياق التعبير القرآني
حالا من الجماعة البشرية لا المعاني كما في
الوجه الأول إذ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: ٢٨] أي "لجميع الخلق
وتقدير الكلام للناس كافة. كقوله: {ادْخُلُوا فِي
السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة: ٢٠٨]، والمعنى: وما أرسلناك
إلا للناس عامة كلهم، أحمرهم وأسودهم^{١٥١}.
والسلم هو الاستسلام والطاعة للنبي الأكرم الذي
ختم رسالته بتتصيب الأئمة الأطهار وبولايتهم
يتحقق السلم للبشرية جمعاء، و " (كافة) حال من
ضمير الفاعل في ادخلوا وهذه حال تؤكد معنى
العموم في ضمير الجمع فان قولك قام القوم كافة
بمنزلة قاموا كلهم وتاء كافة وقاطبة وعامة ليست
للتأنيث وان كان أصلها ان تدل عليه بل انما
دخلت لمجرد كون الكلمة منقولة الى معنى كل
وجميع^{١٥٢}.

١٠- ناظرة.

قال تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: ٢٢-٢٣]. وفي تأويل دلالة (ناظرة) ثلاثة أقوال للصرفيين هي:

الأول: أن يكون (ناظرة) اسم فاعل من النظر بالجارحة، وهذا قول مقاتل: "يعنى ينظرون إلى الله تعالى معابنة"^(١٥٣)، وقول مجاهد: "تَنْظُرُ إِلَىٰ رَبِّهَا حَسَنَهَا اللَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْضُرَ، وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَىٰ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ"^(١٥٤) وعزي هذا إلى عكرمة والحسن البصري^(١٥٥) واختاره معظم المفسرين من ذوي الاتجاه الأشعري^(١٥٦). ومن ثم أولوا التعبير القرآني المصريح بنفي رؤية البشر ربهم عيانا كقوله تعالى لموسى (لَنْ تَرَانِي) بأن قوله تعالى لموسى لَنْ تَرَانِي يعنى في الدنيا، فأما في الجنة فان موسى وغيره يرونه معابنة. وكذا " تفسير (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) يعنى لا يراه الخلق في الدنيا دون الآخرة ولا في السماوات دون الجنة"^(١٥٧). واستشهد مقاتل بقوله تعالى {وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةً أُخْرَىٰ} [النجم: ١٣] على جواز تحقق الرؤية عيانا لأن محمد (ص) "راه في الجنة ليلة أسري به"^(١٥٨). ورأى الطبري في تأويل (ناظرة) " أن

معنى ذلك تنتظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثني علي بن الحسين بن أبجر، قال: ثنا مصعب بن المقدم، قال: ثنا إسرائيل بن يونس، عن ثوير، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةً، لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ، قَالَ: وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنَزَلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ؛ قَالَ: ثُمَّ تَلَا {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} قال: بالبياض والصفاء، قال: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) قال: تنتظر كل يوم في وجه الله عز وجل"^(١٥٩).

وفي هذا الوجه يكون (وجوه) مبتدأ، و(ناظرة) نعت له، و(يَوْمَئِذٍ) منصوب ب(ناظرة) و (ناظرة) خبره، و(إِلَىٰ رَبِّهَا) متعلق بالخبر. والمعنى: أن الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة إلى الله تعالى"^(١٦٠). ولذا خلص ابن عادل المفسر الدمشقي إلى القول: "جمهور أهل السنة تمسك بهذه الآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة وأما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام : ١٠٣] ، ويقولون : النظر المقرون ب(إلى) ليس اسماً

للرؤية، بل لمقدمة الرؤية ، وهي تقلب الحدة نحو المرئي التماساً لرؤيته ، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة ، وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} (١٦١)

وهذا المعنى لا يخلو من نزعة التشبيه والتجسيم التي رفضها الإمامية. إذ قال الطبرسي " وهذا لا يجوز لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدة و اللحاظ و الله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجل سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع و أيضا فإن الرؤية بالحاسة لا تتم إلا بالمقابلة و التوجه و الله يتعالى عن ذلك بالاتفاق و أيضا فإن رؤية الحاسة لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئي و الله منزّه عن اتصال الشعاع به على أن النظر لا يفيد الرؤية في اللغة فإنه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤية كما أنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت إلى الهلال فلم أره فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً و قولهم ما زلت أنظر إليه حتى رأيت و الشيء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال

ما زلت أراه حتى رأيت و لأنا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة و لا نعلمه رائياً بالضرورة بدلالة أنا نسأله هل رأيت أم لا" (١٦٢)

الثاني: أن يكون (الناظرة) اسم فاعل من (نظر) بمعنى (انتظر) أي تأمل وترقب، وناظرة بمعنى منتظرة والتقدير: وجوه تنتظر من ربها ما أمر لها من النعمة والثواب. ونقل هذا الوجه عن الإمام عليّ (عليه السلام) وطائفة من الأئمة من ولده (عليهم السلام). ففي كتاب التوحيد حديث طويل عن علي عليه السلام يقول فيه: وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات. فأما قوله عز وجل " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فان ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان، فيغتسلون ويشربون منه ويدخلون الجنة، فذلك قوله عز وجل في تسليم الملائكة عليهم: " سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنة والنظر إلى ما وعدهم فذلك قوله: " إلى ربها ناظرة " وانما يعنى بالنظر اليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى (١٦٣). وفي عيون الاخبار في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار في التوحيد

بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام في قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها^(١٦٤). وهذا الوجه رواه الطبري وغيره عن مجاهد^(١٦٥). وأنس به معظم مفسري الإمامية ومنهم الطوسي في قوله: "نظرته وانتظرته بمعنى واحد ويقول انظرني يا فلان أي استمع إليّ ومنه قوله تعالى: {لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا} وتقول: بعث فلانا فأنظرته. أي أنسأته والاسم النظرة. ومنه قوله: {فَنَظَرَةُ إِلَى مَيْسَرَةٍ} أي فانتظار^(١٦٦). وقال الطوسي أيضا: "وقوله (إلى ربها ناظرة) معناه منتظرة نعمة ربها وثوابه ان يصل إليهم^(١٦٧). وفي مجمع البيان أن المعنى منتظرة لثواب ربها، وروى ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروى عن علي عليه السلام^(١٦٨).

وخطأ الأزهرى هذا الوجه بأن قال: "من قال: إنَّ معنى قوله: إلى ربها ناظرة بمعنى مُنْتَظَرَةٍ، فقد أخطأ لأن العرب لا تقول: نظرتُ إلى الشيء بمعنى انتظرته، إمَّا تقول: نظرتُ فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة^(١٦٩):

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ أَبْنَاءَ صَادِرَةٍ

لِلْوَرْدِ طَالَ بِهَا حَوَازِي وَتَسَاسِي

فإذا قلت: نظرتُ إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرتُ في الأمر احتمل أن يكون تفكراً، وتَدَبُّراً بِالْقَلْبِ^(١٧٠).

وردد مكّي القيسي قول الأزهرى في رد هذا الوجه^(١٧١) وشايعة القرطبي فقال: "إنَّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرته، كما قال تعالى {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ} [الزخرف: ٦٦]، {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} [الأعراف: ٥٣]، {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} [يس: ٤٩]، وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا: نظرت فيه، فأما إذا كان النظر مقروناً بذكر (إلى) وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان^(١٧٢).

ولما عورض هذا الوجه بأن الانتظار لا يعدى بحرف الجر (إلى) رأى بعضهم أنَّ (إلى) ليست حرف جر و(ربها) مجرور بها كما هو المتبادر إلى الذهن، بل يكون (إلى) اسماً مفرداً بمعنى النعمة مضافاً إلى الرب ويجمع على آلاء نحو {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا} [الرحمن: ١٣]، ومعنى الآية وجوة ناعمة تنتظر نعمة ربها^(١٧٣).

و المراد أصحاب الوجوه روي ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة و التابعين لهم و غيرهم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى و جاء ربك أي أمر ربك وقوله و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار أي إلى طاعة العزيز الغفار و توحيده و قوله إن الذين يؤذون الله أي أولياء الله^(١٧٧) . ورأى الزمخشري أنّ التقديم في (إلى ربها) يؤذن بالاختصاص فيصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي وليس المراد نظر العين لأن هذا ليس خاصا بالمؤمنين وحدهم ، إذ قال: " إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ، ألا ترى إلى قوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) و(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) و(إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) و(وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ) و(وَالِلَّهِ تُرْجَعُونَ) و (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليه ولا

هم يحزنون ، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه: محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذي يصح معه أن يكون من قوله الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي ، تريد معنى التوقع والرجاء^(١٧٨). ووصف قول الزمخشري هذا بأنه كالحوم على من يقول إن (نَاطِرَةٌ) بمعنى منتظرة^(١٧٩).

ويمكن التوفيق بين القولين الثاني والثالث بأن يقال: إن (الوجوه الناطرة إلى ربها) إنما فسرت بالمنتظرة رحمة ربها تارة وبالناظرة إلى رحمة ربها تارة أخرى لأن المؤدى واحد سواء عبّر عنه بالتحول الصرفي (ناظرة بمعنى منتظرة) أو بالحذف والإيصال (إلى رحمة ربها ناظرة) ومجيء حرف الجر (إلى) مع اسم الفاعل (ناظرة) أقر هذه الدلالة لأن النظر إلى الشيء يعني تقليب الحدقة باتجاهه سواء ظفرت به أم لم تظفر بخلاف النظر في الشيء الذي يعني الظفر بالشيء والتأمل في حقيقته ، وهذا ما فهمه علماء الإمامية من الآية فقال الطوسي: "النظر هو تقليب الحدقة الصحية نحو المرئي طلبا للرؤية ويكون النظر بمعنى

الانتظار، كما قال تعالى (واني مرسله اليهم بهدية فناظرة) ^(١٨٠) أي منتظرة وقال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات

إلى الرحمن تأتي بالفلاح ^(١٨١)

أى منتظرة للرحمة التي تنزل عليهم، وقد يقول القائل: انما عيني ممدودة إلى الله، والى فلان، وانظر اليه أى انتظر خيره ونفعه وأوئل ذلك من جهته، وقوله (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) معناه لا ينيلهم رحمته. ويكون النظر بمعنى المقابلة، ومنه المناظرة في الجدل، ومنه نظر الرحمة أى قابله بالرحمة، ويقال: دور بني فلان تتناظر أى تتقابل، وهو وينظر إلى فلان أى يؤمله وينتظر خيره، وليس النظر بمعنى الرؤية اصلا، بدلالة انهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أراه فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضا، ولأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيته، ولا يجعل الشيء غاية لنفسه لا يقال: بما زلت أراه حتى رأيته، ويعلم الناظر ناظرا ضرورة، ولا يعلم كونه رائيا بل يسأل بعد ذلك هل رأيت أم لا؟ ودخل (إلى) في الآية لا يدل على ان المراد بالنظر الرؤية، ولا تعليقه بالوجه يدل على ذلك،

لانا أنشدنا البيت، وفيه تعليق النظر بالوجه وتعديه بحرف (إلى) والمراد به الانتظار، كما في قول الشاعر ^(١٨٢):

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ ... وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نَعَمًا

والمراد به الانتظار والتأمل، وايضا، فانه في مقابلة قوله في صفة اهل النار (تظن أن يفعل بها فاقرة) فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامة وينتظرون الثواب، والكفار يظنون الفاقرة، وكله راجع إلى فعل القلب، ولو سلمنا أن النظر يعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها، لان الثواب الذي هو انواع اللذات من المأكول والمشروب والمنكوح تصح رؤيته ^(١٨٣).

والمحصل من القولين الثاني والثالث أن (الناظرة) اسم فاعل من النظر العقلي لا العيني، وهذا اختيار الأخفش في قوله الذي فسّر الناظرة بأنها التي "تنتظر في رزقها وما يأتيها من الله كما يقول الرجل: ما أنظر إلا إليك" ^(١٨٤). وعضد الأخفش اختياره بسياق التعبير القرآني فقال: "لو كان نظر البصر كما يقول بعض الناس كان في الآية التي بعدها بيان ذلك. الا ترى انه قال {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

باسِرةً [٢٤] تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} ولم يقل: "وُجُوهٌ لَا تَنْظُرُ وَلَا تَرَى" وقوله {تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} يدلّ "الظن" ها هنا على ان النظر ثم الثقة بالله وحسن اليقين ولا يدل على ما قالوا. وكيف يكون ذلك والله يقول {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} وقوله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} يعني ما تشاؤون من الخير شيئاً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَشَاءُوهُ" (١٨٥).

ويمكن الاستدلال بسياق القول على عضد هذا التأويل لمدلول لفظة (ناظرة) فالتعبير القرآني ذكر وجوه المؤمنين ووجوه الكافرين يوم الحشر وقابل بين صفاتهما مرتين، المقابلة الأولى كانت في منظر تلك الوجوه ولونها وهو شكلها الظاهر بوضوح للعيان، فذكر أَنَّ وجوه المؤمنين ناضرة ووجوه الكافرين باسرة، وهذا يعني أن النضر نقيض البسر، وأطبقوا على إن الناضرة تعني البياض النيرة الحسنة الناعمة. والباسرة هي المتغيرة اللون وأما المقابلة الثانية فكانت في

مضمر تلك الوجوه وحالها الخفيّ فذكر أن وجوه المؤمنين (إلى ربها ناظرة) ووجوه الكافرين (تظن أن يفعل بها فاقرة)، وهذا المضمر الخفي يظهر من صفحات الوجه وقلبات اللسان وحركة العينين والشفيتين وسائر دقائق لغة الجسد، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين بقوله: "مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي قَلَنَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ" (١٨٦).

وقد استعمل التعبير القرآني مشتقات الجذر (نظر) المجرد دالة على الترقب والتأمل وتوقع المجهول والتفكر والتدبر. ولم يُقرن النظر في التعبير القرآني بالعين وحدها ولكنها إحدى أدوات تحقق هذا المدلول فقوله تعالى بشأن قصة ملكة سبأ مع سليمان {وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةً بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥] ليس المراد نظر العين بل إعمال الفكر والعقل قبل الجارحة وعلى الرؤية

العينية بالجارحة تارة وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا
مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ
الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [البقرة : ٥٥] ليس
مفهوماً أن يكون المراد نظر بعضهم إلى بعض
عيانا بل المراد التفكير والتأمل في عظيم جرمهم
وجريرتهم . والمزيد بالهمزة يكشف عن معنى
المجرد إذ هو تعدية له فبدل من أن يقول الفاعل
نفسه بالترقب والتفكير يصبح هو المفعول الذي يقع
عليه فعل النظر كما في طلبه إبليس {قَالَ رَبِّ
فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الحجر: ٣٦]

- ١ مقاييس اللغة ٤/٤٤٣
- ٢ المفردات (فقر).
- ٣ تفسير الرازي ١٦/٨٣.
- ٤ تفسير الرازي ١٨/٥٢٠.
- ٥ ينظر: الكتاب ٣/٣٨١-٣٨٢ وشرح الشافية ٢/٨٤- ٨٥ والمخصص ١٥/٦٩.
- ٦ ينظر: جامع البيان ١٠/١٢٦ والبحر المحيط ٤/٢٠٤ وتفسير اللباب ٧/٢٥١.
- ٧ ينظر: السبعة لابن مجاهد ٢٤٣ وحجة القراءات لأبي زرعة ٢٢٣.
- ٨ الكشف والبيان ٤/٣٨ وينظر: جامع البيان ١٠/١٢٧ و
- ٩ المعاني الكبير: ١٠٢٤ و١٠٢٥ وأمالياقالى ١/ ٢٨ وسمط اللآلئ ١٢٨ و ٩٣١ واللسان (أمر) و (سهل).
- ١٠ جامع البيان ١٠/١٢٧ وينظر: البحر المحيط ٤/٢٠٤ وتفسير اللباب ٧/٢٥١-٢٥٢.
- ١١ الحجة لابن خالويه ١/٢٩ ومعاني القراءات ١/٣٧٢ والكشاف ١/٦٥٠ وتفسير اللباب ٧/ ٢٥١.
- ١٢ الكشف ١/٦٥٠.
- ١٣ ينظر: البحر المحيط ٤/٢٠٥ والدر المصون ٤/٢٢٢ وتفسير اللباب ٧/٢٥٢.
- ١٤ جامع البيان ١٠/١٢٨.
- ١٥ ينظر: الكتاب ١/٣٤٦ والمقتضب ٣/٢٦٩ والكامل ١/١٥٦ والخصائص ٢/٤٨٩ وشرح المفصل ٦/٥٠-٥٢ وشرح الشافية ١/١٧٦ ومغني اللبيب ٥٢٩.
- ١٦ ينظر: معاني الفراء ٣/١٨٠ ومجاز القرآن ٢/٢٦٧ وجامع البيان ٢٢/٥٨٨.

- ١٧ ينظر: دقائق التصريف ٥٨ والمفصل ١١٣ وشرح الأشموني ٣٥١/٢ وحاشية الصبان ٣٠٩/٢ - ٣١٠ وليس في كلام العرب ٤٢ وشرح المفصل ٥٠/٦ وشرح الشافية ١٧٥/١ وشرح المراح ٣٧.
- ١٨ ينظر: الكشف ٥١/٤ والبحر المحيط ٧٦/١٠.
- ١٩ ينظر: الكشف ١٥٠/٤ والتبيان للعكبري ٢٠٢/٢ والبحر المحيط ٢٥٥/١٠.
- ٢٠ ينظر: دقائق التصريف ٥٨ وشرح الأشموني ٣٥١/٢ وحاشية الصبان ٣٠٩/٢ - ٣١٠.
- ٢١ ينظر: شرح الكافية ١٧٥/١ - ١٧٦.
- ٢٢ ينظر: الكشف ٥١/٤.
- ٢٣ معاني القرآن وإعرابه ١٦١/٢.
- ٢٤ ينظر: تفسير اللباب ٢٥٤/٧.
- ٢٥ ينظر: لسان العرب (ثغا).
- ٢٦ ينظر: الكشف ١٦٢/٤ والمحزر الوجيز ٦١٩/٤ وتفسير اللباب ٢٢٤/١٨.
- ٢٧ تفسير اللباب ٣٢٥/١٩.
- ٢٨ ينظر: تفسير اللباب ٢٢٤/١٨.
- ٢٩ ينظر: المحزر الوجيز ٤٩٦/٣ والبحر المحيط ٩٩/٧.
- ٣٠ ينظر: التبيان للعكبري ٨٣٠/٢.
- ٣١ ينظر: التبيان للعكبري ٩٢٢/٢.
- ٣٢ ينظر: التبيان للعكبري ٩٢٢/٢.

٣٣ هذا مروي عن ابن عباس وغيره، فقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: وَلَيُشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ سورة النور: آية ٢. قال: الطائفة: الرجل فما فوقه وعن مجاهد قال: الطائفة: واحد إلى الألف. انظر: الدر المنثور ٦/ ١٢٦، واللسان (طوف).

٣٤ المفردات (طوف)

٣٥ المحرر الوجيز ٥/ ١٨٢.

٣٦ التحرير والتنوير ٢٧/ ١٠٥.

٣٧ جامع البيان ٢٢/ ٥٥٨.

٣٨ ينظر: إعراب النحاس ٥/ ١٠٣ والتبيان للطوسي ١٠/ ٩٢ والكشاف ٤/ ١٥٠ ومجمع البيان ١٠/ ١٠٥ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧ والفخر الرازي ١١/ ٣١/ ٩٤ والجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٨٣ وزاد المسير ٤/ ١٩٤ وأنوار التنزيل ٢/ ٥٢١ ومدارك التنزيل ٣/ ٦٢٤ ولسان العرب ١٤/ ٧٩ وتفسير اللباب ١٥/ ٤٣٤ والبحر المحيط ١٠/ ٣٢٧ وإرشاد العقل السليم ٦/ ٣٦٩ والبحر المديد ٧/ ١٢١ وفتح القدير ٧/ ٢٩١ وروح المعاني ٢١/ ٢١١ والميزان ١٩/ ٢١٨.

٣٩ ينظر: إعراب النحاس ٥/ ١٠٣ والتبيان للطوسي ١٠/ ٩٢ والوسيط ٤/ ٣٤٤ ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٥ ومعالم التنزيل ٨/ ٢٠٨ والكشاف ٤/ ١٥٠ ومجمع البيان ١٠/ ١٠٥ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧ والفخر الرازي ١١/ ٣١/ ٩٤ والجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٨٣ وأنوار التنزيل ٢/ ٥٢١ ومدارك التنزيل ٣/ ٦٢٤ وتفسير اللباب ١٥/ ٤٣٤ والبحر المحيط ١٠/ ٣٢٧ والبحر المديد ٧/ ١٢١ وإرشاد العقل السليم ٦/ ٣٦٩ وفتح القدير ٧/ ٢٩١ وروح المعاني ٢١/ ٢١١ والميزان ١٩/ ٢١٨.

٤٠ الدر المصون ١٠/ ٤٢٦.

٤١ ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧ وتفسير اللباب ١٥/ ٤٣٤ والبحر المحيط ١٠/ ٣٢٧ وروح المعاني ٢١/ ٢١١.

- ٤٢ ينظر: تفسير مقاتل ٣٩٣/٣ والكشاف ١٥٠/٤ وبحر العلوم ٤٨٩/٣ والفخر الرازي ٩٤/٣١/١١ والجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٨ وأنوار التنزيل ٥٢١/٢ وإرشاد العقل السليم ٣٦٩/٦ وروح المعاني ٢١١/٢١
- ٤٣ الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٨ وروح المعاني ٤٢/٢٩
- ٤٤ ينظر: المحرر الوجيز ٣٥٦/٥ ومجمع البيان ١٠٣/١٠ والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٨ وتفسير اللباب ٤٣٠/١٥.
- ٤٥ ينظر: المحرر الوجيز ٣٥٦/٥ ومجمع البيان ١٠٣/١٠ والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٨
- ٤٦ ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٨ وتفسير اللباب ٤٣٠/١٥.
- ٤٧ ينظر: تهذيب اللغة ٤١٥/١ والصاح ١٣٩ والمفردات ٢٤٧ ولسان العرب ٤٩/١٠ وتاج العروس ٦٢٥١/١٠.
- ٤٨ ينظر: معاني الفراء ١٧٩/٣ وجامع البيان ٥٦٦/٢٣ والتبيان للطوسي ٨٩/١٠ والكشاف ١٤٩/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٨ وتفسير اللباب ٤٣٠/١٥.
- ٤٩ ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٦٦/٥ والمفردات ٢٤٦.
- ٥٠ الكشاف ١٤٩/٤.
- ٥١ ينظر: جامع البيان ١٥٦/٦ ومعاني القرآن وإعرابه ١٦٠/٢ وإعراب النحاس ٢٨٢/٢ ومعالم التنزيل ٦٥٢/١ والكشاف ٦٠٠/١ والمحرر الوجيز ١٦٩/٢ وأنوار التنزيل ٤١٧/١ والبحر المحيط ٤٤٦/٣ وروح المعاني ٩٠/٦ والتحرير والتنوير ١٦٠/٤ و٤٢٠/١٢ والميزان ١٦٥/١٧
- ٥٢ التبيان للطوسي ٤٦٨/٣، وينظر: مجمع البيان ٢٦٥/٣.
- ٥٣ الكشاف ٦٠٠/١
- ٥٤ ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٦٠/٢ وإعراب النحاس ٢٨٢/٢ ومعالم التنزيل ٦٥٢/١ والكشاف ٦٠٠/١ والمحرر الوجيز ١٦٩/٢ وأنوار التنزيل ٤١٧/١ والبحر المحيط ٤٤٦/٣ وروح المعاني ٩٠/٦ والميزان ١٤٠/٥

٥٥ ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٦٠/٢ ومعالم التنزيل ٦٥٢/١ والكشاف ٦٠٠/١ والمحرر الوجيز ١٦٩/٢ وأنوار التنزيل ٤١٧/١ وروح المعاني ٩٠/٦.

٥٦ جامع البيان

٥٧ التبيان للطوسي ٤٦٨/٣ وينظر: الكشاف ١٠/٢ ومجمع البيان ٢٦٥/٣.

٥٨ التبيان للعكبري ١٨٠/١

٥٩ الأمثل ٥٣٠/١٥

(٦٠) ينظر: معاني الفراء ١٨٠/٣ ومعاني القرآن وإعرابه ١٦٧/٥ ومعالم التنزيل ٢٠٨/٨ والجامع لأحكام القرآن ١٨٣/١٨ والكشاف ١٥٠/٤ ومجمع البيان ١٠٥/١٠ والمحرر الوجيز ٣٥٨/٥ والفخر الرازي ١١/٣٠ / ٩٤ وأنوار التنزيل ٥٢١/٢ ومدارك التنزيل ٤٦٢/٣ وتفسير اللباب ٤٣٥/١٥ والبحر المحيط ١٠/٣٢٧ وفتح القدير ٢٩١/٧ والميزان ٢١٨/١٩.

(٦١) جامع البيان ٥٧٦/٢٣

(٦٢) نفسه، هامش ٢

(٦٣) التحرير والتنوير ٥٧٩/١٥

(٦٤) روح المعاني ٢١٢/٢١

٦٥ ينظر: التبيان للطوسي ٩٢/١٠ والفخر الرازي ١١/٣٠ / ٩٤ والجامع لأحكام القرآن ١٨٣/١٨ وتفسير اللباب ٤٣٥/١٥ والتحرير والتنوير ٧٩/١٥.

٦٦ ينظر: التبيان للطوسي ٩٢/١٠ والكشاف ١٥٠/٤ ومجمع البيان ١٠٥/١٠ والمحرر الوجيز ٣٥٨/٥ والفخر الرازي ١١/٣٠ / ٩٤ وأنوار التنزيل ٥٢١/٢ وتفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٨ وتفسير اللباب ٤٣٥/١٥ وفتح القدير ٢٩١/٧.

٦٧ روح المعاني ٢١٢/٢١

٦٨ الفخر الرازي ١١ / ٣٠ / ٩٤

٦٩ ينظر: المفردات ٧٩

٧٠ التحرير والتنوير ١٥ / ٥٧٩

٧١ ينظر: جامع البيان ٢١ / ٢١٧ ومعاني القراءات ٤١٦.

٧٢ ينظر: جامع البيان ٢١ / ٢١٧ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٦٢٦ والمحرر الوجيز ٤ / ٥٠٩ وأنوار التنزيل ٢ / ٣١٤ وتفسير

اللباب ٧ / ١٩٥ وفتح القدير ٦ / ٢٥١.

٧٣ [البقرة: ٩٤]، [الأنعام: ١٣٩]، [الأعراف: ٣٢]، [الأحزاب: ٥٠].

٧٤ الكشف ٢ / ٣٤١.

٧٥ ينظر: معاني القراءات ٤١٦ ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٦٢٦ والمحرر الوجيز ٤ / ٥٠٩ ومجمع البيان ٨ / ٣٦٦ والبيان

٢ / ٣١٦ والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٥٩ وفتح القدير ٦ / ٢٥١.

٧٦ ينظر: التبيان للطوسي ٤ / ٢٩١ والمفردات ٢٩٢ وتفسير اللباب ٧ / ١٩٥.

٧٧ الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٥٩.

٧٨ ينظر: معاني القرآن وإعراجه ٤ / ٢٣٥ وإعراب النحاس ٤ / ٤٥ والكشاف ٣ / ٣٧٨ والمحرر الوجيز ٤ / ٥٠٩ وأنوار التنزيل

٢ / ٣١٤ وإرشاد العقل السليم ٥ / ٤٢٨ والميزان ١٧ / ١٠٧.

٧٩ ينظر: المفردات ٢٩٢ و ٤٦٩.

٨٠ التحرير والتنوير ١٢ / ٢٤١ وينظر: روح المعاني ١٧ / ٤٦٢.

٨١ الفخر الرازي ٩ / ٢٦ / ٢٠٠.

صيغة (فَاعِلَة) في التعبير القرآني بين الاحتمال الصرفي والإعجاز البياني

٨٢ ينظر: معاني الفراء ١٣٠/٢ ومجاز القرآن ٣٨٩/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٠ ومعالم التنزيل ١٢٤/٥ وتفسير القرآن العظيم ١٣٣/٥.

٨٣ ينظر: تهذيب اللغة ٣١٧/٣ والصاح ٣٦٥/١ والمفردات ٤٦٢ والنهاية ٧٠٧/١.

٨٤ إعراب النحاس ٣٨٨/٢ وينظر: مجمع البيان ٢٨٧/٦ الجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٠ والميزان ١٠/١٣

٨٥ ينظر: المفردات ٤٦٢ والنهاية ٧٠٧/١

٨٦ معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/٣

٨٧ الكشف ٤٦٤/٢

٨٨ ينظر: التبيان للطوسي ٥٠٧/٦ ومجمع البيان ٢٨٧/٦ وأنوار التنزيل ٥٨٠/١ وتفسير اللباب ٣٧١/١٠ وإرشاد العقل السليم

٢٢٢/٤ والبحر المديد ٣٥٩/٣ وروح المعاني ٦٩/١١ والميزان ١٠/١٣

٨٩ الفخر الرازي ٣٣/٢١/٧

٩٠ المفردات ٤٦٢-٤٦٣ والنهاية ٧٠٧/١

٩١ ينظر: روح المعاني ٦٩/١١ والميزان ١٠/١٣ والامثل ١٠٨/٩

٩٢ ينظر: البسيط ١٤/٣ والفخر الرازي ٣٦/١٩

٩٣ ينظر: تفسير مقاتل ٣٧٦/٢

٩٤ الكشف ٦٨/٢ وينظر: المحرر الوجيز ٥٧٩/٤ وأنوار التنزيل ١٨٥/٢ وإرشاد العقل السليم ١٩٠/٣ وروح المعاني

٢٤٩/٤

٩٥ ينظر: الكشف ٤٥٤/٤ والدر المصون ١٩٢/١٠ وتفسير اللباب ٣٦٩/١٨

٩٦ الكشف ٦٣٩/٤ وينظر: المحرر الوجيز ١٩٨/٢ الرازي ٣٨٥/٢٩ البحر المحيط ٧٧/١٠ و٣١٤/١٠

- ٩٧ المحرر الوجيز ٢١٦/٥.
- ٩٨ المحرر الوجيز ٣٢٩/٥.
- ٩٩ المحرر الوجيز ٤٤٥/٥ وأنوار التنزيل ٣٣٩/٥ والبحر المحيط ٢٥٥/١٠.
- ١٠٠ الدر المصون ٥٤٨/٤ وينظر: تفسير اللباب ٤٤/٨.
- ١٠١ تفسير اللباب ٤٤/٨.
- ١٠٢ تفسير مقاتل ٥٩٠/١.
- ١٠٣ الكشف والبيان ٣٨/٤.
- ١٠٤ الكشف ٤١٦/٣ وينظر: تفسير الرازي ٢١٥/٢٤ وروح المعاني ٢٧٥/٤.
- ١٠٥ الكشف ٦٤/٢.
- ١٠٦ ينظر: التحرير والتنوير ١٢٠/٢٠.
- ١٠٧ معاني الفراء ١٠٣/٣.
- ١٠٨ ينظر: إعراب النحاس ٢٥٣/٤ والتبيان للطوسي ٤٢٩/٩ والكشاف ٣٥/٤ ومجمع البيان ٣٠٦/٩ والمحرر الوجيز ٢١٠/٥ والبيان ٤٠٢/٢ والجامع لأحكام القرآن ٨٧/١٧ والبحر المحيط ١٧١/١٠ وإرشاد العقل ٢٣٣/٦ وروح المعاني ٤١/٢٠ والتحرير والتنوير ٢١٦/١٤.
- ١٠٩ الكشف ٣٥/٤، وينظر: التبيان للطوسي ٤٢٩/٩ ومجمع البيان ٣٠٦/٩ والمحرر الوجيز ٢١٠/٥ والجامع لأحكام القرآن ٨٧/١٧ وأنوار التنزيل ٤٤٣/٢ وتفسير اللباب ٤٨٤/١٤ والبحر المحيط ١٧١/١٠ وإرشاد العقل ٢٣٣/٦ وروح المعاني ٤١/٢٠ والميزان ٢٧/١٩.

- ١١٠ ينظر: إعراب النحاس ٢٥٣/٤ والمحزر الوجيز ٢١٠/٥ والجامع لأحكام القرآن ٨٧/١٧ والبحر المحيط ١٧١/١٠ والتحرير والتنوير ٢١٦/١٤.
- ١١١ جامع البيان وينظر: روح المعاني ٤١/٢٠
- ١١٢ الفخر الرازي ٢٦/٢٩/١٠.
- ١١٣ ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٦٤/٥ وإعراب النحاس ٢٥٣/٤ والكشاف ٣٥/٤.
- ١١٤ ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٦٤/٥ والمحزر الوجيز ٢١٠/٥ والجامع لأحكام القرآن ٨٧/١٧ وروح المعاني ٤١/٢٠ والتحرير والتنوير ٢١٦/١٤.
- ١١٥ ينظر: الكشف والبيان ١٢٦/٢ والكشاف ٢٥١/١ ومعالم التنزيل ٢٦٧/١ وتفسير الرازي ٣٥١/٥ والبحر المحيط ٣٧٧/٢.
- ١١٦ ينظر: جامع البيان ٢٥٧/٤ والمحزر الوجيز ٢٧٨/١ وزاد المسير ١٧٣/١ وتفسير الرازي ٣٥١/٥
- ١١٧ زاد المسير ١٧٣/١
- ١١٨ ينظر: النكت والعيون ٢٦٧/١ وتفسير الرازي ٣٥١/٥ وتفسير اللباب ٤٧٧/٣.
- ١١٩ ينظر: تفسير اللباب ٤٧٧/٣
- ١٢٠ ينظر: الصحاح (كفف) ولسان العرب (كفف).
- ١٢١ جامع البيان ٢٥٨/٤ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٧٩/١ والبحر المحيط ٥٤٩/٨.
- ١٢٢ الكشاف ٢٥١/١.
- ١٢٣ البحر المحيط ٣٧٧/٢
- ١٢٤ ينظر: البحر المحيط ٥٤٩/٨.
- ١٢٥ معاني القرآن وإعرابه ٤٤٦/٢ وينظر: الوسيط للواحي ٣١٢/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٢/٣ وتفسير اللباب ٤٧٦/٣.

١٢٦ ينظر: تفسير اللباب ٣٧٣/٤.

١٢٧ نفسه ٣٨٨/١١

١٢٨ ينظر: البحر المحيط ٤٥٩/٨

١٢٩ ينظر: الدر المصون ١٨٥/٩ وتفسير اللباب ٦٢/١٦ وفتح القدير ٣٢٧/٤.

١٣٠ البحر المحيط ٤٥٩/٨.

١٣١ تفسير الرازي ٣٥١/٥

١٣٢ معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩/١

١٣٣ ينظر: الكشف ٢١٥/١ وزاد المسير ١٧٣/١

١٣٤ ينظر: الدر المصون ٣٦٢/٢ وتفسير اللباب ٤٧٦/٣.

١٣٥ التحرير والتنوير ٢٧٥/٢

١٣٦ ينظر: تفسير المقياس ٢٨/١ وتفسير مجاهد ٢٣١/١ وتفسير مقاتل ٤١/١ وتفسير عبد الرزاق ٨٢/١ ومعاني القرآن

للأخفش ١٨٠/١ وجامع البيان ٢٥١/٤ والكشاف ٢٥١/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٢/٣.

١٣٧ معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩/١ وينظر: الكشف ٢٥١/١ والمحزر الوجيز وأنوار التنزيل ١٣٣/١ ومدارك التنزيل ١٧٥/١

١٣٨ المحزر الوجيز ٢٨٢/١ والبحر المديد ٣٢٥/١

١٣٩ البحر المحيط ٣٤٠/٢ وينظر: الدر المصون ٣٦٠/٢ وتفسير اللباب ٤٧٥/٣.

١٤٠ الوسيط ٣١٣/١.

١٤١ تفسير الرازي ٣٥٣/٥.

١٤٢ مجاز القرآن ٤٥/١.

١٤٣ نفسه

١٤٤ معاني القرآن للنحاس ١/١٥٣.

١٤٥ الكافي / ١، ٤١٧، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٢٩.

١٤٦ تفسير علي بن إبراهيم / ١، ٧١.

١٤٧ أمالي الشيخ الطوسي / ١، ٣٠٦.

١٤٨ تفسير العياشي ١/١٠٢، ح ٢٩٤ وينظر: اثبات الهداة ٣/٤٥ وبحار الأنوار ٧/٢٣ والبرهان ١/٢٠٨ وتفسير الصافي

١/١٨٢

١٤٩ البرهان ١/٢٠٨

١٥٠ جامع البيان ٤/٢٥٧

١٥١ الوسيط ٣/٤٩٥

١٥٢ روح المعاني ١/٣٢٥

١٥٣ تفسير مقاتل: ٣/٤٢٣

١٥٤ تفسير مجاهد: ١/٦٨٧

١٥٥ جامع البيان ٢٤/٧١.

١٥٦ ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٥٣ وتفسير الوسيط ٤/٣٩٣ والكشف والبيان ١٠/٨٧ والمحرر الوجيز ٥/٣٧٧ وزاد

المسير ٢/٦٢ وتفسير الرازي ٣٠/٧٣٠ ومعالم التنزيل ٨/٢٨٤ والتبيان للعكبري ٢/١٢٥٤ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٤

واللباب ١٩/٥٦٦ وبحر العلوم ٣/٥٢٢

١٥٧ تفسير مقاتل ٥/١١٦.

١٥٨ نفسه

١٥٩ جامع البيان ٧٣/٢٤

١٦٠ تفسير اللباب ٥٦٢/١٩

١٦١ تفسير اللباب ٥٦٥/١٩ وينظر: تفسير الرازي ٧٣٠/٣٠

١٦٢ مجمع البيان ١٧٦/١٠

١٦٣ ينظر: التوحيد ٢٦٢.

١٦٤ ينظر: عيون أخبار الرضا ١١١/٢.

١٦٥ ينظر: جامع البيان ٧٠/٢٤-٧١ والجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١٩

١٦٦ التبيان للطوسي ٢٢٦/١ و ١٨٩/١٠

١٦٧ التبيان للطوسي ١٨٩/١٠

١٦٨ ينظر: مجمع البيان ١٧٦/١٠ والتفسير الأصفى ١٥٩/٤

١٦٩ ديوانه

١٧٠ تهذيب اللغة ٢٦٦/١٤

١٧١ ينظر: مشكل إعراب القرآن ٧٧٨/٢.

١٧٢ الجامع لأحكام القرآن ١٠٩/١٩.

١٧٣ ينظر: البحر المحيط ٣٥١/١٠ والدر المصون ٥٧٦/١٠ وتفسير اللباب ٥٦٦/١٩.

١٧٤ مجمع البيان ١٧٧/١٠.

١٧٥ ينظر: النكت والعيون ١٥٦/٦ والمحزر الوجيز ٣٧٧/٥ وتفسير الرازي ٧٣٠/٣٠ والجامع لأحكام القرآن ٣٩٥/٣

١٧٦ ينظر: تفسير الأصفى ١٥٩/٤ ونور الثقلين ٦٣/٨ ومجمع البيان ١٧٦/١٠ وكنز الدقائق ٢١٦/٢ والأمثل ٢٢١/١٩ والميزان ٦٤/٢٠.

١٧٧ مجمع البيان ١٧٦/١٠

١٧٨ الكشاف ٦٦٣/٤ وينظر: ٣٥٠/١.

١٧٩ البحر المحيط ٣٥١/١٠ والدر المصون ٥٧٦/١٠ وتفسير اللباب ٥٦٥/١٩

١٨٠ التبيان للطوسي ٨٦/٨.

١٨١ لم أقف على قائله وهو من شواهد الطوسي في تفسيره ١٨٩/١٠.

١٨٢ لم أقف على قائله وهو من شواهد الكشاف ٦٦٢/٤ الفخر الرزي ٧٣١/٣٠.

١٨٣ التبيان للطوسي ١٩٠/١٠

١٨٤ الاخفش ٣٣٠/١ وينظر: ٥٥٨/٢.

١٨٥ نفسه

١٨٦ نهج البلاغة الحكمة ٢٥.

مصادر البحث ومراجعته:

* إثبات الهداة: محمد بن الحسن الحرّ العاملي (١١٠٤)، المطبعة العلمية قم، (د.ت).

* ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ) ، ط ٤ ،

دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

- * إعراب القرآن : ابو جعفر احمد بن محمد بن النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تعليق : عبد المنعم خليل ابراهيم ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- * الأمالي . محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى ١٤١٤، دار الثقافة.
- * الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، تد : الشيخ مهدي الأنصاري ، قسم الترجمة و النشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
- * أنوار التنزيل وأسرار التأويل : القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البضاوي (ت ٧٩١هـ) ، تح: عبد القادر حسونة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م .
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ع) ، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) ، تعليق الشيخ علي الشاهرودي ، مكتبة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٨هـ .
- * بحر العلوم (تفسير السمرقندي) ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي الحنفي / ت ٣٧٣هـ ، بيروت تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود وزكريا النوتي ، دار الكتب العلمية
- * البحر المحيط في التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، عناية : الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م .
- * البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني ت ١٢٢٤هـ ، تحقيق عمر أحمد الراوي دار الكتب العلمية ٢٠١٠م .

- * البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تد : محمد أبي الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية - مصر ١٩٥٨ م .
- * تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٥٠هـ) . طبعة الكويت ، عدة محققين .
- * التبيان في تفسير القرآن : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تد : احمد شوقي الامين واحمد حبيب قصير - المطبعة العلمية ، ومطبعة النعمان - النجف الاشرف ١٩٥٧ م .
- * التبيان في اعراب القرآن : ابو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) تد : علي محمد البجاوي - دار احياء الكتب العربية - (د.ت) * التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، ط ١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .
- * تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، مكتبة الصدر ، إيران ، ١٣٧٩ هـ .
- * تفسير فرات ، فرات بن إبراهيم الكوفي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف).
- * تفسير الامام العسكري . الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليهم السلام .
- * تفسير العياشي ، أبو نصر محمد بن مسعود العياشي ، الأعلمي ، بيروت ، ٢٠١٠ م.
- * التفسير البسيط ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار العماد ، دمشق ، ٢٠١٣ .
- * تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط ٥ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

* التفسير الكبير او مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري الرازي (ت ٦٠٤هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ .

*تفسير مجاهد أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

*تفسير نور الثقلين ، الشيخ عبد العلي بن جمعة الحويزي (ت ١١١٢هـ) ، تحقيق رضا عياش ، دار المحجة البيضاء ، ٢٠١٥م.

* تفسير اللباب في علوم الكتاب ، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١١ .

* التوحيد ، الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي ت ٣٨١هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران .

* تهذيب اللغة : ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ) تد : يعقوب بن عبد النبي ، مراجعة : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨م .

- * الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، خرج احاديثه محمد بن عيادي ، الدار البيضاء ٢٠٠٥م .
- * حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) ، تد : محمود بن الجميل - الطبعة الاولى - مكتبة الصفا - القاهرة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- * الحجة في القراءات السبع : لابي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق احمد مزيد المزيدي ، قدم له د. فتحي حجازي ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان (د.ت) .
- * الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي (أحمد بن يوسف ت ٧٥٦ هـ) تحقيق احمد محمد الخراط ، ط ١ ، دار العلم دمشق ، ١٩٨٦ .
- * الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي (ت ٩١١هـ) ، بعناية الشيخ نجدة نجيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت . داق لتريف
- * روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر - بيروت
- * روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي،، تعليق محمد أحمد الأمل وعمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩ .
- * زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، ط ١ ، المكتب الإسلامي لطباعة ، دمشق ، ١٩٦٤م .

* سمط اللآلئ

* شرح الاشموني على الفية ابن مالك ، الاشموني (نور الدين ابو الحسن علي بن محمد ت ٩٢٩ هـ) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة.

* شرح المراح في التصريف ، العيني (بدر الدين محمود بن احمد ت ٨٥٥ هـ) تحقيق عبد الستار جواد ، بغداد ٩٩٠ م .

* شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاستربادي (ت ٦٨٦ هـ) مع شرح شواهد، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان .

* شرح الكافية ، رضي الدين الاستربادي ، القاهرة ، ١٣٠٥ هـ .

* شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ) ، عالم الكتب- بيروت

* الصحاح ، معجم الصحاح قاموس عربي عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ن بيروت ، ٢٠٠٨ م.

* عيون أخبار الرضا ، ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ ، الكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م.

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الاولى، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.

* الكافي للكليني ، ضمن موسوعة الكتب الأربعة ، دار المطبوعات ، لبنان ، ٢٠٠٩.

- * الكتاب : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) - تد : عبد السلام هارون ، ط ٣ ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- * الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ط ١ ، دار الفكر ، ١٩٧٧ م
- * الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي ، أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي ت ٤٢٧ هـ ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- * كنز الدقائق ، الميرزا محمد المشهدي ت ١١٢٥ هـ ، قم ، جامعة المدرسين .
- * لسان العرب : ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦ م
- * ليس في كلام العرب : ابن خالويه ، لابي عبد الله الحسين بن احمد (ت ٣٧٠هـ) ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- * مجاز القرآن : ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) - معارضة وتعليق : محمد فؤاد سزكين - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
- * مجمع البيان في تفسير القرآن : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ، ط ٢ ، دار الكتاب ، ودار الفكر ، بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
- * المحكم والمحيط الأعظم : علي بن اسماعيل (ابن سيده ت ٤٥٨هـ) ، تح جماعة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- * المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق ابن عطية ت ٥٤١ هـ تحقيق احمد صادق الملاح ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٤ م .
- * المخصص : ابو الحسن علي بن اسماعيل (ابن سيده) ، دار الفكر .
- * مدارك التنزيل (تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التأويل وحقائق التأويل) النفسي (ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمد ت ٧١٠ هـ) بيروت ، ١٩٧٨ .
- * مشكل اعراب القرآن ، مكي القيسي ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٧٥ م .
- * معالم التنزيل تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م
- * معاني القرآن : ابو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الاوسط (ت ٢١٥ هـ) ، تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣ هـ .
- * معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣ هـ .
- * معاني القرآن وإعرابه : ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٨ هـ .

- * مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : جمال الدين بن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) ، تد : د. مازن المبارك
ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، الطبعة الخامسة ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٧٨هـ .
- * المفردات في غريب القرآن : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ،
تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت)
- * المفصل في علم العربية : الزمخشري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، (د.ت)
- * المقاييس في اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تد : شهاب الدين ابو عمرو ، الطبعة
الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .
- * المقتضب : ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب
، بيروت . دت .
- * الميزان في تفسير القرآن : السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، بغداد
- * النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ) ، تد : السيد عبد
المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧ .
- * نهج البلاغة : تحقيق صبحي الصالح ، ١٤٢٩هـ ، مطبعة وفا ، أيران ، قم

القَصْدِيَّةُ فِي سُورَةِ التَّكْوِيْنِ

م.م. حكيم موحان الموسوي

توطئة :

يدعو البحث عن القصد أو القصدية في النصوص التراثية إلى استحضار حيثيات متعددة من أجل الوقوف على المراد أو ما يقاربه؛ ذلك أن الوصول إلى قصد النصوص _ أو مراد المتكلم _ تتحقق بموجبه المنفعة أو الهدف من عملية التواصل المعقدة .

ألا أن البحث عن القصدية داخل النصوص المقدسة (القرآن وغيره) يسير وفق معطين مختلفين لابد من ربطهما بعلاقة جدلية حتى لا يؤدي إلى التعارض أو انحسار المعاني وتقييدها في بوتقة التاريخ، فمن جهة يستدعي البحث عن القصد في النص القرآني استحضار الذات القائلة أو محركاتها بنحو المقاربة من خلال النص، ومن جهة ثانية يستلزم الحديث عن القصد سلماً تراتيبياً من المقاصد؛ والسبب في ذلك حتى لا تصاب النصوص المقدسة بالجمود، فالوصول إلى قصد ما في نص قرآني محدد لا يعني بالضرورة هو الغاية القصوى لمراد الله وقصده حتى يتسنى للنص أن يكون مساهماً لعنصر الزمان ولا يؤدي حتمية القصد فيه إلى جموده ومن ثم اندثاره . فالنص _ أي نص _ ليس عبارة عن متوالية نصية تحكمها جملة من المعايير التركيبية فحسب، بل هناك أمور أكبر من التركيب أولها دواعي نشوء تلك النصوص أو مناسبات إطلاقها والغاية منها، فهناك جملة من علامات الاستفهام تتردد بكثرة عن الحديث عن القصد أولها : هل القصد كامن في النص أم بنوعية القراءة ؟ بمعنى هل القصد معطى بنيوي ذاتي يبحث عنه القارئ ويجده ؟ أو هو مجموعة إجراءات ومسارات يستعملها القراء بغية الوصول إلى القصدية انطلاقاً من مجموعة من الإشارات والرموز ؟ أو القصد أمر خارجي عن طبيعة تلك النصوص التي شكلتها الرموز المنسجمة .

المبحث الأول

المجال اللغوي والاصطلاحي والفلسفي للقصد

أ- في اللغة والاصطلاح :

قال ابن فارس : ((القاف والصاد والدال، أصول ثلاثة يدل أحدهما على إتيان الشيء، والآخر اكتناز في الشيء، والأصل قصدته قصداً مقصداً))^(١)، أما ابن منظور فيرى أنَّ القصد استقامة الطريق، قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً، فهو قاصِدٌ، بمعنى التوجه نحو الشيء))^(٢) .

أما اصطلاحاً : فلم تكن القصدية حكراً على اتجاه دون آخر أو فلسفة دون أخرى، فتنوع المدارس الفلسفية عبر الزمن _ كالظاهرانية و المدرسية و فلسفة القرون الوسطى _ رسمت للقصدية أبعاداً متعددة تعدد على إثرها الحد المنطقي للقصدية ، فهي عند فلاسفة القرون الوسطى تعني ((الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع لكي يدركه، والقصدية هي خاصية الشعور حينما يشير أو يتجه نحو الشيء ليدركه))^(٣).

في حين نجدها عند سورل أنها ((قدرة العقل على أن يوجّه ذاته نحو الأشياء التي يمثلها، وهي خاصية للعقل (يتجه) عن طريقها إلى الأشياء في الواقع أو يتعلق بها، والحالات العقلية تكون قصدية بمعنى أنها تكون حول شيء ما وموجهة نحو شيء ما وتمثل شيئاً ما ... ويتضح من التفريق أعلاه أنه يتميز بخصال ثلاث، أولها : أنه عقلي في التصور، والثانية : أنه يتصف بالإنجاز في التوجه، والثالثة : أنه ذهني التعليق، فالمُتَكَلِّم كي يملك حالة قصدية لابد أن يملك الحالات هذه))^(٤) .

في حين نجد بعضهم يفرّق بين مصطلح القصد والقصدية، فالقصد خاصٌ لزمن من الأزمان، أما القصدية فهي مطلقة عامة تشمل المقاصد لكل زمان ومكان، ويمكن للمتلقي بلحاظ استجابته للقواعد والأصول التفسيرية أن يصل إلى ذلك القصد^(٥)، إلا أن في تفريق الباحث هذا لا توجد قرينة لا لفظية ولا مقامية فرّق على ضوءها بين القصدية والقصد سوى استحسان المدلول التركيبي للكلمة .

وخلاصة القول في المعنيين اللغوي والاصطلاحي : هو أنَّ القصد أو القصديَّة في المفهوم العام هو الوصول إلى المعنى القابع خلف إمَّا ستار اللفظ أو ذهن المتكلم مادامت هناك بديهية ترى أنَّ المتكلم يقصد إفهام المخاطب إثباتًا لمعقولية النَّصِّ وإمكان فهمه، فعلى المتلقي الكشف عن هذه المعايير وصولاً إلى مراد المتكلم أو ما يقارب مراده .

لذا لزم الالتماس أو التحري عن آلية للوصول إلى فهم مقصد الكلام، ثم ما مدى الاهتمام بالمعنى الحرفي في تحديد مقصد ما ؟ كيف تغادر النصوص معانيها الأصلية لتحل محلها معانٍ جديدة اقتضتها طبيعة الخطاب وإمكان توصيله ؟ أين تكمن القوة الإنجازية للغة المباشرة وغير المباشرة ؟ ما دور الافتراضات المسبقة (الخارجية) في الوصول إلى غاية النَّصِّ ومقصديَّته ؟

كل هذه التساؤلات وغيرها لابدَّ أن يستحضرها المتلقي عند الحديث عن القصد أو القصديَّة .

بـ_ قصدية النصوص المقدَّسة :

النَّصُّ اللغوي (نصٌّ) سواء أكان شعراً أم نثرًا، آية قرآنية أم إنجيلية أم توراتية، مادام اللغة العنصر المكوّن له . ولا تختلف هذه النصوص عن غيرها سوى قداستها وارتباطها بمتكلم غيبي جعل من اللغة وسيلة الاتصال لإيصال رسالته، ولما كانت الألفاظ القالب الذي تصاغ فيه الكلمات أو الجمل كان لزامًا على منشئ الرسالة أن يُودع قصده في تضاعيف هذه المفردات، ربّما تكون مبعثرة بين الاشتراك والترادف والتضاد اللغوي (اللفظي) فيلجأ فاهم الخطاب الى التفتيش عن المقصديَّة في أسوار النَّصِّ، وهي إمارات أو قرائن تُعين على فهم النَّصِّ ثم البحث عن قصديَّته . ولعلَّ مهام القارئ تزداد تعقيدًا وصعوبةً كلّما ابتعد عن النَّصِّ عن زمان نشوئه وصيرورته، إذ لا تنحصر مهمة القارئ فيما أراده صاحب النَّصِّ فحسب، بل يلتفتُ إلى ما يسكت عنه القول بالذات، مبيّنًا ما يمارسه الخطاب من الحجب والاستبعاد والتلاعب، كاشفًا عمّا يتوارى خلف المقولات من البنى العميقة أو الآليات اللامعقولة أو الممارسات المعتمدة))^(٦) .

لكن هناك مشاكل تواجه القارئ _ يكمن أغلبها في اللغة _ فاللغة تتيح لنفسها حمل قصود المتكلمين المتعددة، لكنها في الوقت نفسه تمارس سلطة دلالية مقابلة، بمعنى أنها تحمل المعنى وضده، فعند ذلك يلجأ معظم الدارسين للقصدية إلى تبين المبادئ العامة التي تتحكم بتوجيه قصد المتكلم وسط هذه المتعارضات بل المتناقضات أحياناً، من هذه الآليات معاني الكلمات وعملية الفهم المسبق، فضلاً عن العمليات الذهنية التي يمارسها العقل من أجل ربط النصوص بالقصود المتواردة نتيجة تماهي بعض النصوص داخل معاني بعض .

أضف إلى ذلك أن القصد مع النصوص المقدسة يكاد ينحصر _ معظمه _ في الجانب التشريعي فحسب؛ والسبب في ذلك براءة ذمة المتلقي من الوقوع في الخطأ فلا بد أن يقف على مراد الله ولو بنحو المقارنة أو المحاكاة .

لذا نلاحظ بقاء خزين من المعاني والقصود البعيدة عن المراد؛ بسبب تحكم القبلية الشرعية في التعاطي مع هذه النصوص، فعملية فهم النص

ليست بالأمر الهين بل هي عملية معقدة جداً ومتشابكة، شريطة أن يعمل المتلقي _ للنص _ المقدس على فهم آليات تحقق المعنى أو القصد غائصاً في تفاصيلها وجزئياتها، ومهما بلغت اللغة في كمالها وجمالها تبقى معانيها حبيسة قواعد وآليات شكلتها الظروف والبيئات على امتداد المسيرة التاريخية للغة ((فالقرآن باعتباره لغة الوحي، فهو لا يخص خطاباً فئة محددة من الناس أو زماناً مخصوصاً، وإنما هو خطاباً للحقيقة البشرية وللطبيعة التي تتمظهر وفق خصوصيات ثقافية واجتماعية متجاوزة، وتستمر في التمظهر في حالة سيولة مع حركة الواقع))^(٧) .

وعليه نقرر أن الألفاظ تقوم بدور الكشف عن القصد، وليست المعاني هي القصد بحد ذاتها، فهناك جانبان في أي نص ، جانب موضوعي، يشير إلى اللغة، وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة . وجانب ذاتي يشير إلى فكر المؤلف ويتجلى في استخدامه الخاص للغة^(٨) .

وما يمكن ملاحظته ف يهذا الحقل أنَّ أغلب المشتغلين في دائرة النصوص المقدَّسة يجنحون نحو دائرة التَّأويل؛ لأنَّ بعض الألفاظ عند التركيب تحمل دلالات مفارقة ومتباعدة عن المبنى الوضعي، بل ربَّما أصابها التعارض كما هو الحال في المفارقة في النصوص القرآنية فقله تعالى : {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان: ٤٩]}، يقول ابن عربي : ((فما في الكون كلام لا يتأوَّل، فمن التَّأويل ما يكون خطأ عن مراد المتكلِّم، وإن كان التَّأويل إصابة في كل وجه، سواء أخطأ مراد المتكلِّم أم أصاب))^(٩)، ولا تختلف النظرة إلى القصدية بين العرب وغيرهم لكنها تختلف بنحو الفهم المسبق لآليات تحققها والتعاطي معها، فهناك من يجعلها مقتصرة على المتكلِّم دون المخاطب وهناك من يجعلها سابقة على فعل الكتابة أو التلفظ كـ(غريماس)، ومن يجعلها ميكانيكية موجهة كأوستن، وغرياس، وسورل^(١٠).

أمَّا هيرش فإنَّه يفترض أنَّ معرفة مقاصد المؤلف هي التي تحدد معنى النَّصِّ؛ لأنَّ المقاصد هي

المميز الملائم، وعليه فإنَّ بذل أي مجهود لمعرفة مقاصد المؤلف هو خطوة في سبيل الوصول إلى تأويل موضوعي يحدُّ من باب التَّأويلات^(١١). وملاك القول : إنَّ البحث عن القصدية داخل النصوص المقدَّسة يستدعي وسمها (بالتاريخانية) لذا ومن أجل التخلص من ذلك الوسم الذي يصيب تلك النصوص بالعجز أو الركن في زوايا الزمن نظرًا إلى القصد وفق مبدأ التراتب السلمي ليتسنى لتلك النصوص أن تحيا مع الزمن، فربَّما فهم نصٍّ ما في زمنٍ ما لكن تغيَّر ذلك الفهم تبعًا لتغيَّر الحياة ومتعلقاتها، والقصد يدور مع دوران النصوص، وهو أيضًا يتَّبَع نظامًا هرميًا يعمد إلى إبراز القصد (في النَّصِّ المقدَّس) تبعًا للظروف الزمكانية وغيرها، فقد يدلُّ النَّصُّ على معانٍ متكافئة لا تملك اللغة ولا يسع أساليب التعبير العرفي الترجيح بينها لصالح معنى خاص، فيكون اللفظ عندها مجملًا، ويكون حمل أي من المعاني المحتملة أو نفيها نابعًا من مرجح خارجي، أي : ثبوت ذلك المعنى والوصول به إلى القصد نابع من أسباب مستقلة عن لفظ النَّصِّ^(١٢).

المبحث الثاني

مقصدية الأُطر الخارجية

أ- ظرفية السورة ومناسبتها :

هناك بعض الإجراءات العملية لابدَّ من القيام بها للوصول إلى قصد النصِّ أو مراد متكلمه، ومع النصوص المقدَّسة برز بؤادر عدَّة تساعد في الكشف عن ذلك القصد أو المراد .

من هذه الإجراءات معرفة ظرف السورة، ومناسبة نزولها، وإن كان هذا لإجراء يؤدي في حالة الارتكاز عليه إلى وصف النصوص المقدَّسة بالتاريخية وهو الأمر الذي لايسمح بتداول القصود تبعاً لتغاير الزمان عند القصد الأول لذا جنح علماء القرآن إلى وضع ضوابط تحدِّ من هذه الظاهرة لقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وغيرها من القواعد التي تساعد على إبعاد النصوص الدينية من أن توصف بالتاريخية، فضلاً عن أسباب نزول الآيات والمناسبة التي من أجلها صيغ الخطاب .

فسورة التكاثر جاءت مُحاطةً بهالة دلالية قام بها سبب نزول اختلف في تحديده لكنه يدور أغلبه

حول ثيمة دلالية مركزيَّة هي التفاخر بالأولاد والأموال والأموات حتى نسوا هؤلاء ذكر الحياة الأخرى التي سرعان ما يكون ورودهم عليها وهم في غفلة يسبحون* .

تعطي مناسبات السورة وظروفها دفعة دلالية مشحونة بتصورات ابستمولوجية متعددة يشكل بعضها علّة لبعض، وهذه الظروف وإن كان مكانها خارج الشكل العام للنصِّ لكن ظلالها الدلالية رسمت بؤرة اسانية استطاعت أن ترسم معنىً في طريق الوصول إلى القصدية، بمعنى ((أن أسباب النزول لم ينظر إليها على أنها مجرد معطيات تاريخية خارجية، بل تمَّ التعامل معها على أنها خلفيات سياقية حيوية بالنسبة إلى مَنْ يريد فهم النصِّ وتفسير معانيه))^(١٣) .

إذا تمارس هذه المخرجات النصّية الخارجية دور الكاشف عن المعنى ثم ما تلبث أن تصبح بؤرة دلالية تختصر الكثير من الزمن للوصول إلى قصد المتكلم أو مراده، وبين سبب النزول ومناسبة الآية ونصّ الآية علاقة إحالية دلالية، فقد نظر علماء القرآن إلى النصّ نظرة لا ينفصل فيها

داخله عن خارجيه، فبقدر ما للنص تحقيقاته الداخلية المخصوصة (علاقة النص بذاته) له أيضاً مقتضيات خارجية (علاقة النص بأبعاده التكوينية) لا يستقيم فهمه بتتحيها وإقصائها ؛ ((ذلك أن النص يتضمن في ذاته قوة إحالية على تلك المقتضيات، وهو يستمد قوته من كونه نصاً نزل لينظم حياة الجماعة المسلمة ويوجهها في كافة مناحيها، أي من كونه نصاً يبطن الشروط التداولية لإعماله)) (١٤) .

ولما كانت الرؤى حول ظرفية الآية ومناسبتها ترتكز إلى عنصر الرواية التاريخية تعددت وقف ذلك الفهم وطرق الإيراد، لذا نلحظ غياب القصد العام أو المغزى الأساس من إيراد سبب النزول أو المناسبة المقتضية لورود الآية، فأسباب النزول تقوم بعملية الإحالة على النصوص، وأن هذه الأخيرة يبقى عليها شيء من الضبابية ما لم يتلمس النور لها داخل أسباب النزول ((فهي _ أسباب النزول _ لاتمثل طائفة من الوقائع والقرائن السياقية المستقلة بذاتها النص، بل إنه يضمها

ويحيل عليها في دواخله، فهي غير منفكة عنه)) (١٥) .

ب_ مقصدية الخطاب الملكي :

صُنِفَت آيات الكتاب العزيز إلى قسمين رئيسين، هما الآيات المكية والمدنية؛ لاعتبارات ذكرها أهل التصنيف في علوم القرآن وما يعيننا هنا مدى مشاركة العنصر (الزمانى) للآيات في الكشف عن القصد أو المراد، إذا ما علمنا أن لعنصر الزمكان مدخلة في اصطباغ الخطاب تشكله استناداً إلى مقتضيات الحال والمقام .

فسورة (التكاثر) مكية، وبمجرد أن تُصنّف على ضوء ذلك تتداعى إلى أذهاننا حمولات لسانية متنوعة تعمل على وصف الخطاب المكي بجملة خصائص من ضمنها أنه يحمل قصداً معيناً، إن على مستوى الأداء (الصياغة) وإن على مستوى الدلالة أو القصد .

فحضور أساليب القسم والاستفهام والعقيدة والعذاب واليوم الآخر وغيرها، ساعد على التنقيب عن الغايات والمقاصد التي يريد المتكلم أن يوصلها، ولعل الناظر إلى منطلق الدعوة المحمدية أوائل

أيامها أنَّها تركزت على مسائل الإيمان بالله واليوم الآخر، لذا حملت سورة التكاثر بين أبعادها بعداً مفارقياً واضح المعالم، فكيف بأناس لم يعرفوا مسألة واحدة في الروحانيات أن ينشد ذهنهم إليها؟ والسبب في ذلك هو أن تمسّ تلك الوجدانيات قلب وضمير الذين عنوا بالخطاب بنحو العموم لاسيماً وأن الأرضية كانت وقتئذٍ ملائمة لمثل هكذا خطاب، فالشعر والكهانة والسجاعة أعمال وممارسات طبيعية عند هؤلاء^(١٦) .

فالسباق المكي أو المدني لم يكن التفريق بينهما مبنياً على جرد خارجي لفضاءات النزول بل كان تموقعاً في قلب النص وتتبعاً داخلياً في حركته الدلالية المتنامية، فالتفريق هنا، وإن توسلت بمعيار خارجي هو معيار (المكان) فإنّها لا تقع خارج النص بل في دواخله، وتجري منطبقة على مضامينه، وهو ما جعل منها تفرقة دلالية تتيح للمفسر سبيل التعرف إلى هوية النص والاقتراب من سيروته التنزيلية^(١٧) .

فورود ألفاظ مثل (الجنة، النار، الشياطين، الموت، البرزخ ...) ساعد على تأليف مكونات

بنيوية واصفة تدرك بالوجدان وليس بالعيان، بمعنى أن الخطاب وإن تشكّل داخل حلقة لسانية خاصة به استطاع مداعبة مشاعر ووجدان المتلقين، إلا أنَّ هذه العبارات لا تصنع أحداثاً كلامية مكتملة _ حسب نظرية الأفعال الكلامية _ بل تشكل مضامين خبرية فقط (الفعل التأثيري) ، فالحدث الكلامي المكتمل يتضمن أيضاً ما يطلق عليه المكون التحقيقي الذي يحدد الحدث المرتبط بالقول^(١٨) .

والواضح على سورة التكاثر أنَّها حلقة وصل بين عالمين : عالم الحياة، وعالم ما بعد الموت؛ إذ تكمن فلسفتها في عملية تواصل هذين العالمين، فالأول مشاهد ومعاش، والآخر معاش بنحو (التعبّد) وليس التحقق .

ولعلّ الخطاب القرآني إلى حدٍّ بعيد في نقل الصور المشاهدة في ذلك العالم بواسطة لغة عميقة ذات أفكار متأججة، ويكون الحوار فيها باستدرار العاطفة مع الحفاظ على الإيقاع الذي يوحي بأنّه كلام ليس من كلام البشر^(١٩) .

استطاعت الآيات المصنفة بالمكية أن تشكّل أشبه ما يكون بالسياق الثقافي ذلك الحامل للثقافة واللغة وشكل الخطاب، ممّا ساعد على إعطاء صورة واقعية عن النصوص كي لا يزيغ القصد، ويُبعد المنال، فالسياق الثقافي يُمكننا من تبيين علاقة خطاب معيّن بغيره من الخطابات الأخرى داخل سياق ثقافي محدد^(٢٠).

فلم يكن توصيف الآيات (المكية أو المدنية) حدثاً عابراً أم أنهما مجرد مكانين أو زمنين يدلان على حقبة من الزمن أو بقعة من الأرض، بل كانا شحنة دلالية متمركزة يعكس فاعلية الخطاب وتتجز مقاصده، يقول د. محمد عبد الباسط : ((لقد تشكّل النصّ هنا، في هذا المكان بكل ما في المكان من أحداث وصراعات وثقافات، وبكل ما ينطوي عليه النص من طاقات تؤسس فيها بداياته لنهاياته، وبذلك غدا المكان ليس فقط سياقاً للقول فيه يجري وبه تتحدد لكنه غدا أيضاً حقيقة سيموطيقة))^(٢١).

لقد كان الهدف الأسمى من معرفة مكيّة الآية من عدمها هو الوصول إلى فهم أعمق وأدق للمقاصد

التي من أجلها صيغ الخطاب؛ ذلك لإدراك حكمة المرسل الذي استطاع أن يصور لنا تلك المشاهد ويختزل دورة الحياة والموت بدلائل وعبارات حيث شكّل عنصر الزمان والمكان البوابة الرئيسة للولوج إلى عالم القصد ((فالمكان هنا لا يمثل مجرد سياق فضائي خارجي اقترنت به أطوار النزول، إنه بالأحرى مقوم حيوي من مقومات البناء الدلالي للنصّ))^(٢٢).

المبحث الثالث

مقصديّة الخطاب الافتتاحي

يشكّل حضور عناوين أو الاستهلالات (النصوص الموازية) حضوراً فاعلاً عند من يبحث عن المقصدية للنصوص المعنونة، فالعنوان أو النص الموازي ليس محصوراً لتبيين دلالة النص أو تمييزه فحسب، بل البصر بآليات إنتاج النصوص وتكونها، فالمسافة التي يشغلها العنوان منوطة بإعطاء بعد مقصدي يعكس علاقة ذلك العنوان بالقصد العام أو الخاص للسورة، لذا سواء أكانت تسمية السورة وقفية أم وضعية، استطاع واضع عناوين السور أن يكون في وضعه قصديّ

صرفاً حتى يتسنى للقارئ معرفة السور من عناوينها وما تشكله تلك النصوص الموازية من محفزات أو مثيرات استجابة لاسيما في النصوص التي يشكل عنصر الغيب فيها المركز أو اللوغوس ((فقد استطاع العنوان أن يختزن مجموعة من دلالات وإيماءات ومرموزات من شأنها تعميق الموضوع ومنحه أبعاداً متعددة، إذ لا بد له أن يجتذب ويستقر ويستوقف القارئ)) (٢٣) .

أ- مقصدية ثرياً النص :

تشغل العناوين أو ثرياً النص _ كما يسميها بعض المحدثين _ مكانة مهمة في علم السيميائيات، وتأتي أهميتها من خلال الحيز اللساني الذي يتشكل في ضوئها، إذ شكلت رغم كثافتها واختزالها بعداً معرفياً حيث تعتمد البنية الداخلية لأي عنوان على ثراء الكلمة وعلى قابلية إثارة التأويل والتداعي، ف((النص ليس جملاً مترادفة يقولها راوٍ أو متكلم، وإنما هو نسيج يرتبط بالبداية الاستهلاكية من خيوط ممتدة منه وإليه)) (٢٤) .

وبقدر ما يحمله النص الموازي من أبعاد إيحائية تنقل لك زبدة النص المعنون يساعد في مرحلة

أخرى في الكشف عن مقصدية النص وإن بنحو العموم، فهو وإن كان يمثل إحالة إلى النص المعنون إلا أنها إحالة قصدية؛ إذ غالباً ما يمارس العنوان سلطة طويلة لا تتحكم بالنصوص فحسب بل حتى مزاج القارئ؛ لأنها _ أي العناوين _ تشغل ميزة أساسية وهي الحمل الدلالي لبقية النص، بوصفها أجزاءً سيميائية مكثفة، يقول بسام قطوس : ((العنوان نظام سيميائي طافح بالأبعاد الدلالية، إنه يشكل المفتاح، لكنه غير ثابت، ويمثل الوسم، لكنه غير معلل، فالعنوان محيل، وقد يحيل على التناقض والاختفاء من خلال بنيته الإشارية المختزلة باعتباره أعلى اقتصاد لغوي ممكن، يفرض أعلى فعالية تلقى ممكنة مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل)) (٢٥) .

ومن البدهي أن العناوين لا تتميز بغناها المعجمي الوضعي فحسب، بل من صياغتها وكفاءتها الذاتية، فضلاً عن ممارستها لعنصر الإحالة سواء على مستوى الداخل أم الخارج، فلفظة (التكاثر) * كلها شحنة دلالية سيميائية بدءاً من تشكلها الصرفي، فهي على وزن (تفاعل) الذي يدل

على المشاركة وانتهاءً بإحالتها على البنى الداخلية التي اختزلت بثريا النص ينظر ملحق رقم ١ .
هناك مجموعة أسئلة تتوارد إلى الذهن عند الحديث عند العناوين، من بينها : كيف تتحول هذه العناوين إلى منجز لساني يحمل في طياته مبدأ القصد ؟ بمعنى : هل تستطيع العناوين من أن تشارك بقية المكونات اللسانية (الخطاب، النص، إرادة المتكلم) من الوصول إلى قصد النص أم قصد المؤلف ؟

وللإجابة عن تلك الاستفهامات لكي يتحول النص الموازي إلى منجز لساني يحمل على عاتقه نقل التصور الذهني للمتكلم لأبد من توفر شروط في ذلك القصد في النص الموازي، بعضها يتعلق بالمتكلم ، فالعناوين بعدها نصوص لكنها مكثفة لأبد وأن يكون عنصر الإرادة والاعتقاد حاضراً في ذهن المتكلم سواء على مستوى النص الموازي أم النص المتن ، فالحدث اللساني لا يكون منجزاً كحدث كلامي إلا وكل طاقات وقدرات المتكلم النفسية والفكرية تكون متأزرة بغية وصول الكلام إلى تمامه، وهناك شروط تتعلق بعنصري الخطاب

والمتكلم أو المخاطب معاً، فينظر إليه من خلال ((أن القصد شرط أساس لكل أنواع التواصل)) (٢٦) .

ومهما قيل وضع التسمية (وقفية أم وضعية) يبقى اختيار العناوين إجراء دلالي لا يخلو من قصد ، كيفما كان الوضع الاجناسي للنص، إنَّها قصدية تنفي معيار الاعتباطية في اختيار التسمية؛ ليصبح العنوان المحور الذي يتولد ويتنامى ويُعيد إنتاج نفسه وفق تمثلات وسياقات نصية تؤكد طبيعة التعالقات التي تربط العنوان بنصه والنص بعنوانه (٢٧) .

وعليه لا تبقى تلك النصوص الموازية حبيسة الدلالة الوضعية الأولى رغم انفرادها بكيونة نصية مستقلة، لكن هذا الاستقلال ليس بنحو الانقطاع الاستمولوجي، فبمجرد ورود ذكر (التكاثر) يتبادر إلى الذهن السامع جملة من التصورات الذهنية لا تقي الدلالة المعجمية بكامل معناها داخل البناء اللساني للنص، بل لا بد من الارتكاز إلى العلل والمقاصد التي يبتغيها المتكلم من ورود ذلك الاسم أو العنوان دون غيره .

يقول أوستن : ((إنَّ معرفة الدلالة تعد من قبيل المحال إن لم ترجع إلى ما يَكُنْه وينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستمعهم ... فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق من دون شك في بالقواعد والتوافقات المتواضع عليها تعلُّقاً كبيراً، غير أن الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والتوافقات لا يمكن أن تفهم آخر الأمر إلا بالرجوع إلى قصدية التواصل)) (٢٨) .

فضلاً عن الوظائف المتعددة التي يمارسها العنوان، لكنه يمارس سلطة القصد من خلال إثارة فضول القارئ وجعله يسبح داخل كيان اللفظ وبعده المعرفي وصولاً إلى درجة الفهم والوعي التام، والعلة التي من أجلها أُختير هذا اللفظ عمَّن سواه، أضف إلى ذلك أن العنوان يمارس سلطة الجذب والدفع في آن واحد من خلال تمثله كحلقة وصل بين دواعي القصد الخارجية (ظرف الآية، سبب نزولها، مكانها ...) وبين المكنون اللساني الداخلي للنص (يمظر ملحق رقم ٢) .

فالعلاقة التي تتشكل بين (النص، ثريا النص) ليس مطَّردة ولا عكسية، بل هي علاقة جدلية

يحتاج فيها أحدهما للآخر، دون أن تكون هناك ممارسة تأويلية أو لسانية يختفي أحدهما على حساب الآخر، فكلاهما مكمل للآخر، فلا تكتمل صورة الخطاب _ في الغالب _ دون المرور بالعنوان باعتباره عتبة نصية تحمل بعداً قصدياً موازياً للبعد القصدي الذي يمارسه النص (الأم)؛ ((فلا يمكن لأي مثلق أن يلج عوالم النص واستكشاف بنياته النصية أو التركيبية والوقوف على مقاصدها التداولية دون الانطلاق من المفتاح الأول لهذا الولوج إلا وهو العنوان)) (٢٩) .

وهذه العلاقة الجدلية لا تمنع الحق لثريا النص أن تكون له الحظوة والحضور دون النص الأم، فالعنوان الدال يبحث عن مدلول (قصد) أو (معنى) من خلال النص الذي يليه، فالعنوان باعتباره علامة مستقلة (دال، مدلول) يكون عرضة للتأويلات العشوائية التي لا تعرف أين تميل ثم تأتي العلامة الثانية (النص) التي تحمل على ضبط هذه التأويلات ووضعها في المسار الصحيح لها لتكتمل في الأخير الرؤية الإجرائية

من خلال العلاقة الكبرى (العنوان / النص) (الدال / المدلول) (٣٠) .

خلاصة القول : إنّ العناوين كدوال مستقرة ذات معنى ومغزى يمكن لها أن تشكل قصداً، لكن القصد الذي تكلمه تلك العناوين ضمن مدار وحيّز القصد النصّي، بمعنى أنّه من طول السلم التراتبي للقصد وليس في عرضه، وللوصول إلى القصد لابدّ من ((الانطلاق من العنوان إلى النص ومن النص إلى العنوان عبر مراعاة السياقين الداخلي والخارجي من خلال القراءة المباشرة وغير المباشرة مراعين مبدأ التأويل ومقاصد النص)) (٣١) .

وعلى ضوء ذلك التصور مارس عنوان التكاثر سمتين أساسيتين (ينظر ملحق رقم ٣) :

فالقصد والإرادة دالتان قارتان في العنوان؛ لأنّ العنوان يعمل في النص الشيء الكثير ((على اعتبار أنّه لا اعتباطية في العنوان، بل إنّ الكاتب يجهد نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه لا اعتبارات فنية وجمالية ونفسية تجعل المتلقي أو القارئ يسير تبعاً لمقصدية _ المتكلم أو العنوان _ سبراً لأغوار النص)) (٣٢) .

ب_ فعاليات العنوان القصديّة :

يمارس العنوان كدالة نصيّة (قصدية) دور لإيحاء والإحالة، ولعلّ جملة من العلاقات تتشكل بسبب هذين العنصرين، منها ما يكون ردّ فعل عمّا يمارسه ذلك العنوان أو النصّ الموازي، وآخر يمارسه دور الموصّل للشفرة أو الرسالة ، لكن شرط أن يكون عملية الإيصال تمارس وفق مراعاة البناء اللساني والأسلوبي للعنوان، حيث تسلّط عتبة العنوان ضوءاً ساطعاً منذ السطر الأول للمتن على قاعة النصّ في تكثيف دلاليّ يُحيل إلى الكثيرة والنماء أو للهت لترسم أولى المناظر الرامية إلى ربط ذهن المتلقي بتلك الكثرة أو تداعي الصور الحاضر لتلك الكثرة .

فالمساحة اللسانية التي شغلها العنوان جعلته محمّلاً بالإيحاء الدلالي، فعملية التكثيف التي شحّنها بها ذلك العنوان مكنته من مركزية ذاتية ، فهو كالثريا التي تحتلّ بعداً مكانياً مرتفعاً يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النصّ (٣٣) .

فدلالة لفظ (التكاثر) كنصّ مواز للنصّ الأصلي لم يتشكل عبثاً أو دون قصد ، فهو رحم الآية

وصلبها، حيث يلقي ذلك النص الموازي صراعاً مريراً بين متلقي النص والنص ، مع حضور النواة القصديّة (الوضع) الأولى ثم ما يلبث أن يصبح مسرحاً يمارس حركةً متعددةً وتقلبات متغيرة كل ذلك من أجل تنوير ذهن المتلقي ليحفر في ذات النص عن قصد المؤلف وصولاً إلى قصود متعددة تبعاً لتغاير الأحداث والأزمان .

ومن جملة هذه العلاقات :

_ علاقة امتدادية .

_ علاقة ارتدادية .

١_ علاقة امتدادية :

قليل إنّ العناوين أنساب المضامين ، ومعنى ذلك أنّ بين العنوان ومتمنه علاقة صلة قرابة ، لا يصادر أحدهما دالة الآخر، إذ يمارس كل منهما سلطته وتأثيره؛ حتى يصل في بعض الأحيان إلى التماهي ((فالعنوان مرسل لغوية تتصل ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معاً))^(٣٤) .

فالعنوان كمرسلة يمارس دور الربط بين معناه ومعنى الرسالة، فهو بنيةٌ رحمية تولّد معظم

دلالات النص ، فإذا كان النص هو المولد فإنّ العنوان هو المولد الفعلي لتشابكات النصّ بأبعاده الفكرية والايديولوجية^(٣٥) .

وذهب بعضهم إلى أنّ النصّ يتولد من العنوان ، وهذا ممكن في النصوص الأدبية بشكل كبير والنصوص المقدّسة التي تنزل دفعة واحدة في بعض الأحيان، يقول د.خالد حسين : ((العلاقة الامتدادية هي تولد النص من العنوان بموجب هذه العلاقة؛ ليغدو العنوان الذرة البدائية أو البيضة الكونية المخزّنة بقوة دلالية قصوى سرعان ما تُلون برسم الانفجار بفعل عوامل متنوعة ، فيتشكل النص))^(٣٦) .

فامتداد (التكاثر) في سورة التكاثر ليس بالضرورة أسبقية أحدهما على الآخر ، بل بقدر المعاني التي يحملها الفهم المتكون حول تلك النصوص إذا ما علمنا أنّ النصوص الموازية تحمل معاني قصديّة بيّنتها الآيات المعنونة بدلالة التكاثر وصولاً إلى التطابق بين بؤرة دلالية مكثفة ونصّ جمع فيه مقاصد طولية متنوعة ، إذ يعمل النصّ الموازي على لملمة أوصال النصّ وتقريب

متفرقاته وتشعباته وضغط الامتداد الطولي والعرضي للنص في مركز من مراكز المعنى في عملية تكثيف واختزال ، ومن جهة أخرى يقوم بالتضعيف والتمركز بوظيفة توسعة^(٣٧) .

٢_ علاقة ارتدادية :

هذه العلاقة بارزة المعالم من خلال فاعلية القصد الارتدادي للعنوان، فعملية ضغط النص وتكثيف دلالاته داخل بوتقة العنوان يجعل القصد يدور في حلقة العنوان ، ويرتد إلى النص ، أي : إن فعل العنوان هنا هو لم شتات النص وتطورات رؤاه وحصرها داخل بوتقة العنوان التي أختيرت لتلائم كل نداءات النص وتعرجاته^(٣٨) .

فارتداد التكاثر في سورة التكاثر يستحضر معه الصور المخزونة داخل نسيج النص المعنون لتشكل جميعها قصوداً متعددة بواسطة ردّة فعل ذلك العنصر المتعدد الأبعاد من خلال إقامة روابط تبادلية يحكمها بالدرجة الأساس قصد المتكلم وغرضه .

فإذا كانت النصوص المعنونة (سورة التكاثر) تمتلك قصداً لغوياً ومعنوياً بسبب ترابط أمشاج

النص ، فإن ممارسة العنوان لسلطة الارتداد تجعله يحوي قصد النص بأكمله . وهذا ما لحظناه من ممارسة دلالة التكاثر إلى جملة وظائف ورؤى شكلت القصد العام من النص والعنوان على حدّ سواء، بمعنى أنّ العلاقة الارتداد وإن كانت وفق مبدأ الفعل وردّ الفعل بنحو معاكس أو مغاير لكنها في طول القصد العام للسورة، فلم نجد انكساراً في معنى أو فهم أو خروج عن النسق اللساني العام لقصديتها بقدر ما لحظنا امتداد ذلك الارتداد بين المثير والاستجابة .

المبحث الرابع

آليات تحقق القصد

لا يتحقق القصد بمجال معرفي واحد دون الاستعانة بالعناصر التي تؤدي إلى تحقيقه مجتمعة، واحدة من هذه العناصر (اللغة) بعدها الوسيلة الاتصالية الأيسر والأكثر إيفاءً بتحقيق الغاية أو المقصد، ولما كان المتكلم عارفاً لحقيقة التواصل وطرق تحقق القصد فهو يجنح نحو اختيار العناصر المؤدية لذلك مستعيناً بإمكانيات اللغة بما تنتجه من استعارات ومجازات تشكل

معاني على طوال الخط الزمني بدءًا من لحظة
تمفصل الخطاب مرورًا بالتغاير الزمني والمكاني
لذلك الخطاب .

فالمؤلف يحاول ربط القارئ بمقاصده (هو) من
خلال إدراج بعض التراكيب والمفردات التي تحفر
في ذاكرة المتلقي وخزينه الثقافي والاجتماعي
واللغوي، فتتوارد الصور التي أرادها المتكلم
مشحونة ببراعة التشكيل، فتغاير لفظ (التكاثر)
عن (الكثرة) حمل الخطاب بعدًا مقاصديًا غاية في
الدقة، فحضور هيئة المشاركة في البنية الصرفية (
تفاعل) دفعت المتلقي ودعته إلى التأمل أن
عملية اللهو واللهث والبعد سببها التكاثر والتفاخر
بذلك التكاثر .

يقول فان دايك : ((حالما تترسخ السيطرة على
مؤشرات السياق وإنتاج الخطاب، يمكننا أن
نستقصي كيف يتم التحكم ببنى الخطاب نفسه، ما
الذي يمكن أن ينبغي أن يقال (من الكلي إلى
الجزئي) كيف يمكن صوغه ؟ بأي الكلمات أكثر
تفصيلًا ودقة أو أقلهما ؟ ... وأي الأفعال الكلامية
أو غيرها يجب أن يحتمل إنجازها بواسطة تلك

المعاني والأشكال ؟ وكيف تنظم هذه الأفعال في
التفاعل الاجتماعي ؟)) (٣٩) .
أ- البنى الصوتية للسورة :

يُعدُّ المجال الصوتي المحصلة الأولى للفروع
اللغوية إذ يعتبر الركيزة الأولى التي يتشكل في
ضوئها الكلام أو النص وفي المجال الصوتي يتم
التعامل مع الحروف، فالحروف كما هو معهود
تمتلك معانيها مفردة ومركبة إلا أن هذه الدلالة
تختلف بنحو الأفراد والتركيب لذا على المتكلم أن
يراعي هذه المسألة عند تركيب كلامه، فيكون
الجانب الصوتي حاضرًا عند تشكل الخطاب .

لكن ما يمكن أن يلحظ أنَّ هناك فرقًا بين دلالة
الحرف ووظيفته، فالدلالة تتعلق بالجانب القيمي
للصوت، كالنبر والتتغيم والوقف والسكون، أمَّا
وظيفته فتكمن بالجانب القصدي الذي من أجله
جاء هذا الحرف بنحو التركيب .

((فالمظاهر الصوتية يمكن أن تستخدم استخدامًا
بالعًا في تأسيس بقية الفروع اللغوية وتوضيحها
أيًا كانت، صرفية أو نحوية أو دلالية)) (٤٠)،
فالمعاني المتحققة من ترتيب الأصوات داخل

الكلمات أو التركيب له علاقة بالقصد الكلامي،
فمثلاً في النص القرآني تأتي الأصوات متناغمة
متجانسة مع القصد العام الذي تسعى الآيات أو
السور إلى إيصاله، فمواطن الشدة تستلزم حروفاً
تؤدي وظائف لتتنسجم مع هذه المواقف، فاحرف
التفشي والدوي والانفجار تتلاءم ومواقف العنف
والزجر والردع، كقوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ
الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦]

{وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم: ١٥]

{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} [فاطر: ٣٧]

هذه الحروف وغيرها تقوم بوظيفة وعمل ، ولا
عمل ينسجم معها سوى تبين مقاصد النص ، فقد
بيّن علماء العربية القدامى وظيفة كل حرف وكل
صوت، فعلى سبيل المثال : التتوين الذي هو
عبارة عن نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظاً
لا كتابة، هذا العنصر الصوتي يمثل ثراءً لغوياً
تُبَيِّن اللغة من خلاله، فعلى مستوى الإيقاع لاشكَّ
أنَّه يمثل (رثّة) تحدث قوة اسماع حاملة تردداً
زمنياً طويلاً ، كذلك يعمل التتوين على تغيير
قصد النص بالنسبة للمتكلم ، فإذا قال قائل : كلُّ

ناجح (بالتتوين). لكان مراد هذه الجملة مساوياً
لقولنا : كلُّ طالبٍ ناجح^(٤١) ، لذا عمد النحاة إلى
تسمية بعض أنواع التتوين بتتوين العوض؛ لأنَّه
قائمٌ على تعويض جملة أو كلمة أو حرف .

ولا يختلف الأمر مع النصّ القرآني في قضية
الفاصلة القرآنية مثلاً فوضعها بإطار معيّن يستتبع
قصد المتكلم ومراده ، يقول الرماني : ((فواصل
القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنَّها طريق إلى إفهام
المعاني التي يحتاج إليها أحسن صورة يدل بها
عليها...))^(٤٢) .

فالفاصلة في سورة التكاثر _ في البداية _ هي (
الرّاء) وقد عمد المتكلم إلى صياغتها بنحو معجز
ولطيف، إذ جعل تمفصل التقابل الصوتي بين
كلمة (التكاثر) كلمة (المقابر) تشعر المتلقي
بالكثرة والتردد التكاثر مقابر، بنحو السرعة
المصحوبة بالغفلة والنسيان ، فتردد (الرّاء) هذه
وتكرارها توحى في ذهن السامع صدى صوت
يوقظ غفلة الإنسان عن التفاخر والتكاثر، فمقابلة
عنصر دلالي أول وهو {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} مع
عنصر دلالي نتيجة للأول {رُزِقْتُمُ الْمَقَابِرَ} يعطي

بُعْدًا مقصديًا، فاللغة أصوات، وهذه الأصوات يُعبر بها أصحابها عن أغراضهم ومقاصدهم، فالفاصلة ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد، شحنة من الموقع والموسيقى، وشحنة من المعنى المتمم للآية^(٤٣).

تأتي الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في وضعها، غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلّقًا تامًا، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءًا من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها^(٤٤).

وفي ضوء ذلك لا يمكن الوصول إلى القصد ما لم يكن صياغته بنحو الاقتضاء الدلالي الذي ينسجم مع الغرض العام الذي ينشده المتكلم، فالقصدية معانٍ حددها المؤلف قبل الشروع في العمل غير منفصلة عن الظروف... ومجسدة ما يحيط بها من عوامل في صيغة فنية متميزة، وتتجدد في نهاية المطاف عن طريق العمل الفني^(٤٥).

فالفاصلة في القرآن لا يكتفي بورودها من أجل حسن التركيب وجمال الصياغة فحسب، بل يُراعى

الجانب المقصدي بالدرجة الأساس قبل الجنوح في التركيب حتى ((ان جميع الفواصل لم تقتصر على مراعاة حسن النظم فقط، وإنما راعت مع ذلك جانب المعنى، فحققت بذلك إيقاعها الفريد، وبلاغتها العليا في مطابقتها لمضمون ما قبلها ((^(٤٦).

وإذا انتقلنا إلى تمفصل آخر من دلالات التراكيب الصوتية في سورة التكاثر تصادفنا كلمة { كَلَّا } ونلاحظ دلالتها الصوتية التي حصرها العلماء بين الردع والزجر، حيث جاءت متوائمة مع الظروف ومتناسبة وطبيعة الخطاب المكي، قال سيبويه : ((وأما (كلا) فردع وزجر))^(٤٧).

لقد كانت { كَلَّا } علامة فارقة للتمييز بين مكّية الآية ومدنيّتها، قال جماعة : ((متى سمعت (كلا) في سورة فاحكم بأنّها مكّية؛ لأنّ فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك في مكة؛ لأنّ أكثر العتو كان بها))^(٤٨).

ولعلّ المقصدية التي تحقّقها { كَلَّا } ليس بدلالة حرفيتها أو تركيبها بقدر ما تتركه من ردة فعل لدى السامع حال ورودها في الكلام وتمثلها

بالخطاب سواء أكانت بنحو الوقف أم بوصل الكلام ، لكنها تعمل على تأكيد القصد وتكريرها لمضمون ما قد سبق _ من هنا جاء معنى الردع والزجر لها _ فالأذهان عند سماع كلمة (كلا) تغادر تركيب الكلمة أو تبسيطها من المعنى الوضعي لـ (كلا) إلى دلالتها وقصد المؤلف إيرادها، وقد اختصر أهل التلاوة والتجويد دلالات (كلا) المتغايرة حسب ورودها في النصوص، قالوا : ((والذي عليه العلماء أن (كلا) يحسن الوقف عليها إذا كانت ردًا للأول، ويحسن الابتداء بها إذا كانت بمعنى (ألا) و (حقا)))^(٤٩) .

والخطاب في سورة التكاثر يقتضي الردع والزجر والوعيد للكافرين بقرينة غلظة الوعيد ذلك { كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: ٣-٤] وقوله تعالى : { تَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ } [التكاثر: ٦]، فالتوبيخ الذي افتتحت به السورة كالتلهي والتكاثر والتفاخر بهما اتبّعه ردع وزجر بالحرف { كَلَّا } ليفيد القصد (الزجر والابطال لدعاوى الجاهلية هذه) وقد ساعد على تقوية القصد وتأكيده في ذهن المتلقي؛ لأنّ في

التكرير زيادة التقرير للمعنى، وهي مع تكرارها تشعرك بتغاير مقصدها بنحو الاطراد لا التعارض، بمعنى أنّ سلم القصد التراتبي يسير وفق المقام الذي يقتضي تحقيقه، يقول أحدهم : ((تعمل الاستراتيجيات القصديّة على التأليف بين وظيفتي تنظيم عناصر السجل النصي بكل ما يمكن أن يثيره من إحالات مرجعية، ثم وظيفة تنظيم شروط التلقي والتواصل، ومهما تعقدت العناصر المكونة للسجل النصّي فهي التي ترجعنا وتربطنا بخارج النص))^(٥٠) .

فدلالة القصد في الحرف { كَلَّا } وإن دلّ في المرة الأولى على ردع العاقل عن الالتهاه بما لا يعنيه وتنبهه إلى ما ينبغي أن لا يكون مقصوراً عليه معظم همّه من التلهي بالدنيا والتفاخر فيها بكثرة، وبيان أنّ عاقبة ذلك وخيمة، فقد جاء فرع الردع في المرة الثانية بقصد التأكيد الذي أوضحه، ودلّ عليه بصورة أبلغ حرف (ثم) فصار الأمر فيه أشبه بما يقوله العظيم لعبده (أقول لك ، ثم أقول لك لا تفعل) ، فعطفه في الآية بحرف ثم ، اقتضى كونه أقوى من الأول ؛ لأنّه أفاد تحقيق

الأول وتهويله، ولكونه أبلغ فقد نزل منزلة المغايرة فَعُطِفَ، ثم أُعِيدَ الزجر للمرة الثالثة (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) {التكاثر: ٥} زيادة في ابطال ما هم عليه من اللهو عن التدبر في أهوال القرآن لعلمهم يقلعون عن انكبابهم على التكاثر بما هم يتكاثرون فيه وينصرفون عن لهوهم به إلى دعوة الحق (والتوحيد))^(٥١).

والمتلقي مع (كَلَّا) قطب الرحى ومضمون العملية التخاطبية، فالمتكلم _ مع كَلَّا _ يعول على حسَّ السامع ويقظة ذهنه فيختز الرسالة إلى أقصر حدود الاختزال ((ويحرز السامع مراده منها فيعيد بناء الكلام ويستوعب محتواه ذهنيًا بعد أن كفلت له الأداة الوصل بين بنية الصدر وبنية الذيل، وربطت بين شيئين وكيف الاستعمال والسياق حضورهما وغيابهما))^(٥٢).

وملاك القول : لقد شاركت الأصوات أو البنى الصوتية الألفاظ في تحقيق القصد أو الأداة إذ حملت بين طياتها تعددًا متنوعًا للقصود المتواردة في سياق الآيات، أدّى إلى اتساع العبارة فتغاير معاني (كَلَّا) تعدد في ضوئها الأغراض وإن

تعددت الأغراض تعددت تبعًا لذلك القصود، وفقد قامت (كَلَّا) بدور أساسي في شدّ عرى القصد إذ كانت الثيمة المركزية في كل موضع وردت فيه، فهي في الردع والزجر أقوى دلالة وأعمق أثرًا حتى استطاعت كلا وملحقاتها من تحصيل التتابع بين مبادئ اللغة ومقاصد المتكلم .

المبحث الخامس

المفارقة معيارًا قصديًا

المفارقة في اللغة هي اسم مفعول من الجذر الثلاثي (فَرَقَ) ومصدرها (فَرَقَ)، والفرق في اللغة بخلاف الجمع وتفریق ما بين شيئين، ومنه مفترق الطرق، أي متشعبه الذي يتشعب منه طريق آخر، يقال : فارق الشيء مفارقة افتراقًا، أي باينه، وفارق امرأته، مفارقة وفراقًا باينها وافترق عنها))^(٥٣).

أما اصطلاحًا فبدأ نقرر أنّ مصطلح المفارقة ليس بعربي (Irony) بل هو مصطلح لاتيني، لكنه بسبب تداخل الفنون والآداب تلمّس العرب به جذورًا في بعض التراكيب الأدبية والبلاغية كالتعريض والكناية وغيرها، فعرضها دي سي

ميويك بأنها ((فنّ المراوغة))^(٥٤)، في حين حصرها غيره بالتنعيم الموسيقي للفظ المشكّل ، إذ قال: ((هي تعبير بلاغي يركز أساساً على تحقيق العلاقة النغمية والتشكيلية بين الألفاظ وهي لا تتبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات، فتكون بذلك ذات طابع غنائي^(٥٥)).

أما د. نبيلة إبراهيم فتعريفها أكثر نضجاً؛ لأنها أشارت إلى عناصر المفارقة الأساسية، وهي نفسها عناصر تحقق الخطاب (المرسل، الرسالة، المتلقي) فالمفارقة عندها ((هي لغة اتصال سري بين الكاتب والقارئ أو بين المرسل والمستقبل، والمفارقة قد تكون جملة، وقد تشمل العمل الأدبي كله، فقد تكون سلاحاً للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق يخفي ما وراءه من هزيمة الإنسان))^(٥٦).

والقرآن الكريم ليس بدعاً من القول، فقد استعمل مبدأ المقارنة بأبهى صورها ووظفها بأحسن تمثيل، فكسر أفق التوقع لدى القارئ كان من منهج القرآن العام لاسيماً في المواقف الاجتماعية التي تحفر في ذهن السامع الدهشة والانبهار، مواطن

التعريض والكناية والاستعارة والمجاز كلها مفارقات دلالية تحكّم فيها قصد المتكلم بالدرجة الأساس من أجل إشغال ذهن المتلقي وصولاً إلى المعاني المختبئة خلف ستار الألفاظ، فالألفاظ المتضادة عادة ما يتم التركيز فيها على المعاني المتحققة من التعارض والتضاد وليس على المعاني الأولو فالنصّ المشتمل على المفارقة هو نصّ مراوغي بطبيعته، قادرٌ على التخلص من الرقابة وعلى تهريب الإشارات والدلالات بين حدود التعبير التي تفصل بين عالمين مختلفي الوضع^(٥٧).

يلحظ من ذلك أن المتلقي تارة يشترك في تكوين مراد المتكلم ، وتارة أخرى يكشف عنه بواسطة سلطة التضاد التي شكلتها التراكيب المفارقة على النحو الآتي (ينظر ملحق رقم ٤):

فالقصد المفارقي ذو قيمة فنية*؛ لأنه يعكس قوة التراكيب اللغوية باعتبارها وسائل لتوصيل الخطاب، إذ يستخدم صاحب المفارقة ألفاظه استخداماً خاصاً ومكتفياً عن وعي بقصدية هذا التكثيف، مفترضاً متلقياً يستطيع الوقوف على

كثافة تلك الألفاظ ومدلولاتها البعيدة في سياقتها^(٥٨)

ونتيجة لما تقدم نقرر أنَّ المفارقة يمكن أن تكون إحدى معايير القصد لكن ليس بنحو المباشرة بل بنحو المغايرة، فالظلال المعنوية التي يتركها التضاد تعمل على تشكيل دوافع معرفية تحاكي قصد المتكلم أو تحققه، فالقيمة الفنية للمفارقة تكمن فيما تثيره في القارئ من بحث دؤوب على المعنى يجعله يسير عبر خطوط النص ويخرقه جيئةً وذهاباً محاولاً الوصول إلى إقامة علاقات بين ظاهر اللفظ ومحمولاته الدلالية لكنه في حركاته هذه محكوم بالسياق، فالمعنى الحقيقي للمفارقة يقصد له أن ينبسط إما مما يقوله صاحب المفارقة أو من السياق الذي بقوله فيه^(٥٩).

فالمفارقة التي أحدثها تركيب قوله تعالى : { زُرْتُمُ الْمُقَابِرَ } تقتضي أن من عادة الناس أنَّها تزور المقابر رغبةً وطواعيةً، فعملية الزيارة فيها مدلول قصدي مفارقي يكمن في معنى أنكم بسبب هذا التكاثر ستأتون مرغمين إلى قبوركم، لكنه عبّر عن الإرغام بالزيارة بنحو التهكم والسخرية بهم،

شكلت فيها المفارقة قوة في إيصال المعنى السلبي، لذا فالمستمع مطالب بأن يفقه السياق ويقف على الدور الذي يلعبه في إنتاج المنطوقات المفارقة وفهمها، أنه مطالب بأن يتوصَّل إلى معنى المنطوق بالمرور من خلال معنى الجملة؛ لكي يعيد للمنطوق الحرفي ملاءمته للمؤلف^(٦٠).

فقصد لفظ الزيارة بُني على معنيين أو مدلولين : الأول حرفي، وهو ظاهر وجلي، والثاني المعنى المفارقي (القصدي) الذي يصل إليه المتلقي بنحو الفحص والكشف الحثيث وصولاً إلى المغزى العام الذي يتحكم النص ويخرجه من ربة التناقض، فكلمة { زُرْتُمُ الْمُقَابِرَ } تحتل مدلولين (ينظر ملحق رقم ٥):

كما يمكن أن يكونَ المعنى الأول متحقق بربطه بسبب النزول حيث أشرف هؤلاء المتفكرون بالأموال والأولاد والأموات على الذهاب إلى المقابر وعدَّ الموتى والتفاخر بكثرتهم، لكنه معنى يبقى حبيس العنصر التاريخي للنص، وعند مغادرة ذلك النص البعد السببي لمجيئه لا يتحقق مقصده إلا من خلال عنصر المفارقة اللفظية التي

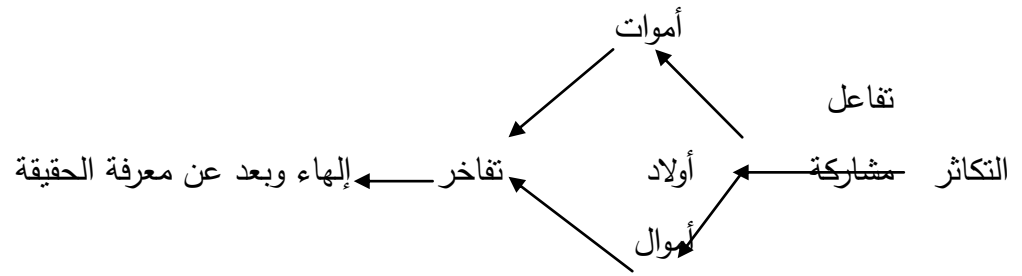
اعتمدت عنصر المراوغة من خلال تنافر المعنى الأول مع الثاني .

لقد اختزلت سورة التكاثر صور الحياة المتعددة لاسيما الخطاب الافتتاحي فيها، فقد رسمت ملامح تلك الحياة فيها (اللهو — القبر) ضمن مركب تقابلي بين اللهو والعبث والقبر وبين مفارقة عجيبة قادها الفعل { زُرْتُمْ } ؛ إذ يعكس صورة سيميائية تتأرجح بين السكون والحركة أو الانتقال من الحركة إلى السكون ، وذلك الاستقرار الأبدي

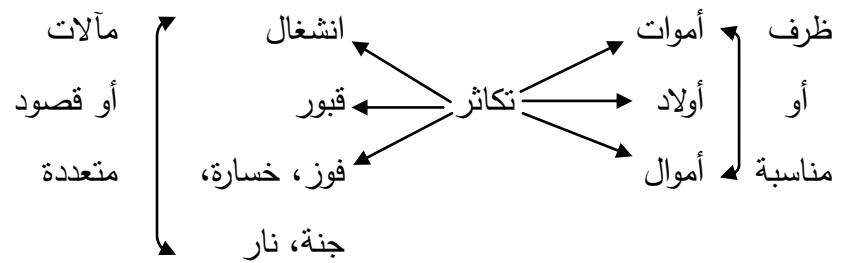
بالنسبة إلى عالم البرزخ حتى كأن المتلقي يحسب أنه ليس ثمة مجال لتلك الحركة، فعنصر الإثارة داخل تلك الدنيا حفز الإنسان نحو اللهو والانشغال حتى فاجأه القبر فزاره مكرهاً لا رغباً .
فالقصد الذي ينشده كتاب الله ليس بعملية عرضية يصل إليها الإنسان ويقاربها، بل هي عملية انفعال مع الذات المستقلة تنغرس بواسطة اللغة التي هي مدار التواصل والوسيلة الأكثر مقبولة في التحري عن القصد .

الملاحق:

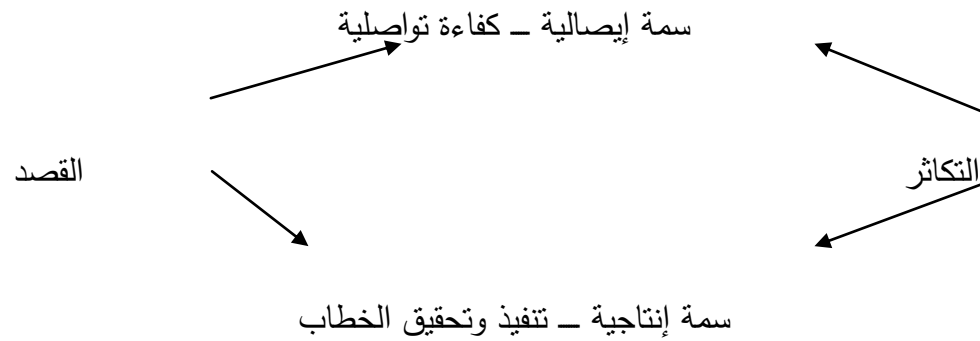
ملحق رقم ١



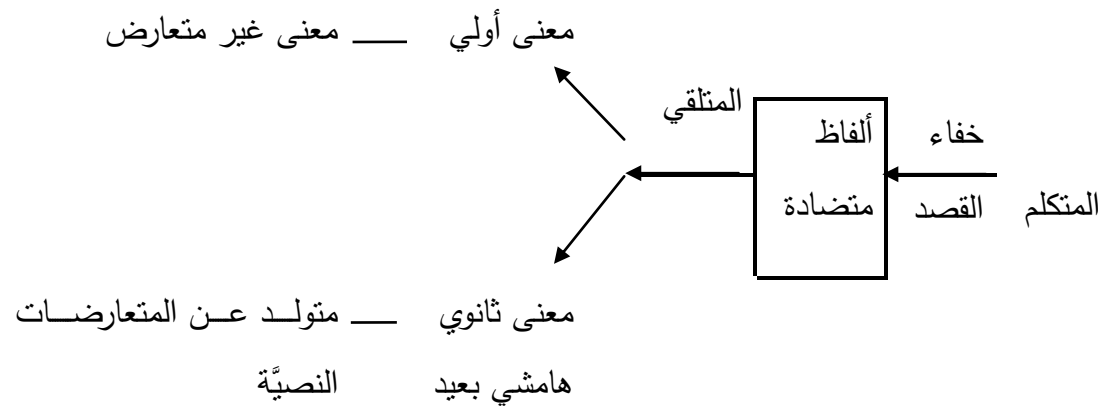
ملحق رقم ٢



ملحق رقم ٣



ملحق رقم ٤



ملحق رقم ٥

زيارة طوعية ← المعنى الأولي لا يتحقق؛ لأنَّه مرتبط بإرادة الإنسان
فلا يوجد شخص يرغب بدفن نفسه حيًّا

زيارة مقبولة

زيارة ارغامية ← هذا هو القصد (تعبير تهكمي مخالف للقوانين
الطبيعية)

الهوامش

- ١- مقاييس اللغة : ٥ / ٩٥ .
- ٢- لسان العرب : ٤ / ٣٥٥ .
- ٣- الفينومنيولوجيا عند هوسرل ، سماح رافع : ٤٧ .
- ٤- ينظر : مقاصد اللغة : ١٩ .
- ٥- ينظر : القصديّة في النص القرآني ، (رسالة ماجستير) : المقدمة .
- ٦- التأويل والحقيقة ، د. علي حرب : ٨ .
- ٧- منهج التأويل وعلم الدلالة ، بحث .
- ٨- ينظر : اشكاليات القراءة وآليات التأويل : ٢١ .
- ٩- الفتوحات المكية : ٤ / ٤٥٤ .
- ١٠- ينظر : دينامية النص، محمد مفتاح : ٣٨ .
- ١١- ينظر : مجهول البيان ، مفتاح : ١٠٥ .
- ١٢- ينظر : النص الديني في الاسلام، د. رجييه قانصو : ٤٧١ .
- * يرجع في سبب نزول السورة تفسير الطبري، ٣ . وتفسير التحرير والتنوير : مج ١٥ .
- ١٣- ينظر : النص وآليات الفهم في علوم القرآن : ١٩٤ .
- ١٤- المصدر نفسه : ١٩٩ .
- ١٥- المصدر نفسه : ١٩٨ .
- ١٦- النص والخطاب والحياة : ٨٤ .

١٧- النص وآليات الفهم : ٢٠٥ .

١٨- النص والخطاب والحياة : ٩٠ .

١٩- المصدر نفسه : ٧٤ .

٢٠- ينظر : النصوص وسياقاتها : ٩٥ .

٢١- النص والخطاب والحياة : ٩٨ .

٢٢- النص وآليات الفهم في علوم القرآن : ٢٠٤ .

٢٣- جمالية الخطاب القرآني، رؤية معاصرة : ٥٥ .

٢٤- الاستهلال : ٣١ .

٢٥- سيمياء العنوان : ٣٦ .

* من أروع من وصف وحل سورة التكاثر الإمام علي عليه السلام بقوله : ((أُلْهَاجُ التَّكَاثُرِ حَتَّى زَرْتُمُ الْمَقَابِرَ يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدُهُ وَ زُورًا مَا أَغْفَلُهُ وَخَطَرًا مَا أَفْطَعُهُ لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَكِّرٍ وَتَنَاشَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَ قَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْتَخِرُونَ أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلَكِيِّ يَتَكَاثَرُونَ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتْ وَلَئِنْ يَكُونُوا عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخِرًا وَلَئِنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابٌ ذَلَّةٌ أَحَجَّى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ وَجْهَالَةٍ وَلَوْ اسْتَطَاعُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَفَاتَ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَالًا وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا تَطْتُونُ فِي هَامِهِمْ وَتَسْتَنْبِثُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَبُوا وَإِنَّمَا الْآيَاتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ أُولَئِكَ سَلَفُ غَايِبِكُمْ وَفُرَاطُ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَسُوقًا)) . ينظر : نهج البلاغة ، شرح د. صبحي الصالح ، الخطبة ٢٢١: ٤٢٥ .

٢٦- التفكير اللساني، المسدي: ١٤٩، اتجاهات لغوية معاصرة، بحث مجلة علاقات، ج ٣٨، مج ١٠، ٢٠٠٠: ١٧٦.

- ٢٧- ينظر : عتبات النص ، البنية والدلالة : ١٩ .
- ٢٨- في تداوليات القصد ، بحث .
- ٢٩- المقاربة التداولية : ٢٧ وما بعدها .
- ٣٠- العنوان في الرؤية الجزائرية ، المقدمة .
- ٣١- القصد في الأدب الكبير : ١٣ .
- ٣٢- علم العنونة : ٤٢ .
- ٣٣- عالم النص : ١٥ .
- ٣٤- النص الموازي ، جميل الحمداوي : ٢٧ .
- ٣٥- ينظر : السيموطيقا والعنونة : ٦٨ .
- ٣٦- في نظرية العنوان : ٤٥ - ٤٦ .
- ٣٧- نقلاً عن العنوان ، د. حميد فرج : ٢٠١ .
- ٣٨- العنوان ، حميد فرج : ٢٦٠ - ٢٦١ .
- ٣٩- الخطاب والسلطة : ٤٧ .
- ٤٠- من وظائف الصوت : ١٧ .
- ٤١- المصدر نفسه : ١٨ .
- ٤٢- النكت في إعجاز القرآن : ٩٠ .
- ٤٣- البيان الصوتي في البيان القرآني : ٦٩ - ٧٠ .
- ٤٤- المصدر نفسه .

- ٤٥- في قضايا الخطاب والتداولية : ٢٣١ .
- ٤٦- دراسات لغوية في القرآن : ٧٨ .
- ٤٧- الكتاب : ٢ / ٢١٢ .
- ٤٨- معترك الأقران : ٢ / ١٩٣ .
- ٤٩- جواهر الأدب : ٥٠٧ .
- ٥٠- في قضايا الخطاب والتداولية : ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ٥١- ينظر : روح المعاني : ٣٠ / ٤٠٣ ، التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢١ .
- ٥٢- تداوليات علم استعمال اللغة : ٥٤٢ .
- ٥٣- لسان العرب ، مادة (فرق) ، دار صادر بيروت .
- ٥٤- المفارقة : ٩ .
- ٥٥- خطاب المفارقة : ١٣ .
- ٥٦- فن القصة في النظرية والتطبيق : ١٩٧ .
- ٥٧- المفارقة في عر أبي العلاء المعري : ١٤ - ١٥ .
- * يرى د. محمد يونس أن ((أهم أسرار الخطاب تأليفاً وتلقياً دلالة وقراءة وتحليلاً هو تقاطع محور الاستبدال مع محور الائتلاف ... فهو المولد للدلالة، وهو معتمد البلاغة، وهو الكاشف عن المعنى المفسر للقراءة، والمنتج للخطاب، وهذا التقاطع ليس عبثياً أو عشوائياً بل هو إرادي قصدي وهو ما يؤكد قصدية الخطاب)) . ينظر : الخطاب ونظرية المرجعيات، بحث .
- ٥٨- المفارقة في رسالة التوابع والزوابع ، بحث .

٥٩- خطاب المفارقة : ٣٨ .

٦٠- ينظر : المفارقة القرآنية : ٢٨ - ٢٩ ، خطاب المفارقة : ٣٨ - ٣٩ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

- ❖ اتجاهات لغوية معاصرة ، حسن سعيد بحيري ، بحث مجلة علامات ونقد ، ج٣٨ ، مج١٠ ، ٢٠٠٠ .
- ❖ الاستهلال. فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٣ .
- ❖ اشكاليات القراءة وآليات التأويل ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي، ط٧ ، ٢٠٠٥ .
- ❖ البيان الصوتي في البيان القرآني، د. محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٨ .
- ❖ التأويل والحقيقة ، د. علي حرب ، دار التنوير ، ٢٠٠٧ .
- ❖ التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢ .
- ❖ التداوليات علم استعمال اللغة ، تنسيق : حافظ اسماعيل عليوي ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط٢ ، ٢٠١٤ .
- ❖ التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط١ ، ١٩٨١ .
- ❖ جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة ، د. سلام كاظم الأوسي ، دار نيبور ، العراق بغداد ، ط١ ، ٢٠١٤ .

- ❖ خطاب المفارقة في الأمثال العربية ، نوال صالح ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة بسكرة ، ٢٠١٢ .
- ❖ الخطاب والسلطة ، فان دايك ، ترجمة : غيداء العلي ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٤ .
- ❖ دينامية النص تنظير وانجاز ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٦ .
- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٨ .
- ❖ سيمياء العنوان ، بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠١ .
- ❖ السيوطيقا والعنونة ، جميل لحمداي ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، م٢٥ ، ع٣ ، ١٩٩٧ .
- ❖ عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الجحمري ، شركة الرابطة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٦ .
- ❖ علم النص ، جوليا كرسفيا ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، ط١ ، ١٩٩١ .
- ❖ العنوان في الرواية الجزائرية المعاصرة مقاربة سيميائية ، زهرة مختاري ، رسالة ماجستير ، كلية اللغات والآداب ، جامعة وهران ، ٢٠١٢ .
- ❖ العنوان في الشعر العراقي الحديث دراسة سيميائية ، حميد الشيخ فرج ، دار ومكتبة البصائر ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- ❖ الفتوحات المكية ، محمي الدين ابن عربي، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).
- ❖ فن القصص في النظرية والتطبيق ، نبيلة ابراهيم ، مكتبة غريب القاهرة ، (د.ت).

- ❖ في تداوليات القصد ، بحث ، إدريس مقبول ، مجلة جامعة النجاح الأبحاث، مجلد ٢٨ ، عدد ٥ ، ٢٠١٤ .
- ❖ في قضايا الخطاب والتداولية ، د. ذهبية حمو الحاج ، دار كنوز المعرفة ، ط١ ، ٢٠١٦ .
- ❖ في نظرية العنوان، د. خالد حسين، دار التكوين للطباعة والنشر، ط١ . ٢٠٠٧ .
- ❖ القصصية في الأدب الكبير لابن المقفع دراسة تداولية ، إيدر إبراهيم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة مولود معمري ، (د.ت) .
- ❖ القصصية في النص القرآني ، زهراء جواد عباس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٩ .
- ❖ القصصية في فينومينولوجيا ، هوسرل ، نزار نجيب حميد ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٢ .
- ❖ الكتاب ، عمرو بن عثمان سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار التاريخ ، لبنان ، بيروت (د.ت) .
- ❖ لسان العرب ، ابن منظور ، ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
- ❖ مجهول البيان، د. محمد مفتاح، الدار التونسية للنشر والطباعة ، ط٢ ، ٢٠٠٨ .
- ❖ معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، (د.ت) .
- ❖ المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة ، د. محمد العبد ، مكتبة الآداب ، مصر، ط٢ ، ٢٠٠٦ .
- ❖ المفارقة في شعر أبي العلاء المعري ، د. حسن عبد راضي ، مطبوعات وزارة الثقافة العراقية ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- ❖ مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي ، د. أحمد كروم ، دار كنوز المعرفة، ط١ ، ٢٠١٥ .

- ❖ مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٩ .
- ❖ منهج التأويل وعلم الدلالة، د. علي جاب، بحث ، مجلة الحياة الطيبة ، ٨٤ ، ٢٠٠٣ .
- ❖ النص الديني في الاسلام، د. وجيه قانصو ، دار الفكر، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٦.
- ❖ النص وآليات الفهم في علوم القرآن ، د.محمد الحيرش ، دار الكتاب الجديد، ط ١، ٢٠١٣ .
- ❖ النص والخطاب والحياة ، فالح شبيب العجمي ، دار جداول ، ط ١ ، ٢٠١٣.
- ❖ النكت في إعجاز القرآن ، علي بن عيسى الرمانى ، تحقيق : محمد أحمد خلف الله ومحمد زغلول ، (د.ت).

أصول الدين عند السيد محمد باقر الصدر

م . آلاء جاسم كاطع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلقه واشرف بريته أبي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين .

موضوع البحث هو (أصول الدين عند السيد محمد باقر الصدر) والغرض من هذا البحث هو تسليط الضوء على المنهج العلمي والفلسفي الذي اعتمده السيد محمد باقر الصدر، في التصدي لواحدة من المشكلات التي واجهت الإيمان والتصديق بالله والنبوة ورسالة الإسلام .

اجمع الباحثون ورجال الفكر والمعرفة على اختلاف انتماءاتهم إن السيد محمد باقر الصدر مدرسة رائدة ذات أبعاد متعددة ، وله منهاج في الفقه والأصول والفلسفة ، وإن منهجه يتميز بالأصالة والتجديد ، فقد كتب الفقه وفق فهم جديد ولغة معاصرة سواء على مستوى البحوث الفقهية العالية أم على مستوى كتابة الرسالة العملية لعموم المكلفين .

واهم كتبه علم الأصول له شقان : علم أصول الدين وعلم أصول الفقه ، وعلم أصول الدين هو علم العقائد أو علم الكلام أو علم التوحيد أو علم الذات والصفات وهو علم نظري يضع أصول النظر أي التصورات العامة للعالم وكما كتب في علم الفلسفة فقد كان مبدعاً فيما كتب وغيرها من دراساته في أصول العقيدة الإلهية .

وهو علم من الأعلام النادرة التي قلما يجود الدهر بمثله ، ومن الرجال العظماء الذين يفتخر العالم الإسلامي بعطائه الفكري والعلمي ، فضلاً عن شخصيته الفذة في الميدان الروحي والأخلاقي ، التي تفجرت ينباع الحكمة على لسانه ، وكان مصداقاً بارزاً للعالم الرياني الذي تذكر رؤيته بأولياء الله وإذا كان

لسانه وقلمه يحققان فتوحاً فكرية فان سيرته كانت نافذة أخلاقية وروحية تصب في خدمة المجتمع الإسلامي ، فهو مفكر وفيلسوف وعالم رباني باقٍ ما بقي الدهر ، ولا يخفى على الباحث أن أبحاث السيد محمد باقر الصدر تحتل مركز الصدارة في الدراسات الفلسفية الإسلامية سواء في الحوزات العلمية ، أم في الجامعات والمعاهد والمدارس ، وهو معلم شاخص استطاع أن ينقل الفكر الإسلامي من حالة الجمود إلى حالة من التآلق والتصدي والهجوم على التيارات الوضعية ذات النزعة المادية والبعد الواحد .

ويبين الصدر في مؤلفاته الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها أصول الدين في مسيرة الإنسان الحضارية والتاريخية والاجتماعية ، وانه يمثل هدف المسيرة ووقود الحركة ومحور عملية الخلافة والأمانة ، إذ لا تقتصر أهميتها وضرورتها وتأثيرها في الإنسان كفرد فحسب ، بل لها اثر اكبر واهم من هذا ، فهذه الأصول تقوم بوظيفة اجتماعية كبيرة .

تمهيد

محمد باقر الصدر : ولد السيد في مدينة الكاظمية المقدسة في بغداد (١٩٣٥ م) ، ونشأ في الكاظمية ما يقارب ثلاثة عشر سنة دخل مدرسة (منتدى النشر الثقافية) وكان عمره تسعة أعوام إثناء دخوله المدرسة ومن أهم أساتذته : السيّد محسن الطباطبائي الحكيم^١ ، أخوه السيّد إسماعيل الصدر^{*} ، آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين وهو خال الصدر ، السيّد أبو القاسم الخوئي ، آية الله الشيخ محمد تقي الجواهري^٢ ، وكانت بعض الكتب الدراسية يناقشها ويتباحث فيها مع أساتذته فقط أو أنه يعرض عليهم الدرس ، قال الصدر عن نفسه إنني لم أفلد أحداً منذ بلوغي سن الرشد ، وقد كان الصدر في تلك الفترة قد كتب تعليقه على الرسالة العملية لخاله الشيخ محمد رضا آل ياسين المسماة ببلاغة الراغبين ، من شواهد تواضع الصدر أن آية الله كاظم الحائري قال : حدثني ذات يوم : أنه حينما كتب كتاب فلسفتنا أراد طبعه باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف بعد عرضه عليهم متنازلاً عن حقه في وضع اسمه الشريف على هذا الكتاب^٣.

١- الشمول والموسوعية : تميزت مدرسة الصدر بمعالجة كافة المعرفة الإسلامية والإنسانية ، فهي متعددة الأبعاد والجوانب ، فهي لا تقتصر على العلوم الشريعة الإسلامية من الفقه والأصول ، بل اشتملت على دراسات في المنطق والفلسفة والعقائد والتاريخ والقانون والسياسة المالية والمصرفية ومناهج التعليم والتربية ومناهج العمل السياسي وغيرها من حقول المعرفة .

فقد كان السيد محمد باقر الصدر آية في النبوغ العلمي واتساع الأفق والعبقريّة الفذة ، وقد سطعت منذ طفولته وبداية حياته كما شهد بذلك أساتذته وزملائه وتلامذته ، وكل من اتصل به .

٢- الاستيعاب والإحاطة : من النقاط ذات الأهمية الفائقة في اتصاف النظرية ، بالمتانة والدقة مدى ما يستوعبه من احتمالات متعددة وما تعالجه من جهات متنوعة مرتبطة بموضوع البحث ، فان هذه الخاصية هي الأساس الأول في انتظام الفكر والمعرفة في أي باب من الأبواب ، بحيث يؤدي فقدانها إلى إن تصبح النظرية مبتورة ، ذات ثغرات ينفذ من خلالها

أبرز تلامذته : السيد كاظم الحائري ، السيد محمد باقر الحكيم ، السيد محمد صادق الصدر ، السيد محسن علي فرحان ، الشهيد السيّد عزّ الدين القبانجي ، السيّد علي رضا الحائري ، السيّد كمال الحيدري ، الشيخ عبد الهادي الفضلي ، السيّد علي أكبر الحائري ، الشيخ فاضل المالكي ، السيّد عبد العزيز الحكيم .

معالم مدرسة شهيد الصدر : كتب تلميذ من تلامذته آية الله السيد محمود الهاشمي عن السيد الشهيد محمد باقر الصدر باعتباره مدرسة علمية ذات خصائص تتفرد بها ما يلي :

والحقيقة أن استيعاب أبعاد عظمة هذا العالم الرباني لا يتيسر لأحد في مثل هذه الدراسة العاجلة ، ولكن ذلك لا يعفينا من التعرض لأبرز معالم مدرسته العلمية والفكرية التي أنشأها وخرج على أساسها جيلاً من العلماء الرساليين والمتقنين ، ورغم قصر حياته الشريفة التي ابتلاه الله فيها بما يبئلى به العظماء من الصديقين والشهداء والصالحين .

وفيما يلي أهم مميزات هذه المدرسة التي ستبقى رائدة وخالدة في تاريخ العلم والإيمان معاً :

مؤلفاته : ألف السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) العديد من الكتب القيمة في مختلف حقول المعرفة وكان لها دور بارز في انتشار الفكر الإسلامي على الساحة الإسلامية وهذه الكتب هي :

- ١- رسالة في علم المنطق .
- ٢- غاية الفكر في علم الأصول .
- ٣- فلسفتنا^٧.
- ٤- فدك في التاريخ .
- ٥- دروس في علم الأصول ثلاثة أجزاء .
- ٦- تعليقه على رسالة بلاغة الراغبين .
- ٧- تعليقه على منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم .
- ٨- تعليقه على مناسك الحج للسيد الخوئي.
- ٩- بحث حول المهدي .
- ١٠- بحث حول الولاية .
- ١١- الأسس المنطقية للاستقراء^٨.

من أقوال السيد الشهيد محمد باقر الصدر :
ليس الحياة إنسان قيمة إلا بقدر ما يعطي للامته من وجوده وحياته وفكره ، وكل مرجعية

النقد ، وهذه الخاصية يتمتع بها فكر السيد محمد باقر الصدر بدرجة عالية .

٣- الإبداع والتجديد : إن حركة العلوم والمعارف البشرية وتطورها تركز على ظاهرة التجديد والإبداع التي تمتاز بها أفكار العلماء في كل مجالات المعرفة .

٤- المنهجية والتنسيق : ومن معالم فكر محمد باقر الصدر منهجيته المتماسكة لكل بحث يتناوله بالدرس والتنقيح ، ومن هنا نجد أن طرح للبحوث الأصولية والفقهية يمتاز عن كافة ما جاء في دراسات وبحوث المحققين من حيث المنهجية والترتيب ، وكذلك يتميز بدقة طريقة الاستدلال في كل موضوع .

٥- النزعة المنطقية والوجدانية : ومن معالمه نزعته المنطقية والبرهانية في التفكير والطرح ، فهو لا يكتفي بسرد النظرية بلا دليل ، بل كان يقيم البرهان مهما أمكن على كل فرضية يحتاج إليها الباحث العلمي ، وهذه الخاصية جعلت آراء ومعطيات هذه المدرسة الفكرية ذات صبغة علمية ومنطقية فائقة^٩.

حققت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعية الصالحة التي يجب العمل لها بكل أخلاص^٩

المبحث الأول : التوحيد

أدرك القدماء أهمية التوحيد ومحوره لكل الأصول فسموه أصل الأصول وأطلق على العقائد اسم (علم التوحيد) لأن الأصول الأخرى متوقفة عليه ، وعرف بعضهم علم الكلام بأنه العلم الذي يبحث عن ذات الله وصفاته وأفعاله ويندرج تحت أفعاله : النبوة والإمامة والمعاد لأنها تمثل تجليات الفعل الإلهي في الكون والحياة وما بعد الحياة^{١٠}.

فالشرائع كلها تقوم على أساس التوحيد ، وهو يعد ابرز أصل مشترك بين الشرائع السماوية ، وان كان هناك شيء من الانحراف لدى أتباع بعض تلك الشرائع^{١١} ، كما هو مبين من خلال الآية الكريمة قوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)^{١٢} ، ومنها قوله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)^{١٣}.

والتوحيد يقدم مثلاً أعلى هو الله عز وجل وهذا ما يجعل المسيرة البشرية تصاعدا لا يهدأ وفي دفع متواصل مستمر فكلما قطعت شوطاً انفتحت أمامها أشواطاً جديدة وهذا التغير الذي يطرأ على المسيرة البشرية باعتناقها التوحيد واتخاذها الله مثلاً أعلى وهناك اثر آخر التوحيد والمتمثل في حل الجدل الداخلي للإنسان والصراع بين متطلبات ذاته وشهوته وبين ما تستوجبه القيم والتعاليم الدينية^{١٤} ، فالتوحيد يمنح الإنسان المؤمن رؤية واضحة فكرياً ، وهو الذي يجمع كل الطموحات وكل الغايات في مثل أعلى واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى^{١٥} ، والتوحيد اجتماعياً يعني أن المالك هو الله تعالى من دون غيره من الآلهة ، وهو الهدف والمحرك والموجه لعملية الاستخلاف ، وعلى هذا الأصل يستند المجتمع التوحيدي ، وبخلافه ينشأ المجتمع الفرعوني الرافض للتوحيد^{١٦} .

والمثل الأعلى هو المحور لحركة تاريخية لأنه يحدد غاياتها وأهدافها وبدورها هذه الأهداف هي التي ترسم حدود الأنشطة والحركات ضمن مسار

ذلك المثل الأعلى ، ولقد صنف السيد محمد باقر الصدر المثل الأعلى إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المثل الأعلى المنتزع من الواقع بكل ما يحويه من ظروف وملابسات .

القسم الثاني : المثل الأعلى المحدود هذا النوع ليس تعبيراً تكرارياً عن الواقع كما هو القسم الأول بل هو تطلع للمستقبل لكنه منتزع عن جزء من هذا الطريق المستقبلي الطويل .

القسم الثالث : المثل الأعلى المطلق الذي تؤمن به عقيدة التوحيد وهو الله جل جلاله .

وهذا النوع يمثل محاولة لتجميد الواقع ويكون المستقبل تكراراً للواقع ، وهذا النوع من الآلهة يعتمد على تجميد الواقع وتحويل ظروفه النسبية إلى مطلقة لكي لا يستطيع الجماعة البشرية أن تتجاوز الواقع وإن ترفع بطموحاتها عن هذا الواقع، إن تبين هذا النوع من المثل العليا يرجع إلى :

أولاً : سبب نفسي وهي حالة الخمول والألفة التي تجعل المجتمع يعيش حالة ضياع فينغلق على آلهة ينتزعها من واقعه يحولها إلى حقيقة مطلقة

وقد عبر القرآن الكريم عن ظاهرة تقديس الواقع الموروث وتحويله إلى حقائق مطلقة.

ثانياً : اجتماعي ويتمثل في التسلط الفرعوني : الفراعنة يرون في التوحيد تجاوزاً للواقع الذي يسطرون عليه وبالتالي خطراً يهدد سلطانهم وكيانهم فيكون من مصلحتهم أن يغمضوا عيون الناس عن أي أفق وراء الواقع ولن يحصل ذلك إلا بتحويل هذا الواقع إلى مطلق إلى مثل أعلى لا يمكن تجاوزه ، ففرعون يحاول دائماً إن يعبئ الجماهير في ظل وجوده ورؤيته^{١٧}، وكما هو مبين من الآية الكريمة من قوله تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)^{١٨}، وقوله تعالى : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)^{١٩}، انه خط الطاغوت في التاريخ الذي يسعى لتجميد حركة المجتمع البشري وتحويل الواقع إلى مطلق وسجن الجماعة البشرية في ضيق الماضي وحدود رموزه ، هكذا تتحول معركة التوحيد والكفر إلى معركة بين قوى التقدم وقوى التآمر والجمود وتكون (الفرعونية) بكل مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المؤسسة

الطاغوتية التي تشد المجتمع إلى الورا وتحول دون نهضتها التوحيدية وتحررها الرسالي.

إن مصير الأمم التي تخضع لهذه المثل إنها تتحول إلى شبح امة تعيش الفرقة والتمزق لأنه بغياب عقيدة التوحيد ينتفي الإطار الذي يوحد صفوف الأمة ويبقى كل إنسان مشدود إلى حاجاته المحدودة إلى مصالحه الشخصية^{٢٠}.

إن التوحيد المثل الأعلى في كل شيء هو الذي يكسب عملية الاستخلاف والاجتماع البشري طابع النجاح ، ويشير الصدر إلى أن مفهوم التوحيد قد اختلف فهمه ووعيه عند الأديان الثلاثة :

١- فالتوحيد في التوراة ذات طابع قومي .

٢- التوحيد في الإنجيل ذو طابع حسي .

٣- التوحيد في القرآن الكريم فانه لا هذا ولا ذاك بل هو عبارة عن التنزيه المطلق الله تعالى وهو مجرد عن أي علاقة مادية مع الإنسان ، ويرى الصدر أن من الأمور المهمة والتي تؤدي إلى تطور الإنسان هي وعي التوحيد وهذا ما جاءت من اجله الرسالات جميعها .

فالشرائع كلها تقوم على أساس التوحيد ، وهو يعد ابرز أصل مشترك بين الشرائع السماوية ، وإن كان هناك شيء من الانحراف لدى أتباع بعض تلك الشرائع^{٢١}، كما هو مبين من خلال الآية الكريمة قوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)^{٢٢}، إن التوحيد المثل الأعلى في كل شيء هو الذي يكسب عملية الاستخلاف والاجتماع البشري طابع النجاح .

المبحث الثاني : العدل

العدل في اللغة بمعنى السوية والتسوية ، وفي العرف معناها رعاية حقوق الآخرين ، وعرف العدل : (إعطاء كل ذي حق حقه)^{٢٣}، ويؤكد السيد محمد باقر الصدر إن عقيدة التوحيد تعلمنا أن نتعامل مع صفات الله لا بوصفها حقائق غيبية منفصلة عنا كما يتعامل فلاسفة الإغريق مع هذه الصفات بوصفها رائداً عملياً بوصفها هدفاً لمسيرتنا العملية بوصفها مؤشرات على الطريق الطويل للإنسان نحو الله سبحانه وتعالى^{٢٤}.

والعدل هو جانب من التوحيد والعدل صفة من صفات الله تعالى ، حاله حال العلم والقدرة ، وبرز العدل أصل ثاني من أصول الدين باعتبار المدلول التوجيهي والتربوي لهذه الصفة ، والعدل له المدلول الأكبر بالنسبة إلى توجيه المسيرة البشرية^{٢٥}.

ويبين الشهيد محمد باقر الصدر في نظريته حول المثل الأعلى المطلق والارتباط بالله شرح العلاقة بالصفات بأنها تكريس وجهاد من أجل الإنسان لما كانت الصفات تمثل هدفاً للمسيرة وغاية يتحرك نحوها الإنسان لا على المستوى الفردي بل على المستوى الأمة ، وهنا يأتي دور الدولة الإسلامية لتضع الله هدف للمسيرة الإنسانية وتطرح صفات الله كمعالم لهذا الهدف فالعلم والعدل والقدرة والرحمة تشكل مجموعها هدف المسيرة البشرية الصالحة ، وكلما اقتربت خطوة نحو هذا الهدف وحقت شيئاً منه انفتحت أفاق واسعة لمواصلة طريقها .

فالسير نحو الله سبحانه وتعالى كله علم وقدرة وعدل وغنى ، ونلاحظ المسيرة الإنسانية كفاحاً

متواصلاً باستمرار ضد كل جهل وعجز وظلم وفقراً^{٢٦}.

إن العدل هو جانب من التوحيد ، والعدل هو الصفة التي تعطى للمسيرة الاجتماعية ، وهي التي تغنيها ، والتي تكون المسيرة الاجتماعية بحاجة إليها أكثر من أي صفة أخرى ، ولقد ابرز العدل هنا كأصل ثاني من أصول الدين وذلك باعتبار المدلول التوجيهي والتربوي لهذه الصفة ، ومن هنا كان العدل المدلول الأكبر إلى توجيه المسيرة البشرية^{٢٧}. والعدل يعني اجتماعياً أن الله تعالى هو المالك الوحيد للبشرية بحكم عدله ، لا يمنح حقاً لفئة على حساب فئة ، بل يستخلف الجماعة الصالحة على ما خلق من نعم وثروات ، والعدل الذي قامت على أساسه مسؤوليات الجماعة ، وهو الوجه الاجتماعي للعدل الإلهي الذي نادى به الأنبياء والرسل (ع) وأكدت رسالات السماء كأصل من أصول الدين يتلو التوحيد مباشرة^{٢٨}.

فالكون قائم على أساس العدل والإسلام والعلاقات الاجتماعية تتكون على أساس العدل وحينما يحصل هذا التوافق والانسجام التكويني

مع النظم التشريعية يسود الأمان وتنزل البركات^{٢٩}، كما هو مبين من خلال الآية الكريمة قوله تعالى : (وَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا)^{٣٠}، إن السيد محمد باقر الصدر لم يصرف جهوداً في بحوثه في إثبات أصل العدل بقدر ما تحدث عن أبعاده وآثاره ، فهو اكتفى بالإشارة إلى دليلين على صفة العدل في بحثه هما :

١- أن حسن العدل وقبح الظلم من أحكام العقل النظري ، والعقل النظري من الله وبالتالي فهو محيط بهذه الأحكام والقيم .

٢- انه من قدرته وسيطرته الشاملة على الكون ليس بحاجة إلى أي مساومة ، ومن هنا نؤمن بان الله عادل لا يظلم أحداً ، والسيد محمد باقر الصدر يعطى العدل أهمية بالغة على مستوى العلاقات الاجتماعية ، ارجع مجموعة من الظواهر إلى العدل ومن أهمها :

١- أيمانه بان العدل الاجتماعي هو الركن المهم في الاقتصاد الإسلامي ، هذه العدالة التي جسدها الإسلام فيما زود به نظام توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي من عناصر وضمانات

تكفل للتوزيع قدرته على تحقيق التوازن ، فهذا العدل الاجتماعي هو الوجه الآخر للعدل الإلهي يقول باقر الصدر :إن العدل الاجتماعي الذي تقوم على أساسه مسؤوليات الجماعة في خلافتها العامة وهو الوجه الاجتماعي للعدل الإلهي .

٢- تصنيفه لطبقات المجتمع الفرعوني على أساس العدل حيث قسم هذا المجتمع إلى فئات مختلفة يحددها موقفها من الظلم والفئات الستة وهي (ظالمون المستضعفون ، الحاشية المتملقون ، الهمج الرعاع ، المهادنون ، الرهبانيون ، المستضعفون) .

٣- اكتشافه لقانون وسنة تاريخية تقوم على التناسب بين العدل وبين ازدهار علاقات الإنسان مع الطبيعة وبالمقابل يتناسب الظلم في المجتمع تناسباً عكسياً مع علاقات الإنسان بالطبيعة^{٣١}.

المبحث الثالث : النبوة

النبوة مأخوذة من (النبأ) الذي هو الخبر السار ، ومعناها : تلقي النبي خبراً من الله تعالى عن طريق الوحي وتبليغه إلى الناس ، فالنبوة تعبير عن العلاقة بين النبي وبين الله تعالى ، وقد

عرف علماء العقيدة النبي : هو إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحى الله إليه ، ومن خلال هذا التعريف يبين لنا أن النبوة تقوم على أركان ثلاثة وهي :

١- المرسل هو الله تعالى .

٢- الرسالة هي الوحي .

٣- الرسول وهو شخص المنزل عليه الوحي .

والوحي الذي ينتزل على الأنبياء هو كلام الله تعالى المتضمن لأوامره ووعده ووعيده ، والمبين للعقائد والعبادات وأصول الحلال والحرام وهو المعبر عنه بالكتب الإلهية المقدسة ، والقرآن الكريم يشير إلى عدد من هذه الكتب منها القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والزيور ، وهذه الكتب هي كما أوضحنا من قبل كلام الله تعالى ووحيه الصادق وقوله الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنتزل به الملائكة على قلوب الأنبياء والمرسلين .

وهي التي توفر الصلة الموضوعية بين الإنسان وبين المثل الأعلى وإن هذه الصلة الموضوعية يجسدها النبي محمد (ص) على مر التاريخ ،

والأنبياء هم الذين يجسدون هذه الصلة الموضوعية^{٣٢} .

النبوة باعتبارها (هدياً إلهياً) هي الصيغة الوحيدة القادرة على إيجاد التوازن بين الفرد بكل نوازه وغرائزه وشهواته من ناحية وبين المجتمع بكل مصالحه وضروراته من ناحية أخرى وهي القادرة على سد هذه الثغرة التي كانت مبعث الآلام الإنسانية وعذاباتها على مدى تاريخها الطويل^{٣٣} ، والهدف من النبوة هو ربط الإنسان بالمطلق الأعلى ، وتحقيق رسالة السماء على الأرض ، وتجسدت هذه الصلة الموضوعية بالنبي ، الذي يهدف إلى ربط الإنسان بربه ، من أجل سلامة المسيرة الإنسانية^{٣٤} ، فالنبوة ظاهرة ربانية تمثل رسالة ثوريه وعملاً تغييرياً وإعداداً ربانياً للجماعة لكي تستأنف دورها الصالح ، وتفرض ضرورة هذه الثورة أن يتسلم شخص النبي الرسول الخلافة العامة ، وبذلك يندمج خط الشهادة وخط الخلافة في شخص واحد هو النبي ، فالنبوة تجمع كلا الخطين ، ومن هنا اشترط الإسلام في النبي العصمة ، وقد اوجب الله سبحانه وتعالى على النبي ، مع انه القائد

المعصوم ، أن يشاور الجماعة ويشعرهم بمسؤوليتهم في الخلافة من خلال التشاور^{٣٥}، وكما هو مبين في الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)^{٣٦}.

عرفنا أن محور النبوة يدور حول معنى الوحي المنزل من الله تعالى ، أو بعبارة أخرى : إن النبي هو الشخص الذي يتلقى من الله كلاماً يسمعه ويحفظه ويبلغه للناس ، وتكليم الله لبعض البشر إنما يعني ابتداء اصطفاء هذا البعض وتميزه بميزات من طهر السريرة ونقاء القلب وصفاء الروح لا يتحقق لغير الأنبياء مهما بلغت درجة استقامة هذا الغير وانضباط سلوكه ، وسبب ذلك أن النبي في تميزه عن غيره من عباقرة البشر وفضلاتهم إنما يستمد مقومات تميزه من الاصطفاء الإلهي ، وهو اصطفاء يذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع^{٣٧}، وقوله تعالى : (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ)^{٣٨}.

إعطاء العقل البشري وظيفته الحقيقة والتي خلق من أجلها وهي أن يكون الوسطة الضرورية بين

المطلق والنسبي ، والمقدس والغير المقدس ، وبين الوحي والممارسة العملية اليومية للإنسان ، وبين الحقيقة الربانية المطلقة والحقيقة النسبية^{٣٩}، فلكي يكون النبي قادراً على تلقي الوحي الإلهي ، فيجب أن يكون على مستوى بالغ الرفعة والعلو من تهذيب النفس وتكميلها بالفضائل والآداب العليا^{٤٠}، وكما هو مبين من خلال الآية الكريمة قوله تعالى : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)^{٤١}، وفي شأن النبي محمد (ص) قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^{٤٢}، ويلخص علماء العقيدة الشروط التي يجب توفرها في الأنبياء وهي :

١- الذكورة : أي لا بد أن يكون النبي رجلاً ، وهذا أمر ظاهر لان مهام النبوة ومشاققتها لا يتناسب مع الطبيعة الأنثوية من قريب أو من بعيد ، وقد نقل بعض العلماء الإجماع على عدم نبوة النساء^{٤٣}، وكما هو مبين من خلال الآية الكريمة قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^{٤٤}، وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى)^{٤٥}.

٢- الأمانة : المقصود بها صدق الأنبياء في أقوالهم وأفعالهم ، وهذا يعني أن الأنبياء (عليهم السلام) معصومون من الكذب خصوصاً فيما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة

٣- العصمة : من الوقوع في الذنوب .

٤- هناك صفات أخرى اشترطها علماء العقيدة مثل : الذكاء والفتنة وسرعة البديهة ... الخ.

والنبوة من الأمور الخارقة للعادة ، فهي ليست من الظواهر التي تجري على القواعد والتي تتضبط بالقوانين والسنن الكونية ، فالنبوة اتصال مباشر بين شخص معين من البشر وبين قوى غيبية يعجز الإنسان عن إدراكها والاتصال بها ، وفي النبوة ادراك يدعيه النبي وهو ادراك خفي محجوب عن إسماع الناس وإبصارهم وكل قواهم المدركة ، وفي النبوة ادعاء النبي بتلقي أخبار من السماء في أقل من لمح البصر وكل هذا يصطدم اصطدام مباشر مع عادات الناس .

ومن هنا كانت النبوة أمراً بعيداً الاحتمال عن ما تعودهم الناس في حياتهم ، وكذلك أنكر المنكرون على الأنبياء دعواهم النبوة ، وكان مبعث إنكارهم هو استبعادهم لأن يتفرد واحد

بظاهرة غريبة لا يقدر عليها الناس ، وكان في تفكيرهم : أن النبوة لو كانت صحيحاً فلما أن يستطيعها الناس جميعاً ، وإما أن تناط بكائن غير بشري ، وأما أن تكون النبوة أمراً خارقاً لنظم البشر وعاداتهم ، ثم تظهر على واحد من هؤلاء البشر ، فهذا في زعمهم التناقض الذي لا تطيقه عقولهم ، وكانوا يحتجون على أنبيائهم بأنهم بشر مثلهم ، وأنهم لا يجدون في أنفسهم شيئاً مما يقوله هؤلاء ، ومرة يظهر حيرتهم من بشرية النبي ومماثلته للناس في المأكل والمشى في الأسواق ، وأخرى يبذرون دهشتهم من عدم تحمل الملائكة لهذا الأمر وقيامهم به بدلاً من هؤلاء البشر ، وتارة يهربون من المواجهة ويحيلون القضية كلها إلى دائرة السحر أو الجنون أو التلقي من أشخاص خفية مستورة وليس وراء هذه الاعتراضات إلا دافع واحد هو فهم الكفار والملحدين للنبوة بالمقاييس العادية التي تعودها الناس^٦ : وقوله تعالى : (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)^٧ ، وقوله تعالى : (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ

لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٥٦﴾ أَوْ يُقْلَى
إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٥٨﴾ .

ونلاحظ من سياق الآيات أن منكري النبوة كانوا
ينطلقون في تكذيبهم للأنبياء ، من استبعاد
اتصالهم بالمأ الأعلى مع احتفاظهم في نفس
الوقت ببشريتهم ، وقد طلبوا من الأنبياء برهاناً
على صدق دعواهم لا يترك لديهم مجال
الشك^{٥٩} ، وكما هو مبين من خلال الآية الكريمة
قوله تعالى : (فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)^{٥٠} ، والذي
طلبه المنكرون إنما هو معجزة^{٥١} .

والناس لا يؤمنون من غير دليل ، فلا يمكن
للنبي أن يدعوهم إلى الإيمان به وبرسالته ،
ويكلفهم بذلك ما لم يقدم لهم دليل الذي يبرهن
على صدق دعواه ، وكونه رسولاً حقاً من قبل
الله تعالى ، لا يمكن الإنسان أن يؤمن برسالة
النبي ونبوته ألا على أساس الدليل .

والذي يبرهن على صدق النبي ودعواه هو
المعجزة ، وهي إن يحدث النبي تغير في الكون
يتحدى به القوانين الطبيعية^{٥٢} .

فصدق النبوة والمعجزة أمران متلازمان ، ويشترط
في المعجزة أن تكون^{٥٣} :

١- وجود بعض الظواهر الخارقة للعادة ، والتي
لا يمكن أن توجد من خلال الأسباب والعلل
العادية .

٢- ظهور هذه الأمور الخارقة للعادة من
الأنبياء بالإرادة الإلهية ، وبإذن خاص من الله
تعالى^{٥٤} .

٣- أن يكون الغرض من ظهور هذا الفعل
الخارق هو تحدي المنكرين ، سواء صرح النبي
صاحب المعجزة بالتحدي ، أو كان التحدي
مفهوماً من قرائن الأحوال .

٤- أن تكون المعجزة موافقة ومصدقة لدعوى
النبوة ، فإذا حدثت المعجزة وكذبت النبي دعواه
فلا يكون النبي صادقاً .

٥- أن يعجز المنكرون عن الإتيان بمعجزة
مماثلة لمعجزة النبي ، ومعجزته هي القرآن
الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي محمد وهو
معجزة عقلية تتصف بصفتين أساسيتين ، العموم
لجميع الناس والجن ، والاستمرار إلى آخر الزمن
، وكذلك انشقاق القمر^{٥٥} ، وقد أشار إليه القرآن

الكريم في قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ
الْقَمَرُ)^{٥٦} ، ووردت به روايات كثيرة حددت مكان
الحادثة وزمانها .

فالترباط بين المواقف العملية والأهداف هو
القانون الذي ينظم ظاهرة الاختيار لدى الإنسان
، فان كل إنسان يحدد أهدافه وفقاً لما تتطلبه
مصلحة وذاته من الحاجات ، وهذه الحاجات
تحددها البيئة والظروف التي تحيط بالإنسان ،
فان خلق الظروف لضمان تحرك الإنسان وفق
مصالح الجماعة شرط ضروري لاستقرار الحياة
ونجاحها ، فمصالح تنقسم إلى قسمين فهناك
مصالح على مدى طويل يعود بالنفع إلى
الجماعة ، فهناك مصالح على مدى قصير يعود
بالنفع إلى الفرد نفسه ، وكثير ما تعارض
مصالح الفرد مع مصالح الجماعة ، وعلى هذا
الأساس واجه الإنسان تناقضاً بين ما تفرضه
سنة الحياة واستقرارها واهتمام بمصالح الجماعة
وما تدعو إليه نوازع الفرد واهتمامه بشخصه ،
وكان لابد من صيغة تحل هذا التناقض وتخلق
الظروف الموضوعية التي تدعو إلى تحرك
الإنسان وفق مصالح الجماعة .

والنبوة بوصفها ظاهرة ربانية في حياة الإنسان
هي القانون الذي وضع صيغة الحل هذه بتحويل
مصالح الجماعة التي تتجاوز مدى القصير
لحياة الإنسان إلى مصالح للفرد على مدى
الطويل ، وذلك من خلال إشعاره بالامتداد بعد
الموت والانتقال إلى ساحة العدل والجزاء التي
يحشر الناس فيها ليروا أعمالهم^{٥٧} .

أن تكامل الرسائل مهما امتد واستمر لابد أن
ينتهي عند نقطة يبلغ معها نهايته ومن المستحيل
أن يستمر إلى ما لانهاية لابد إن نصل إلى
رسالة خاتمة تختزن بداخلها كل المقومات
الأساسية لقيادة الإنسان وهدايته وتستوعب كل
الحلول لكل المشاكل ، ويحلل محمد باقر
الصدر أبعاد ومستويات التطور البشري فيرجعها
إلى ثلاثة أبعاد :

أ- الوعي التوحيدي .

ب- المسؤولية الأخلاقية في تحمل أعباء
الرسالة .

ج- خط التقدم الفني والتقني والسيطرة على
الطبيعة .

وتغير النبوات يرتبط بالبعد الأول والثاني ولكنها لا تتأثر بالبعد الثالث ولا تتفعل به وإلا لو كانت متوقفة عليه لكانت النبوة متغيرة بين الحين والآخر خاصة في عصورنا الأخيرة حيث يشهد العالم نقلات سريعة في مجال التقدم العلمي ، ولكن لما كانت النبوة مرتبطة فقط بخط الوعي التوحيدي وخط المسؤولية الأخلاقية ولما بلغ هذان الخطان نهايتهما ختمت النبوة مع رسالة الإسلام التي تمثل رسالة شاملة عامة للحياة جاءت على أبواب وصول الإنسان إلى رشفه الكامل من ناحية استعداده لتقبل وعي توحيدي صحيح كامل ومن ناحية تحمل مسؤولية أعباء الدعوة .

ولتعميق مفهوم تكامل النبوات وحقب تاريخ الأنبياء لقد انقسمت النبوات إلى مراحل مهدت لبلوغ الإنسانية أوج استعدادها لتلقي الأطروحة الكاملة التي ستطبق في المجتمع العالمي المنشود على يد صاحب العصر والزمان (ع)^{٥٨}

، واهم مراحل النبوات هي :

الأولى : مرحلة النبوات العقائدية .

الثانية : مرحلة النبوات التشريعية .

ثالثاً : مرحلة النبوات القبلية .

رابعاً : مرحلة النبوات العالمية .

اثبت محمد باقر الصدر الصانع الحكيم بالدليل الاستقرائي ، ومناهج الاستدلال العلمي ، كذلك نثبت نبوة النبي محمد (ص) ، بالدليل العلمي الاستقرائي وبنفس المناهج التي نستخدمها في الاستدلال على الحقائق في حياتنا الاعتيادية والعلمية ونوضح ذلك بأمثال : إذا استلم الإنسان رسالة من احد أقاربه ، وكان الشخص الذي كتب الرسالة يدرس في مدرسة ابتدائية بالقرى ، فيلاحظ الإنسان الذي استلم الرسالة ، أنها قد كتبت بلغة حديثة ، وبعبارات بليغة ، وبقدرة فنية فائقة ، على تنسيق الأفكار وعرضها بصورة جيدة ، فان مستلم الرسالة سوف يستنتج أن شخصاً مثقفاً واسع الاطلاع ، قد أملى الرسالة على هذا الصبي ، وإذا أردنا أن نحلل هذا الاستنتاج والاستدلال نجد أن بالإمكان تجزئته إلى الخطوات التالية :

الأولى : أن كاتب الرسالة صبي ريفي ويدرس في مدرسة ابتدائية .

الثانية : أن الرسالة تتميز بأسلوب رفيع وقدرة فائقة على تنسيق الأفكار .

الثالثة : أن الاستقراء يثبت في الحالات المماثلة ، أن صبيهاً بتلك المواصفات التي تقدمت في الخطوة الأولى ، لا يمكنه أن يصوغ رسالة بالمواصفات التي لوحظت ، وهذا ما يصدق تماماً على نبوة الرسول الأعظم محمد (ص) والرسالة التي أعلنها على العالم باسم السماء .

إن فكرة التغير والتجديد في النبوة التي عاشتها ظاهرة النبوة في تاريخ الإنسان على مر الزمن ، حتى وضع لها الحد النهائي على يد الرسالة الإسلامية الخاتمة ، لها أسباب عديدة يمكن أن تقوم على أساس واحد من هذه الأسباب وهي فيما إذا كانت هذه النبوة قد استنفذت إغراضها ، واستكملت أهدافها ، وأنهت شوطها المرسوم ، وتؤدي إلى خدمة الإنسان ، وتصعيده إلى المستوى المطلوب .

واقصد بكون النبوة تستنفذ إغراضها ، إن تكون النبوة بالذات ، وصفة لمرض طارئ في حياة البشرية ، وهناك نقاط ضعف تطرأ بين حين وحين ، في بعض الأزمنة والأمكنة في بعض

المجتمعات البشرية تطرأ بعض الأمراض المعينة من الناحية الفكرية والروحية والأخلاقية وهذه الأمراض تستفحل بموجب شروط معينة ، وتحتاج هذه الأمراض إلى العلاج ، وبطبيعة الحال سوف تكون الوصفة المقدمة من قبل هذه الرسالة لعلاج هذا المرض^{٥٩} .

المبحث الرابع : الإمامة

الإمامة في اللغة : الرئاسة ، وكل من يتصدى لرئاسة الجماعة يسمى الإمام سواء كان ذلك في طريق الحق أو الباطل ، وقد أطلق من يقتدي به المصلون (إمام الجماعة) .

والإمامة في مصطلح علم الكلام عبارة عن الرئاسة والقيادة العامة الشاملة على الأمة الإسلامية في كل الإبعاد والجوانب الدنيوية ، وهذه الرئاسة والقيادة في رأي الشيعة إنما تكون شرعية فيما لو كانت من قبل الله تعالى ، ولا يكتسب أي شخص هذا المقام إلا إذا كان معصوماً من الخطأ ، ومنزهاً عن الذنوب والمعاصي^{٦٠} .

والإمامة هي في الحقيقة تلك القيادة التي تندمج مع دور النبوة فالنبي إمام أيضاً ، ولكن الإمامة

لا تنتهي بانتهااء النبي^{٦١}، فالإمامة هي الامتداد الروحي النبوة ووريثاً لرسالات السماء مارست دورها في محاولة تصحيح هذه الدولة وإعادتها إلى الطريق الصحيح^{٦٢}، فإذا ما كانت المعركة قائمة وإذا ما كانت الرسالة لا تزال بحاجة إلى قائد يواصل المعركة إذن سوف يستمر هذا الجانب من دور النبي ولكن من خلال الإمامة^{٦٣}.

والإمام ليس بصاحب رسالة ولا يأتي بدين جديد ، بل هو المؤتمن على الرسالة التي جاء بها الرسول ، ووجود الإمام في حياة الناس يعني أن خط السماء لازال حياً ومستمر على الأرض ، وانه شاهد وشهيد على مسيرة الإنسان^{٦٤}.

وقد امتدت الإمامة بعد عصر الغيبة في المرجعية ، وتحملت المرجعية أعباء هذه الرسالة العظيمة ، وقامت على مر التاريخ بأشكال مختلفة من العمل ، والإمامة ظاهرة ربانية ثابتة على مر التاريخ ، وقد اتخذت شكلين ربانيين هما :

١- شكل النبوة التابعة لرسالة النبي القائد ، فقد كان في كثير من الأحيان يخلف النبي الرسول

أنبياء غير مرسلين يكلفون بحماية الرسالة القائمة ومواصلة حملها^{٦٥}، وكما هو مبين في الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿١٢٨﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)^{٦٦}.

٢- الوصايا بدون النبوة ، وهذا هو الشكل الذي اتخذته رسول الله (ص) بأمر من الله تعالى ، فعين الأئمة ألاثني عشر من أهل البيت (ع) ونص على وصية المباشرة بعده الإمام علي (ع)^{٦٧}.

والإمامة المبكرة ظاهرة سبقه إليها عدد من آبائه ، فالإمام محمد بن الجواد (ع) تولى الإمامة وهو في الثامنة من عمره والإمام علي بن محمد الهادي تولى الإمامة وهو في التاسعة من عمره^{٦٨}، ويلاحظ أن ظاهرة الإمامة المبكرة بلغت ذروتها في الإمام المهدي والإمام الجواد (ع) ، ولا يمكن أن نطالب بإثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة امة ، ونوضح ذلك ضمن التالية :

في الإمامة ، لأنها كانت في نظر الخلافة المعاصرة لها تشكل خطأ عدائياً ، ولو من الناحية الفكرية على الأقل ، الأمر الذي أدى إلى قيام السلطات بحمله من التصفية والتعذيب ، فقتل من قتل ، وسجن من سجن ، وهذا يعني الاعتقاد بإمامة أئمة أهل البيت كان يكلفهم الكثير .

٥- إن الأئمة الذين دانت هذه القواعد لهم بالإمامة لم يكونوا معزولين عنها ، ولم يحتجبوا عن الناس إلا أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي .

٦- إن الخلافة المعاصرة للأئمة كانت تنظر إليهم وإلى زعامتهم الروحية والأمامية بوصفها مصدر خطر على كيانها وعلى هذا الأساس بذلت كل جهودها في سبيل قضاء على هذه الزعامة ، وتحملت في سبيل ذلك كثيراً من السلبات ، وكانت حملات الاعتقال مستمرة للأئمة (ع) .

إذا أخذنا هذه النقاط بنظر الاعتبار ، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشك ، أمكن أن نخرج بنتيجة وهي أن ظاهرة الإمامة المبكرة كانت

١- لم تكن إمامة الإمام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن ، ويدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميين والعباسيين ، وإنما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي ، والإقناع الفكري لتلك القواعد ، وقيادته على أسس روحية وفكرية .

٢- إن هذه القواعد الشعبية بنيت منذ صدر الإسلام ، وازدهرت واتسعت على عهد الإمامين الباقر والصادق (ع) ، وأصبحت المدرسة التي رعاها تشكل تياراً فكرياً واسعاً في العالم الإسلامي ، يضم المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الإسلامية والبشرية .

٣- إن الشروط التي كانت هذه المدرسة وما تمثله من قواعد شعبية في المجتمع الإسلامي ، تؤمن بها وتتقيد بموجبها في تعيين الإمام ، لأنها تؤمن بأن الإمام لا يكون إماماً إلا إذا كان اعلم علماء عصره .

٤- إن المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدم توضيحات كبيرة في سبيل الصمود على عقيدتها

ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً ، لان الإمام الذي يظهر على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماماً روحياً وفكرياً ، ويدين له بالولاء والإمامة ، فلا بد أن يكون على قدر واضح من العلم والمعرفة^{٦٩}.

المبحث الخامس : المعاد

الإيمان بيوم القيامة يعد طاقة روحية ومعنوية للإنسان ، هو الذي يعطي تلك الروحية ، ذلك الوقود الرباني الذي يجدد دائما إرادة الإنسان ، ويوفر الشعور بالمسؤولية والضمانات الموضوعية^{٧٠}.

ويتعلم من خلال هذا الأصل أن ديناه مرتبطة بآخرفته وآخرفته مرتبطة بدنياه ، وسلوك الإنسان المؤمن مرتبط بهذا الأصل الذي له دور كبير في تربية الإنسان وتوجيهه نحو تحقيق العدالة والسعادة^{٧١}.

إذن أصول الدين هي في الحقيقة كلها عناصر تساهم في تركيب هذا المثل الأعلى ، وفي إعطاء تلك العلاقة الاجتماعية^{٧٢}، التي هي تعبير عن صيغة تدمج أصول الدين الخمسة في

مركب واحد من اجل أن يسير الإنسان ، ويكدح نحو الله سبحانه وتعالى^{٧٣}.

نلاحظ إن الإنسان هو مركز الثقل في المسيرة التاريخية ، وإن مركز ثقله لا بجسمه ، وإنما بمحتواه الداخلي ، وإن الأساس في بناء هذا المحتوى الداخلي هو المثل الأعلى الذي يتبناه الإنسان ، لان المثل الأعلى هو الذي ينبثق منه كل الغايات ، والتي هي بدورها تعتبر المحركات التاريخية للنشاطات على الساحة التاريخية .

ونلاحظ إن أصول الدين لها دور كبير في بناء شخصية الإنسان المسلم بناءاً شامخاً ومؤثراً ، وتؤدي أصول الدين دور كبير في صياغة الإنسان صياغة قرآنية لا مثيل لها^{٧٤}، وكما هو مبين في الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^{٧٥}، وأما الرسالة فهي الإسلام دين الله الذي بعث به النبي محمد (ص) رحمة العالمين ، وقد استهدف الإسلام قبل كل

شيء ربط الإنسان بربه وبمعاده من جانبيين هما :

الجانب الأول : ربط الإنسان بالإله الواحد الحق ، وأكد على ذلك لكي يقضي على كل ألوان الشرك وجعل من كلمة التوحيد (لا اله إلا الله) شعاره الرئيسي ، ولما كانت النبوة هي الوسيط الوحيد المباشر بين الخلق والخالق فشهادة هذه النبوة بوحدة الإله والخالق تعتبر أساساً لإثبات التوحيد .

الجانب الثاني : ربط الإنسان بالمعاد فهي الوحيدة القادرة على علاج التناقض والتي تحقق العدل الإلهي .

والرسالة الإسلامية مميزات تميزها عن سائر الرسالات السماء ، وفيما يلي نذكر أهم السمات :

١- إن هذه الرسالة ظلت سلمية ضمن النص القرآني ، دون أن تتعرض لأي تحريف ، بينما الكتب السماوية تعرضت للتحريف^{٧٦} ، وكما هو مبين في الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)^{٧٧} ،

واحتفاظ الرسالة بمحتواها العقائدي والتشريعي ، هو الذي يمكنها من مواصلة دورها التربوي .

٢- إن بقاء القرآن نصاً وروحاً ، يعني أن نبوة محمد (ص) لم تفقد أهم وسيلة من وسائل أثباتها ، لأن القرآن وما يعبر عنه مبادئ الرسالة والشرعية كان هو الدليل الاستقرائي ، وفقاً لما تقدم على نبوة محمد (ص) وكونه رسولاً ، وهذا الدليل يستمر مادام القرآن باقياً ، خلافاً لذلك النبوات التي يرتبط أثباتها بواقع معين تحدث في لحظة معينة .

وكل نبوة لا يمكن التأكد من دليلها ، ولا يمكن أن يكلف الله الاعتقاد بها ، أو البحث عن وسيلة لإثباتها^{٧٨} ، وكما هو مبين في الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : (يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)^{٧٩} ، ونحن اليوم نعتمد في إيماننا بالأنبياء السابقين صلوات الله عليهم وبمعجزتهم .

٣- إن مرور الزمن كما عرفنا ، لا ينقص من قيمة الدليل على الرسالة الإسلامية ، ولكن ليس هذا فقط ، بل انه أيضاً يمنح هذا الدليل أبعاداً جديدة ، من خلال تطور المعرفة البشرية ،

واتجاه الإنسان إلى دراسة الكون ، والقرآن الكريم سبق إلى الاتجاه نفسه ، وربط الأدلة على الصانع الحكيم ، بدراسة الكون وبين الإنسان أهمية هذه الدراسة من أسرار ومكاسب ، بل لأن الإنسان الحديث ، يجد اليوم في هذا الكتاب الذي بشر به رجل أُمي في بيئة جاهلة قبل مئات السنين ، إشارات واضحة إلى ما كشف عن العلم الحديث ، حتى قال المستشرق الانكليزي ، عندما كشف العلم دور الرياح في التلقيح : إن أصحاب الإبل قد عرفوا إن الرياح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يتوصل العلم في أوروبا إلى ذلك بعدة قرون^{٨٠}، ويقصد من خلال هذا القول إلى الآية القرآنية الكريمة كما هو مبين من خلال قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)^{٨١}.

٤- إن هذه الرسالة جاءت شاملة لكل جوانب الحياة ، واستطاعت توازن بين الجوانب المختلفة ، وتوحد أسسها ، ولم يعد الإنسان يعيش حالة الانشطار بين حياته الروحية وحياته الدنيوية .

٥- إن هذه الرسالة السماوية الوحيدة ، التي طبقت على يد الرسول محمد (ص) استطاعت إن تحول الشعارات التي أعلنتها إلى حقائق في الحياة اليومية للناس .

٦- إن هذه الرسالة بنزولها إلى مرحلة التطبيق ، دخلت التاريخ ، وساهمت في صنعه ، وتمثل عطاء سماوياً للأرض ، ومن الخطأ أن نفهم تاريخنا ، ضمن إطار العوامل والمؤثرات الحسية ، وإن نعتبره حصيلة ظروف مادية ، فإن هذا الفهم المادي للتاريخ ، لا ينطبق على أمة ، بني وجودها على أساس رسالة السماء .

٧- إن هذه الرسالة لا يقتصر أثرها ، على بناء هذه الأمة ، بل امتد من خلالها ، ليكون قوة مؤثرة وفاعلة في العالم كله ، على مسار التاريخ ، ولا يزال الباحثون يعترفون بأن الدفعة الحضارية للإسلام هي التي حركت شعوب أوروبا ، ونهتها إلى الطريق .

٨- وقد اقتضت الحكمة الإلهية ، التي ختمت النبوة بمحمد (ص) أن تعد له أوصياء يقومون بمهام الإمامة والخلافة بعد اختتام النبوة ، وهم الأئمة (ع)، وفي حالة غيبة الإمام الثاني عشر

(ع) ارجع الإسلام ، الناس إلى الفقهاء ، وفتح باب الاجتهاد بمعنى بذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة .

٩- إن النبي محمد (ص) الذي جاء بهذه الرسالة ، تميز عن جميع الأنبياء ، الذين سبقوه بتقديم رسالته ، بوصفها آخر أطروحة ربانية ، وبهذا أعلن أن نبوته هي النبوة الخاتمة ، وفكرة النبوة الخاتمة لها مدلولان :

الأول سلبي : هو الذي ينفي ظهور نبوة أخرى على المسرح .

الثاني ايجابي : هو الذي يؤكد استمرار النبوة الخاتمة وامتدادها مع العصور .

وحينما نلاحظ المدلول السلبي للنبوة الخاتمة ، نجد هذا المدلول قد انطبق على الواقع تماماً ، خلال الأربعة عشر قرناً ، التي تلت ظهور الإسلام ، وإن عدم ظهور نبوة أخرى ، ليس لأن النبوة الخاتمة جاءت بالرسالة الوريثة ، لكل ما يعبر عنه تاريخ النبوات من رسالات ، ومتمثله على كل ما في تلك النبوات والرسالات من قيم ثابتة ، وبهذا كانت هي الرسالة الوحيدة القادرة على الاستمرار مع الزمن وكل ما يحمل من

عوامل التطور والتجديد^{٨٢}، وكما هو مبين في الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)^{٨٣}.

﴿ الخاتمة ﴾

بعد دراسة (أصول الدين عند السيد محمد باقر الصدر) ، عبر صفحات هذا البحث ، نستطيع أن نوضح أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من دراستنا :

١- انفردت هذه المدرسة الأصلية بالتأسيس ، والتجديد والإبداع ، والعمق ، والدقة والشمول والموضوعية ، وهي مدرسة رائدة ذات جوانب وأبعاد متنوعة ، وتميزت بكل ما هو جديد .

٢- إن مدرسة الشهيد الصدر لم تقف عند حدود العراق أو المسلمين الشيعة ، وإنما تجاوزت هذه الحدود ، إذ اعترف بمنهجيتها كبار المفكرين والمتقنين في العالم العربي والإسلامي .

٣- تميزت أصول الدين الخمسة بدورها وأثرها الاجتماعي ، إلى جانب دورها المتعلق بالإنسان ، إلا انه لا بد من وجود آثار اجتماعية وتربوية وأخلاقية لأصول الدين من أجل تحقيق أهدافها

الإنسان من قدره على الإبداع والنمو الطبيعي على سلامة العلاقات الإنسان مع الطبيعة .

٨- الدولة ظاهرة اجتماعية أصيلة في حياة الإنسان ، وقد نشأت هذه الظاهرة على يد الأنبياء ورسالات السماء ، واتخذت صيغتها السوية ومارست دورها السليم في قيادة المجتمع على أساس العدل ، ويؤمن السيد الصدر بان الدولة ظاهرة نبوية ، وهي تصعيد للعمل النبوي ، بدأت في مرحلة معينه من حياة البشرية ، والسيد يرفض نظرية الدولة التي طرحها الفكر السياسي الغربي الوضعي جاء نتيجة لما جاء به السيد الصدر من نظرية إسلامية لتفسير أصل نشأة الدولة ، وهذه النظرية عرفت باسم نظرية (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) .

٩- المعجزة هي دليل العقل الأوحد ، يعرف علماء العقيدة المعجزة على إنها أمر خارق العادة يظهر على يد مدعي النبوة .

١٠- إن الثورة التي يقوم بها الأنبياء ضد الجاهلية لصنع مجتمع ، وللحفاظ على هذه الثورة يجب أن يمتد دور النبي محمد (ص) في قائد رباني يمارس دور الخلافة ويكون شهيدا في

، وقد انفرد الأصل الأول التوحيد بأهمية ودور كبير في تاريخ الأديان ، فبعث الله تعالى الأنبياء والرسل من اجل الدعوة لعبادته سبحانه وحده لا شريك له .

٤- وان هدف النبوة أن تصنع الإنسان من الداخل وان تضع له قاعدة فكرية يقوم على أساسها ، وهذا التفاعل بين الإنسان وعقيدة التوحيد لها دور كبير في تفجير طاقات الكون وتسخيرها من اجل صالح الإنسان.

٥- يرى الصدر أن من الأمور المهمة والتي تؤدي إلى تطور الإنسان هي وعي التوحيد وهذا ما جاءت من اجله الرسالات جميعها .

٦- وان هدف النبوة أن تصنع الإنسان من الداخل وان تضع له قاعدة فكرية يقوم على أساسها ، وهذا التفاعل بين الإنسان وعقيدة التوحيد لها دور كبير في تفجير طاقات الكون وتسخيرها من اجل صالح الإنسان.

٧- بين السيد محمد باقر الصدر إن المجتمع الفرعوني يبني العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان على أساس الظلم ، وتهدر ما في

١٢- ويقول السيد محمد باقر الصدر في تأكيده أهمية أصول الدين : (تبين بكل وضوح إن أصول الدين الخمسة التي تمثل على الصعيد العقائدي جوهر الإسلام والمحتوى الأساسي لرسالة السماء ، هي في نفس الوقت تمثل أوجهها الاجتماعية على صعيد الثورة الاجتماعية التي قادها الأنبياء الصورة المتكاملة لأسس هذه الثورة ، وترسم للمسيرة البشرية معالم خلافتها العامة على الأرض) .

نفس الوقت ، وهذا القائد الرباني هو الإمام ، ويجب أن يكون معصوماً ، فالإمام كالنبي ، شهيد وخليفة لله في الأرض .

١١- السيد محمد باقر الصدر يتمتع في هذا المجال بقدرة فائقة على التجديد والإبداع في العلوم والنظريات ، وقد استطاع أن يفتح آفاقاً للمعرفة الإسلامية لم تكن مطروقة من قبله ، فكان رائدها الأول ومؤسس مناهجها ، وستبقى المدرسة الإسلامية مدينة لهذه الشخصية العملاقة ، وخصوصاً في بحوث الاقتصاد الإسلامي ومنطق والتاريخ السياسي.

المصادر والهوامش

١- الزبيدي ، الشيخ ماجد ناصر : التحفة الزبيدية في مقاتل علماء الأمامية ، الناشر : المحبين للطباعة والنشر ، ط١ ، (٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ) ، ص ٢٦٧ .

* السيد إسماعيل الصدر : ولد في الكاظمية سنة (١٣٤٠هـ) في شهر رمضان وترعرع في كنف والده وقرأ بعض المقدمات عليه وقرأ السطوح على جماعة كعمه الإمام السيد محمد جواد الصدر والحجة الميرزا علي الزنجاني ، وبعده أكمل السطوح ، وهاجر إلى النجف ، وخلف كثير من المؤلفات التي تمثل بمجموعتها تركه علمية وهي : (شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين ، فوائد في الفقه والأصول ، فصل الخطاب في حكم أهل الكتاب ، رسالة في صلاة الجمعة ، الخ) .

ينظر : الحسيني : السيد احمد : ومضات مشرقة من الفكر الإبداعي التجديدي عند الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ، الناشر : المحبين للطباعة والنشر ، بإشراف مؤسسة الكوثر الثقافية البصرة ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، ص ٢٥ - ٢٨ .

٢- برهاني : الشيخ حيدر بلال : قصص وخواطر من حياة الشهيد الصدر وأخته الفاضلة بنت الهدى ، العلمية - العبادية - الأخلاقية ، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط١ ، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ، ص ٩٢ .

٣- انترنت :

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

٤- زيد ، عامر عبد : إشكالية التجديد في الخطاب الإسلامي أسلمة الخطاب عند محمد باقر الصدر ، محمد باقر الصدر المؤسس والمجدد وقائع المؤتمر العلمي السنوي الأول عن السيد الشهيد محمد باقر الصدر نيسان ٢٠٠٧م ، تأليف نخبه من الباحثين ، مؤسسه العارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط١ ، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ، ص ١٦٥ .

٥- انترنت : دروس في علم الأصول ، مقدّمة المجمع ، بقلم : محمد أمين نجف

info@balagh.com .

- ٦- برهاني : الشيخ حيدر بلال : قصص وخواطر من حياة الشهيد الصدر وأخته الفاضلة بنت الهدى ، العلمية - العبادية - الأخلاقية ، ص ٩٣ - ١٠١ .
- ينظر : النعماني ، الشيخ محمد رضا : شهيد الأمة وشاهدها دراسة وثائقية لحياة وجهاد الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، القسم الأول : حياته الشخصية والعلمية ، . إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، مط : شريعت ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ) ، ص ١٠٨ - ١١٥
- ٧- الصدر ، محمد باقر : دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى) كتاب دارسي في علم أصول الفقه اعد للمبتدئين في دراسة هذا العلم ، تحقيق وتعليق : مجمع الفكر الإسلامي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) ، ص ٧١ - ٧٢ .
- ٨- النعماني ، الشيخ محمد رضا : شهيد الأمة وشاهدها دراسة وثائقية لحياة وجهاد الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
- ينظر : زيني ، د . جاسم الشيخ : الدولة في فكر محمد باقر الصدر ، الناشر : مؤسسة البديل للدراسات والنشر ، دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ، ص ٤٣ - ٤٥ .
- ٩- الصدر ، محمد باقر : اقتصادنا محاولة استنباط المذهب الاقتصادي في الإسلام ، ج ٢ ، مط : مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ) ، ص ٢٦٣ .
- ١٠- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، الناشر : مركز الأبحاث العقائدية ، مط : ليلي ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ) ، ص ٩٧ .
- ١١- كاظم ، رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، مراجعة لغوية : رفعت كاظم السوداني ، تنسيق وإخراج : سارة سعد هامل ، (٢٠٠٩ م) ، ص ٢٣٥ .
- ١٢- سورة النحل : الآية (٣٦) .
- ١٣- سورة الأعراف : الآية (٥٩) .
- ١٤- كاظم ، د . رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٥٨ .

- ١٥- الصدر ، محمد باقر : المدرسة القرآنية ، الناشر : مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، الطباعة : مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ) ، ص ١٥٣ .
- ينظر : الصدر ، محمد باقر : التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية ، تقديم وتنقيح وتعليق : جلال الدين علي الصغير ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) ، ص ١٥٧ .
- ١٦- كاظم ، رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٢٣٢ .
- ١٧- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .
- ١٨- سورة غافر : الآية (٢٩) .
- ١٩ سورة القصص : الآية (٣٨) .
- ٢٠- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١٠٦ .
- ٢١- كاظم ، رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٢٣٥ .
- ٢٢- سورة النحل : الآية (٣٦) .
- ٢٣- اليزدي ، محمد تقي مصباح : دروس في العقيدة الإسلامية ، الناشر : المشرق للثقافة والنشر ، مط : فجر الإسلام ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) ، ص ١٦١ .
- ٢٤- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
- ينظر : الصدر ، محمد باقر : المدرسة القرآنية ، ص ١٥١ .
- ٢٥- الحكيم ، السيد منذر : النظرية الاجتماعية الإسلامية دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ، بيروت ، ط ١ ، (٢٠٠٨ م) ، ص ٢٠١ .
- ٢٦- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١٣٠ - ١٣٢ .
- ٢٧- الصدر ، محمد باقر : التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

- ينظر : الصدر ، محمد باقر : المدرسة القرآنية ، ص ١٥٤ .
- ٢٨- كاظم ، د . رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٢٣٢ .
- ٢٩- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١٣٣ .
- ٣٠- سورة الجن ، الآية (١٦) .
- ٣١- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
- ٣٢- الصدر ، محمد باقر : التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
- ينظر : الصدر ، محمد باقر : المدرسة القرآنية ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- ٣٣- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، مراجعة : محمد السيد الجليلند ، أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، مط : الدوحة الحديثة المحدودة ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ص ١١ .
- ٣٤- كاظم ، رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٢٣٣ .
- ٣٥- زيني ، جاسم الشيخ : الدولة في فكر محمد باقر الصدر ، ص ١٥٥ .
- ٣٦- سورة آل عمران ، الآية (١٥٩) .
- ٣٧- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٠ - ١٢١ .
- ٣٨- سورة الأعراف : الآية (١٤٤) .
- ٣٩- مصطفى ، عبد الحق : من الفكر الفلسفي عند الإمام الصدر (قدس سره) ، محمد باقر الصدر دراسات في حياته وفكره تأليف نخبة من الباحثين مؤسسه العارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، ص ٣٣٦ .
- ٤٠- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢١ .

- ٤١- سورة الأنعام : الآية (١٢٤) .
- ٤٢- سورة القلم : الآية (٤) .
- ٤٣- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٢ .
- ٤٤- سورة الأنبياء : الآية (٧) .
- ٤٥- سورة يوسف : الآية (١٠٩) .
- ٤٦- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٢-١٢٣ .
- ٤٧- سورة يس : الآية (١٥) .
- ٤٨- سورة الفرقان : الآية (٧-٨) .
- ٤٩- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٤-١٢٥ .
- ٥٠- سورة إبراهيم : الآية (١٠) .
- ٥١- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٤-١٢٥ .
- ٥٢- الصدر ، محمد باقر : بحوث في علوم القرآن ، إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، الناشر : مجمع الثقلين ، مط : المعارف ، ط ٢ ، (١٤٢٦ هـ) ، ص ٩٩-١٠٠ .
- ٥٣- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٤-١٢٥ .
- ٥٤- اليزدي ، محمد تقي مصباح : دروس في العقيدة الإسلامية ، ص ٢١٥ .
- ٥٥- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون : الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ص ١٢٥-١٢٦ ، ص ١٣٢ .
- ٥٦- سورة القمر : الآية (١) .

- ٥٧- الصدر ، محمد باقر : المرسل الرسول الرسالة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ، ص ٥٩ - ٦١ .
- ٥٨- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ٧٠ - ٧٣ .
- ٥٩- الصدر ، محمد باقر : أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف ، ب. ت ، ص ٣٣ - ٣٦ .
- ٦٠- اليزدي ، محمد تقى مصباح : دروس في العقيدة الإسلامية ، ص ٢٧٦ .
- ٦١- الحكيم ، السيد منذر : النظرية الاجتماعية الإسلامية دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ، ص ٢٠٢ .
- ٦٢- زيني ، جاسم الشيخ : الدولة في فكر محمد باقر الصدر ، ص ١٥٤ .
- ٦٣- الصدر ، محمد باقر : التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية ، ص ١٥٨ .
- ٦٤- كاظم ، رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٢٣٣ .
- ٦٥- زيني ، جاسم الشيخ : الدولة في فكر محمد باقر الصدر ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .
- ٦٦- سورة الأنبياء : الآية (٧٢ - ٧٣) .
- ٦٧- زيني ، جاسم الشيخ : الدولة في فكر محمد باقر الصدر ، ص ١٥٧ .
- ٦٨- الصدر ، محمد باقر : بحث حول الإمام المهدي (عليه السلام) ، دار التعارف للمطبوعات ، لبنان - بيروت ، ط ٦ ، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ، ص ٤١ .
- ٦٩- الصدر ، محمد باقر : بحث حول الإمام المهدي (عليه السلام) ، ص ٤٣ - ٤٥ .
- ٧٠- الحكيم ، السيد منذر : النظرية الاجتماعية الإسلامية دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ، ص ٢٠٢ .
- ٧١- كاظم ، رائد جبار : الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، ص ٢٣٤ .
- ٧٢- الحكيم ، السيد منذر : النظرية الاجتماعية الإسلامية دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ، ص ٢٠٣ .

- ٧٣- الصدر ، محمد باقر : التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية ، ص ١٥٩ .
ينظر : الصدر ، محمد باقر : المدرسة القرآنية ، ص ١٥٥ .
- ٧٤- بن علي ، الأسعد : التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، ص ١١٣ .
ينظر : الحكيم ، السيد منذر : النظرية الاجتماعية الإسلامية دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ، ص ٢٠٣ .
- ٧٥- سورة البقرة : الآية (٣٠) .
- ٧٦- الصدر ، محمد باقر : المرسل الرسول الرسالة ، ص ٧٩ - ٨٠ .
- ٧٧- سورة الحجر : (٩) .
- ٧٨- الصدر ، محمد باقر : المرسل الرسول الرسالة ، ص ٨٠ .
- ٧٩- سورة الطلاق : الآية (٧) .
- ٨٠- الصدر ، محمد باقر : المرسل الرسول الرسالة ، ص ٨١ .
- ٨١- سورة الحجر : الآية (٢٢) .
- ٨٢- الصدر ، محمد باقر : المرسل الرسول الرسالة ، ص ٨٢ - ٨٣ .
- ٨٣- سورة المائدة : الآية (٤٨) .
- ﴿المصادر والمراجع﴾**
- أولاً - الكتب المقدسة :
- القرآن الكريم
- ثانياً - الكتب والمؤلفات العربية :
- الحسيني : السيد احمد :
- ومضات مشرقة من الفكر الإبداعي التجديدي عند الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ، الناشر : المحبين للطباعة والنشر ، بإشراف مؤسسة الكوثر الثقافية البصرة ، ط ١ ، (٢٠١٠ م) .
- الحكيم ، السيد منذر :
- النظرية الاجتماعية الإسلامية دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ، بيروت ، ط ١ ، (٢٠٠٨ م) .

- الزبيدي ، الشيخ ماجد ناصر :
- التحفة الزبيدية في مقاتل علماء الأمامية ، الناشر : المحبين للطباعة والنشر ، ط ١ ، (٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ) .
- النعماني ، الشيخ محمد رضا :
- شهيد الأمة وشاهدها دراسة وثائقية لحياة وجهاد الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، القسم الأول : حياته الشخصية والعلمية ، . إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، مط : شريعت ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ)
- اليزدي ، محمد تقي مصباح :
- دروس في العقيدة الإسلامية ، الناشر : المشرق للثقافة والنشر ، مط : فجر الإسلام ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) .
- برهاني : الشيخ حيدر بلال :
- قصص وخواطر من حياة الشهيد الصدر وأخته الفاضلة بنت الهدى ، العلمية - العبادية - الأخلاقية ، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) .
- بن علي ، الأسعد :
- التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر (قدس سره) ، الناشر : مركز الأبحاث العقائدية ، مط : ليلي ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ) .
- زيد ، عامر عبد :
- إشكالية التجديد في الخطاب الإسلامي أسلمة الخطاب عند محمد باقر الصدر ، محمد باقر الصدر المؤسس والمجدد وقائع المؤتمر العلمي السنوي الأول عن السيد الشهيد محمد باقر الصدر نيسان ٢٠٠٧ م ، تأليف نخبة من الباحثين ، مؤسسه العارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) .
- زيني ، جاسم الشيخ :

- الدولة في فكر محمد باقر الصدر ، الناشر : مؤسسة البديل للدراسات والنشر ، دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) .
- عبد الظاهر ، حسن محمد عيسى ، وآخرون :
الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، مراجعة : د . محمد السيد الجليند ، أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، مط : الدوحة الحديثة المحدودة ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- كاظم ، د . رائد جبار :
الإنسان في الفكر العربي والإسلامي المعاصر (محمد باقر الصدر أنموذجاً) ، مراجعة لغوية : د . رفعت كاظم السوداني ، تنسيق وإخراج : سارة سعد هامل ، (٢٠٠٩ م) .
- مصطفى ، عبد الحق :
من الفكر الفلسفي عند الأمام الصدر (قدس سره) ، محمد باقر الصدر دراسات في حياته وفكره تأليف نخبه من الباحثين مؤسسه العارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) .
- الصدر ، محمد باقر :
اقتصادنا محاولة استنباط المذهب الاقتصادي في الإسلام ، ج ٢ ، مط : مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ) .
- دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى) كتاب دارسي في علم أصول الفقه اعد للمبتدئين في دراسة هذا العلم ، تحقيق وتعليق : مجمع الفكر الإسلامي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) ، ص ٧١ - ٧٢ .
- المدرسة القرآنية ، الناشر : مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، الطباعة : مؤسسة الهدى الدولية النشر والتوزيع ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ) .
- التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية ، تقديم وتنقيح وتعليق : جلال الدين علي الصغير ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) .
- بحوث في علوم القرآن ، إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (قدس سره) ، الناشر : مجمع الثقلين ، مط : المعارف ، ط ٢ ، (١٤٢٦ هـ) .
- المرسل الرسول الرسالة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .

أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف ، ب. ت .

بحث حول الإمام المهدي (عليه السلام) ، دار التعارف للمطبوعات ، لبنان - بيروت ، ط ٦ ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .

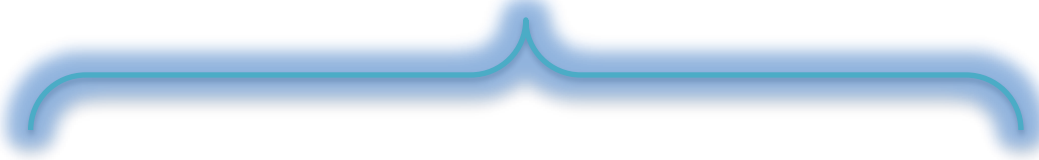
سابعاً - المواقع الإلكترونية :

- انترنت : دروس في علم الأصول ، مقدّمة المجمع ، بقلم : محمد أمين نجف

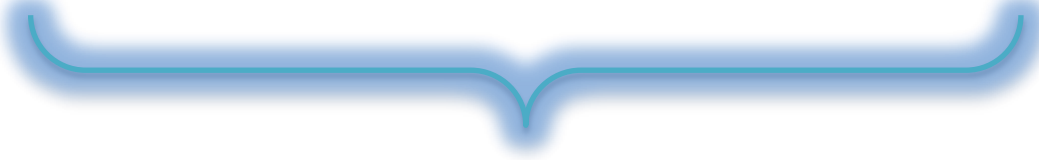
. info@balagh.com

- انترنت

<http://ar.wikipedia.org/wiki>



محور الدراسات الجغرافية



تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة

ا.م.د. حسين عليوي ناصر الزيايدي

الباحث أركان ناهي موسى خضر

Introduction

المقدمة :

يشير مفهوم مؤشرات التنمية بحسب ما عرّفه البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة على أنها عملية تهدف إلى توسيع الخيارات أمام الناس، وذلك بزيادة فرصة التعليم والدخل والعمل والرعاية الصحية التي تُعد أساساً للتنمية البشرية، وهذه الخيارات تعكس في دليل التنمية البشرية، الذي يعد بمثابة المعبر الرقمي عما تحقق من إنجازات في بلد ما في ما يتعلق بالقدرات البشرية المتمثلة بأن يحيا المرء حياة طويلة ويكتسب المعرفة ويتمتع بمستوى معيشي لائق ، أما بالنسبة لقياس تلك المؤشرات فقد تعددت وتنوعت المقاييس المستخدمة لقياس التقدم المتحقق في مستويات التنمية البشرية، إلا أن ثمة مقاييس محدودة قد استأثرت على جانب كبير من اهتمام الباحثين لاستخدامها في التعبير عن التنمية والمستويات التي حققتها والمدّيات التي وصلت لها ، وتعد هذه المقاييس بمثابة أدلة مركبة لقياس الجوانب المختلفة للتنمية البشرية ، إذ إن مفهوم التنمية وما يتصف به من السعة والشمول يجعله أغنى بكثير من أن يعبر عنه أي دليل مركب أو حتى بمجموعة منفصلة من المؤشرات والمعطيات الإحصائية، بيد أن ذلك لايعني الغاء وجود أدوات لرصد المنجزات المتحققة في مجال التنمية البشرية أو استيفاء الحاجة إليها بأي حال من الأحوال ، فهي مهما تكن يمكن الاستفادة منها في إعطاء تصور عن أوضاع التنمية البشرية في منطقة الدراسة^(١). فعلى الرغم من سعة مفهوم التنمية البشرية وذلك لتعدد الخيارات أمام الناس وتغيرها عبر الزمن ، إلا أن للقياس أهمية وضرورة في تقييم مسيرة التنمية وما حقيقته من نتائج ، فضلاً عن أن نتائج القياس توفر المعلومات اللازمة لأصحاب القرار لمعرفة السياسات والخطط الواجب اتباعها لتحقيق الأهداف التنموية^(٢).

مشكلة البحث (The Problem of the Research)

يمكن طرح مشكلة البحث على الصيغة الآتية.

١- هل يوجد تباين مكاني لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة؟

٢- مامدى توافق مؤشرات التنمية الريفية مع المعايير التخطيطية؟

أما فرضية البحث Hypothesis of the (Research) فنتمثل بالآتي.

١- ثمة تباين مكاني لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة، وهذا التباين ناتج عن سوء الجانب التخطيطي، عن أنعكاسات الوضع السياسي للبلد على الاداء الخدمي فه بصورة عامة.

٢- لا تتوافق مؤشرات التنمية في ريف القضاء مع المعايير التخطيطية المحلية منها والعالمية.

ويهدف البحث (Aim of the Research) إلى بيان وتحليل مستوى مؤشرات التنمية في ريف قضاء الرميثة من خلال دراسة المؤشرات الرئيسة التي يحددها تقرير التنمية الصادر عن الأمم المتحدة التي تتمثل بالصحة والتعليم والدخل والأسكان، والعمل على صياغة أليات تهدف إلى تحسين واقع تلك المؤشرات ورفع مستوى كفايتها.

منهجية البحث (The Method of

Research) تم الاعتماد على المنهج الاحصائي التحليلي الوصفي لقياس مؤشرات التنمية ومدى تباين مستوياتها.

مصادر البحث (Sources Research)

تم الاعتماد على البيانات والإحصاءات التي وفرتها الجهات الرسمية المتمثلة بوزارة الصحة دائرة صحة المثنى ووزارة التربية مديرية تربية المثنى ووزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء في محافظة المثنى، فضلاً عن الدراسة الميدانية المتمثلة بتوزيع استمارة الاستبيان لسد النقص في عدم توفر بعض البيانات كبيانات الدخل والأسكان

حدود البحث: Research boundaries

تتمثل حدود البحث المكانية بالقرى الواقعة ضمن قضاء الرميثة الذي يقع في القسم الشمالي الغربي لمحافظة المثنى وتشتمل على ٤٢ قرية تابعة لمركز القضاء و٤٧ قرية في ناحية المجد و٧٨ قرية في ناحية النجمي و٤٩ قرية في ناحية الهلال وتقع القرى بين دائرتي عرض (٣١.١٥°

الجسمانية والعقلانية وتأمين سلامته من خلال استخدام الخبرات والمهارات العلمية والوقائية لمعالجته من الأمراض والأوبئة التي قد تفتك به^(٤) وبذلك فالخدمات الصحية تعد مؤشراً هاماً لقياس مستوى التنمية ومرآة عاكسة للواقع التنموي ، فهناك علاقة

طردية بين تطور الخدمات الصحية والواقع التنموي ، فالاهتمام بالخدمات الصحية وحسن معالجة الأمراض ، وسيادة مفهوم الصحة العامة بين السكان يترك أثراً إيجابياً على الواقع التنموي بقطاعاته الاقتصادية والاجتماعية والحضارية وأنشطته الأخرى^(٥)، وعليه فإن المؤشر الصحي يحظى بأهمية بالغة بين مؤشرات التنمية البشرية وتظهر انعكاساته على المؤشرات الأخرى أيضاً كالتعليم ومؤشرات الدخل ، إذ يتأثر أحدهما بالآخر ، لأن من يتمتع بصحة جيدة يتمكن من مواصلة التعليم والإبداع بحيث يكون عنصر منتج كذلك من يتمتع بصحة جيدة يستطيع أن يدخل سوق العمل سواء كان عملاً تقليدياً ام تقنياً متقدماً^(٦)

و ٤٤.٣١° شمالاً وقوسي طول (١.٤٥° و ٥٩.٤٤° شرقاً خريطة (١).

هيكلية البحث (Research Structural)

اقتضت الضرورة العلمية تقسيم البحث إلى عدة مواضيع أشتمل الأول على الخدمات الصحية وتوزيعها المكاني وتناول الثاني الخدمات التعليمية وقياس مؤشراتهما، أما الموضوع الثالث فقد درس مؤشر الدخل وعني الموضوع الرابع واقع مؤشر الأسكان في ريف القضاء واختتم البحث بجملته من النتائج والتوصيات كحلول عملية لرفع مستوى مؤشرات الخدمات في ريف القضاء.

المحور الاول : الخدمات الصحية :

تعد الصحة ظاهرة انسانية ذات أبعاد اقتصادية ثقافية واجتماعية ، إذ إن التخطيط للصحة لا يقل أهمية عن التخطيط للتنمية الاقتصادية في الزراعة والصناعة فالتخطيط الصحي هو أحد الجوانب المهمة في عملية التخطيط الإقليمي^(٣). أما الخدمات الصحية فتعرف على أنها جميع الأنشطة والممارسات التي تقوم بها فئة من الناس المتخصصة في مجال الطب ومعالجة الإنسان لتقديم الخدمات المتعلقة بحيات الإنسان وصحته

وسيتم دراسة أهم مكونات الخدمات الصحية للتعرف على الحجم المقدم لسكان منطقة الدراسة بناءً على توزيعها وكما يأتي .

أولاً. مؤشرات المؤسسات الصحية

١. المستشفيات :

عرفت منظمة الصحة العالمية المستشفى بأنه جزء أساسي من نظام اجتماعي وصحي وظيفته تقديم الرعاية الصحية الكاملة للسكان وتشمل هذه الرعاية بنوعيتها الوقائية والعلاجية التي تمتد إلى الأسر في بيئتها المنزلية ، ويكفل المستشفى للمريض مأوى يتلقى فيه الرعاية الطبية وأحياناً يُعد المستشفى مركزاً لتدريب العاملين في المجالات الصحية^(٧)، وتؤخذ أعداد المستشفيات إشارة لكفاءة الخدمات الصحية في حين إن قلتها أو عدم توفرها دليل على تدني مستوى الخدمة العلاجية وهذا ما تتسم به منطقة الدراسة التي تفتقر لوجود المستشفيات إذ لا يوجد أي مستشفى في ريف قضاء الرميثة.

٢ - مراكز الرعاية الصحية الأولية .

يعرف مركز الرعاية الصحية الأولية أنه مؤسسة صحية تحتوي على ملاك طبي وخدمي وأدوية

وأدوات لازمه لتقديم العلاجات الأولية اللازمة وتنقيف المجتمع صحياً للوقاية من الأمراض^(٨) والمراكز الصحية هي أولى الوحدات التي تراجع من قبل المرضى وأكثر المؤسسات الصحية انتشاراً في البلدان إذ تتواجد في المناطق البعيدة والنائية وتفتقر تلك المراكز إلى الخدمات الصحية المتكاملة^(٩). وفي ما يخص منطقة الدراسة فقد ضمت (٦) مراكز صحية بواقع ثلاثة مراكز صحية في ريف مركز القضاء ومركز صحي واحد لكل من وحدات المجد والنجمي والهلال. أما بالنسبة للكوادر البشرية لهذه المراكز الصحية

المراكز الصحية وكما يتبين من الجدول (١) والخريطة (٢) فإنه يقتصر على ذوي المهن الصحية^(*) والتمريضية^(**) ويفتقر إلى الملاك الصحي الطبي (ذوي المهن الطبية)^(***). إذ بلغ عدد ذوي المهن الصحية (١٨) مهنيّاً صحياً موزعين على المراكز الصحية بواقع (٨) في ريف مركز القضاء و(٦) في ناحية المجد و(٣) ناحية الهلال و (١) في ناحية النجمي أما ذوي المهن التمريضية فقد بلغ عددهم (٤٧) ممرضاً منهم (٢٧) ممرضاً في ريف مركز القضاء و(١٣) في

ناحية المجد (٢٠٥) في ناحي النجمي والهلال
تتالياً .

ثانياً- مؤشرات الخدمات الصحية .

إن تقييم الخدمات الصحية وفق المعايير
التخطيطية لريف قضاء الرميثة بحسب وحداتها
الإدارية يعد من الأمور الهامة لتباين أهميته هذه
الخدمات ومعرفة واقع حالها ومدى كفايتها بما
يتلائم مع حجم سكان منطقة الدراسة

١. معيار (مستشفى / نسمة)

يشير هذا المعيار إلى عدد الأشخاص لكل
مستشفى ، أي النسبة بين عدد السكان إلى عدد
المستشفيات وقد حدد هذا المعيار ب (٦٠٠٠)
نسمة/ مستشفى في الدول المتقدمة ، وفي العراق
حددت وزارة الصحة بنحو (٥٠) ألف شخص /
مستشفى جدول (٢) وفيما يخص ريف قضاء
الرميثة فإنه يفتقر لوجود المستشفيات وعند مقارنة
المعيار التخطيطي المحلي نسمة/ مستشفى ، مع
الحجم السكاني الكلي لمنطقة الدراسة يظهر أن
نسبة الحاجة (٤) مستشفيات لعموم منطقة الدراسة
جدول (١) والخريطة (٢) ، إلا أن الوحدات
الإدارية منفردة لم تصل إلى المستوى الحجم

السكاني الذي يؤهلها تخطيطياً لاستحقاق مستشفى
إذ لم تصل أي من الوحدات الإدارية عتبة (٥٠)
الف نسمة، وبالتالي فإن افتقار منطقة الدراسة
لوجود مستشفى يؤثر إلى خلل في مستوى تلك
الخدمات في ظل احتياجات السكان إليها.

٢. معيار (مركز صحي/ نسمة)

حددت وزارة الصحة في العراق هذا المعيار بنحو
(١٠) الآف نسمة/مركز صحي، ويدل هذا
المؤشر على وجود زخم كبير على المراكز
الصحية في الوحدات الإدارية ماعدا ريف مركز
القضاء التي لا يظهر فيها العجز واضحاً إذ بلغ
فيه المؤشر (١٢٣٢٠) نسمة/مركز صحي، إلا
أن العجز يظهر جلياً في ريف ناحية المجد التي
بلغ فيها المؤشر (٤١١٤٩) نسمة /مركز صحي
، إذ يفترض وجود (٤) مراكز صحية إلا أن
المتوفر منها مركزاً صحياً واحداً، وهذا الحال
ينطبق على ناحيتي النجمي والهلال اللتين تعانيان
من عجز واضح في المراكز الصحية إذ بلغ
المؤشر لهما (٣٥١٤٧، ٣٧٥١٣) نسمة/ مركز
صحي تتابعاً ، إذ يفترض وجود ثلاثة مراكز
صحية لكل منهما الا ان المتوفر منها هو مركز

تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة

يظهر وجود عجز تام إذ لا يوجد أي طبيب في المراكز الصحية لمنطقة الدراسة وهذا يعني الحاجة إلى نحو (٣٧) طبيباً في ريف مركز القضاء و (٤١، ٣٥، ٣٧) طبيباً في (ناحية المجد ، ناحية النجمي ، ناحية الهلال) وعلى التتابع .

٣- معيار (طبيب أسنان/نسمة)

يوضح هذا المعيار عدد الأشخاص لكل طبيب أسنان واحد، وقد حددته وزارة الصحة في العراق بنحو (١٠٠٠٠) نسمة /طبيب أسنان وعند تطبيق هذا المعيار على واقع المركز الصحية لمنطقة الدراسة يظهر عجزاً تاماً أيضاً إذ تفتقر جميع المراكز الصحية في منطقة الدراسة لأطباء الأسنان .

٤- معيار (طبيب عيون/نسمة)

يشير المعيار إلى أن حصة هذا التخصص لتبلغ (٢٠٠٠٠) نسمة /طبيب عيون ، وتعاني منطقة الدراسة من عدم وجود متخصص بإمراض العيون ، يُسجل هذا المؤشر عجزاً تاماً يبلغ مقداره (٧) أطباء عيون لإجمالي ريف القضاء.

صحي واحد لكل وحدة إدارية أي بعجز مقداره مركزين صحيين لكل منهما.

ثالثاً. مؤشرات الملاكات البشرية للمؤسسات الصحية

التي تتضح معطياتها من خلال بيانات الجدولين (١) (٢) وملاحظة الخريطة (٣)

معيار (نسمة /سرير)

يوضح نسبة عدد الأشخاص لكل سرير للرقود (٢٤) ساعة فأكثر في المستشفيات ، ويعتمد توفر الأسرة على حجم السكان فضلاً عن توفر الكادر الطبي في تلك المراكز، وتفتقر المراكز الصحية في ريف القضاء إلى وجود الأسرة إذ تعاني من عجز تام في هذا المعيار الذي حُدد في العراق ب (٥٠٠) نسمة /سرير .أي إن مقدار الحاجة إلى الأسرة يصل إلى حوالي (٧٤، ٨٢ ، ٧٠ ، ٧٥) سريراً في (ريف مركز القضاء ، ناحية المجد ، ناحية النجمي ، ناحية الهلال، وعلى التوالي.

١- معيار (طبيب /نسمة)

حددت وزارة الصحة في العراق هذا المعيار بنحو (١٠٠٠) نسمة/طبيب . وعند تطبيق هذا المعيار على واقع المراكز الصحية في ريف المنطقة

٥- معيار (صيدلاني/نسمة)

يشير إلى عدد الأشخاص لكل صيدلاني الذي يقوم بمهام صرف الأدوية للمريض بعد التشخيص من قبل الطبيب وحددت وزارة الصحة في العراق هذا المؤشر ب(٢٠٠٠٠) شخص/صيدلاني أما بالنسبة لمنطقة الدراسة فهي تعاني من عجز تام في هذا المعيار ويقدر العجز بنحو (٢) صيدلاني لكل وحدة ادوية

٦- معيار (مرض/نسمة)

يوضح هذا المعيار النسبة بين عدد السكان إلى ذوي المهن التمريضية بوصفهم ملاكات ثانوية يقع على عاتقها تقديم المستلزمات العلاجية للمريض ومراقبة حالته الصحية وقد حدد المؤشر ب(٢٥٠) شخص/مرض ، وعند تطبيقه على الوحدات الإدارية لمنطقة الدراسة يلاحظ انحداره الشديد جداً إذ بلغ معدل هذا المؤشر (١٣٦٨) شخص/مرض في ريف مركز القضاء الذي يفترض وجود (١٤٨) ممرضاً، إلا إن المتوفر هو (٢٧) ممرضاً أي أن مقدار العجز (١٢١) ممرضاً أما في ناحية المجد فقد بلغ المؤشر (٣١٦٥) شخصاً/ممرضاً إذ يتطلب حجمها

السكاني (١٦٤) ممرضاً إلا أن المتوفر منهم (١٣) ممرضاً ليبلغ مقدار العجز (١٥٢) ممرضاً، وبلغ هذا المؤشر في ناحية النجمي (٧٠٢٩) شخص /ممرض الذي يفترض وجود (١٤٠) ممرضاً المتوفر منهم (٥) فقط ليصل العجز إلى (١٣٥) ممرضاً .في حين بلغ المؤشر في ناحية الهلال (١٨٧٥٦) شخص/ممرضاً إذ لا يتوفر فيها سواء (٢) ممرض ليصل مقدار العجز إلى (١٤٨) .

٧- معيار(ذوي المهن الصحية / نسمة)

حددت وزارة الصحة في العراق بضرورة توفر شخص واحد من ذوي المهن الصحية لكل (٤٠٠-٥٠٠ نسمة) * من السكان . وعند تطبيقه على الوحدات الإدارية لريف المنطقة يلاحظ أنه بلغ (٤٦٢٠) شخص/مهنيّاً صحياً في ريف مركز القضاء الذي يتطلب (٧٤) مهنيّاً صحياً المتوفر منهم (٨) وبعجز مقداره (٦٦) مهنيّاً صحياً، أما في ناحية المجد فقد بلغ المؤشر (٦٨٥٨)نسمة/مهنيّاً صحياً إذ يفترض وجود (٨٢) مهنيّاً صحياً ، إلا أن المتوفر هو (٦) فقط ليبلغ مقدار العجز (٧٦) الذي وصل في ناحية

النجمي إلى (٦٩) مهنياً صحياً التي لا يتوفر فيها سوى (١) من ذوي المهن التمريضية وبلغ هذا المؤشر في ناحية الهلال (١٢٥٠٤) نسمة/مهنياً صحياً، بعجز مقداره (٧٢) من ذوي المهن الصحية إذ لا يتوفر فيها سوء (٣) فقط.

تبين مما تقدم أن مؤشرات الواقع الصحي في ريف قضاء الرميثة تشير إلى انحدار شديد وتدهور واضح مما يشكل مدعاة للقلق إذ تفتقر منطقة الدراسة لأغلب تلك المؤشرات كالمستشفيات والأطباء بمختلف تخصصاتهم والصيدلة، فضلاً عن النقص الحاد والخدمات المتواضعة لما متوافر من تلك المؤشرات كالمراكز الصحية وذوي المهن التمريضية والصحية، مما يدفع بسلكان منطقة الدراسة إلى الذهاب نحو مناطق تواجد لها الأخرى لتلبية احتياجاتهم المتزايدة إليها ، إذ لم يسجل أي مؤشر من مؤشرات الخدمات الصحية درجة الكفاية في منطقة الدراسة ولاشك في أن لذلك عواقبه الوخيمة على المجتمع وفي مختلف الأنشطة في وقت أصبحت فيه الصحة من الشواغل الأكثر أهمية في مجال التنمية سواء كانت الاقتصادية أو الاجتماعية ، إذ لا يمكن

تحقيق تنمية حقيقية دون تحسين وتطوير الأوضاع الصحية للإنسان الذي يُعد نواة التنمية وهدفها الأساس فهو عاجز عن استثمار ما في بيئته من امكانات إلا إذا اكتمل صحياً بوصف المستوى الصحي الجيد مفتاح لزيادة الإنتاج ورفع الإنتاجية ، في حين يشكل ضعف الحالة الصحية أحد القيود التي تعوق العملية التنموية، لذا لابد من وضع الرؤى الاستراتيجية وتعويضها بخبرات المخطط الجغرافي التنموي بغية الوصول إلى نظام صحي موزع مكانياً ومنظم تنظيمياً جيداً للنهوض بهذا القطاع المهم والحيوي ضمن منظومة التنمية الشاملة عامة والتنمية الريفية على وجه الخصوص للوصول قدر الإمكان إلى مؤشرات الكفاية ولضمان المساواة في إمكانية الحصول على حق الرعاية الصحية لسكان لريف قضاء الرميثة.

المحور الثاني . الخدمات التعليمية

يُعد التعليم أحد أهم مؤشرات تقدم الأمم وتطورها ، و يمثل مكان الصدارة في التنمية المستقبلية ، فهو أحد المحاور الرئيسة لضمان عملية التنمية البشرية وأحد أهم الخيارات التي تسعى برامج الأمم المتحدة الإنمائية إلى توسيع نطاقها ليشمل جميع

بعدد (التلاميذ للمدرسة الواحدة، للمعلم الواحد ،
للشعبة الواحدة)، وهذه المعايير يتم مقارنتها
بالمعايير التخطيطية المحلية والعالمية لمعرفة
مدى الابتعاد أو الاقتراب منها بغية تقييم كفاية
تلك الخدمات والتعرف على مستواها في منطقة
الدراسة .

يلاحظ من معاينة الجدول (٣) والخريطة (٤) أن
عدد المدارس في ريف قضاء الرميثة بلغ (١٠٠)
مدرسة موزعة على وحداتها الإدارية استأثرت منه
ناحية النجمي بالنصيب الأوفر إذ بلغ عدد
المدارس فيها (٣١) مدرس ، تلتها ناحية المجد ب
(٢٩) مدرسة ثم ريف مركز القضاء ب (٢١)
مدرسة ، بينما بلغ نصيب ناحية الهلال (١٩)
مدرسة ، وهذا التقسيم تبعاً لجنس المدرسة فقد
تكون مدرسة (للبنين او للبنات او تكون مختلطة
) وبلغ عدد الشعب في هذه المدارس (٨١٦ شعبة
) منها (٢٣٤ شعبة) في مدارس ناحية المجد و
(٢٢٩ شعبة) في مدارس ناحية النجمي ، ثم
ريف مركز القضاء الذي بلغت عدد الشعب في
مدارسه (١٨٥ شعبة) ، بينما بلغ عددها في
مدارس ناحية الهلال (١٦٨ شعبة)، أما بالنسبة

الناس، بوصفه ظاهرة اجتماعية تؤثر في غيرها
وتتأثر بغيرها من الظواهر الاجتماعية وعنصراً
مهماً في عملية التنمية وبقدر حجم المدخلات فيه
تكون مخرجاته^(١٠). فهو بمثابة مرتكز أساس للنمو
الاقتصادي والتنمية الاجتماعية لتحقيق رفاهية
الأفراد من خلال رفع الطاقة الانتاجية للمجتمع
ورفع مستوى الوعي لديهم ، فالمجتمع المتعلم
تكون انتاجية الفرد فيه مرتفعة على العكس من
المجتمعات غير المتعلمة إذ تكون إنتاجية الافراد
فيه منخفضة (١١) من ذلك تبدو العلاقة وثيقة
بين التعليم والتنمية ، إذ لا يمكن الفصل بينهما
فهو يتغذى منها ويغذيها ويبرز دور التعليم في
بناء القوى البشرية المنتجة فهو عامل حاسم في
التنمية بشكل عام و التنمية الريفية بشكل خاص
(١٢).

وسيتم دراس مؤشر التعليم والتوزيع المكاني
للخدمات التعليمية بحسب (مراحلها الدراسية)

أولاً: المرحلة الابتدائية :

تمثل المرحلة الابتدائية القاعدة الأساسية في سلم
العملية التعليمية التي تعتمد عليها مراحل التعليم
اللاحقة ، وسيتم دراستها وفقاً للمعايير المتمثلة

تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة

في ضوء ما حدد من معايير وذلك للأهمية البالغة لهذه المؤسسة التي تحتضن أولئك التلاميذ لكي تتمكن من بناء شخصياتهم وتنشئتهم تربوياً وتنمية قدرتهم اللغوية والمعرفية

وقد حدد المعيار المحلي مابين (٣٠٠ - ٣٦٠) تلميذ/مدرسة وعند تطبيقه على المدارس الابتدائية في منطقة الدراسة وبحسب وحداتها الإدارية الاربع ، (ريف مركز القضاء ، المجد ، النجمي ، الهلال) التي سجل فيها هذا المؤشر (٣١٢ ، ٢٧٠ ، ٢٠٠ ، ٢٨٥) تلميذ /مدرسة على التتابع ، يلاحظ ان جميعها تقع ضمن حدود المعيار المحلي .

إلا أن مقارنتها مع المعيار العالمي الذي تتروح حدوده بين (٢٥٠ - ١٢٠) تلميذ/مدرسة ، يظهر ان منطقة الدراسة تفوق حدود هذا المعيار فيما عدا ناحية ناحيه النجمي التي تقع ضمن حدوده، أما لعموم منطقة الدراسة فقد بلغ معدل هذا المعيار ٢٦٠ تلميذ/ مدرسة ، وهو بذلك يقع ضمن حدود المعيار المحلي ويفوق قليلاً حدود المعيار العالمي .

للتلاميذ فقد بلغ عددهم في منطقة الدراسة (٢٦٠٣٩) تلميذاً وتلميذة ، وهذا العدد موزع على وحداتها الإدارية (ريف مركز القضاء ، ناحية المجد ، ناحية النجمي، ناحية الهلال) بواقع (٦٥٥٩ ، ٧٨٣٦ ، ٦٢٢٧ ، ٥٤١٧) تلميذاً وتلميذة وعلى الترتيب، وفي ما يخص أعداد الهيئة التعليمية فقد بلغ عددهم (١٢٢٨ معلم ومعلمة) موزعين على مدارس منطقة الدراسة حسب وحداتها الإدارية، بلغ العدد الأكبر منهم في ناحية المجد التي بلغ نصيبها (٣٨٠ معلم ومعلمة) ثم ناحية النجمي بواقع (٣٢٧ معلم ومعلمة) تلاها ريف مركز القضاء بـ (٢٦٨ معلم ومعلمة) وناحية الهلال بـ (٢٥٣ معلم ومعلمة) . أما فيما يتعلق بتقييم مؤشرات التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة بالمقارنة مع المعايير التخطيطية المحلية (العراقية) والعالمية للعام الدراسي ٢٠١٤-٢٠١٥ فان معطيات الجدولين (٣) (٤) تتيح إمكانية تناولها على النحو الآتي .

١. معيار (تلميذ /مدرسة)

يُشير هذا المعيار إلى عدد التلاميذ لكل مدرسة ابتدائية الذي يجب أن يكون ضمن حدود معينة

يتبين مما سبق نيل منطقة الدراسة نصيبها من المدارس الابتدائية بحسب المعيار التخطيطي المحلي وبذلك فإن لتوفر المؤسسة التعليمية مردودته الإيجابية على العملية التعليمية في منطقة الدراسة .

٢ . معيار (تلميذ/شعبة)

يوضح هذا المعيار النسبة بين عدد التلاميذ إلى عدد الشعب فكما زاد عدد التلاميذ في الشعبة الواحدة ينخفض مستوى كفاءة الخدمة التعليمية المقدمة للتلميذ .

ووفقاً إلى المعيار التخطيطي المحلي الذي حدد بـ (٢٥ - ٣٦) تلميذ/شعبة ، فإن جميع المدارس الابتدائية للوحدات الإدارية في منطق الدراسة تقع ضمن حدود هذا المعيار الذي بلغ معدلة فيها (٣٥ ، ٣٣ ، ٢٧ ، ٣٢) تتالياً (ريف مركز القضاء ، المجد ، النجمي ، الهلال) وعلى ذات الترتيب أيضاً وهي لا تتفوق على ما حدده المعيار العالمي الذي تتراوح حدوده بين (٣٠ - ٣٢) تلميذ/شعبة ، إلا بنسب ضئيلة جداً وفي وحدتين إداريتين إذ تزيد هذه النسبة في ريف مركز القضاء وناحية المجد التي بلغ فيها مؤشر هذا المعيار

(٣٥ ، ٣٣) تلميذ /شعبة على التتابع .أما لعموم منطق الدراسة فقد سجل هذا المؤشر (٣١ تلميذ /شعبة) .

٣ - معيار (تلميذ/ معلم)

يشير إلى عدد التلاميذ لكل معلم في المدرسة وكلما زادت نسبة عدد التلاميذ لكل معلم تنخفض كفاءة الخدمة المقدمة لهم وقد حدد هذا المعيار بنحو (١٨ - ٢٥) تلميذ/معلم وعند تطبيقه على المدارس الابتدائية في منطقة الدراسة وبحسب توزيعها المكاني يلاحظ انخفاض هذا المؤشر عن حدود المعيار المحلي إذ سجل مؤشر هذا المعيار (٢٤ ، ٢٠ ، ١٩ ، ٢١) تلميذ /معلم / في (ريف مركز القضاء ، المجد ، النجمي ، الهلال) على الترتيب .وسجل مؤشر هذا المعيار ٢١ تلميذ/شعبة لأجمالي منطقة الدراسة.

يتبين مما سبق أن مؤشر التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة يقع ضمن حدود المعايير التخطيطية المحلية ولا يزيد إلا بنسب ضئيلة عن المعيار العالمي وهذا يعكس حصول منطقة الدراسة على نصيب متوازن من الخدمات التعليمية لهذه المرحلة ومتوافق مع حجم السكاني لهذا الفئة

تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة

وموزعة على وحداتها الإدارية بواقع (٥) مدارس في ريف مركز القضاء و (٤) مدارس في لكل من ناحية المجد والنجمي و مدرستين في ناحية الهلال . بلغ عدد الشعب في هذه المدارس (١٠٧) شعبة ، ضمت مدارس ريف مركز القضاء (٣٨) شعبة ، وناحية المجد (٣١) شعبة ثم ناحية الهلال والنجمي بـ (٢٠، ١٨) شعبة تتابعاً، أما بالنسبة لأعداد الطلاب في ريف قضاء الرميثة

فقد بلغ (٤١١٧) طالباً وطالبة ، استأثر ريف مركز القضاء بالعدد الأكبر منهم مسجلاً (١٥٢٠) طالباً وطالبة ثم ناحية المجد التي سجلت (١٢٣١) طالباً وطالبة ، تلتها ناحية الهلال بـ (٨٨٥) طالب وطالبة ، ثم ناحية النجمي بعدد طلاب بلغ (٤٨١) طالب وطالبة، وبلغ عدد الهيئة التدريسية في مدارس منطقة الدراسة (٢٣٤) مدرس ومدرسه توزعوا مكانياً بين وحداتها الإدارية وهي (ريف مركز القضاء ، المجد ، النجمي ، الهلال) وبلغت أعدادهم (٨٣، ٦٤، ٤٣، ٤٤) مدرس ومدرسه وعلى الترتيب .

ولذلك مردوداته الإيجابية لمجتمع منطقة الدراسة اقتصادياً واجتماعياً وهذا نابع من كون التعليم الابتدائي بشكل اللبنة والبداية الأساس لعملية التنمية، لذلك يتوجب أن تحظى هذه المرحلة باهتمام المخططين لتحسين واقعة وضمان تكافؤ الفرص في الحصول عليه سيما لسكان المجتمعات الريفية .

ثانياً- المرحلة الثانوية :

تمثل مرحلة التعليم الثانوي بشقيها المتوسط و الإعدادي مكانة مهمة في سلم التعليم وتأثيرها بالغ في حياة الطالب وبناء شخصيته لما تمثله من أهمية في هذه المرحلة العمرية، تتضمن هذه المرحلة الفئة العمرية (١٢- ١٨) نسمة وينقسم التعليم الثانوي إلى الدراسة المتوسطة لثلاث سنوات ، والدراسة الإعدادية لثلاث سنوات أيضاً ويفرعيها العلمي والأدبي ، أما الدراسة الثانوية فيكون نظامها شاملاً مرحلتين: المتوسطة والإعدادية ، وعلى هذا النمط يتم دراسة هذه المرحلة لمنطقة الدراسة. ويتضح من معطيات الجدول (٦) والخريطة(٤) أن عدد المدارس الثانوية في منطقة الدراسة بلغ (١٥) مدرسة

وسيتم الاستدلال ببعض المعايير التخطيطية الموضحة في الجدول (٥) لتقييم مؤشرات التعليم الثانوي وعلى النحو الآتي .

١. معيار (طالب /مدرسة)

يشير هذا المعيار إلى عدد الطلبة لكل مدرسة ثانوية ، وقد حدد المعيار المحلي (٤٨٠ - ٥١٠) طالب لكل مدرسة ثانوية ، أما المعيار العالمي فقد تراوحت حدوده بين (١٠٠٠ - ٢٧٠٠) طالب لكل مدرسة ثانوية وعند تطبيق هذين المعيارين على مدارس الوحدات الإدارية في منطقة الدراسة يتضح أنها تتخفف انخفاضاً ملحوظاً عن ما حددته تلك المعايير ، إذ بلغ معدل قياس هذا المؤشر (٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ١٢٠ ، ٤٤٢) طالب لكل مدرسة ثانوية في (ريف مركز القضاء ، المجد ، النجمي ، الهلال) على الترتيب، في حين بلغ المعدل العام لمجموع منطقة الدراسة (٢٧٤) طالب لكل مدرسة ثانوية .

٢ . معيار (طالب /شعبة)

حُدد المعيار المحلي ما بين (٢٩ - ٣٠) طالب لكل شعبة في المدرسة الثانوية الواحدة ، بينما بلغت حدود المعيار العالمي (٣٠ - ٣٥) طالب

لكل شعبة ، وعند مقارنة هذا المعايير بشعب مدارس الوحدات الإدارية في منطقة الدراسة ، يلاحظ ارتفاع هذا المؤشر في منطقة الدراسة عن تلك المعايير التخطيطية ، باستثناء ناحية النجمي ، إذ بلغ هذا المؤشر في (ريف مركز القضاء ، المجد ، الهلال ، النجمي) (٤٠ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٢٦) طالب /شعبة على الترتيب، أما المعدل العام لعموم منطقة الدراسة فقد بلغ (٣٨) طالب/ شعبة وهو بذلك يرتفع عن حدود المعياريين المحلي والعالمي .

٣ . معيار (طالب /مدرس)

يتراوح معياره التخطيطي المحلي ما بين (١٨ - ٢٥) طالب لكل مدرس ، وعند تطبيقه على مدارس الوحدات الإدارية في منطقة الدراسة يتضح انها تتخفف عن حدود هذا المعيار إذ بلغ معدل هذا المؤشر (١٨ ، ١٩ ، ١١ ، ٢٠) طالب مدرس (ريف مركز القضاء ، ناحية المجد ، ناحية النجمي، ناحية الهلال) تتابعاً ، وهذا يجعل الوحدات الإدارية في منطقة الدراسة تتسم بالمثالية في معيار (طالب لكل مدرس) على الرغم من تباينه فيما بينها ، أما بالنسبة لعموم منطقة

الدراسة فقد بلغ المعدل العام لها (١٧) طالب لكل مدرس .

يتضح مما تقدم أن أغلب مؤشرات التعليم الابتدائي والثانوي في منطقة الدراسة تقع ضمن حدود المعايير التخطيطية المحلية والعالمية وهذا يؤشر كفاية توزيعها وتوافقه مع حجم السكان هذه الفئة لعموم منطقة الدراسة، وواقع المؤشر الجيد هذا يستدعي وضع رؤية تخطيطية لتحسين أداء تلك الخدمات والاختيار الأمثل لمواقعها ومراعاة المعايير التخطيطية التصميمية بما يؤمن تعزيز ايجابية هذا المؤشر لما يحتله من مكانه بارزة تمثل القاعدة الأساسية لتقدم المجتمع وتطوره ، وذلك بالعمل على ضمان تهيئة الفرص المتكافئة بالحصول عليها ورفع مستوى كفاءته فارتفاع المستوى التعليمي لمجتمع منطقة الدراسة يعكس نتائجه على واقع الأنشطة الأخرى التي يعد التعليم أساساً لها فالمجتمع المتعلم يحسن استثمار الإمكانات الاقتصادية استثماراً أمثل عن طريق إعداد العناصر المؤهلة لإدارة تلك الإمكانات بما يتواءم مع طبيعة استثمارها ، فضلاً عن تأثيره على النمو السكاني و يؤثر على البيئة والصحة

العامّة فارتفاع الوعي لدى السكان يساهم بالحد من الممارسات البيئية الخاطئة والحد من انتشار الأمراض و الأوبئة وكيفية التعامل معها التي غالباً ما يكون السكان الريف هم أكثر عرضة لها ، وما تقدم يعزز حقيقة أن التعليم أساس كل تقدم.

المحور الثالث . مؤشر الدخل

ويقصد به أجمالي الدخل الجاري المتاح للأسرة خلال العام المرجعي ، أو هو عبارة عن جملة الدخول الجارية سواء كانت نقدية أو عينية التي حصل عليها جميع أفراد الأسرة خلال العام المرجعي ويجب أن يتصف الدخل بال تكرار والاستمرارية ، فقد يتكرر شهرياً مثل الأجور والمرتبات أو سنوياً مثل الأرباح التجارية والصناعية وهكذا بالنسبة لعناصر الدخل الأخرى ، وبالتالي فلا يُعد ضمن دخل الأسرة المبالغ التي تحصلت عليها خلال العام ولا تتصف بالدورية والانتظام^(١٣)، ومؤشر الدخل يعبر عن قدرة الأسرة على الحصول على السلع والخدمات الاستهلاكية التي تعد المحور الاساسي لمستوى المعيشة^(١٤). وبذلك فهو من الوسائل المهمة التي تحقق الرفاة الاقتصادي لأفراد المجتمع ، فضلاً عن كونه أحد

النسب (١٢.٨ ، ٢٠.٥%) في ريف مركز القضاء وناحية النجمي على التوالي أما لفئة الدخل التي تتراوح بين (٧٥١-١٠٠٠٠) الف دينار فقد بلغت النسب (١٣.١ ، ٣١.٦ ، ٢٩ ، ٢٦.٣%) في (ريف مركز القضاء، المجد، النجمي، الهلال) وعلى الترتيب، أما بالنسبة لفئة الدخل العالي (مليون فأكثر) فقد تبوّأت ناحية المجد المرتبة الأولى متقاسماً النسبة مع وحدات ريف مركز القضاء ، النجمي ، الهلال ، التي سجلت النسب الآتية (١٦.٧ ، ٢٥ ، ٨.٣%) على الترتيب.

يتضح مما تقدم أن هنالك تبايناً واضحاً في مستوى الدخل بين الوحدات الإدارية مما يعكس الحالة الاقتصادية غير الجيدة لسكانها ولذلك تداعياته على عملية التنمية التي تتمحور أهدافها حول تحسين واقع الفرد اقتصادياً ، لذا لابد من أتباع وسائل فاعلة لاستثمار الإمكانيات الاقتصادية بأ نشطتها المتنوعة في منطقة الدراسة بهدف تشغيل الايدي العاملة وتوسيع ورفع مستوى دخل الفرد من خلال تقاسم ثمار نتائج ذلك الاستثمار والعمل على تقليل التفاوت بين الدخول

المؤشرات المهمة في تحقيق التنمية البشرية مع مؤشرات التعليم والصحة ، ويجب أن تترجم منافع الدخل في الأنشطة المختلفة لتحسين الحياة وتحقيق الرفاة الاجتماعي إذ يسهم الدخل إسهاماً كبيراً في رفاه الإنسان^(١٥)، تبين من خلال الدراسة الميدانية لسنة ٢٠١٥ وكما يتضح من بيانات الجدول (٧) والشكل (١) ومعطيات الخريطة (٥) تفاوت معدل الدخل الشهري لأكثر سكان المنطقة ، ففي ما يخص فئة الدخل (٢٠٥ الف دينار فما دون) احتل ريف مركز القضاء المرتبة الأولى بنسبة (٣٣.٦%) ثم ناحية الهلال التي بلغت نسبتها (٣٢.٨%) بينما سجلت تلك النسبة (١٧.٢ ، ١٦.٤%) في ناحيتي المجد والنجمي تتالياً، في حين أتت ناحية النجمي أولاً في فئة الدخل البالغة (٢٥-٥٠٠ الف دينار) بنسبة بلغت (٣٣.٦%) بينما سجلت تلك النسب (١٤ ، ٢٥.٤ ، ٢٧%) في وحدات ريف مركز القضاء المجد، الهلال، تتالياً وحلت ناحية المجد المرتبة الأولى في فئة الدخل التي تتراوح بين (٥٠٠١ - ٧٥٠ الف دينار) بنسبة (٣٨.٥%) وسجلت ناحية الهلال ما نسبته (٢٨.٢%) لتحل ثانياً، بينما بلغت تلك

متوزعة على الوحدات الإدارية بنسب متقاربة إذ نالت ناحية المجد مانسبته (٢٦.٩%) وجاء ريف مركز القضاء ثانياً بنسبة (٢٦.٢%) أما ناحية النجمي فقد حلت ثالثاً بنسبة (٢٤.٢%) في حين شكلت ناحية الهلال نسبة بلغت (٢٢.٧%) وبلغ متوسط حجم الأسرة (١٠) فرد لعموم ريف قضاء الرميثه جدول (٩) ، وهو أعلى من المعيار المحلي المحدد بـ (٦) أفراد^(١٧)، بفرق واضح مما يشير إلى الاكتظاظ السكاني في الوحدة السكنية، ويرجع ذلك إلى ضعف الحالة الاقتصادية لأغلب سكان المنطقة إذ يتعذر على الكثير من الأسر إمكانية الاستقلالية في مسكن منفرد، فضلاً عن عامل الترابط الاجتماعي الذي يظهر في الريف بصورة أكثر وضوحاً، فطبيعة العلاقات الاجتماعية لمجتمع الريف تتيح إمكانية عيش أكثر من أسرة في مسكن واحد مما يولد ضغطاً في الوحدة السكنية. وهذا ما يوضحه مقدار العجز الذي بلغ (١٠١٩٢) وحدة سكنية لعموم ريف قضاء الرميثه بناءً على ما يحدده المعيار المحلي وهذا العجز متوزع على الوحدات الإدارية بواقع (٢٢٤٢) وحدة سكنية لكل من ريف مركز القضاء

الذي يُعد هدفاً أساسياً من أهداف التنمية ، إذ إن العدالة الاجتماعية تضمن سير المجتمع بخطى منتظمة ووتيرة متسارعة وتناغم مجدي بغية تحقيق جوهر أهداف التنمية هنا المتمثل بالوصول إلى المستوى الكافي لتحقيق الحياة الكريمة لأفراد مجتمع منطقة الدراسة.

رابعاً. الأسكان

يمثل المسكن جزءاً أساسياً في حياة الفرد والعائلة فمن الضروري أن يتوافر مسكن لكل أسرة بمستوى يحقق حياة كريمة وأمنة لأفراد الأسرة بوصفه أحد مؤشرات الرفاه الاجتماعي الهامة، إذ لم يلق المسكن أهمية خاصة كقطاع أساس في عملية التنمية كما لقيت القطاعات الأخرى في الخطط التنموية^(١٦).

يتبين من معطيات الجدول (٨) وملاحظة الخريطة (٦) أن عدد المساكن في ريف قضاء الرميثه (١٤٩٣٥) مسكن، التي تم توضيحها على الخريطة عن طريق إعطاء مدلول كمي يمثل عدد المساكن في الوحدة الإدارية لصعوبة تمثيلها بشكل يوازي عددها الفعلي أذ شكل المسكن الواحد الممثل على الخريطة (١٤٩) مسكن في الواقع،

وناحية النجمي، و(٢٨٤٤) وحدة سكنية لناحية المجد أما ناحية الهلال فقد بلغ مقدار العجز فيها (٢٨٦٤) وحدة سكنية الجدول (٩) والشكل (٣) ، أي إن زيادة الطلب على الوحدات السكنية يرتبط بزيادة أعداد الاسر في الوحدات الإدارية لريف قضاء المنطقة.

وفيما يخص مادة بناء المساكن فهي تختلف من وحدة سكنية لأخرى تبعاً لمستوى الأسرة الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع منطقة الدراسة ، ففي ما يخص مادة بناء الجدران شكل البلوك النسبة الأكبر من بين المواد المستخدمة في بناء بنسبة (٤٩.٨%) من حجم العينة لعموم منطقة الدراسة ،بينما حلت مادة الطابوق ثانياً من حيث الاستخدام بنسبة بلغت (٤٢.٥%) أما مادة الحجر فقد شكلت مانسبته (٣.٩%) من حيث استخدامها في بناء الجدران، بينما شكلت مادة الطين نسبة بلغت (٢%) وهذه النسب تتفاوت بين الوحدات الإدارية لريف القضاء، أما بالنسبة لمادة بناء السقوف وكما يتضح من جدول (١٠) والشكل (٤)، أن الطابوق والشيلمان شكل نسبة بلغت (٧٩.٨%) من إجمالي حجم العينة لعموم ريف

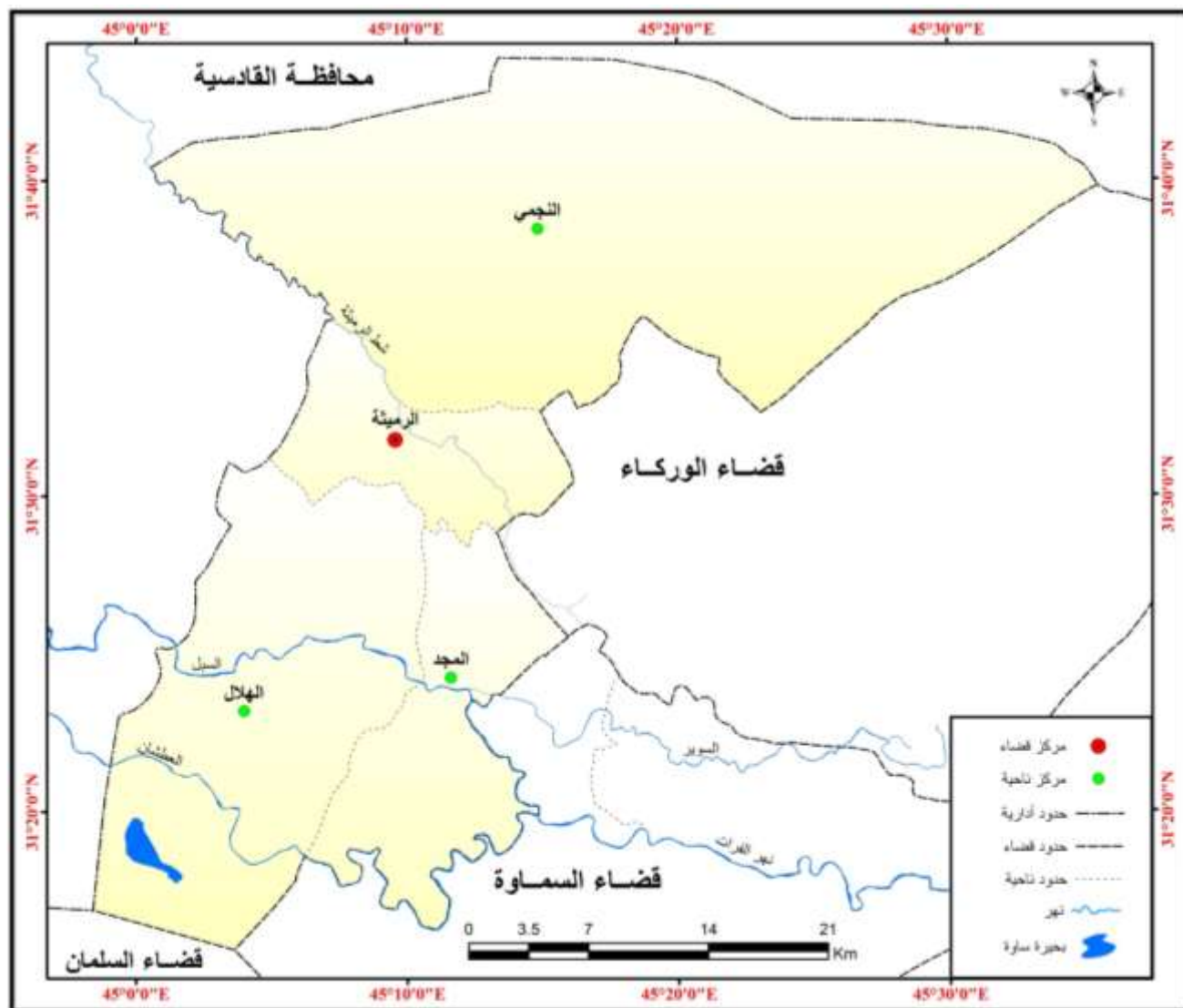
القضاء بينما شكلت مادة (الكونكريت المسلح) نسبة بلغت (٩.٣%) أما الوحدات السكنية المسقوفة بمادة الخشب فقد بلغت نسبة ماتشكله (١.٨%) من حجم العينة ، في حين لم تشكل الصفائح المعدني أي نسبة تذكر، والنسب المذكورة أعلاة تتفاوت بين الوحدات الإدارية أيضاً، أما بالنسبة لمساحة المساكن فإن أغلب الاسر في ريف القضاء تميل إلى بناء مساكنها على مساحات واسعة أغلبها لا يقل عن (٢٥٠م^٢)^(١٨). وذلك لأن تلك الأراضي غير خاضعة للضوابط البلدية .

يظهر مما تقدم تدهور الواقع السكني في منطقة الدراسة وعدم كفاية وحداتها السكنية بالمقارنة مع عدد الأسر، كما يظهر مقدار العجز وهذا يدل على تهيمش قطاع السكن في المنطقة وخروجة عن دائرة الاهتمام حتى فيما يُعد من خطط واستراتيجيات خاصة بالسكن من قبل الجهات المسؤولة، لذا لابد من أن يحظى هذا القطاع بأهمية بالغة بوصفه من الضروريات الأساسية للسكان وأن توفره بالمستوى اللائق يعكس الحالة

- الاقتصادية التي يعيشها مجتمع المنطقة الناتجة عن مدى التطور التنموي والحضاري لها.
- الاستنتاجات والتوصيات**
١. انخفاض كفاية مؤشر الخدمات الصحية في ريف القضاء الذي يخلوا من وجود اي مستشفى، فضلاً عن محدودية المراكز الصحية مما ادى إلى ارتفاع حصة المراكز الصحية من السكان وتفتقر تلك المراكز إلى الكوادر الصحية.
٢. اوضحت الدراسة تدني مستوى الخدمات التعليمية في ريف القضاء إذ لايتوافق مستوى تلك الخدمات مع المعايير التخطيطية المحلية والعالمية.
- ٣ - أظهرت الدراسة ارتفاع متوسط حجم الأسرة قياساً بالمعيار التخطيطي المحلي (٦) أفراد مما يُشير إلى الاكتظاظ في الوحدات السكنية، إذ يصل إلى (١٠) افراد/ وحدة سكنية.
- ٣ - أشارت الدراسة إلى انخفاض معدل الدخل الشهري لسكان المنطقة، فضلاً عن ارتفاع نسبة البطالة.
٤. الارتفاع بمستوى الواقع التعليمي بأنشاء المدارس وتوزيعها مكانياً بما يتلائم مع مآلئده المعايير التخطيطية لضمان حصول جميع السكان على حق التعليم.
- ٥ . تحسين واقع الخدمات الصحية وذلك عن طريق أنشاء المراكز الصحية والمستشفيات حسب الحجم السكاني وتزويدها بالكوادر الطبية والتقنيات الحديثة.
- ٦ . تقترح الدراسة وضع آلية تضمن شمول سكان ريف القضاء بقروض الأسكان العقاري للتخفيف من مشكلات العجز في الوحدات السكنية والحد من الهجرة باتجاه المراكز الحضرية

خريطة (١)

الوحدات الإدارية لقضاء الرميثة



المصدر: الباحث بالاعتماد على

تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية الريفية في قضاء الرميثة

- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، مديرية التخطيط العمراني في محافظة المثنى ، خريطة محافظة المثنى ، بمقياس ١: ١٥٠.٠٠٠ ، لسنة ٢٠١٥.

جدول (١)

المعايير العراقية للخدمات الصحية

المؤشرات	المعايير
مستشفى /نسمة	٥٠/١ الف نسمة
مركز صحي/نسمة	١٠٠٠٠/١
طبيب/نسمة	١٠٠٠/١
طبيب عيون/نسمة	٢٠٠٠٠/١
طبيب أسنان/نسمة	١٠٠٠٠/١
صيدلاني/ نسمة	٢٠٠٠٠/١
سرير/نسمة	٥٠٠/١
ممرض/نسمة	٢٥٠/١
ذوي المهن الصحية/نسمة	٥٠٠-٤٠٠/١

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الصحة، دائرة صحة المثنى ، قسم التخطيط ،بيانات منشورة ،٢٠١٦.

جدول (٢)

المؤشرات الصحية في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥

الوحدات الإدارية	عدد سكان	المطالبة	عدد الصحية	عدد المراكز	عدد الأطباء	عدد الممرضين	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز
الوحدات الإدارية	عدد سكان	المطالبة	عدد الصحية	عدد المراكز	عدد الأطباء	عدد الممرضين	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز	عدد المراكز
ريف	٣٦٩٦	١	٣	١	٠	٢٧	٤	٠	٢	٧٤	٢٧	١٢	٨	٦٦
مركز	٠													
القضا	٠													
٤														
المجد	٤١١٤	١	١	١	٠	٤١	٤	٠	٢	٨٢	١٣	١٥	٦	٧٦
٩														
النجم	٣٥١٤	١	١	١	٠	٣٥	٤	٠	٢	٧٠	٥	١٣	١	٦٩
ي	٧													
الهلا	٣٧٥١	١	١	١	٠	٣٧	٤	٠	٢	٧٥	٢	١٤	٣	٧٢
ل	٣													
المجم	١٥٠٧	٤	٦	٧	٠	١٥	١٦	٠	٨	٣٠	٤٧	٥٥	١٨	٢٨
وع	٦٩													٣

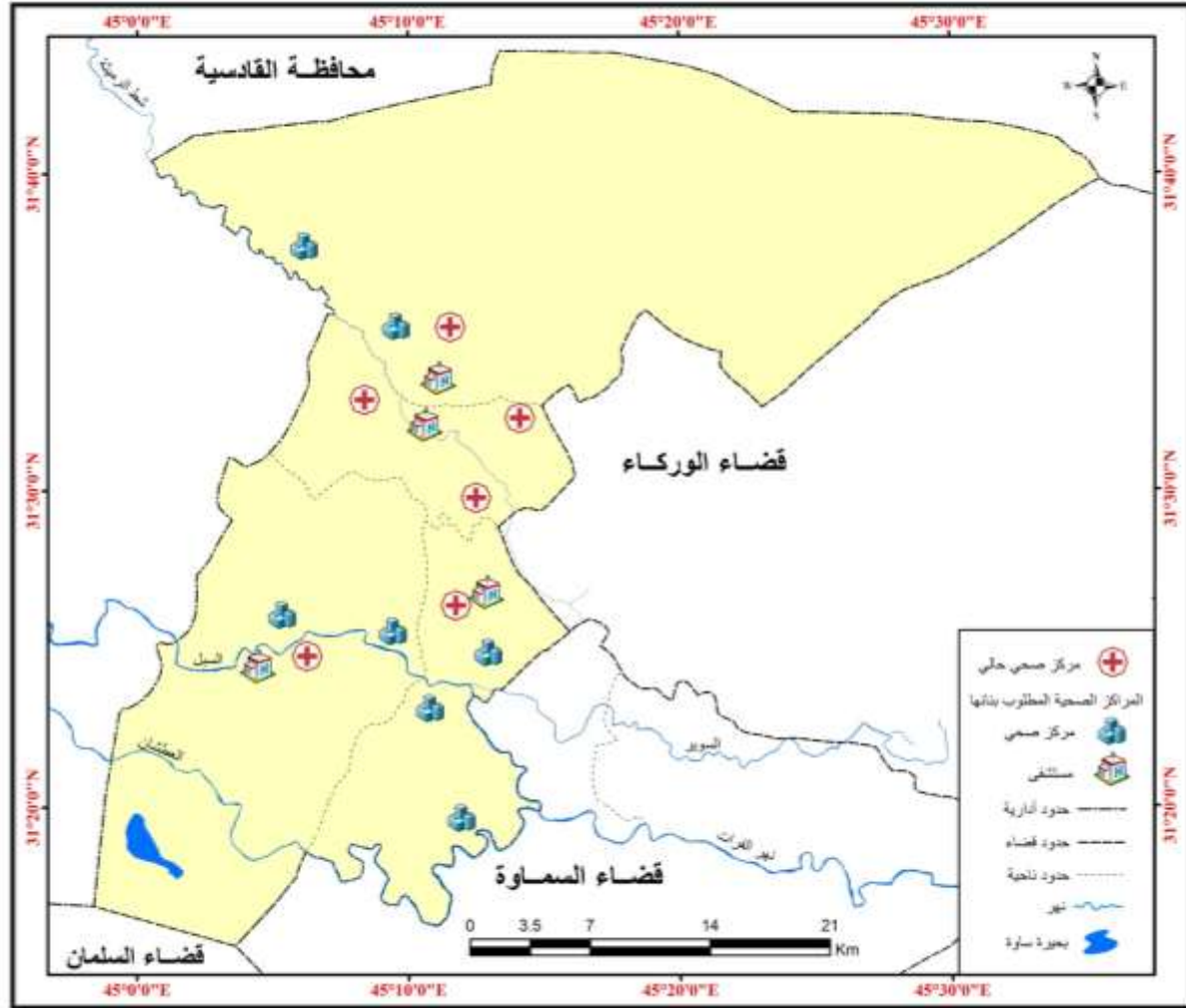
المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على .

١- جمهورية العراق ،وزارة التخطيط ،الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، مديرية احصاء السكان والقوى العاملة في محافظة المثنى بيانات غير منشورة لسنة ٢٠١٦.

٢. جمهورية العراق ، وزارة الصحة ، مديرية صحة محافظة المثنى ، قسم الإحصاء ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٦.

٣. المعايير التخطيطية جدول (١).

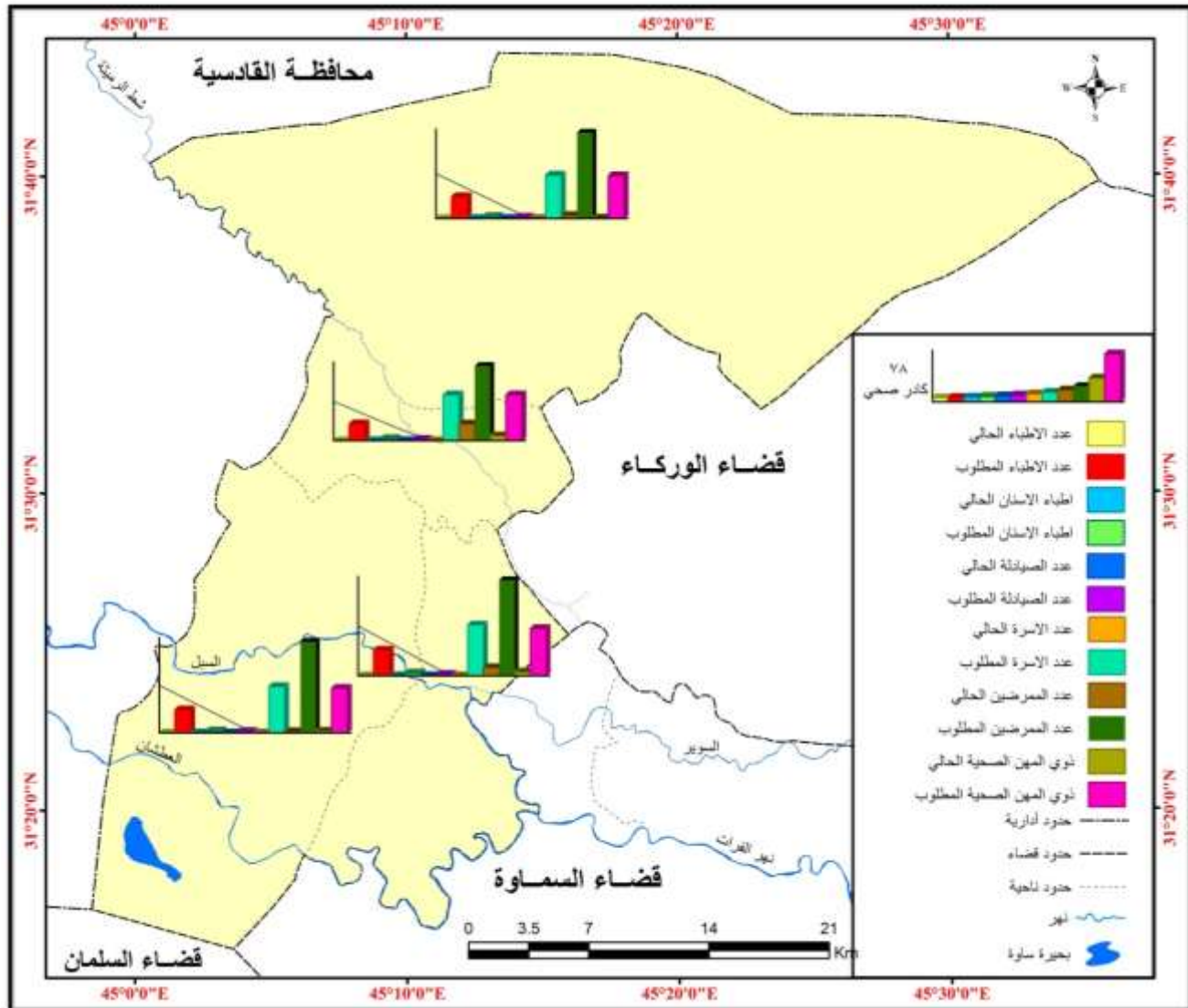
خريطة (٢) التوزيع الفعلي والاحتياج المطلوب من المؤسسات الصحية لريف قضاء الرميثة بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (١).

خريطة (٣)

التوزيع الجغرافي للكوادر الصحية الموجود الفعلي والاحتياج المطلوب توفيره لسنة ٢٠١٥



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (١).

جدول (٣)

المعدلات الكمية لمعايير متغيرات التعليم الابتدائي في ريف قضاء الرميثة

بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥

الوحدات الإدارية	المدارس	الشعب	التلاميذ	المعلم	تلميذ/مدرسة	تلميذ/شعبة	تلميذ/معلم
ريف مركز القضاء	٢١	١٨٥	٦٥٥٩	٢٦٨	٣١٢	٣٥	٢٤
المجد	٢٩	٢٣٤	٧٨٣٦	٣٨٠	٢٧٠	٣٣	٢٠
النجمي	٣١	٢٢٩	٦٢٢٧	٣٢٧	٢٠٠	٢٧	١٩
الهلل	١٩	١٦٨	٥٤١٧	٢٥٣	٢٨٥	٣٢	٢١
مجموع القضاء	١٠٠	٨١٦	٢٦٠٣٩	١٢٢٨	٢٦٠	٣١	٢١

المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على.

جمهورية العراق ،وزارة التربية ، مديرية تربية محافظة المثنى ، شعبة الإحصاء ، بيانات غير منشورة ، لسنة ٢٠١٦.

جدول (٤)

المعايير التخطيطية العراقية والعالمية المعتمدة في تقدير حصة التلميذ من خدمات المرحلة الابتدائية وحصة الفرد منها في ريف قضاء الرميثة لسنة ٢٠١٥ .

العدد	المعيار المحلي (العراقي)	المعيار العلمي	حصة الفرد في ريف قضاء الرميثة
عدد التلاميذ لكل مدرسة	٣٠٠ - ٣٦٠	٢٥٠ - ١٢٠	٢٦٠

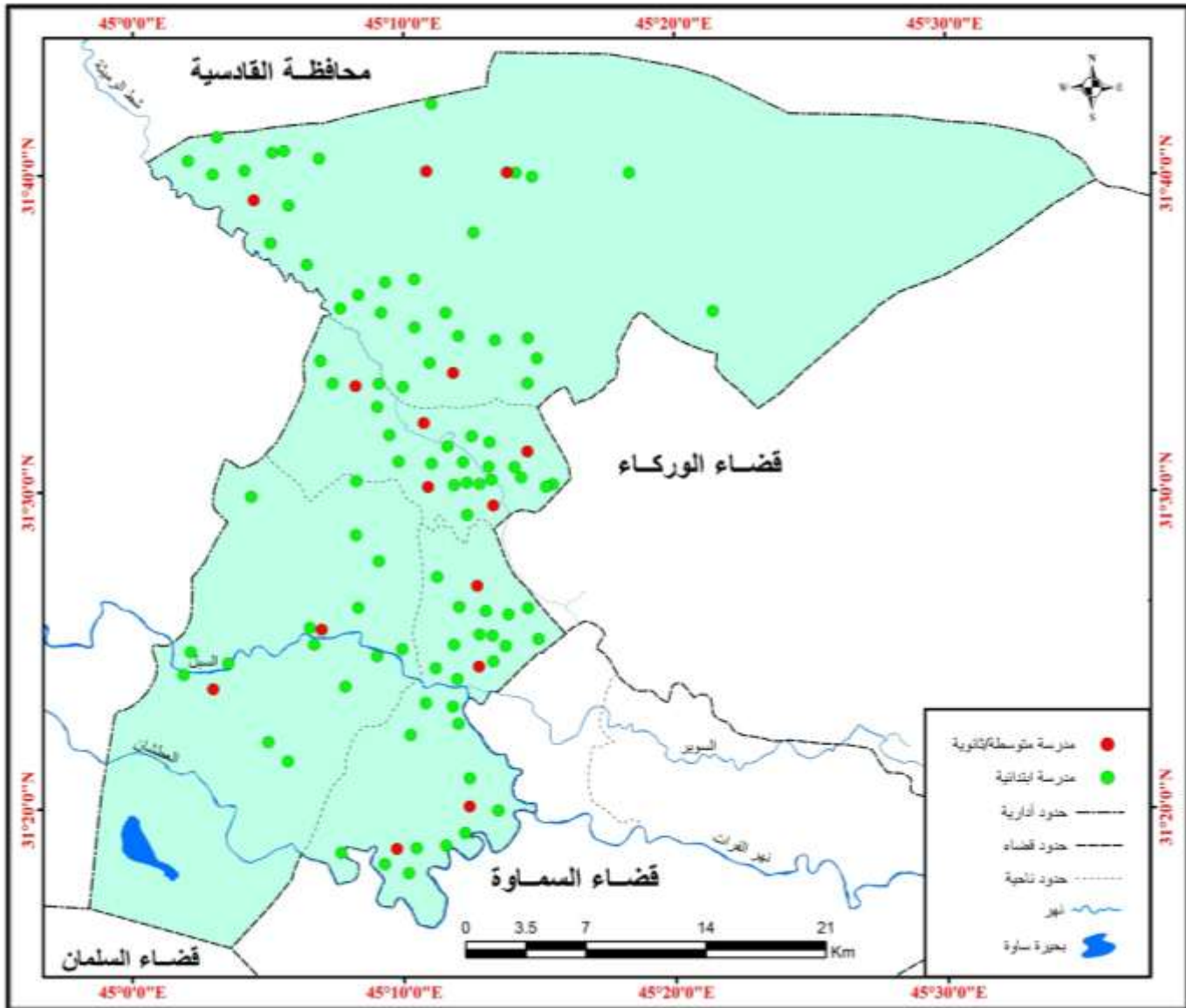
عدد التلاميذ لكل معلم	٢٥ - ١٨	-	٢١
عدد التلاميذ في الشعبة	٣٦ - ٢٥	٣٢ - ٣٠	٣١

المصدر عمل الباحث بالاعتماد على.

- ١- رعد عبد الحسين محمد الغريبواوي ، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات التعليمية في مدين السماوة ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٢ ، ص ١٨٢ .
- ٢- جمهورية العراق ،وزارة التربية ، تربية محافظة المثنى ، شعبة الإحصاء بيانات غير منشورة ، لسنة ٢٠١٦ .

خريطة (٤)

التوزيع الجغرافي للمدارس في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداتها الإدارية لسنة ٢٠١٥



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٣).

جدول (٥)

المعايير التخطيطية العراقية والعالمية المعتمدة في تقدير حصة الطلاب من خدمات المرحلة الثانوية وحصة الفرد منها في ريف قضاء الرميثة لسنة ٢٠١٥

العدد	المعيار المحلي (العراقي)	المعيار العالمي	حصة الفرد في ريف قضاء الرميثة
عدد الطلاب في المدرسة	٤٨٠ - ٥١٠	١٠٠٠ - ٢٧٠٠	٢٧٤
عدد الطلاب في الشعبة	٢٩ - ٣٠	٣٠ - ٣٥	٣٨
عدد الطلاب لكل مدرس	١٨ - ٢٥	-	١٧

المصدر عمل الباحث بالاعتماد على .

- ١- رعد عبد الحسين محمد الغريباوي ، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات التعليمية في مدينة السماوة ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٢ ، ص ١٨٢ .
- ٢- وزارة التربية ، مديرية تربية محافظة المثنى ، شعبة الإحصاء ، بيانات غير منشورة ، لسنة ٢٠١٦

٣- جدول (٦)

جدول (٦)

المعدلات الكمية لمعايير متغيرات التعليم الثانوي في ريف قضاء الرميثة

بحسب وحداتها الإدارية لسنة ٢٠١٥

الوحدة الإدارية	المدارس	الشعبة	الطلاب	المدرسين	طالب/مدرسة	طالب/شعبة	طالب /مدرس
ريف مركز القضاء	٥	٣٨	١٥٢٠	٨٣	٣٠٤	٤٠	١٨
المجد	٤	٣١	١٢٣١	٦٤	٣٠٧	٣٩	١٩
النجمي	٤	١٨	٤٨١	٤٣	١٢٠	٢٦	١١
الهلال	٢	٢٠	٨٨٥	٤٤	٤٤٢	٤٤	٢٠
مجموع القضاء	١٥	١٠٧	٤١١٧	٢٣٤	٢٧٤	٣٨	١٧

المصدر :. عمل الباحث بالاعتماد على .

جمهورية العراق ،وزارة التربية ، مديرية محافظة المثنى ، شعبة الإحصاء ، بيانات غير منشورة ، لسنة

. ٢٠١٦ .

جدول (٧)

النسبة المئوية لمعدل الدخل الشهري في ريف قضاء الرميثه بحسب وحداتها الإدارية لسنة ٢٠١٥

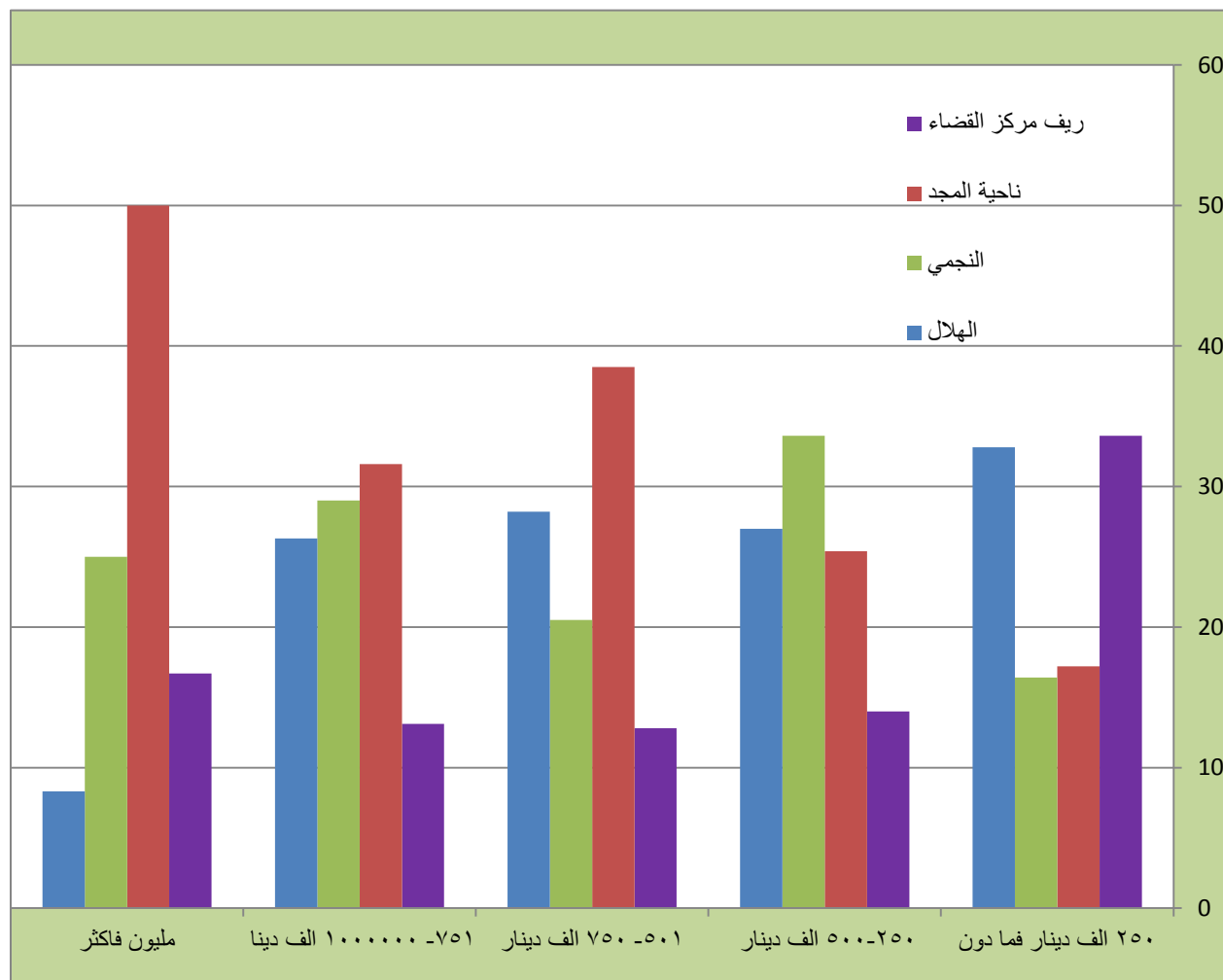
الوحدة الإدارية	٢٥٠ الف دينار فما دون	٢٥٠-٥٠٠ الف دينار	٥٠١-٧٥٠ الف دينار	٧٥١-١٠٠٠٠٠٠ الف دينا	مليون فأكثر
ريف مركز القضاء	٣٣.٦	١٤	١٢.٨	١٣.١	١٦.٧
ناحية المجد	١٧.٢	٢٥.٤	٣٨.٥	٣١.٦	٥٠
النجمي	١٦.٤	٣٣.٦	٢٠.٥	٢٩	٢٥
الهلال	٣٢.٨	٢٧	٢٨.٢	٢٦.٣	٨.٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر: الباحث اعتماداً على استمارة الاستبيان.

العدد ٢١ القسم الثاني لسنة ٢٠١٧م

شكل (١)

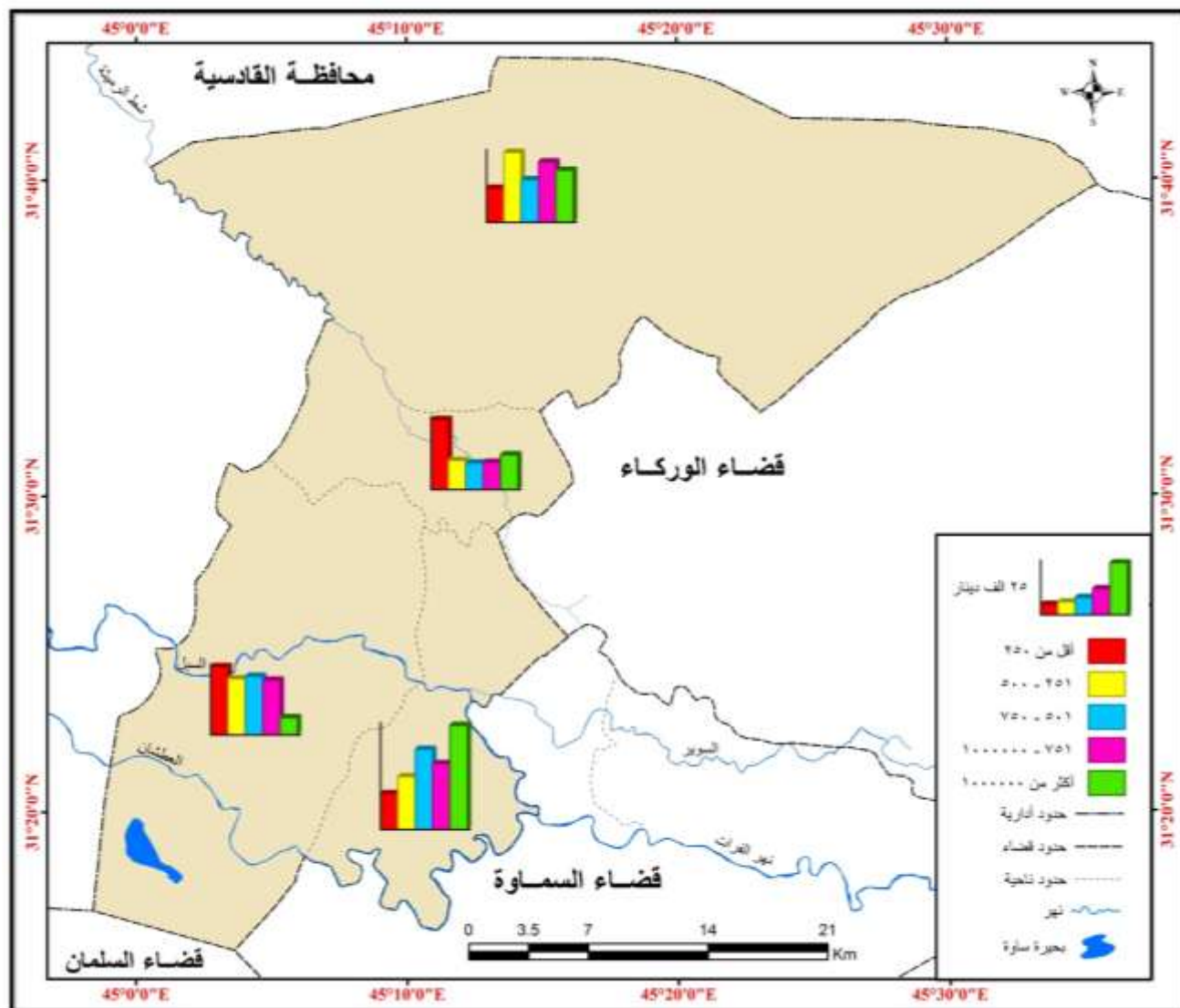
النسبة المئوية لمعدل الدخل الشهري في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداتها الإدارية لسنة ٢٠١٥



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٧).

خريطة (٥)

النسب المئوية لمعدل الدخل الشهري في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥



المصدر : الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٧).

جدول (٨)

عدد المساكن في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥

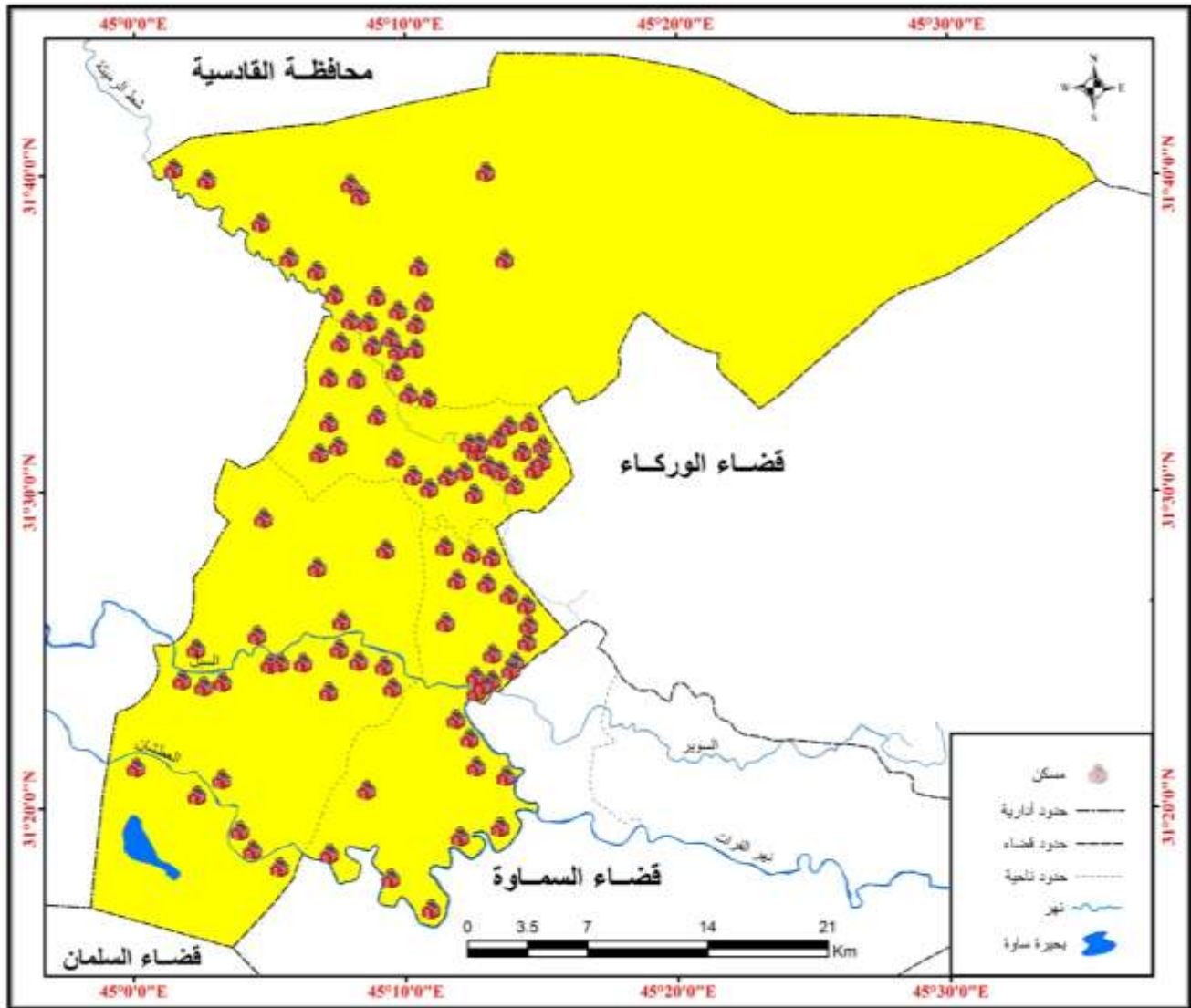
الوحدات الإدارية	عدد المساكن	النسبة المئوية %
ريف مركز القضاء	٣٩١٨	٢٦.٢
ناحية المجد	٤٠١٤	٢٦.٩
ناحية النجمي	٣٦١٥	٢٤.٢
ناحية الهلال	٣٣٨٨	٢٢.٧
المجموع	١٤٩٣٥	١٠٠

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على

- جمهورية العراق ،وزارة التخطيط ،الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات،مديرية احصاء السكان والقوى العاملة في محافظة المثنى ،وحدة الحاسبة ، بيانات غير منشورة لسنة ٢٠١٥.

خريطة (٦)

التوزيع المكاني للمساكن في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥



المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٨).

جدول (٩)

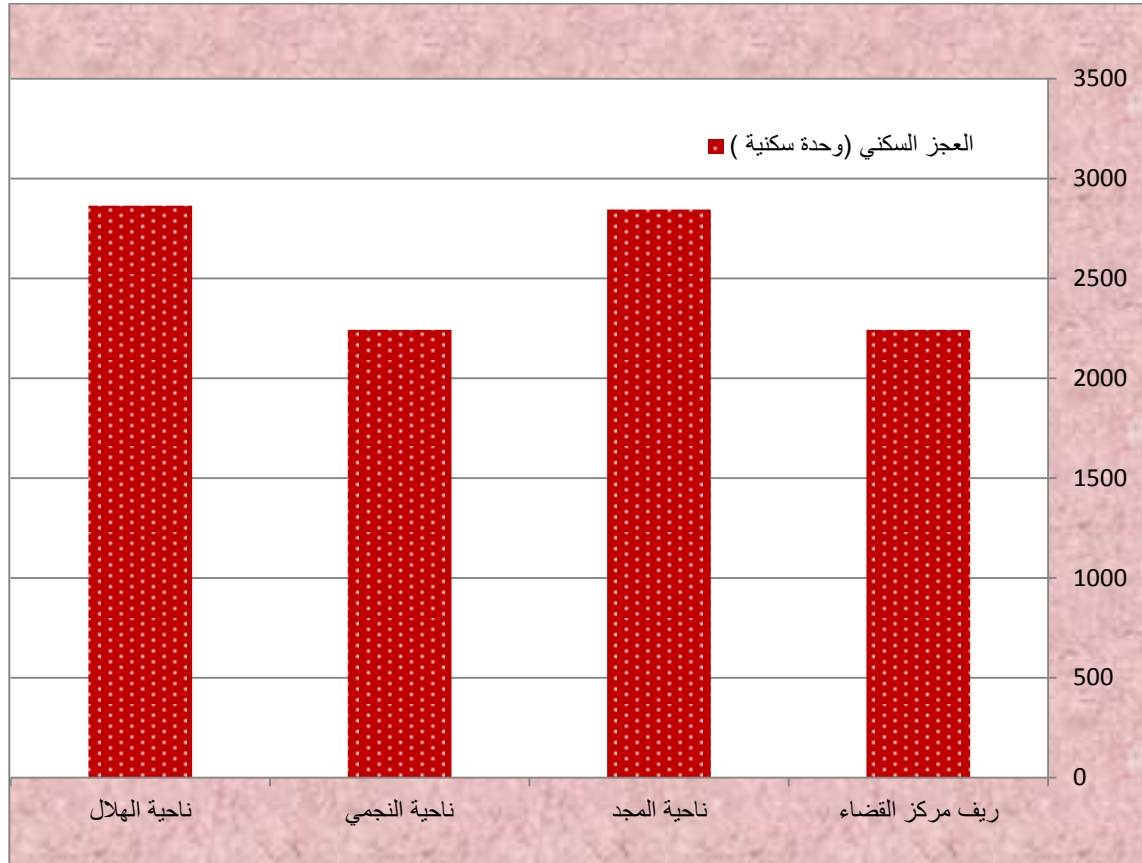
متوسط حجم الأسرة في ريف قضاء الرميثة بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥

الوحدات الإدارية	عدد الاسر	عدد الافراد	متوسط حجم الأسرة(*)	العجز السكاني** (وحدة سكنية)
ريف مركز القضاء	٤٧٧١	٣٦٩٦٠	٧.٧	٢٢٤٢
ناحية المجد	٣٨٠٠	٤١١٤٩	١٠.٨	٢٨٤٤
ناحية النجمي	٣٤٥١	٣٥١٤٧	١٠.١	٢٢٤٢
ناحية الهلال	٣٢٤٠	٣٧٥١٣	١١.٥	٢٨٦٤
المجموع	١٥٢٦٢	١٥٠٦٧٩	١٠	١٠١٩٢

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على - جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، مديرية إحصاء السكان والقوى العاملة في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لسنة ٢٠١٦.

شكل (٢)

العجز السكني في ريف قضاء الرميثه بحسب وحداته الإدارية لسنة ٢٠١٥



المصدر : الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٩).

جدول (١٠)

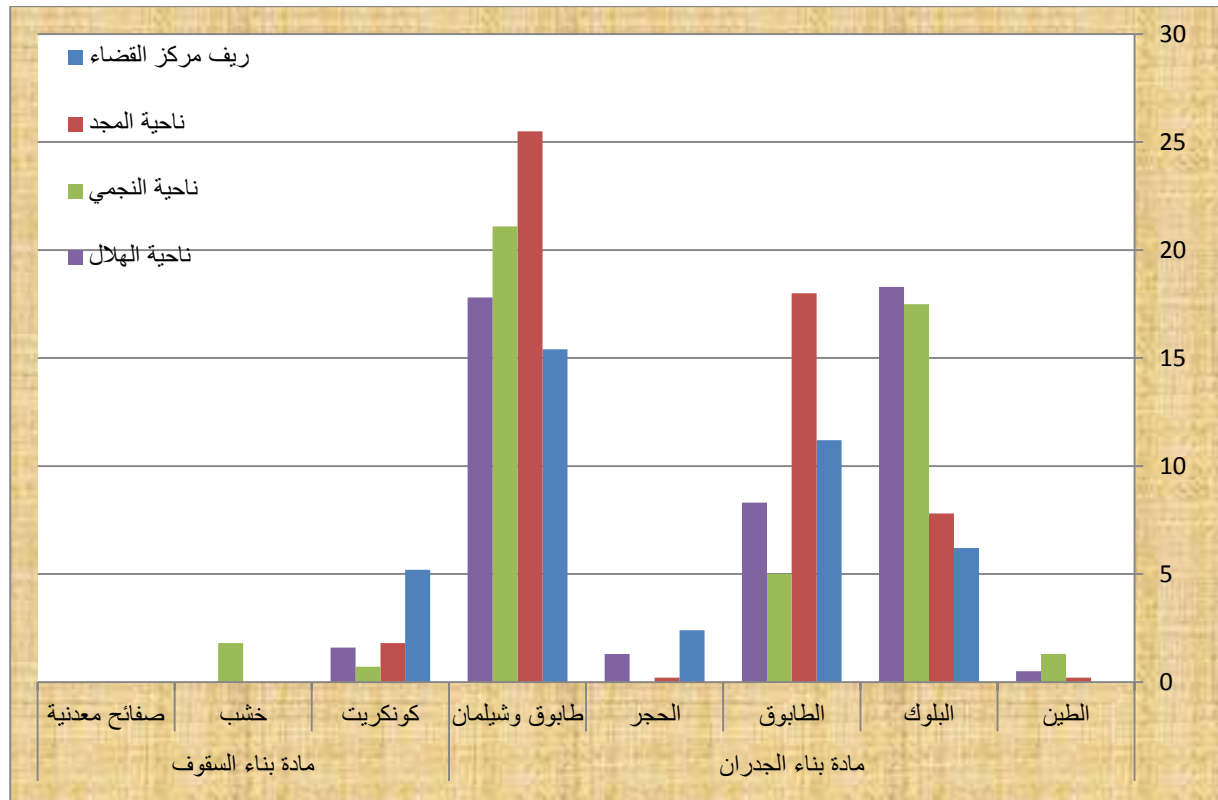
نسب المواد المستخدمة في بناء الوحدات السكنية لريف قضاء الرميثة

الوحدات الإدارية				مادة بناء الجدران				مادة بناء السقوف			
				الطين	البلوك	الطابوق	الحجر	طابوق وشيلمان	كونكريت	خشب	صفائح معدنية
ريف مركز القضاء				٠	٦.٢	١١.٢	٢.٤	١٥.٤	٥.٢	٠	٠
ناحية المجد				٠.٢	٧.٨	١٨	٠.٢	٢٥.٥	١.٨	٠	٠
ناحية النجمي				١.٣	١٧.٥	٥	٠	٢١.١	٠.٧	١.٨	٠
ناحية الهلال				٠.٥	١٨.٣	٨.٣	١.٣	١٧.٨	١.٦	٠	٠
المجموع				٢	٤٩.٨	٤٢.٥	٣.٩	٧٩.٨	٩.٣	١.٨	٠

المصدر :- عمل الباحث بالاعتماد على استمارة الاستبيان .

شكل (٣)

نسب المواد المستخدمة في بناء الوحدات السكنية لريف قضاء الرميثة



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على جدول (١٠).

- (١) حمادي عباس حمادي ، التنمية البشرية تطور المفهوم ومؤشرات القياس - مقارنة في جغرافية التنمية ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ،المجلد العاشر، العددان ٢.١ ص١٩٢.
- (٢) لجنة الامم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية الغربي اسيا، معجم مفاهيم التنمية الاسكو، مؤسسة الأمم الصدر، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٤، ص٣٦.
- (٣) ماهر ناصر عبدالله ، واقع التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية في مدينة السماوة وكفائتها لعام ٢٠٠٨، مجلة اداب جامعة الكوفة ، العدد الخامس، ٢٠١٠، ص ٣٧٩ .
- (٤) مازن عبد الرحمن الهيتي ، جغرافية الخدمات (أسس ومفاهيم) ، ط١ ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٣، ص ٨١ .
- (٥) ضرغام خالد عبد الوهاب ابوكلل ، واقع توزيع الخدمات الصحية ومستويات كفاءتها في مدينة النجف ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة البصرة، ٢٠١٢، ص٣٦.
- (٦) حسون عبود دبوعون الجبوري ، تحليل مكاني لمؤشرات التنمية البشرية في محافظة القادسية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة، ٢٠١٤، ص١٢٤
- (٧) حسين عليوي ناصر الزيايدي و حاكم ناصر حسين ، التحليل الجغرافي للخدمات الصحية في مدينة سوق الشيوخ وافاقها المستقبلية دراسة في جغرافية الخدمات بأستخدام GPS ، مجلة اوروك ، جامعة المثنى ، ٢٠١٤ ، ص٥.

(٨) ماهر ناصر عبدالله ، مصدر سابق ، ص ٣٨٥.

(٩) حسين عليوي ناصر الزيايدي ، بعض مؤشرات التنمية في احوار جنوب العراق ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، عدد خاص ببحوث المؤتمر العلمي الرابع لجامعة واسط كلية التربية ، ٢٠١١ ، ص ٩٥٣.

(*) ذوي المهن الصحية :وهي الملاكات المكملة لكل من المهن الطبية والتمريضية يتمثل عملها بتوفير العلاج ومتابعة أخذ الادوية في الاوقات المحددة ، فضلاً عن اعطاء العلاج للمرضى ومتابعة اخذ التحاليل المختبرية ويشمل الملاك الصحي المعاون الطبي والمعاون الصيدلاني وفاحص بصر ومصور اشعاعي ومساعد مختبر .

(**) ذوي المهن التمريضية :وهي مهن مساعدة اساسية للعمل الطبي ، إذ يقوم العامل في هذه المهن بتقديم الخدمات العلاجية للمريض بإشراف وتوجيه الطبيب المعالج.

(***) ذوي المهن الطبية : وهي الملاكات الطبية الاساسية التي تتمثل بالأطباء بمختلف اختصاصاتهم والصيدلة.

* تم اعتماد الحد الاعلى (٥٠٠ نسمة / ذوي المهن الصحية)

(١٠) عبد الامير راشد الطائي ، تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية البشرية في محافظة ذي قار ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٥ ، ص ١٠٦ .

(١١) حنان عبد الرضا طاهر الزبيدي ، التحليل المكاني لمؤشرات التنمية البشرية واتجاهاتها في المراكز الحضرية لمحافظة المثنى للمدة (١٩٩٧ - ٢٠١٢)، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٨.

(١٢) حسون عبود دبوعون الجبوري ، مصدر سابق، ص ٨٣.

(١٣) رعد عبد الحسين محمد الغريبوي ، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات التعليمية في مدين السماوة ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٢ ، ص ١٨٢ .

(*) تم أستخراج حجم الأسرة وفق الاتي :

متوسط حجم الأسرة = عدد الافراد/عدد الاسر .

(**) تم أستخراج العجز السكاني بتقسيم عدد الافراد على المعيار المحلي (٦) فرد/مسكن.

المصادر:

(١) ابو كلل، ضرغام خالد عبد الوهاب ابوكلل ، واقع توزيع الخدمات الصحية ومستويات كفاءتها في مدينة النجف ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٢.

(٢) حمادي ،حمادي عباس ، التنمية البشرية تطور المفهوم ومؤشرات القياس - مقارنة في جغرافية التنمية ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ،المجلد العاشر، العددان ١،٢٠٠٧، ٢.

(٣) الجبوري، حسون عبود دبوعون ، تحليل مكاني لمؤشرات التنمية البشرية في محافظة القادسية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٤.

(٤) الزيايدي، حسين عليوي ناصر ، بعض مؤشرات التنمية في اهور جنوب العراق ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط، عدد خاص ببحوث المؤتمر العلمي الرابع لجامعة واسط كلية التربية ، ٢٠١١.

(٥) الزيايدي ، حسين عليوي ناصر و حاكم ناصر حسين ، التحليل الجغرافي للخدمات الصحية في مدينة سوق الشيوخ وافاقها المستقبلية دراسة في جغرافية الخدمات باستخدام GPS ، مجلة اوروك ، جامعة المثنى ، ٢٠١٤.

(٦) الزيايدي ،حنان عبد الرضا طاهر ، التحليل المكاني لمؤشرات التنمية البشرية واتجاهاتها في المراكز الحضرية لمحافظة المثنى للمدة (١٩٩٧ - ٢٠١٢)، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣.

(٧) الطائي ،عبد الامير راشد ، تحليل جغرافي لمؤشرات التنمية البشرية في محافظة ذي قار ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٥.

(٨) الغريبواي، رعد عبد الحسين محمد ، كفاءة التوزيع المكاني للخدمات التعليمية في مدين السماوة ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٢.

(٩) عبدالله ،ماهر ناصر ، واقع التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية في مدينة السماوة وكفاءتها لعام ٢٠٠٨، مجلة اداب جامعة الكوفة ، العدد الخامس، ٢٠١٠.

(١٠) الهيتي مازن عبد الرحمن الهيتي ، جغرافية الخدمات (أسس ومفاهيم) ، ط١ ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٣.

العدد ٢١ القسم الثاني لسنة ٢٠١٧م

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

م.د. لطيف كامل كليوي

المقدمة :

تعد المثنى من المحافظات العراقية التي شهدت تدفقاً للهجرة القسرية ازائها في عامي ٢٠١٤-٢٠١٥ ، لاسيما بعد احتلال داعش لمحافظة العراق الغربية (نينوى ، الانبار ، صلاح الدين) بشكل كامل ، زد على ذلك تمدد الجماعات الارهابية في بعض اجزاء محافظات (ديالى ، كركوك ، بغداد ، بابل) ، الامر الذي اجبر غالبية سكان المحافظات الغربية والاجزاء التي تمدد داعش على حسابها في المحافظات الاخرى الى تغيير محل اقامتهم بحثاً عن الامن والامان بغض النظر عن المسافة المقطوعة .

وقد تباين حجم تلك الهجرة الوافدة تبعاً لتباين اسبابها الطاردة ودوافعها الجاذبة تجاه منطقة الدراسة ، فقد كان لسيادة الارهاب والتضييق الاثني والسياسي فضلاً من المواجهات العسكرية دوراً كبيراً في حالات التهجير القسري التي طالت سكان تلك المحافظات ، في مقابل ذلك اسهم الاستقرار الامني والصلات الاجتماعية والوظيفية في وفود نحو (٨٠٣٦) مهجراً الى المحافظة موزعين على (١٦١٩) عائلة .

توزعت تلك العوائل بشكل متباين على اقصية منطقة الدراسة تبعاً لمركزية القضاء والخدمات المجتمعية المتاحة فيه ، وبالرغم من قلة حجم الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة ، الا انها اثرت سلباً على واقعها الخدمي ، إذ ان الاخيرة تعاني من تدني مستوى الخدمات المجتمعية فيها ، وبالتالي فإن زيادة حجمها السكاني بفعل الهجرة الوافدة زاد من نسبة العجز فيها ، اضافة الى ذلك الاعباء الامنية الملقاة على عاتق الجهات المختصة من توفير الحماية اللازمة للسكان الوافدين فضلاً من الاثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناجمة عنها .

السكان على تغيير محل اقامتهم بحثاً عن الامن والاستقرار .

٢- تتباين الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى في خصائصها الجغرافية من حيث الحجم والتوزيع والتركيب السكاني تبعاً لتباين اسبابها الطاردة ودوافعها الجاذبة .

٣- اسهمت الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة في زيادة عدد سكانها مما اثر سلباً على واقعها الخدمي والاقتصادي فضلاً عن الابعاء الامنية والتبعات الاجتماعية والسياسية الناتجة عنها .

اهداف البحث :

١- يهدف البحث الى التعرف على حجم الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى .

٢- معرفة الخصائص الجغرافية للسكان المهجرين قسراً .

٣- التعرف على الاسباب الطاردة للسكان الوافدين والدوافع الجاذبة لهم تجاه منطقة الدراسة .

وعليه جاء هذا البحث ليخوض بمنهج علمي في ماهية الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة من حيث التعرض لأسبابها ودوافعها ، فضلاً عن التعرض لخصائصها المكانية واثارها على منطقة الدراسة ووضع الحلول المناسبة لها .

مشكلة البحث :

تتمحور مشكلة البحث حول التساؤلات الآتية :

١- ما الاسباب الطاردة والدوافع الجاذبة للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى ؟

٢- هل يوجد تباين في الخصائص الجغرافية للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة ؟

٣- ما الاثار الناتجة عن الهجرة القسرية الوافدة الى منطقة الدراسة ؟

فرضية البحث :

انطلاقاً من المشكلة يفترض الباحث الفروض الآتية :

١- ادى تكرار العمليات الارهابية والتضييق الاثني والسياسي والمواجهات العسكرية الى اجبار

٤- الكشف عن صورة التوزيع الجغرافي للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة حسب اقصيتها .

٥- ابراز الاثار الناتجة عن الهجرة القسرية الوافدة ووضع الحلول الناجعة لها .

حدود البحث :

تحدد الدراسة مكانياً بالحدود الادارية لمحافظة المثنى الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من العراق بين دائرتي عرض (٠٥ ٢٩ - ٤٢ °٣١) شمالاً وخطي طول (٥٠ ٤٣ - ٣٢ °٤٦) شرقاً الخريطة (ملحق ١) . اما حدودها الزمانية فهي تتحصر في المدة التي استقبلت فيها المحافظة الهجرة القسرية الوافدة في سنتي (٢٠١٤ - ٢٠١٥) ، فضلاً عن التطرق لآثارها المختلفة حتى عام ٢٠١٦ .

منهج البحث :

اعتمد البحث على المنهج الاقليمي في تتبع مسار الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى ،

فضلاً عن استخدامه للمنهج التحليلي في تفسير دوافع الهجرة الوافدة وتباين خصائصها.

هيكلية البحث :

اشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث ، اذ تناول المبحث الاول مفهوم الهجرة القسرية ودوافع وفودها الى محافظة المثنى ، بينما خصص المبحث الثاني لدراسة جغرافيا الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى ، اما المبحث الثالث فقد عالج الاثار الناتجة عن الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة ، فضلاً عن الاستنتاجات والتوصيات وهوامش البحث ومصادره **المبحث الاول - مفهوم الهجرة القسرية ودوافع وفودها الى محافظة المثنى**

أولاً - مفهوم الهجرة القسرية وخصائصها :

تعرف الهجرة بإنها انتقال الانسان من مكانه الاصلي او مكان المغادرة الى مكان اخر يدعى مكان الوصول بشرط ان يجتاز المهاجر حدود ادارية او دولية ، وتقضي الهجرة التغيير الدائم او شبه الدائم لمكان الاقامة بغض النظر عن

- ١- تكون على شكل تيارات سكانية متقابلة .
 - ٢- تكون غير منتظمة وعلى شكل دفعات سكانية كبيرة الحجم وسريعة الانتشار .
 - ٣- تتصف بكونها اسرية جماعية .
 - ٤- تكون من اقليم الى اقليم اخر واحياناً تجتاز الحدود السياسية للدولة .
- المسافة المقطوعة مؤثرة بذلك على عدد السكان شأنها شأن حركة السكان الطبيعية^(١). ويقصد بها ايضاً نوع من انواع الانتقال الجغرافي المتضمن تغيير دائم لمحل الاقامة الاعتيادي بين وحدة جغرافية واخرى^(٢). وهي على نوعين (داخلية وخارجية) تحدث تبعاً لمؤثرات جغرافية طبيعية او بشرية .

ثانياً - أسباب ودوافع الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة .

تنوعت اسباب ودوافع الهجرة القسرية الوافدة الى منطقة الدراسة وفقاً لتنوع اماكن وفودها وخصائص سكانها ، ولأجل الالمام بالموضوع سيتم تناوله على النحو الاتي :

١ - الاسباب الطارئة للسكان المهجرين قسراً الى المحافظة :

هناك عدة اسباب دفعت السكان الى تغيير محل اقامتهم باتجاه محافظة المثنى ، يمكن اجمالها بالاتي :

أ- العمليات الارهابية :

بينما تعرف الهجرة القسرية على انها النزوح الاجباري للسكان بصورة فردية او جماعية لأسباب طبيعية او اقتصادية او سياسية او دينية قاهرة يترتب جرائها تغيير عمل الاقامة بصورة مؤقتة او دائمة^(٣).

بناءً على ما سبق يعرف الباحث الهجرة القسرية بانها حركة سكانية غير منتظمة عابرة للحدود الادارية او الدولية تحت تأثير عامل الضغط والاكراه الناجم عن مؤثرات جغرافية طبيعية او بشرية تدفع الانسان الى تغيير محل اقامته بصورة دائمة او مؤقتة .

وتتسم الهجرة القسرية بجملة خصائص هي :

(٤) :

وتواجه ذلك التهديد الذي الم بتلك المحافظات ، إذ قامت بشن عمليات عسكرية لتخليص ابنائها من الزمر الارهابية الوافدة من الخارج وحواضنها الداخلية ، الامر الذي دفع معظم سكانها خلال مدة الدراسة ولاسيما في محافظتي الانبار وصلاحي الدين الى الهجرة نحو المناطق الامنة ، وقد بلغ عدد العوائل المهجرة قسراً الى منطقة الدراسة تحت تأثير هذا العامل (٤٨٥,٧) عائلة لتشكل ما نسبته (٣٠%) من اجمالي عدد العوائل الوافدة الى المحافظة في مدة الدراسة ، الجدول (ملحق ٢).

ج - العامل الاثني :

يُعد العامل الاثني من الاسباب الرئيسة للهجرة القسرية ، إذ ان كبت الحريات والتضييق على الاقليات السكانية بداعي الاختلاف القومي والديني يشكل تهديداً جدياً للاحيرة ويدفع بها الى تغيير محل الاقامة حتى زوال ذلك التهديد ، وبالرجوع الى المحافظات التي خضعت لسيطرة داعش عليها يلحظ شياع التضييق على الحريات القومية والدينية ، لا بل ازهقت الارواح وفتحت

يُعد الامن والامان من اهم ركائز الاستقرار البشري على وجه البسيطة ، لذا فإن اي خلل او اضطراب يعتري منظومة الامن الاجتماعي يدفع بالسكان الى البحث عن حلول ناجعة لذلك الخلل ، وفي حال تعذر وجود الحل يلجأ الافراد الى تغيير محل اقامتهم بعيداً عن مكامن التهديد ، وهذا ما ينطبق على سكان المحافظات التي تعرضت لسيطرة داعش على اراضيها خلال مدة الدراسة (٢٠١٤-٢٠١٥) الامر الذي اجبر (٦٧٩,٩) عائلة للهجرة قسراً تجاه محافظة المثنى وبنسبة (٤٢%) من اجمالي عدد العوائل المهجرة قسراً الوافدة الى منطقة الدراسة البالغ عددها (١٦١٩) عائلة الجدول (ملحق ٢) والشكل (ملحق ٣) .

ب - المواجهات العسكرية :

نظراً لدخول المجاميع الارهابية (داعش) واحكام قبضتها على بعض المحافظات العراقية (نينوى ، الانبار ، صلاح الدين) فضلاً عن بعض المناطق من محافظات اخرى سبق ذكرها ، بات لزاماً على الحكومة العراقية ان تأخذ زمام المبادرة

عدد العوائل الواصلة الى منطقة الدراسة تحت تأثير هذه العوائل (٤٨,٦) عائلة وبنسبة (٣%) من اجمالي العوائل المهجرة قسراً الوافدة الى المحافظة ، الجدول (ملحق ٢) .

٢- الدوافع الجاذبة للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة :

ثمة خصائص اتسمت بها محافظة المثنى جعلت منها خياراً لبعض السكان المهجرين قسراً الوافدين من المحافظات التي طالتها الارهاب ، ويمكن ايجاز الدوافع الجاذبة بالآتي :

أ- الاستقرار الامني :

من البديهي ان أول شيء يفكر به السكان المهجرين قسراً هو الاستقرار في اماكن امنة ، وبما ان منطقة الدراسة كانت ولا زالت الاكثر اماناً واستقراراً على مستوى العراق ، لذا لجأ اليها تحت تأثير هذا الدافع (٧٦%) من اجمالي العوائل الوافدة الى المحافظة خلال مدة الدراسة ، الجدول (ملحق ٤) والشكل (ملحق ٥) .

ب - الدافع الاجتماعي :

اسواق النخاسة لبيع النساء حتى بلغ عدد العراقيات اللائي تعرضن للاغتصاب او البيع (١٥٩٧) امرأة خلال مدة الدراسة (٥) . بدواعي جواز سبي او بيع المخالفات في الدين .

ان تلك التصرفات الاجرامية وغيرها دفعت عدد من السكان الى الهجرة قسراً الى محافظات اخرى اكثر اماناً واستقراراً ، ومنها محافظة المثنى التي بلغ عدد الوافدين اليها تحت وطأة هذا العامل (٤٠٤,٨) عائلة وبنسبة (٢٥%) من اجمالي المهجرين قسراً الى المحافظة ، الجدول (ملحق) .

د - أسباب أخرى :

أن تدهور الوضع الامني وغياب القانون يُسهم في شياع ثقافة الغاب التي يصعب في اطارها الحفاظ على الحياة الكريمة وحماية المصالح الاقتصادية والتطلعات والتوجهات السياسية للأشخاص ، ولعل ابرز مصاديق ذلك ما حدث في محافظات (نينوى ، الانبار ، صلاح الدين) فضلاً عن بقية المناطق التي تمدد داعش على اراضيها ، مما دفع السكان الى مغادرتها حفاظاً على كرامة الانسان ومصالحه ، وقد بلغ

يُعد الدافع الاجتماعي من الدوافع الجاذبة للاستقرار السكاني بصورة عامة والحركة السكانية بصورة خاصة ، لاسيما اذا اضطربت مقومات العيش الامن في منطقة ما وتعرض سكانها الى التهديد أو الضغط ، عندها يقوم البعض بتغيير محل اقامته الى المناطق التي تربطه بها روابط العشيرة أو القرابة أو المصاهرة ، وفيما يخص منطقة الدراسة فقد وفد اليها تحت تأثير هذا العامل (٦%) من اجمالي العوائل الوافدة للمحافظة البالغ عددهم (١٦١٩) عائلة ، الجدول (ملحق ٢) (ملحق ٤) .

ج - موطن اصلي :

تتعدد الاسباب التي تدفع البعض الى تغيير محل اقامتهم ، بيد انه يبقى يحن الى موطنه الاصلي . لا بل سرعان ما يعود اليه ، لاسيما اذا ما تدهور وضعه الاجتماعي والاقتصادي او في حال تعرض حياته او حياة افراد عائلته للتهديد وعند تتبع الدوافع الجاذبة للهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة يلحظ ان (٤%) من اجماليها قدموا

اليها كونها موطن أصلي لهم ، الجدول (ملحق ٤) .

د - منطقة عمل سابق :

نظراً لآليات التعيين والعمل في بعض مؤسسات الدولة العراقية فضلاً عن القطاع الخاص يضطر البعض للعمل خارج محل اقامته ، وبالتالي تتاح له فرصة التعايش مع مجتمع جديد بإبعاده المختلفة ، وبمرور الزمن يتمكن من اقامة علاقات وثيقة وروابط متعددة مع ذلك المجتمع ، على ان يعود الى موطنه الاصلي بمجرد انتهاء عمله (البعض يجعله محل اقامة دائمة) ، وفي حال التعرض للخطر أو التهديد في موطنه الاصلي اول ما يتبادر الى ذهنه العودة الى موطنه الثاني (مكان العمل) لمعرفته فيه وامتلاكه لعلاقات وروابط متعددة فيه ، الامر الذي يجعل منه خياراً مثالياً جاذباً للوفود نحوه ، وبالعودة الى منطقة الدراسة فقد بلغت نسبة العوائل الوافدة تحت تأثير جذب هذا العامل (١%) من اجمالي العوائل الواصلة للمحافظة خلال مدة الدراسة ، الجدول (ملحق ٤) .

هـ - دوافع اخرى :

شكلت نسبة الدوافع الاخرى (١٣%) من اجمالي العوائل الوافدة الى منطقة الدراسة قسراً ، الجدول (ملحق ٤) ، وقد قسمت على قسمين حسب توجهات الافراد ، اذ يميل البعض منهم الى السكن في مناطق امنة وقريبة من محل سكنهم الاصلي ، بيد انهم يجبرون احياناً على الاستقرار في مناطق ابعد بحثاً عن السكن الملائم والخدمات الرئيسة للعيش ، وتبعاً لذلك الدافع بلغت نسبة العوائل الوافدة الى المحافظة بسبب عدم حصولها على مكان اقرب (١٠%) من اجمالي عدد العوائل الواصلة الى منطقة الدراسة ، بينما اجبر (٣%) من اجماليها الى الوفود للمحافظة بالرغم من وجود موطن اصلي لهم مجاور او قريب وتحديداً محافظات (البصرة ، ذي قار ، القادسية ، بابل) تحت تأثير محددات اجتماعية (حالات ثأر) منعتهم من العودة الى محافظاتهم الاصلية^(٦).

المبحث الثاني - جغرافيا الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

تُعد الهجرة السكانية بانواعها المختلفة من الظواهر البشرية التي اهتم بها علم الجغرافيا من حيث حجم الظاهرة وتوزيعها الجغرافي والتعرض لخصائصها العمرية والنوعية والاثنية فضلاً عن الحالة الزوجية ومستويات التعليم فيها ، وعليه خصص هذا المبحث للألمام بهذه الجوانب الجغرافية وكالاتي :

أولاً - حجم الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة :

بلغ حجم الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى خلال سنتي (٢٠١٤-٢٠١٥) حوالي (٨٠٣٦) مهجراً موزعين على (١٦١٩) عائلة قادمين من سبع محافظات هي (نينوى ، الانبار ، صلاح الدين ، بغداد ، كركوك ، ديالى ، بابل) ، اذ بلغت نسبة العوائل الوافدة منها (٥٥,٢) ، ٢٩,٨ ، ٧,٧ ، ٤,١ ، ١,٥ ، ١,٥ ، ٠,٢ (%) على التوالي من اجمالي عدد العوائل الواصلة الى منطقة الدراسة ، الجدول (ملحق ٦) والشكل (ملحق ٧) والخريطة (ملحق ٨).

احتلت محافظة نينوى المرتبة الاولى من حيث عدد النازحين ، فقد وفد منها (٤٣٥٨) مهجراً ونسبة (٥٤%) من اجمالي الوافدين قسراً للمحافظة موزعين على (٨٩٣) عائلة ، بينما جاءت محافظة الانبار بالمرتبة الثانية التي بلغ عدد المهجرين الوافدين منها (٢٤٧٨) مهجراً ليشكل ما نسبته (٣١%) من اجمالي عدد المهجرين الوافدين الى منطقة الدراسة ، فيما حضيت محافظتي (صلاح الدين وبغداد) بالمرتبتين الثالثة والرابعة على التوالي ، اذ بلغت نسبة المهجرين الوافدين منهما (٧,٦ ، ٣,٩ %) من اجمالي عدد المهجرين الوافدين على التوالي ، الجدول (ملحق ٦) ، الخريطة (ملحق ٩) ، (ملحق ١٠) .

أما محافظتي كركوك وديالى فقد احتلتا المرتبة الخامسة والسادسة من حيث عدد المهجرين الوافدين الذي بلغ (١٥٢ ، ١٠٧) مهجراً على التوالي ، بيد ان هاتين المحافظتين تساوت في عدد الاسر الوافدة منها الى المحافظة بلغ (٢٤) لكل منهما ، اما المركز الاخير فقد كان

من نصيب محافظة بابل التي بلغ عدد مهجريها الى المحافظة (٢١) مهجراً موزعين على اربع عوائل موطنها الاصلي محافظة المثنى ، التي عادت اليها بمجرد شعورها بالتهديد من جراء العمليات الارهابية لاسيما في منطقتي جرف النصر (جرف الصخر سابقاً) والمسيب .

ومن الجدول (ملحق ٦) ايضاً يتضح ان عدد العوائل المهجرة قسراً الوافدة الى منطقة الدراسة من محافظة نينوى يكبر نظيره في محافظات (الانبار ، صلاح الدين ، بغداد ، كركوك ، ديالى ، بابل) بنحو (١,٨ ، ٧,١ ، ١٣,٥ ، ٣٧,٢ ، ٣٧,٢ ، ٢٢٣,٣) مرة على التوالي ، وعليه يمكن القول ان هذا التباين الكبير في عدد العوائل المهجرة الوافدة الى المحافظة يعود الى تباين الاسباب الطاردة في المحافظات ذاتها إذ ان غياب القانون بشكل كامل في (نينوى والانبار وصلاح الدين) اسهم في زيادة اعداد المهجرين بشكل يفوق غيرها ، بيد انها انخفضت في بقية المحافظات لانحسار مواطن التهديد في اماكن

محددة منها دون غيرها بسبب مسك الارض من قبل الاجهزة الامنية فيها .

ثانياً - التوزيع الجغرافي للسكان المهجرين قسراً الوافدين للمحافظة :

من خلال تتبع اتجاهات الهجرة القسرية الوافدة داخل محافظة المثنى ، يلحظ انها توزعت بشكل غير متساوٍ فيها ، اذ احتل قضاء السماوة المرتبة الاولى بين وحداتها الادارية ، فقد بلغ مجموع السكان المهجرين الوافدين اليه (٤١٩٩) مهجراً وبنسبة (٥٢%) من اجمالي المهجرين الوافدين لمنطقة الدراسة موزعين على (٨٥٠) عائلة ، بينما وصلت نسبة الوافدين من اجماليها الى قضاء الرميثة (٣٤,٥%) ليحتل المرتبة الثانية ، تلاه قضائي الخضر والسلمان بالمرتبة الثالثة والرابعة ، اذ بلغ عدد الوافدين قسراً اليهما (١٠٤٥ ، ٢٠) مهجراً على التوالي ، الجدول (ملحق ١١) والشكل (ملحق ١٢) ، الخريطة (ملحق ١).

ومن الجدول نفسه يتضح وجود تباين مكاني في توزيع الهجرة القسرية الوافدة على اقصية المحافظة ، ويمكن ارجاع هذا التباين الى تباين

تلك الوحدات الادارية نفسها من حيث حجم السكان ، فضلاً عن مستوى الخدمات المجتمعية المقدمة في كل منها ، وعليه كان من المنطقي ان تجد القسم الاكبر من المهجرين الوافدين الى المحافظة في قضاء السماوة وتحديداً مركز القضاء الذي وفد اليه (٦٦٦) عائلة وبنسبة (٤١,١%) من اجمالي العوائل الوافدة للمحافظة ، لمركزية القضاء فضلاً عن مستوى الخدمات المجتمعية المقدمة فيه التي فاقت بقية المراكز الادارية .

بيئياً بلغ عدد العوائل الوافدة الى المراكز الحضرية في المحافظة (١٠٦٨) عائلة اي نسبة (٦٥,٩%) من اجمالي العوائل الوافدة اليها ، بينما بلغ عددها في ريف المحافظة (٥٥١) عائلة.

ويلحظ من الجدول ذاته ان تلك العوائل تميل الى الاستقرار في المراكز الحضرية ضمن المحافظة ما عدا قضاء الخضر الذي كان الريف اكثر جذباً للمهجرين الوافدين من المركز الحضري لصغر حجم الاخير مقارنة بريف القضاء من جانب ولكون غالبية العوائل الوافدة اليه هي

رئيسة للجهات المختصة تمكنها من التعاطي مع تلك الظاهرة واحتياجاتها من جانب آخر .

بلغ مجموع المهجرين ضمن فئة سن الطفولة (١٤ سنة فما دون (٢٥٧١,٥) طفل ونسبة (٣١,٩%) من اجمالي المهجرين الوافدين ، فيما وصلت نسبة الشباب او النشيطون اقتصادياً (١٥-٦٤ سنة) (٦٣%) من ذلك الاجمالي ، اذ بلغ عددهم (٥٠٦٢,٧) شاب فيما بلغت نسبة كبار السن (٦٥ سنة فأكثر) (٥,١%) من اجماليهم في المحافظة ، الجدول (ملحق ١٥) والشكل (ملحق ١٦) .

اما بالنسبة للتركيب النوعي فقد فاق عدد الاناث مثيله للذكور ، اذ بلغ عددهن (٤٢٦٥) انثى مقابل (٣٧٧١) ذكر ، الجدول (ملحق ١٥) ، ومن بيانات الجدول نفسه يتضح ان الاتجاه العام يذهب الى زيادة عدد الاناث مقارنة بالذكور في الفئات العمرية الثلاث (الطفولة ، الشباب ، كبار السن) اذ بلغ عددهن (١٣٦٢,٩) ، (٢٦٨٩,٢ ، ٢١٢,٩) انثى على التوالي ، بينما بلغ عدد الذكور للفئات ذاتها (١٢٠٨,٦) ،

بالاصل كانت تقطن مناطق ريفية من جانب اخر لذلك فضلوا البيئة الريفية اكثر من المدينة ، الخريطة (ملحق ١٤) .

ثالثاً - التراكيب السكانية للمهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة :

ان اعتبارات حجم الهجرة القسرية وحدها لا تصلح اساساً في جميع الاحوال لتقدير حجم المشكلة ، وانما تطلب الامر الكشف عن خصائص السكان المهجرين من حيث العمر ونسبة النوع فضلاً عن تناول تكوينهم الاثنوغرافي وحالتهم الزوجية والتعليمية كي يتسنى للجهات ذات العلاقة التعامل معها . وتبعاً لذلك يمكن تناول التراكيب السكانية على الصيغة الآتية :

١- التركيب العمري والنوعي :

نظراً لأهمية التركيب العمري والنوعي في الدراسات الجغرافية السكانية لذا عني البحث بدراسة الفئات العمرية ونسبة النوع للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة من اجل معرفة خصائصهم من جانب وتوفير قاعدة بيانات

الوافدين الى المحافظة مقارنة بالكرد والتركمان الى ان الغالبية العظمى لسكان المحافظات المنكوبة هم من العرب .

اما بالنسبة للتركيب الديني تبين ان جميع المهجرين قسراً الوافدين الى منطقة الدراسة هم من المسلمين (السنة والشيعة) الذين بلغت نسبتهم (٧٥% ، ٢٥%) من اجمالي الهجرة القسرية الوافدة وعلى التوالي ، الجدول (ملحق ١٨) .

ان احتضان السكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة بغض النظر قوميتهم او مذهبهم يبين بأن الطائفية والتخندق القومي ليس اصيلاً في المجتمع العراقي وانما وفد اليه بدفع من فواعل اقليمية ودولية لا تريد للبلد خيراً .

٣- التركيب الزواجي :

تباينت الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة من حيث الحالة الزواجية ، اذ بلغ عدد المتزوجين فعلاً (٣١٠١) شخص اي ما يشكل (٥٦,٧%) من اجمالي من هم في سن الزواج البالغ عددهم

(٢٣٧٣,٥ ، ١٨٨,٩) ذكر على التوالي ، ويسري الامر على نسبة النوع التي بلغت في الفئات (١٤ ، ١٥-٦٤ ، ٦٥ فأكثر) نحو (٨٨ ، ٨٨,٦ ، ٨٩) على التوالي ، ويمكن ارجاع ذلك الى الحالة العامة في الدولة التي ينقص فيها عدد الذكور مقارنة بالاناث بسبب كثرة الحروب والعلميات الارهابية والاجرامية التي المت بالمجتمع العراقي .

٢- التركيب القومي والديني :

تنوعت الهجرة القسرية الوافدة الى منطقة الدراسة من حيث القومية اذ وفد اليها (العرب ، الكرد ، التركمان) الذين بلغ عددهم (٦٨٣٠,٦ ، ٧٢٣,٢ ، ٤٨٢,٢) مهجراً على التوالي موزعين على (١٤٠٨,٩ ، ١٢٩,٥ ، ٨١) عائلة على التوالي ، الجدول (ملحق ١٧) . شكل العرب (٨٥%) من اجمالي الوافدين الى المحافظة البالغ عددهم (٨٠٣٦) مهجراً ، بينما بلغت نسبة (الكرد ، التركمان) (٩% ، ٦%) على التوالي من الاجمالي المذكور ، الجدول (ملحق ١٧) ، ويمكن ارجاع ارتفاع نسبة العرب المهجرين

% ، ٠,٦ % على التوالي ، وبما ان الهجرة القسرية الوافدة تتصف بإنها غير منتظمة ، لذا من الطبيعي ان يلحظ هذا التباين في الحالة الزوجية.

٤- التركيب التعليمي :

ثمة تفاوت في المستوى التعليمي للمهجرين قسراً الوافدين الى منطقة الدراسة ، اذ يلحظ ان القسم الاكبر منهم حاصلين على شهادة الاعدادية ، وقد بلغ عددهم (٤٥٥٥,٨) شخص ليشكلوا ما نسبته (٥٦,٧%) من اجمالي المهجرين قسراً الوافدين ، بينما حل المستوى الابتدائي بالمرتبة الثانية ، فقد بلغ عدد المهجرين الوافدين ضمن هذا المستوى (١٥١٨,٧) فرداً ونسبة (١٨,٩%) من اجمالي الوافدين الى المحافظة ، الجدول (ملحق ٢١) ، الشكل (ملحق ٢٢) .

ومن بيانات الجدول ذاته يظهر ان (١١,٤%) من اجمالي الوافدين دون المستوى الابتدائي ، بيد انهم يجيدون القراءة والكتابة و (٨,٩%) من ذلك الاجمالي هم من حملة شهادة الدبلوم او البكالوريوس ، فيما بلغ عدد الاميين

(٥٤٦٤,٥) شخص خلال مدة الدراسة،الجدول (ملحق ١٩) والشكل (ملحق ٢٠) .

ومن بيانات الجدول ذاته يلحظ ان عدد الذكور المتزوجين بلغ (١٥٣١) ذكراً ونسبة (٥٩,٧%) من اجمالي عدد الذكور في سن الزواج البالغ عددهم (٢٥٦٢,٤) ذكراً ، فيما بلغت نسبة الاناث المتزوجات (٥٤,١%) من اجمالي الاناث في سن الزواج البالغ عددهن (٢٩٠٢,١) انثى ، الجدول (ملحق ١٩) ، فيما بلغ عدد الذين لم سبق لهم الزواج (٢٢٥٩,٥) شخص موزعين بين الذكور والاناث ونسبة (٤١,٣%) من اجمالي من هم في سن الزواج .

ويذكر ان عدد المطلقين الوافدين الى المحافظة وصل الى (٢٢) ونسبة (٠,٩%) من اجمالي الذكور الذي سبق ذكره ، وتجدر الاشارة الى ان المطلقين الوافدين هم من الذكور فقط ، الجدول (ملحق ١٩) .

اما المترملون فقد بلغ عددهم (٨٢) ارملة وارملة موزعين بين الذكور والاناث بنسبة (٢,٥)

(٣٢٦,٤) امي ، فضلاً عن خلو الهجرة القسرية الوافدة من حملة الشهادات العليا .

ويتبين من الجدول نفسه ان الحالة التعليمية للذكور افضل من نظيرتها عند الاناث ، فقد انخفضت نسبة الامية عند الذكور الوافدين الى (٣%) من اجمالي الذكور المهجرين قسراً ، بينما ارتفعت عند الاناث الى (٥%) من اجمالي الاناث الوافدات ، اصف الى ذلك ارتفاع نسبة الذكور الذين يجيدون القراءة والكتابة مقارنة بالاناث فقد وصلت نسبتهم الى (١٣%) من اجمالي الذكور الوافدين ، فيما كانت نسبتهم (١٠%) من اجمالي الاناث الوافدات ، وايضاً ارتفاع نسبة الذكور الحاصلين على المستوى العلمي (الاعدادي ، الدبلوم أو البكالوريوس) مقارنة بالاناث ، اذ بلغت (٦٢% ، ١٠%) على التوالي من اجمالي الذكور ، بينما انخفضت نسبة ذات المستوى العلمي عند الاناث لتصل الى (٥٢% ، ٨%) على التوالي من اجمالي الاناث الوافدات الى المحافظة ، الجدول (ملحق ٢١) .

خلاصة ما سبق ان المستوى التعليمي للأناث في تراجع مقارنة بالذكور الامر الذي ينعكس سلباً على بناء المجتمع لأهمية الانثى في ذلك البناء كونها الزوجة والام التي تعين الزوج وتربي النشء الاول ، لذا فإن أي تأخر في حل مشكلة المهجرين قسراً سيسهم في تدني مستوياتهم العلمية بصورة عامة والاناث بصورة خاصة ، لاسيما ان المجتمع العراقي يمتاز بالذكورية .

المبحث الثالث - الآثار الناتجة عن الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

أولاً - الآثار الديموغرافية :

بلغ عدد سكان المحافظة في عام ٢٠١٥ (٧٩٦٢٩٨) نسمة بضمنهم المهجرين قسراً الوافدين اليها البالغ عددهم (٨٠٣٦) نسمة ، اذ بلغت نسبة الزيادة نحو (١,١%) من اجمالي السكان ، الجدول (ملحق ٢٣) ، على ان هذه الزيادة السكانية بالرغم من قلتها ، الا انها اثرت سلباً لكون سكان المحافظة الاصليين يعانون من تدني الواقع الخدمي والاقتصادي وبالتالي فإن هذه الزيادة اسهمت في تفاقم المشكلة فيها .

ثانياً - الضغط على الخدمات المجتمعية :

لما كانت محافظة المثنى تعاني من نقص في خدماتها المجتمعية والبنى الارتكازية لذا فإن اي زيادة في حجم سكانها سيتسبب في رفع نسبة العجز فيها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغ عدد المستشفيات العامة في منطقة الدراسة (٤) مستشفيات بينما الحاجة الفعلية هي (٨) مستشفيات بمعنى انها بحاجة الى اربعة اضافية كي تلبي حاجة سكانها الاصليين حسب المعيار المحلي (مستشفى لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة) ، زد على ذلك النقص الكبير في عدد الاطباء ، فقد بلغ عددهم فيها (٣٧٦) طبيب بينما هي بحاجة الى (٧٨٨,٢) طبيب وفق المعيار المعتمد (طبيب لكل ١٠٠٠ نسمة) فضلاً عن النقص في بقية الكوادر الصحية الاخرى (٧).

اما بالنسبة للتربية فقد بلغ عدد الطلبة الملتحقين بالدراسة خلال العام الدراسي (٢٠١٥-٢٠١٦) نحو (٢١٨٧٦٦) طالب وطالبة في (الابتدائية ، المتوسطة ، الاعدادية) ، علماً ان عدد المدارس فيها بلغ (٦٦٤) مدرسة ليكون

العجز (١٥٠) مدرسة ، فضلاً عن العجز في الملاكات التدريسية بواقع (٥٠٠) مدرس ، علماً ان نسبة الامية في المحافظة بلغت (١٦%) (٨). ناهيك عن العجز في الطاقة الكهربائية الذي بلغ (٣٥٠) ميكا واط من عام ٢٠١٥ ، اذ بلغ التجهز في المحافظة (٢٥٠) ميكا واط بينما الحاجة الفعلية لها بلغت (٦٠٠) ميكا واط للعام نفسه (٩).

ثالثاً - الاثار السياسية :

تؤثر الهجرة القسرية التي شهدتها العراق على وضع الدولة بصورة عامة ، اذ ان اسبابها اربكت الوضع السياسي وعطلت مسار بناء الدولة ، لاسيما ان جهدها انصب على ازالة الاسباب (القضاء على داعش) من جانب وتخفيف معاناة النازحين من جانب اخر ، الامر الذي اثقل على صانع القرار مالياً واجتماعياً ، اذ بلغت الاموال المصروفة على العمليات العسكرية والخسائر الاقتصادية فضلاً عن والمساعدات الممنوحة للعوائل (٣٥) مليار دولار، علماً ان حجم المساعدات الممنوحة لتلك العوائل بلغت (٨٥٠) مليون دولار حتى عام ٢٠١٥ (١٠). وهي مبالغ

ضخمة كان بالامكان توجيهها في تحقيق التنمية الشاملة . ناهيك عن افادة الكتل السياسية من ملف المهجرين قسرياً في تقاطعاتها السياسية واستخدامها ورقة للضغط السياسي وتحريك الرأي العام لاسيما سكان المحافظات المتضررة من التهجير القسري وفوداً واستقبالاً ومنها محافظة المثنى .

رابعاً - الآثار الاجتماعية :

من البديهي ان ترافق الهجرة القسرية بعض المظاهر السلبية وهذا متأتى من اختلاف نمط الحياة بالنسبة للوافدين قسراً من جانب وقساوة الظروف التي يعانيها افرادها من جراء تغيير محل الإقامة ، وما يترتب على ذلك من متطلبات واحتياجات متعددة من جانب اخر، الامر الذي يدفع البعض الى السلوك المنحرف لتلبية تلك المتطلبات وفي منطقة الدراسة تم تشخيص بعض الحالات السلبية الناتجة عن تلك الظاهرة ، فقد ارتكب البعض جرائم سرقة بلغ عدد التي احيلت منها الى المحاكم نحو (٥٠) جريمة^(١١) . اصف الى ذلك بروز بعض المظاهر التي لم يألفها

مجتمع المحافظة مثل (السفور) لاسيما في مركزها مما شكل عامل ضغط على مجتمعها ، اذ كان جاذباً لبعض الفتيات الراغبات في التحرر من قيد الحجاب وضاعطاً على اللائي يرفضن هذه الظاهرة الدخيلة على المحافظة .

خامساً - الآثار الاقتصادية :

تعاني محافظة المثنى من تدهور وضعها الاقتصادي ، اذ انها الاعلى بطالة وفقراً بين المحافظات العراقية ، فقد بلغ معدل البطالة والفقر فيها (٢٨,١ % ، ٤٩ %) على التوالي . لذا فإن الزيادة السكانية بفعل الهجرة القسرية الوافدة عملت على تفاقم البطالة والفقر فيها ، زد على ذلك تخفيض مستوى الاجور في القطاع الخاص ، خلاصة القول ان الهجرة القسرية الوافدة الى منطقة الدراسة اثرت سلباً على الاوضاع الاقتصادية للسكان المهجرين بفعل فقدانهم لمصدر عيشهم فضلاً عن اجبار القسم الاكبر منهم على تغيير مهنته من اجل توفير المتطلبات الضاغطة لأسرته ، ناهيك عن زيادة المعاناة الاقتصادية لسكان منطقة الدراسة .

سادساً - الآثار الامنية :

النتائج :

هناك اثار سلبية للهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة على الوضع الامني فيها ، اذ كانت منطقة الدراسة من افضل المحافظات العراقية استقراراً ، بيد ان وضعها الامني اخذ يتزعزع بعض الشيء لاسيما بعد وفود موجات الهجرة القسرية اليها ، فقد شهدت المحافظة بعض الاعمال الاجرامية ومنها التفجير الارهابي الذي طال مركز مدينة السماوة في ٢٠١٦/٥/١ وأدى الى استشهاد (٤١) شهيد ونحو (٧٧) جريح فضلاً عن الاضرار المادية ، وعلى اثره عملت الجهات الامنية على تدقيق اوليات المهجرين الوافدين ، وبعد التقصي تم القاء القبض على ارهابيين ثبت ادانتهم بإرتكاب اعمال اجرامية مندمسين بين العوائل الوافدة من محافظة ديالى (١٢). الامر الذي دفع الاجهزة الامنية في المحافظة تشديد اجراءاتها الرقابية على الوافدين قسراً تحسباً لأي طارئ امني مما اثقل على كاهل تلك الاجهزة وزاد من مسؤولياتها واربك الوضع الامني فيها .

- ١- كشف البحث عن تباين حجم الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى تبعاً لتباين اسبابها الطاردة ، فقد كان لسيادة الارهاب والتضييق الاثني والسياسي ، فضلاً عن المواجهات العسكرية دور في وفود (٨٠٣٦) مهجر نحوها .
- ٢- شكل الاستقرار الامني الذي تعيشه المحافظة عاملاً جاذباً لتيار الهجرة القسرية ازائها ، إذ وفد اليها تحت تأثير هذا العامل (٧٦%) من اجمالي العوائل الوافدة البالغ عددها (١٦١٩) عائلة .
- ٣- ادى غياب القانون بشكل كامل في المحافظات الغربية (نينوى ، الانبار ، صلاح الدين) الى زيادة اعداد المهجرين بصورة عامة والوافدين الى المحافظة خاصة ، فقد بلغت نسبة الوفود من هذه المحافظات مجتمعة (٩٢,٧%) من اجمالي العوائل الوافدة الى منطقة الدراسة .
- ٤- تبين من خلال البحث ان غالبية العوائل الوافدة قسراً الى منطقة الدراسة فضلت العيش في مراكزها الحضرية وبنسبة (٦٥,٩%) من اجماليها

، مما شكل عامل ضغط على مستوى الخدمات المجتمعية والبنى الارتكازية فيها .

٥- أتسمت الهجرة القسرية الوافدة الى المحافظة بالتعددية القومية ، بيد أن غالبيتها كانت عربية وينسبة (٨٥%) من اجماليها ، فيما بلغت نسبة (الكرد والتركمان) الوافدين (٩% ، ٦%) على التوالي ، وهذا يعود الى ان غالبية سكان المحافظات المتضررة هم من العرب .

٦- ادت الهجرة القسرية الوافدة الى زيادة سكان محافظة المثنى بنسبة (١,١%) ، وبالرغم من قلة هذه الزيادة الا انها اثرت سلباً على واقعها الخدمي لعدم كفاءة وكفاية تلك الخدمات فيها فضلاً عن هشاشة وضعها الاقتصادي .

٧- عملت الهجرة القسرية الوافدة على ارباك الوضع السياسي في الدولة واثقلت على كاهلها ، اذ انصب جهدها على ازالة اسبابها الطاردة (القضاء على داعش) وتخفيف معاناة المهجرين عن طريق المساعدات والاعانات الممنوحة للعوائل النازحة التي بلغت (٨٥٠) مليون دولار ، علماً ان

اجمالي خسائر الدولة من جراء دخول داعش للمدة (٢٠١٤-٢٠١٥) بلغت (٣٥) مليار دولار.

٨- اسهمت الهجرة القسرية الوافدة في تفاقم مشكلتي البطالة والفقر في المحافظة كون الاخيرة تعاني في الاصل من ارتفاع نسبتيهما التي بلغت في عام ٢٠١٥ (٢٨,١ % ، ٤٩ %) على التوالي .

٩- اتضح من خلال البحث دور الهجرة القسرية الوافدة في زعزعة الوضع الامني في المحافظة ، لاسيما بعد دخول عناصر اجرامية ثبت تورطها بعمليات ارهابية بين صفوف النازحين الوافدين اليها .

التوصيات :

١- ضرورة العمل على اعادة تأهيل البنى التحتية في المناطق المحررة من سطوة داعش كي يتمكن سكانها من العودة اليها بما فيهم الوافدين قسراً الى محافظة المثنى .

٢- ينبغي العمل على تحسين مستوى الخدمات المجتمعية للسكان المهجرين قسراً بصورة عامة

المهجرين الوافدين وسكان المناطق المستقبلية لهم لأهميتها في التخفيف من معاناتهم وتمكينهم من تجاوز المحنة .

٧- نظراً لحالة الوهن الاقتصادي التي تعانيها الدولة ، لذا من الضروري ان تعمل الحكومة على اشراك المؤسسات الدولية المعنية بشؤون المهجرين ، لابرار حجم الاضرار المترتبة على دخول داعش الى العراق من جانب وتلبية الاحتياجات الضاغطة للعوائل النازحة من جانب اخر .

٨- ابعاد ملف المهجرين قسراً عن المناكفات السياسية وبذل الجهود من اجل حل مشكلاتهم وتوفير البيئة الملائمة لهم وحفظ كرامتهم التي هدرتها المجاميع المسلحة المنفذة للاجندات الخارجية على الارض العراقية .

٩- ضرورة مسك الارض في المحافظات المحررة من سيطرة داعش وتكوين قاعدة بيانات مشتركة فيها للحد من امكانية عودة من تلطخت ايديهم بدماء العراقيين اليها .

والوافدين الى منطقة الدراسة خاصة لشدة معاناتهم وتدني مستوى الخدمات المقدمة لهم .

٣- ايجاد الحلول الناجعة لمشكلتي البطالة والفقر التي باتت تعصف بسكان محافظة المثنى بصورة عامة والمهجرين الوافدين اليها خاصة .

٤- ضرورة ايجاد منافذ لتشغيل المهجرين قسراً النشيطين اقتصادياً الوافدين الى منطقة الدراسة الذين بلغت نسبتهم (٦٣%) من اجمالي الهجرة القسرية الوافدة ، من اجل تحسين وضعهم الاقتصادي وتخفيف الضغط على كاهل الدولة (تقليل نسبة الاموال المصروفة كاعانات) من جانب اخر .

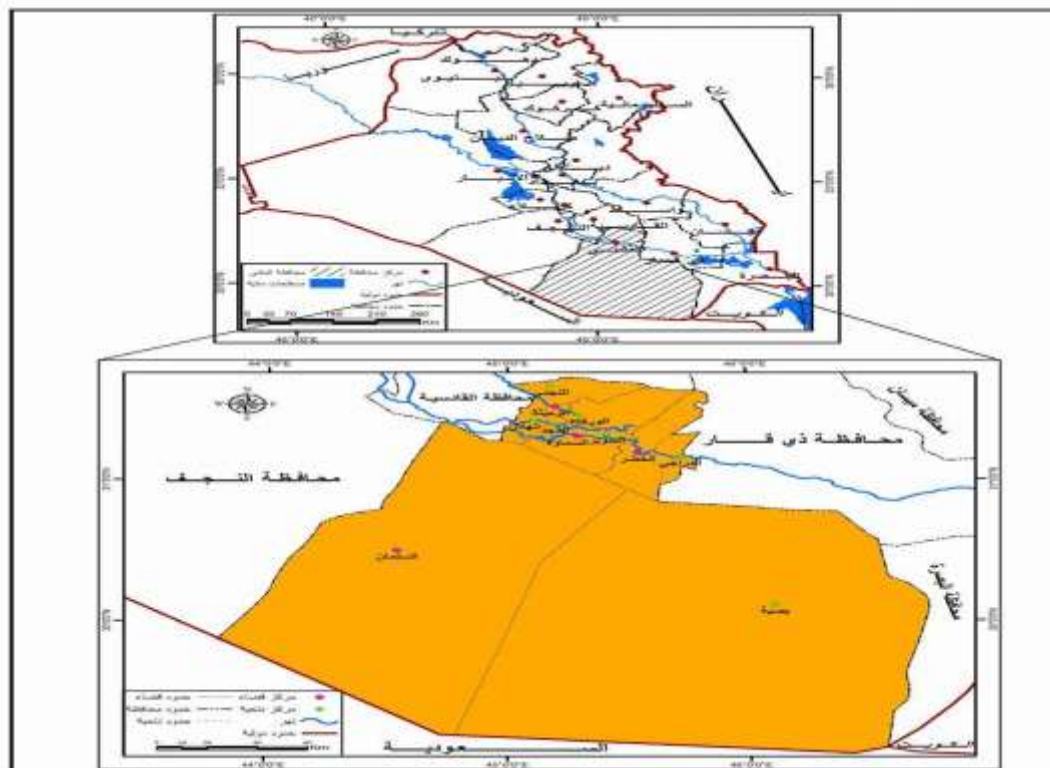
٥- حسن استثمار امكانات الدولة وتوظيفها بشكل مثالي من اجل تحسين واقعها الاقتصادي وتحقيق التنمية الشاملة فيها لاسيما المحافظات المتضررة من الهجرة القسرية وفوداً واستقبلاً .

٦- تفعيل دور المؤسسات الاعلامية بإشكالها وانواعها المختلفة في بث روح الالفة والتعاون بين

الملاحق

ملحق (١)

الموقع الجغرافي والفلكي لمحافظة المثنى



المصدر الباحث بالاعتماد على :

(١) وزارة الموارد المائية ، المديرية العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ،الوحدة الرقمية ، خريطة العراق الادارية ، مقياس (١ : ١٠٠٠٠٠٠) بغداد ، ٢٠٠٧ .

(٢) برنامج ARC GIS 10.3 .

ملحق (٢)

الاسباب الطاردة للعوائل المهجرة قسراً الى محافظة المثنى ونسبتها المئوية لسنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)

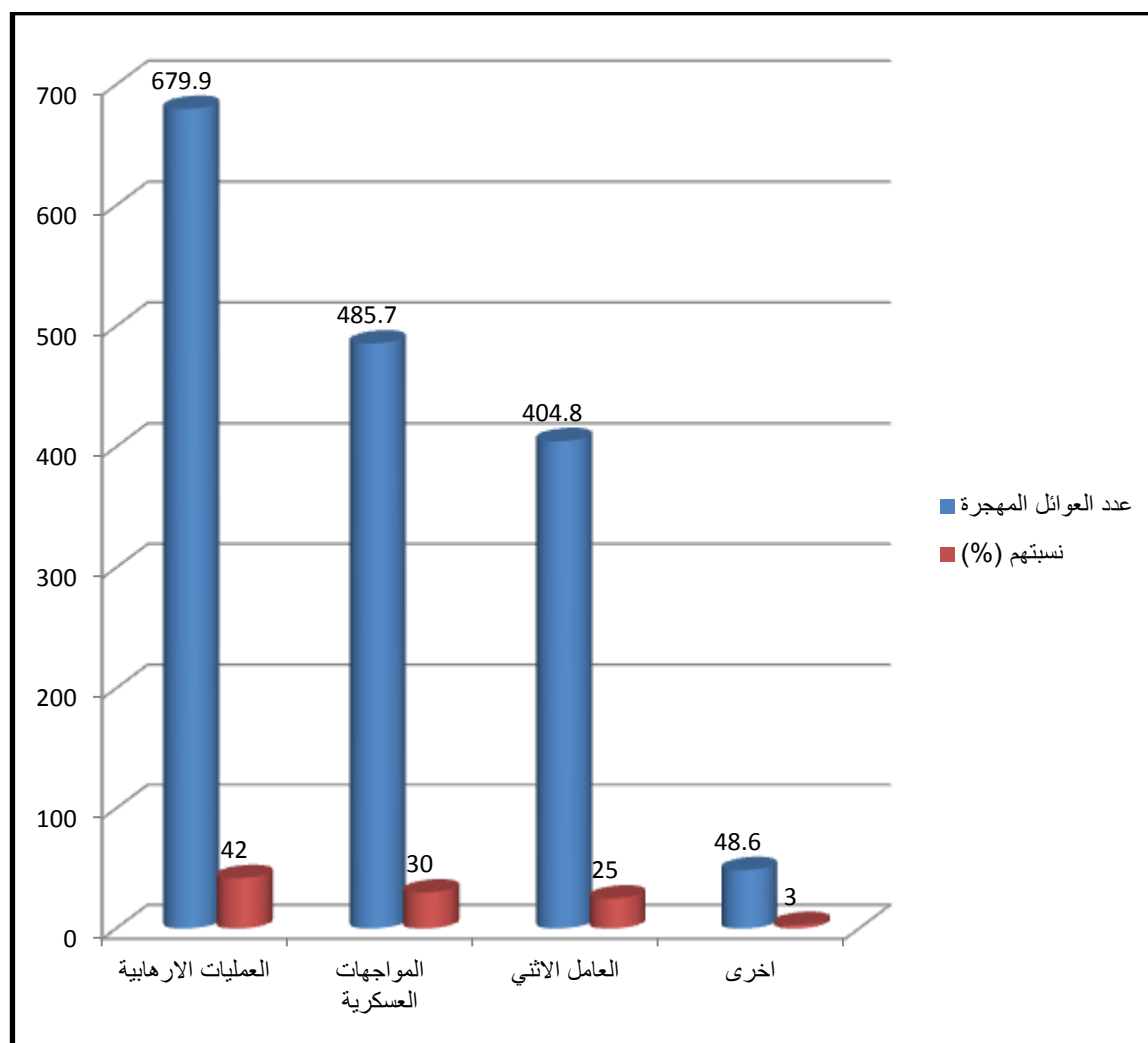
ت	سبب التهجير	عدد العوائل المهجرة	نسبتهم (%)
١	العمليات الارهابية	٦٧٩,٩	٤٢
٢	المواجهات العسكرية	٤٨٥,٧	٣٠
٣	العامل الاتحي	٤٠٤,٨	٢٥
٤	اخرى	٤٨,٦	٣
٥	المجموع	١٦١٩	%١٠٠

الباحث : اعتماداً على :

- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- الدراسة الميدانية .

ملحق (٣)

الاسباب الطاردة للعوائل المهجرة قسراً الى محافظة المثنى ونسبتها المئوية لسنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ٢) .

املحق (٤)

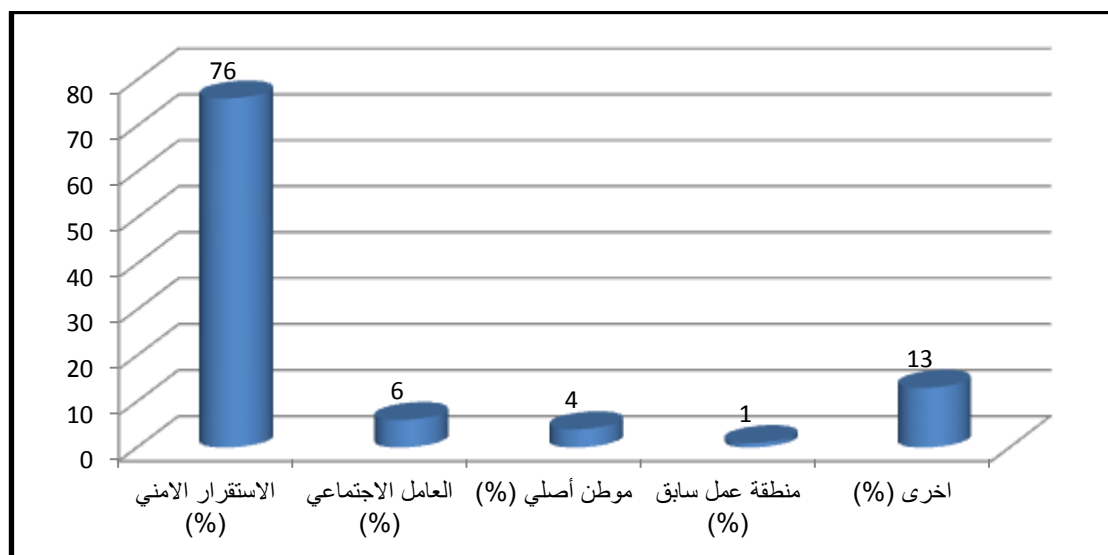
نسبة الدوافع الجاذبة للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة لسنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)

المجموع	اخرى (%)	منطقة عمل سابق (%)	موطن أصلي (%)	العامل الاجتماعي (%)	الاستقرار الأمني (%)
١٠٠%	١٣	١	٤	٦	٧٦

الباحث : اعتماداً على الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ٢٠١٦ .

ملحق (٥)

نسبة الدوافع الجاذبة للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى المحافظة لسنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ٢) .

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

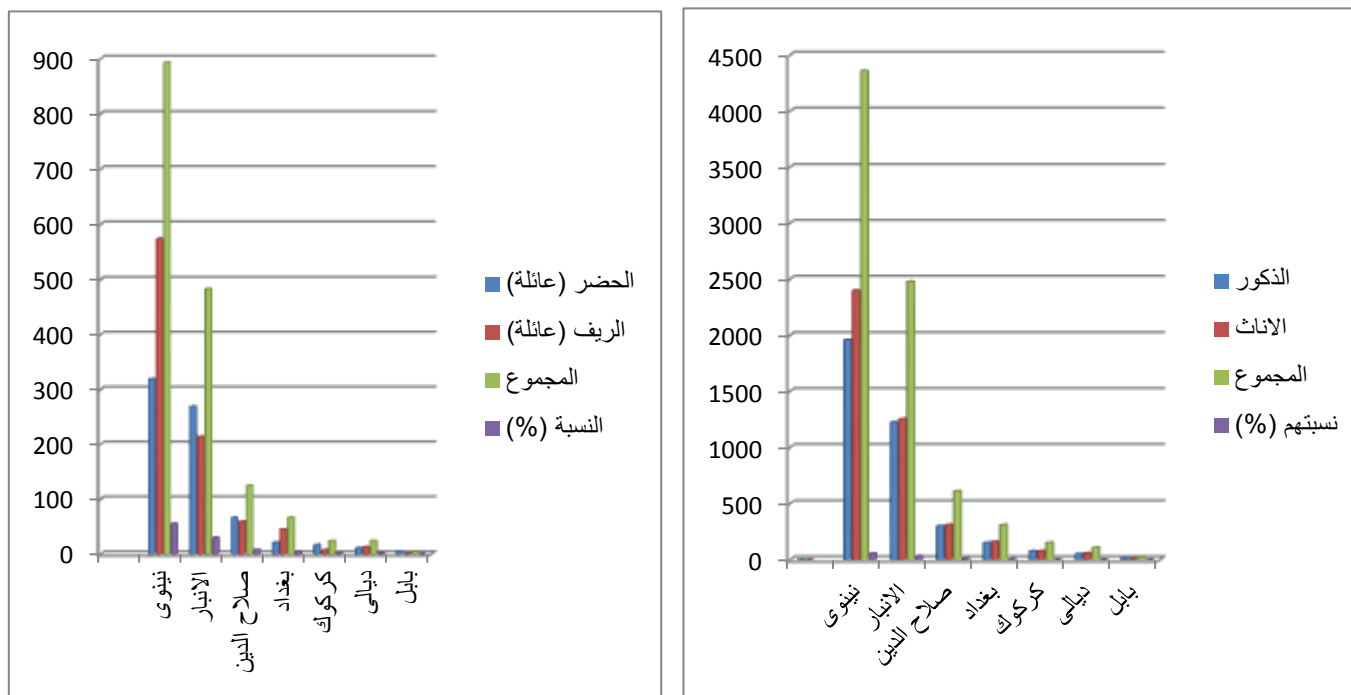
ملحق (٦) حجم ونسبة الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى في سنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)

ت	منطقة التهجير	بيئة التهجير		المجموع	نسبتها (%)	المهجرين حسب النوع		المجموع	نسبتهم (%)
		الحضر (عائلة)	الريف (عائلة)			الذكور (مهجّر)	الاناث (مهجّرة)		
١	نينوى	٣١٩	٥٧٤	٨٩٣	٥٥,٢	١٩٥٩	٢٣٩٩	٤٣٥٨	٥٤
٢	الانبار	٢٦٩	٢١٤	٤٨٣	٢٩,٨	١٢٢٤	١٢٥٤	٢٤٧٨	٣١
٣	صلاح الدين	٦٦	٥٩	١٢٥	٧,٧	٣٠٠	٣١٠	٦١٠	٧,٦
٤	بغداد	٢١	٤٥	٦٦	٤,١	١٥١	١٥٩	٣١٠	٣,٩
٥	كركوك	١٧	٧	٢٤	١,٥	٧٥	٧٧	١٥٢	٢
٦	ديالى	١١	١٣	٢٤	١,٥	٥٠	٥٧	١٠٧	١,٣
٧	بابل	٤	-	٤	٠,٢	١٢	٩	٢١	٠,٢
٨	المجموع	٧٠٧	٩١٢	١٦١٩	%١٠٠	٣٧٧١	٤٢٦٥	٨٠٣٦	%١٠٠

الباحث : اعتماداً على - جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

ملحق (٧)

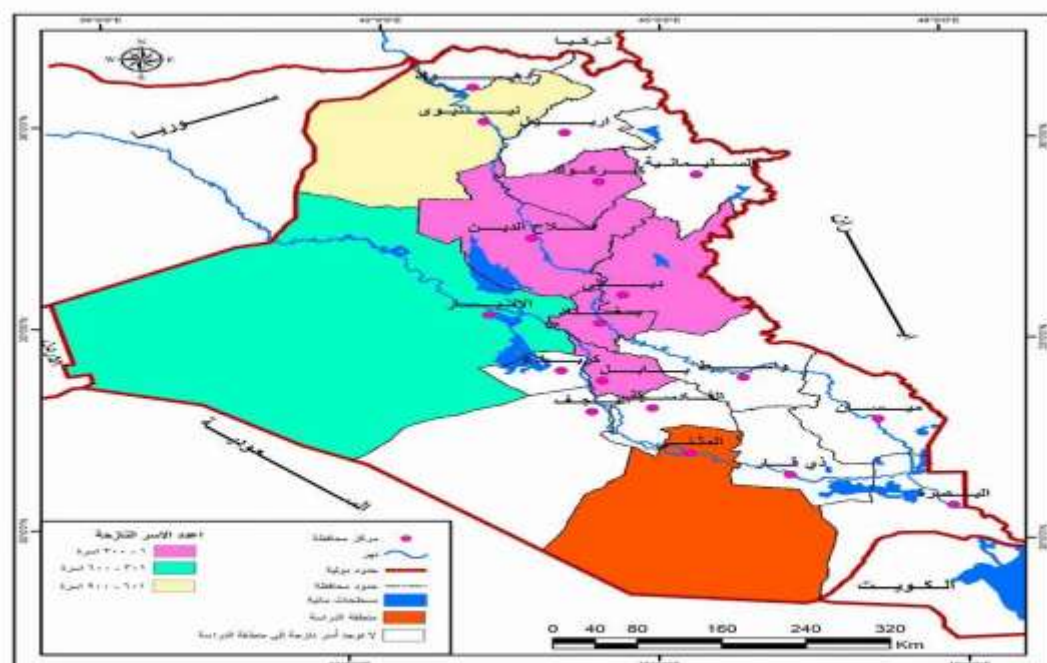
حجم ونسبة الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى في سنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ٦) .

ملحق (٨)

حجم ونسبة الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المتنى في سنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)



المصدر الباحث بالاعتماد على :

(١) وزارة الموارد المائية ، المديرية العامة للمساحة ، قسم إنتاج الخرائط ،الوحدة الرقمية ، خريطة العراق

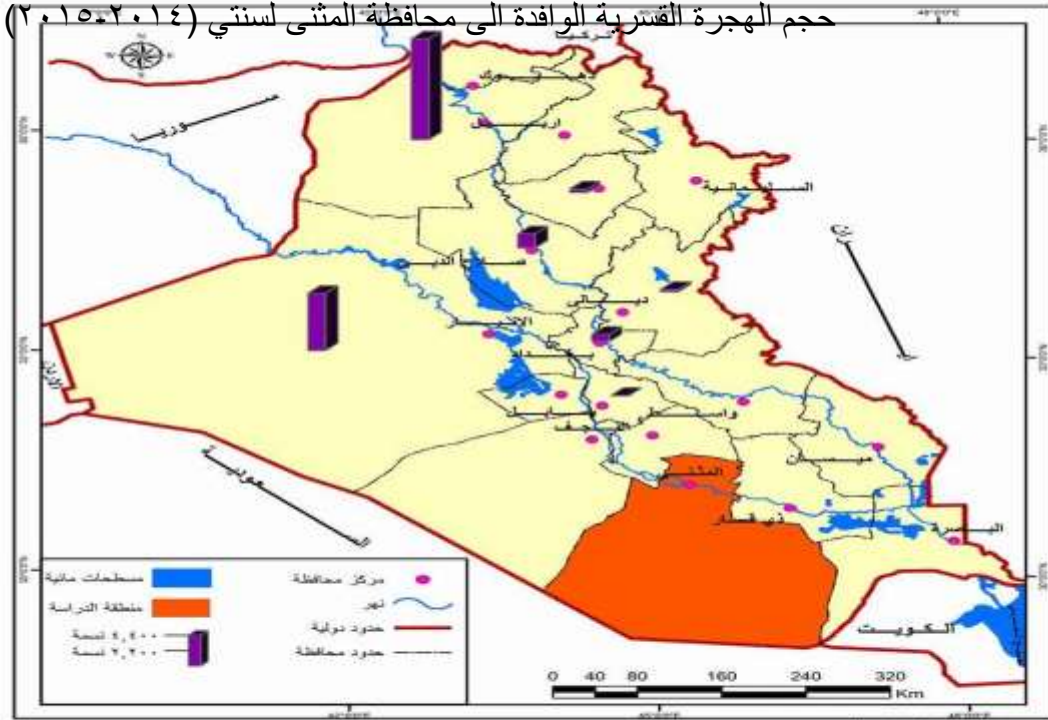
الادارية ، مقياس (١ : ١٠٠٠٠٠٠) بغداد ، ٢٠٠٧ .

(٢) برنامج ARC GIS 10.3 .

(٣) بيانات جدول (ملحق ٦) .

ملحق (٩)

حجم الهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى لسنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)



المصدر: الباحث بالاعتماد على :
(١) وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، الوحدة الرقمية، خريطة العراق الإدارية، مقياس (١:١٠٠٠٠٠٠) بغداد، ٢٠٠٧.
(٢) برنامج ARC GIS 10.3
(٣) بيانات الجدول (ملحق ٦)

المصدر

الباحث بالاعتماد على :

(١) وزارة الموارد المائية ، المديرية العامة للمساحة ، قسم إنتاج الخرائط ، الوحدة الرقمية ، خريطة العراق

الادارية ، مقياس (١ : ١٠٠٠٠٠٠) بغداد ، ٢٠٠٧ .

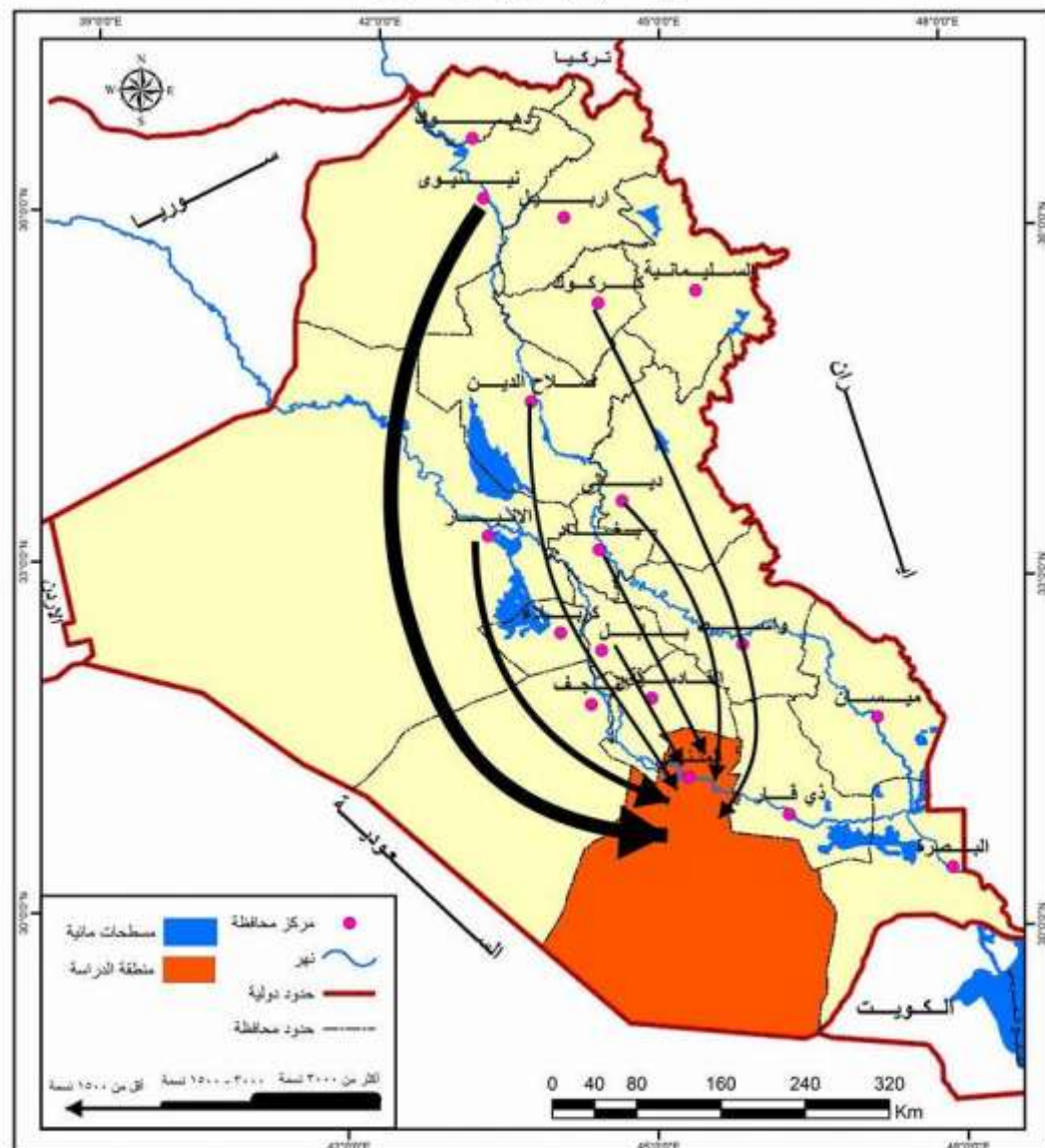
(٢) برنامج ARC GIS 10.3 .

(٣) بيانات الجدول (ملحق ٦)

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

ملحق (١٠)

العوائل المهجرة قسراً الوافدة الى محافظة المثنى حسب منطقة التهجير



ملحق (١١)

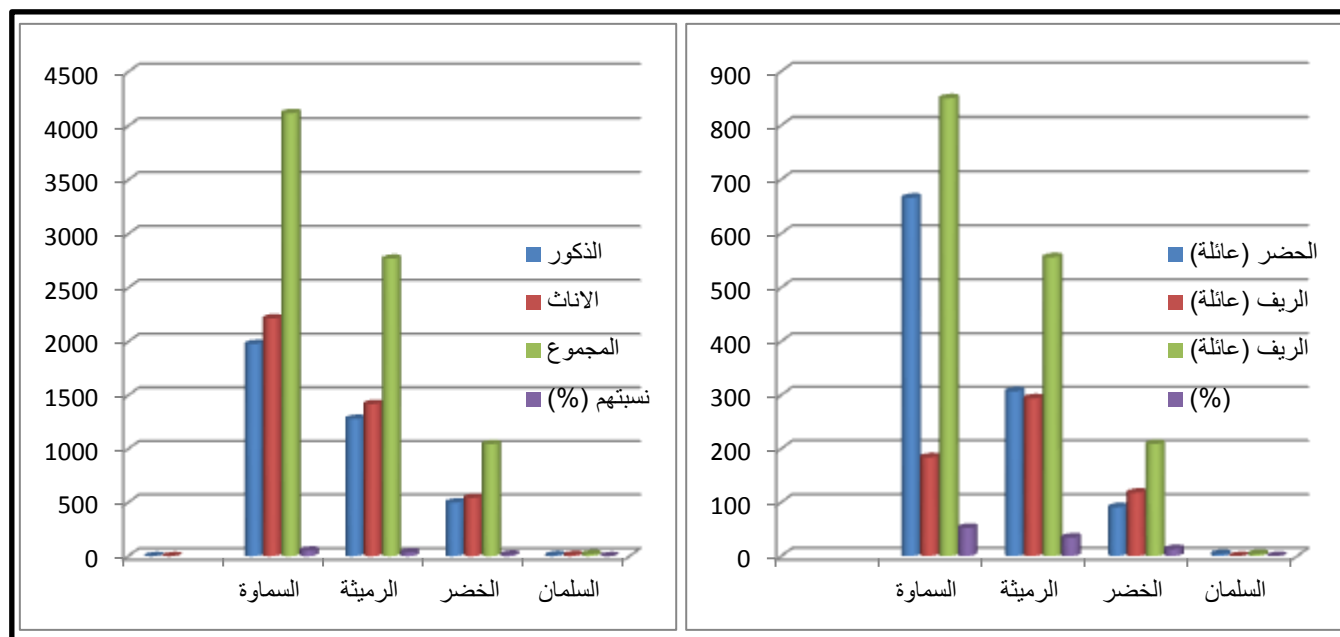
التوزيع الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى بحسب الوحدة الادارية لسنتي ٢٠١٥-٢٠١٤

ت	الوحدة الادارية	بيئة الاستقرار		المجموع	نسبتهم المئوية (%)	نوع المهجرين		المجموع	نسبتهم (%)
		الحضر (عائلة)	الريف (عائلة)			الذكور (مهجّر)	الاناث (مهجّرة)		
١	قضاء السماوة	٦٦٦	١٨٤	٨٥٠	٥٢,٥	١٩٨٠	٢٢١٩	٤١١٩	٥٢
٢	قضاء الرميثة	٣٠٧	٢٩٤	٥٥٦	٣٤,٤	١٢٨١	١٤١٩	٢٧٧٢	٣٤,٥
٣	قضاء الخضر	٩١	١١٨	٢٠٩	١٢,٩	٥٠١	٥٤٤	١٠٤٥	١٣,٣
٤	قضاء السلمان	٤	-	٤	٠,٢	٩	١١	٢٠	٠,٢
٥	المجموع	١٠٦٨	٥٥١	١٦١٩	%١٠٠	٣٧٧١	٤٢٦٥	٨٠٣٦	%١٠٠

الباحث : اعتماداً على :

- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

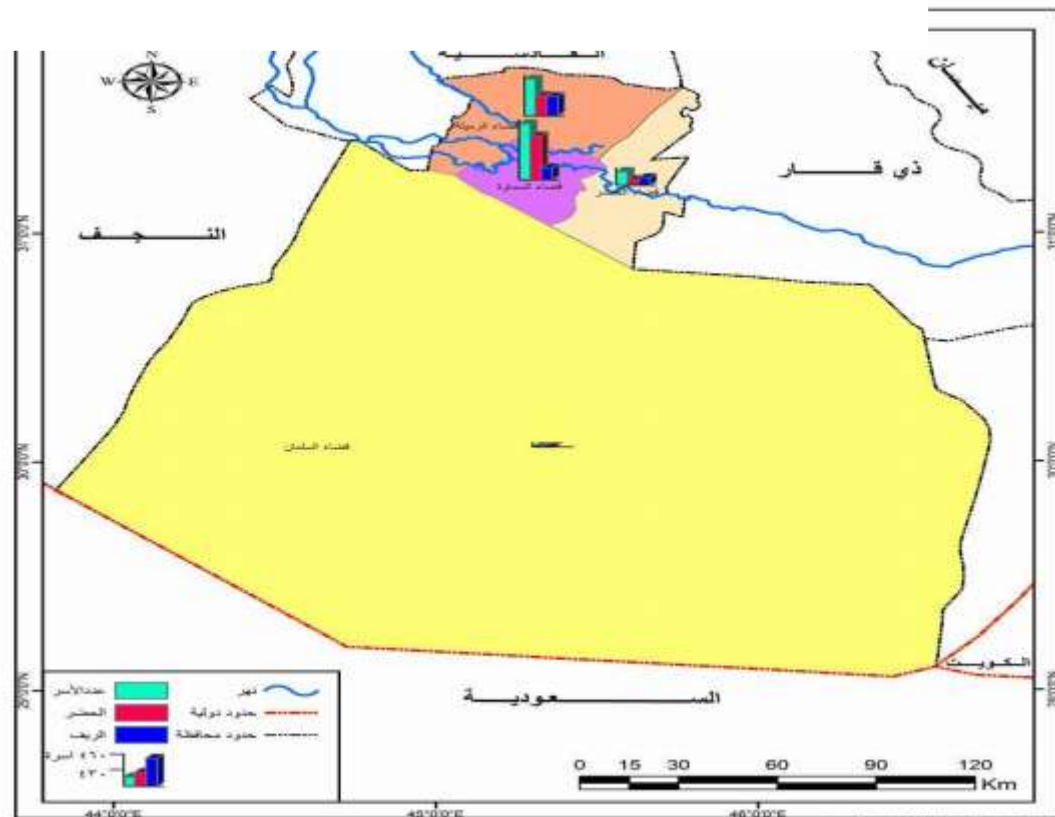
التوزيع الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى بحسب الوحدة الادارية لسنتي ٢٠١٤-٢٠١٥



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ١١) .

ملحق (١٣)

التوزيع الجغرافي للمهجرين قسراً الوافدين الى محافظة المثنى بحسب البيئة

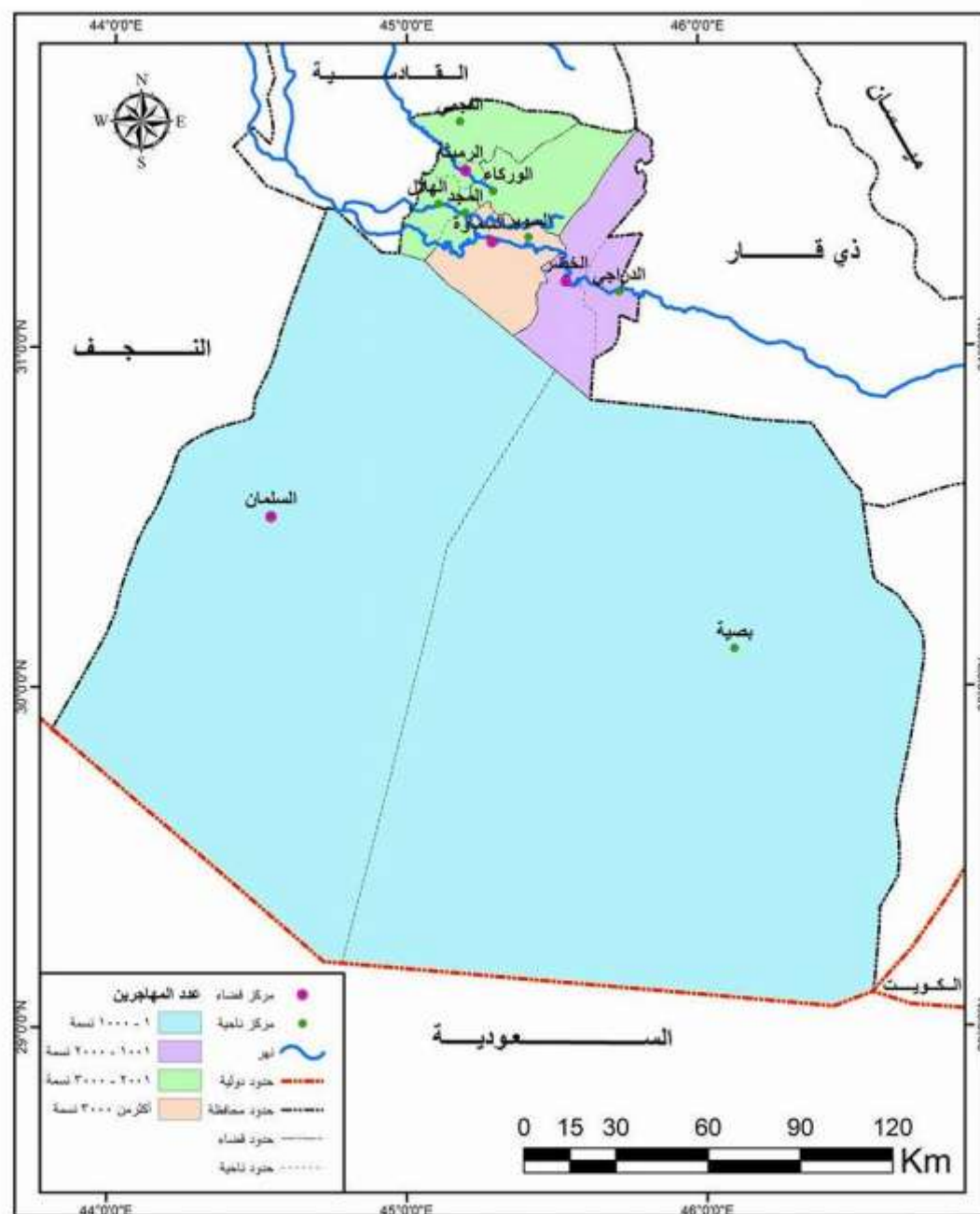


المصدر: الباحث بالاعتماد على:
(١) وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، الوحدة الرقمية، خريطة العراق الإدارية، مقياس (١:١٠٠٠٠٠٠) بغداد ٢٠٠٧.
(٢) برنامج (ARC GIS 10.3)

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

ملحق (١٤)

التوزيع الجغرافي للمهجرين قسراً الوافدين الى محافظة المثنى حسب الوحدة الادارية



المصدر الباحث بالاعتماد على :

- (١) وزارة الموارد المائية ، المديرية العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ،الوحدة الرقمية ، خريطة المثنى الادارية ، مقياس (١ : ١٠٠٠٠٠٠) بغداد ، ٢٠٠٧ .
- (٢) برنامج ARC GIS 10.3 .
- (٣) بيانات الجدول (ملحق ١١) .

ملحق (١٥)

التركيب العمري والنوعي للسكان الم

ت	الفئة	عدد الذكور	نسبته %	عدد الاناث	نسبتهم %	المجموع	نسبتهم %	نسبة النوع
١	١٤-٠	١٢٠٨,٦	٣٢	١٣٦٢,٩	٣١,٩	٢٥٧١.٥	٣١,٩	٨٨,٠
٢	١٥-٦٤	٢٣٧٣,٥	٦٣	٢٦٨٩,٢	٦٣,٢	٥٠٦٢,٧	٦٣,٠	٨٨,٦
٣	٦٥ فأكثر	١٨٨,٩	٥	٢١٢,٩	٤,٩	٤٠١,٨	٥,١	٨٩,٠
٤	المجموع	٣٧٧١	%١٠٠	٤٢٦٥	%١٠٠	٨٠٣٦	%١٠٠	٨٨,٤

الباحث : اعتماداً على :

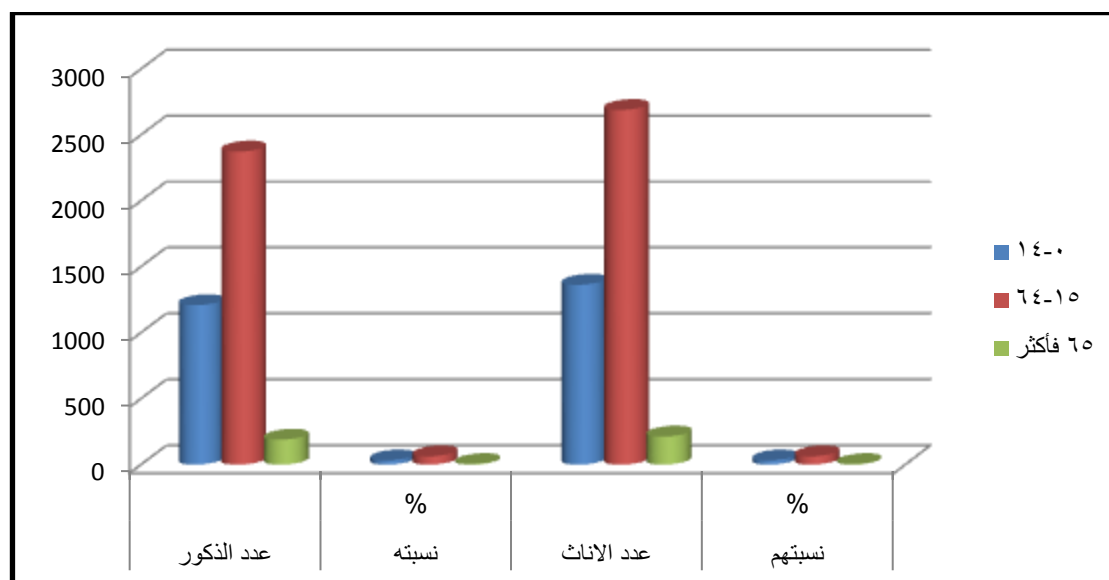
التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

- الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦ .

ملحق (١٦)

التركيب العمري والنوعي للسكان المهجرين قسراً الوافدين لمحافظة المثنى في سنتي (٢٠١٤-٢٠١٥)



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ١٥) .

ملحق (١٧)

التكوين القومي للمهجرين قسراً الوافدين الى محافظة المثنى سنتي ٢٠١٤-٢٠١٥

ت	نوع التكوين	عدد	الاسر	نسبتهم	عدد النازحين	نسبتهم
---	-------------	-----	-------	--------	--------------	--------

محور الدراسات الجغرافية

		المهجرة قسراً	(%)	(%)	%
١	العرب	١٤٠٨,٥	٨٧	٦٨٣٠,٦	٨٥
٢	الكردي	١٢٩,٥	٨	٧٢٣,٢	٩
٣	التركماني	٨١	٥	٤٨٢,٢	٦
٤	المجموع	١٦١٩	%١٠٠	٨٠٣٦	%١٠٠

المصدر :

- من عمل الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦ .

ملحق (١٨)

التكوين المذهبي للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى محافظة المثنى لسنتي ٢٠١٤-٢٠١٥

ت	التكوين المذهبي	عدد الاسر	نسبتها
١	السنة	١٢١٤,٣	٧٥
٢	الشيعة	٤٠٤,٧	٢٥
٣	المجموع	١٦١٩	%١٠٠

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦ .

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

ملحق (١٩)

التركيب الزواجي للسكان المهجرين قسراً الى محافظة المثنى لسنتي (٢٠١٥-٢٠١٤)

ت	الحالة الزواجية	عدد الذكور	نسبته %	عدد الاناث	نسبتهم %	المجموع	نسبتهم %
١	الذين لم يسبق لهم الزواج	٩٤٣,٤	٣٦,٩	١٣١٦,١	٤٥,٣	٢٢٥٩,٥	٤١,٣
٢	المتزوجون	١٥٣١	٥٩,٧	١٥٧٠	٥٤,١	٣١٠١	٥٦,٧
٣	المطلقون	٢٢	٠,٩	—	—	٢٢	٠,٥
٤	الارامل / المترملون	٦٦	٢,٥	١٦	٠,٦	٨٢	١,٥
٥	المجموع	٢٥٦٢,٤	%١٠٠	٢٩٠٢,١	%١٠٠	٥٤٦٤,٥	%١٠٠

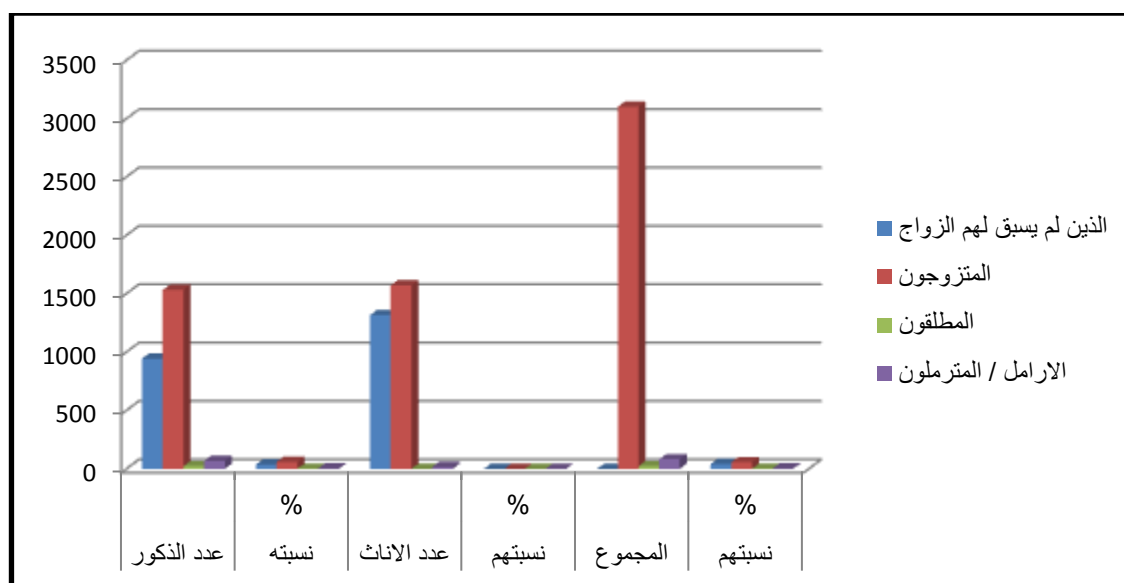
الباحث : اعتماداً على :

- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

- الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦ .

ملحق (٢٠)

التركيب الزواجي للسكان المهجرين قسراً الى محافظة المثنى لسنتي (٢٠١٥-٢٠١٤)



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ١٩) .

ملحق (٢١)

التركيب التعليمي للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى محافظة المثنى (٢٠١٤-٢٠١٥)

ت	المستوى العلمي	عدد الذكور	نسبته %	عدد الاناث	نسبتهم %	المجموع	نسبتهم %
١	امي	١١٣,١	٣	٢١٣,٣	٥	٣٢٦,٤	٤,١
٢	يقرأ ويكتب	٤٩٠,٢	١٣	٤٢٦,٥	١٠	٩١٦,٧	١١,٤

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

٣	الابتدائية	٤٥٢,٥	١٢	١٠٦٦,٢	٢٥	١٥١٨,٧	١٨,٩
٤	الاعدادية	٢٣٣٨	٦٢	٢٢١٧,٨	٥٢	٤٥٥٥,٨	٥٦,٧
٥	كلية او معهد	٣٧٧,٢	١٠	٣٤١,٢	٨	٧١٨,٤	٨,٩
٦	عليا	—	—	—	—	—	—
٧	المجموع	٣٧٧١	%١٠٠		%١٠٠		%١٠٠

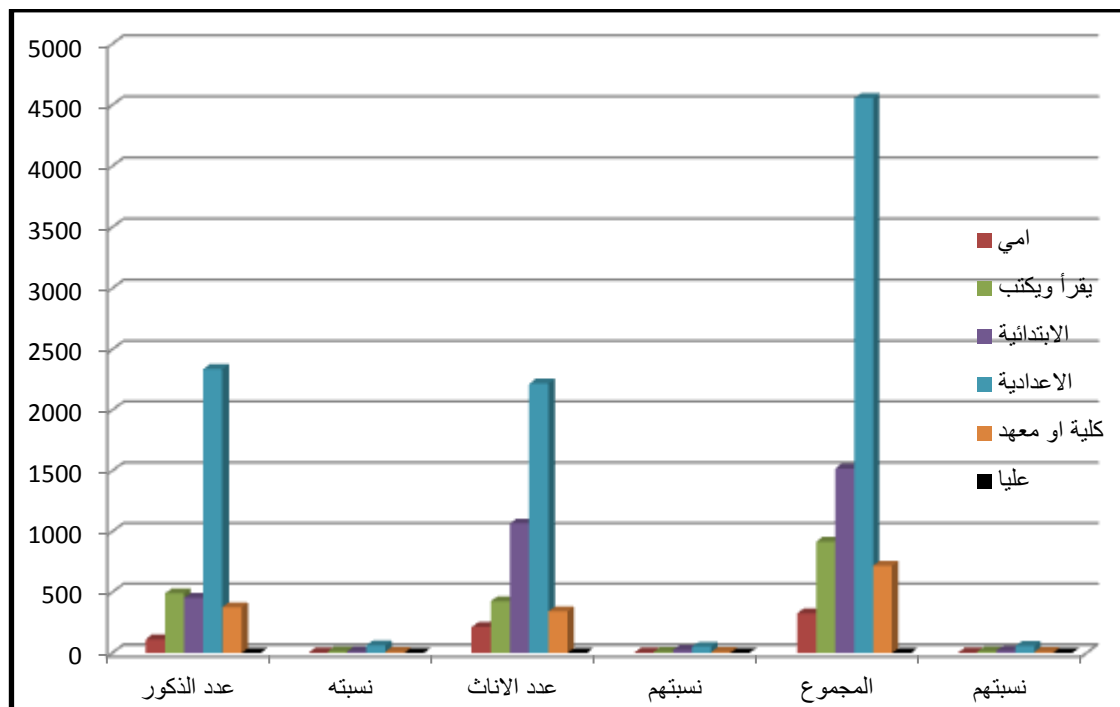
الباحث : اعتماداً على :

- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

- الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦ .

ملحق (٢٢)

التركيب التعليمي للسكان المهجرين قسراً الوافدين الى محافظة المثنى (٢٠١٤-٢٠١٥)



الباحث : بالاعتماد على الجدول (ملحق ٢١) .

ملحق (٢٣)

التحليل الجغرافي للهجرة القسرية الوافدة الى محافظة المثنى

حجم سكان محافظة المثنى ونسبتهم المئوية لعام ٢٠١٥

ت	حالة السكان	عدد السكان (نسمة)	نسبتهم (%)
١	السكان الاصليين	٧٨٨٢٦٢	٩٨,٩
٢	السكان الوافدين قسراً	٨٠٣٦	١,١
٣	المجموع	٧٩٦٢٩٨	%١٠٠

المصدر : الباحث اعتماداً على :

- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، الموجز الاحصائي للعراق لعام ٢٠١٦ .
- بيانات الجدول (ملحق ٦) .

هوامش البحث :

- ١- علي لبيب ،جغرافية السكان الثابت والمتحول ، ط٢ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٥٩ .
- ٢- يوسف حمادي ، مبادئ علم الديموغرافية ، (د.ط) ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٥ ، ص١٩٦ .
- ٣- حسين كريم حمد الساعدي ، التحليل المكاني للهجرة القسرية الوافدة الى مدينة الكوت ، مجلة كلية التربية - واسط ، العدد ٩ ، المجلد ٥ ، ٢٠٠٩ ، ص٢٥٧ .
- ٤- جبار عبد جبيل ، قيس مجيد علوش ، التباين المكاني لظاهرة الهجرة القسرية الداخلية في العراق عدا اقليم كردستان ، مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، العدد ١٥ ، ٢٠١٤ ، ص ٢٠٩-٢١٠ .
- ٥- جمهورية العراق ، وزارة حقوق الانسان ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ٦- الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦.
- ٧- جمهورية العراق ، وزارة الصحة ، مديرية صحة المتنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦.
- ٨- جمهورية العراق ، وزارة التربية ، مديرية تربية المتنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦.
- ٩- جمهورية العراق ، وزارة الكهرباء ، مديرية كهرباء المتنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ١٠- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ١١- الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦.
- ١٢- جمهورية العراق ، وزارة الداخلية ، قيادة شرطة المتنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦.
- ١٣- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المتنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

المصادر :

- ١- علي لبيب ،جغرافية السكان الثابت والمتحول ، ط٢ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
- ٢- يوسف حمادي ، مبادئ علم الديموغرافية ، (د.ط) ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٥ .
- ٣- حسين كريم حمد الساعدي ، التحليل المكاني للهجرة القسرية الوافدة الى مدينة الكوت ، مجلة كلية التربية - واسط ، العدد ٩ ، المجلد ٥ ، ٢٠٠٩ .
- ٤- جبار عبد جبيل ، قيس مجيد علوش ، التباين المكاني لظاهرة الهجرة القسرية الداخلية في العراق عدا اقليم كردستان ، مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، العدد ١٥ ، ٢٠١٤ .
- ٥- جمهورية العراق ، وزارة حقوق الانسان ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ٦- الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية (استمارة الاستبيان) ، ٢٠١٦ .
- ٧- جمهورية العراق ، وزارة الصحة ، مديرية صحة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ٨- جمهورية العراق ، وزارة التربية ، مديرية تربية المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ٩- جمهورية العراق ، وزارة الكهرباء ، مديرية كهرباء المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ١٠- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ١١- جمهورية العراق ، وزارة الداخلية ، قيادة شرطة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .
- ١٢- جمهورية العراق ، وزارة الهجرة والمهجرين ، مديرية الهجرة والمهجرين في محافظة المثنى ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠١٦ .

١٣- وزارة الموارد المائية ، المديرية العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ، الوحدة الرقمية ، خريطة العراق الادارية (١ : ١٠٠٠٠٠٠) بغداد ، ٢٠٠٧ .

التحليل المورفومتري لحوض نهر المالح وبعض اخطار المنطقة الجيومورفولوجية

في جنوب شرق العراق

م.د. علي مجيد ياسين البوعلي

مقدمة

يعد التحليل المورفومتري لأحواض الأنهر أحد الخصائص الجيومورفولوجية الكمية بمفهومها العام وهي أساليب تحليلية تتناول ظاهرات سطح الأرض ، لتوضيح مدى تفاعل العوامل المؤثرة في الشبكة النهرية من مناخ وتضاريس وانحدارات مختلفة وجيولوجية وتركيبية المنطقة من صدوع وخطيات وظواهر هيدرولوجية وتصريف النهر نفسه ، معتمدة على البيانات المأخوذة من الخرائط الطبوغرافية والصور الجوية والمرئيات الفضائية ، الامر الذي يساعدنا في دراسة الخصائص المورفومترية لشبكة الصرف المائي لحوض وادي نهر المالح بطرائق الية متطورة ، وبناء قاعدة بيانات جغرافية ذات متغيرات مورفومترية معتمدة على مصادر بيانات متقدمة متمثلة بانموذج الارتفاعات الرقمية (Digital Elevation Model) وباستخدام برنامج (Arc GIS 10.2) وبرنامج (Global Mapper) .

مشكلة البحث:

١. تكمن مشكلة البحث في التخلص من نسبة التعميم التي تعاني منها القياسات المورفومترية في الطرق التقليدية المعتمدة على الخرائط الطبوغرافية؟ ويمكن من خلال استخدام نظم المعلومات الجغرافية ومصادر بيانات الاستشعار عن بعد الحصول على نتائج أدق من الطرق التقليدية التي لا تخلو من الاخطاء فضلاً عن ان نظم المعلومات الجغرافية توفر الوقت والجهد.
٢. هل هنالك مخاطر جيومورفولوجية تعاني منها منطقة الدراسة.

فرضية البحث:

١. إن استخدام برامج نظم المعلومات الجغرافية تساهم في التخلص من الطرائق

٢. التقليدية في القياسات المورفومترية وبناء قاعدة بيانات لحوض وادي نهر المالح. وبناء قاعدة بيانات لحوض وادي نهر المالح. التقليدية في القياسات المورفومترية وبناء قاعدة بيانات لحوض وادي نهر المالح.

٣. توجد بعض المخاطر الجيومورفولوجية في المنطقة متمثلة بالتعرية الجدولية والكثبان الرملية. هدف البحث:

يهدف البحث إلى توظيف نظم المعلومات الجغرافية في القياس الكمي للخصائص المورفومترية لحوض وادي نهر المالح ، وبناء قاعدة بيانات جغرافية تحتوي على متغيرات مورفومترية تتميز بدقة التفاصيل التي لا توفرها الخرائط الطبوغرافية ، لما لهذه الخصائص من أهمية في الدراسات الهيدرولوجية يقع حوض نهر المالح في الجزء الجنوبي الشرقي من محافظة ميسان، وعلى الشريط الحدودي الفاصل بين العراق و إيران، ويبلغ مساحة الحوض (٢٨٨,٦٩ كم^٢) وجزء من مساحة الحوض في الاراضي الايرانية والجزء

والجيومورفولوجية ، فضلاً عن إنتاج خرائط رقمية مورفومترية دقيقة وتصميمها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية . طريقة العمل :

تم استخدام المرئية الفضائية DEM نموذج الارتفاعات الرقمية للعراق في تحديد الحوض وشبكة التصريف النهري حيث ادخلت الى برنامج ArcGIS 10.2 ، اذ تم انتاج خريطة الارتفاعات وخطوط الكنتور والشبكة النهرية التي صنفتم الى مراتبها بحسب طريقة ادخال Wadi Analysis وهو تطبيق ضمن تطبيقات برنامج Arc GIS ، ومن ثم اخذ مختلف القياسات المورفومترية واجراء العلاقات المكانية بين مختلف تلك الخصائص التي اشتمل عليها الحوض.

موقع منطقة الدراسة:

الآخر المدروس يقع ضمن الاراضي العراقية ، ويحده من الشرق التلال الإيرانية، من الغرب نهر دجلة، ومن الشمال محافظة واسط ينظر ملحق الخريطة (١) و (٢).

جيولوجية منطقة الدراسة:-

يظهر في حوض نهر دويريج مجموعة من التكوينات الصخرية والرواسب سيتم ذكرها بحسب العمر الجيولوجي من الأقدم إلى الأحدث، ان دراسة هذه التكوينات تساعد على توضيح الكثير من الخصائص التي تسهم في تشكيل سطح الحوض والشبكة النهرية، كما موضح في ملحق الجدول (١).

ترسبات العصر الثلاثي:

١- تكوين الفتحة: ويسمى سابقا (فارس الأسفل)، ويعود هذا التكوين إلى عصر المايوسين، وبيئة هذا التكوين هي بحرية ضحلة ضمن أحواض شبه مغلقة ذات ملوحة عالية في جزءه الأعلى. (١)

وينكشف هذا التكوين على طول محور طية حميرين، ويتكون من طبقات الحجر الطيني (Clay stone) وطبقات خفيفة من الحجر الجيري وأخرى سميكة من الجبس (Gypsum) مختلفة السمك. (٢)

٢- تكوين انجانه: يعود هذا التكوين إلى عصر المايوسين الأعلى ويمثل صخور المرحلة الانتقالية بين البيئة البحرية والبيئة القارية، ويتألف التكوين من تعاقب طبقات (حجر المارل، الحجر الرملي، الحجر الطيني والحجر الغريني)، تكون طبقات الحجر الرملي اقل تراصا واكبر سمكا ويلاحظ زيادة في حجم الحبيبات نحو الأعلى بينما الحبيبات الناعمة والمكونات الكلسية الأجزاء السفلى. (٣)

٣- تكوين المقداية: يعود هذا التكوين إلى عصر البلايوسين الأسفل وبيئة الترسيب بيئة نهريّة مشابهة لبيئة ترسيب تكوين باي حسن وتشتمل هذه التكوينات على رواسب المفتتات، والتي تكونت نتيجة لارتفاع المنطقة باستمرار وزيادة فعالية عوامل التعرية، التي عملت على تجمع المفتتات في المنخفضات السائدة لمنطقة الدراسة، وتشتمل على صخور (الحجر الرملي، الحجر الطيني و الرمل الغريني فضلا عن الحصى الرملي)، حيث تتباين أحجام الحصى

ويصل قطرها أكثر من (٢) سم وبمختلفة الأشكال، كما يظهر في الطبقات العليا من التكوين طبقات قليلة السمك من الحصى ويمكن ملاحظة أن حجم الحصى يقل بالاتجاه نحو الأسفل بفعل عمليات الفرز المنتظم، وتلي هذه الصخور ترسبات طينية قليلة السمك ثم تأتي الصخور الرملية الأكثر سمكا لتظهر في الجزء الأسفل من تكوين المقدادية.

٤- تكوين باي حسن: بيئة الترسيب لهذا التكوين هي بيئة نهريّة عذبة، وتشتمل على رواسب المتكتلات الصخرية التي ترسبت بفعل مجاري الأنهار التي رسبتها في المناطق المنخفضة، ويفصل هذا التكوين عن تكوين المقدادية طبقة من الحجر الرملي الحصى.

يتشكل هذا التكوين من (حجر رملي طيني، حصى وطين غريني، الغرين الرملي) المتباينة في الحجم من الطين الى الحصى، تتداخل معها بعض المدملكات على شكل طبقة قليلة السمك

تعد الحد الفاصل بين هذا التكوين وتكوين المقدادية.^(٤)

ترسبات العصر الرباعي: استمرت الحركات الأرضية خلال هذه المدة مؤدية إلى ارتفاع الجبال وهبوط المناطق المجاورة وهي مستمرة حتى وقتنا الحالي، مكونة ترسبات متباينة في خصائصها الشكلية والحجمية تتراوح بين الحصى المخلوط مع الطين والرمل والغرين، ويمكن ادراج الارسابات كالآتي:

١- ترسبات السهول الفيضية: تمتد هذه الترسيبات على جانبي نهر المالح الذي يخترق المنطقة من الشرق الى الغرب و الذي بنى له نظام سهليا فيضيا واضحا ومتصلا بعد تركه المروحة، وتتحصر هذه الترسيبات بين المراوح الفيضية من جهة الشرق والشمالى الشرقى وذنانب نهر دجلة من جهة الغرب والجنوب الغربى، تعد هذه الترسيبات نهاية حدود السهول المروحية التي تكونت بفعل الرواسب التي تحملها الأنهار والجداول والسيول القادمة من التلال الشرقية،

وتأخذ انحدرا عاما من الشرق والشمال الشرقي باتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وتتشكل هذه الإرسابات من الرمل والغرين والطين الغريني على هيئة طبقات متعاقبة ومتغايرة السمك قد يصل سمكها إلى بضعة أمتار.

٢- ترسبات الانسياب السطحي: يطلق عليها أحيانا إرسابات السيول، والتي لها علاقة بترسيب المروحة الغرينية وارتباطها بنظام الترسيب النهري لمنطقة أقدام التلال، و لا يمكن تمييز تلك الإرسابات بالعين المجردة باستثناء المناطق المجاورة قرب رأس المروحة، حيث يتداخل الرمل والغرين والطين على الأغلب مع بعضهما، ويزداد حجم الحبيبات نعومة كلما اتجهنا نحو الأعلى باتجاه الحافات.

٣- الترسبات الريحية: تنتشر الترسبات الريحية أما بشكل صفائح رملية لايزيد سمكها عن (١) م وتكون رقيقة متقطعة ومتجمعة فوق إرسابات السهل الفيضي وسهل الانسياب السطحي وهي واسعة الانتشار في الأراضي الجرداء، أو بهيئة

كثبان رملية يصل ارتفاعها (٥)م وتكون موازية في امتدادها لجبل حمير وتتألف من الرمل بأحجام حبيبية مختلفة.

٤- رواسب المنحدرات: تنتشر عند سفوح أقدام التلال الشرقية ضمن الحدود العراقية الإيرانية بفعل الانحدار وفي المناطق التي ينكشف فيها تكويني المقدادية وباي حسن تختلف في سمكها وفقا لطبوغرافية المنطقة، وتتكون من مفتتات بشكل مخاريط ارسابية عند أقدام التلال الشرقية والتي تتركز فيها العمليات المورفوديناميكية من المتساقطات الصخرية والانهيارات بفعل حركة مواد السطح وكذلك نتيجة التعرية الأخدودية والصفائحية السائدة على المنحدرات. (٥)

الوضع الطبوغرافي:

يكتسب سطح الارض خصائصه الاولى من خلال البنية الجيولوجية التي تؤدي الى احداث تفاوت في المظهر الجيومورفولوجي لسطح الارض والذي يعكس طبيعتها وخصائصها البنوية في مراحلها الاولى.ومن ملحق الخريطة

(٣) تبين ان سطح منطقة الدراسة يتميز بالانبساط النسبي وقلة التضرس، إذ يتدرج بتدرج سطح المنطقة بالارتفاع من من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي، إذ بلغ ادنى ارتفاع (-١٦م) فوق مستوى سطح البحر واعلى ارتفاع (٢٦٨م) فوق مستوى سطح البحر.

مناخ المنطقة:

يؤثر المناخ في تشكل وتطور الاحواض النهرية، من خلال تأثيره في العمليات الجيومورفولوجية فهو يؤثر في معدلات التجوية والحت والتراجع للمحدرات وتغير القنوات النهرية وتطورها الى مراتب اعلى كما يؤثر في عمليات التعرية والاسباب النهرية، اذ ترتبط هذه العملية ارتباط وثيق بعناصر المناخ ولاسيما الحرارة والامطار ومن تأثير هذين العنصرين ينتج احواض نهرية متباينة في اشكالها الارضية وخصائصها المورفومترية. (٦)

درجة الحرارة الاعتيادية وكميات الامطار :

تعد درجة الحرارة واحدة من اهم العناصر المناخية التي تشكل خواص منطقة الدراسة، ونتيجة لوقوع حوض نهر المالح ضمن دائرة عرض (2.4 64 32 ° 4.5 28 32 °) شمالا، وقوس طول (25.9 31 47 ° - 47 8.8 07 °) شرقا، جعل الاشعاع الشمسي شبه عموديا خلال فصل الصيف ومائلا او شبه مائل خلال فصل الشتاء علاوة على ذلك ساعات النهار في فصل الصيف اطول مما هي عليه في فصل الشتاء، وتقدر الزيادة بثلاث ساعات وثمان واربعين دقيقة. مما يؤدي الى زيادة كمية الطاقة الشمسية الواصلة الى وحدة المساحة من على سطح الارض في وحده الزمن. ومن ملاحظة ملحق الجدول (٢) و ملحق الشكل (١) يتبين ان منطقة الدراسة تتصف بارتفاع درجات الحرارة صيفا وانخفاضها شتاءً، وهذا ناتج عن انتماء منطقة الدراسة الى الاقاليم شبه المدارية صيفا وجنوب المنطقة المعتدلة الدافئة شتاءً.

اما التساقط فهو مصطلح مناخي يشير الى شيء تدره السحب من حملتها المائية والجليدية،

للأحواض المائية بما في ذلك الخصائص المساحية والشكلية والتضاريسية والشبكة المائية وأنماط الصرف. ^(٨) آذ يعد الحوض النهري بمثابة نظام مورفولوجي تحكمه وتضبط خواصه الهندسية قوانين ذات علاقة متبادلة لا يمكن تحديد طبيعتها إلا بعد دراسة المتغيرات المختلفة التي تتحكم بطبيعة تلك العلاقات وقياسها. ^(٩) وكان هورتون (Horton - ١٩٤٥) أول من بدأ التحليل الكمي لشبكة الصرف المائي والذي اهتم بدراسة الجريان المائي وهندسة حوض التصريف وعمل نظاما تطبيقيا تبعا للتراتب ووضع القدرة الحركية للمتغيرات المؤثرة في الجريان المائي، وقد طور هذا التحليل (Strahler- 1958) آذ تمكن من إجراء مقارنات بين أحواض تصريف مختلفة قد أجرى تغيرات على نظام هورتون أوضح فيها كيف تنتظم خصائص الشبكة المائية على أساس نظرية الجريان المائي. ^(١٠)

أبعاد الحوض: من المعروف ان الأحواض المائية تتباين في مساحتها تبعا للتباين في

والذي يصل الى سطح الارض سائلا او صلبا او مختلطا احيانا كما وتعد الامطار المصدر الرئيس لتغذية الاحواض النهرية السطحية والجوفية لذلك يجد الباحث ان بالامكان تصنيف الاحواض بحسب مواسم تساقط الامطار حيث ان هناك احواض موسمية ووقتية واخرى دائمة. ^(٧) وحوض نهر دويريج من الاحواض الوقتية اذ تجري المياه في الموسم المطير من السنة، وتتقطع عنه المياه في فصل الصيف الجاف، ومن ملاحظة ملحوظة الجدول (٢) وملحق الشكل (٢) يتبين ان موعد تساقط الامطار ابتداء من شهر ايلول بمقدار (٠.٩ ملم) حتى تصل الى اقصى تساقط لها في شهر كانون الثاني بمقدار (٣٧ ملم).

الخصائص المساحية لحوض نهر المالح: يشير تعبير المورفومتري (Morphometry) إلى جميع الخصائص الحوضية القياسية او الهندسية التي تنتج عن اخذ قياسات معينة

الحركات الأرضية ونوع الصخور والتضاريس والأحوال المناخية فضلا عن عامل الزمن، تبلغ مساحة الحوض الكلية (٢٨٨.٦٩ كم^٢)، وبطول يصل الى (٢٩,٨٨ كم) وعرض يصل الى (٩ كم)، اما محيط الحوض فيمكن تعريفه بأنه خط تقسيم المياه بين الحوض وما يجاوره من أحواض أخرى وبلغ محيط الحوض (١٠٨.٩ كم)، من خلال هذا المعامل يمكن معرفة انتشار الحوض واتساعه، آذ كلما زاد طول محيط الحوض ازداد انتشاره وتوسعه ثم يزداد تطوره الجيومورفولوجي كما يظهر من ملحق الخريطة (٢) وملحق الجدول (٣).^(١١)

الخصائص الشكلية:

هي من الدراسات المورفومترية التطبيقية المهمة لما لها من دلالات هيدرولوجية وتأثير كبير في الصرف المائي، أي تحدد كمية التغذية المائية التي تجهز المجرى الأساس بالماء وتحكمها في ذروة التصريف ومدد التلكؤ. ^(١٢) وبذلك فهي تؤثر في تحديد معدلات ألحت المائي ومن ثم

ينعكس ذلك عل تشكيل الأشكال الأرضية الناتجة ومساحة أحواضها، آذ تعد انعكاس للخصائص الطبيعية التي تؤثر في تشكيل الحوض وتظهره بأشكال مختلفة.

استدارة الحوض: تعني الاستدارة مدى اقتراب شكل حوض التصريف من الشكل الدائري المنتظم من خلال العلاقة بين مساحة الحوض ومساحة دائرة محيطها يساوي محيط الحوض، وتعني القيم المنخفضة عدم انتظام شكل الحوض وزيادة تعرج خط تقسيم المياه مما يؤثر في أطوال الأودية ولاسيما روافد الرتب الدنيا التي تقع بالقرب من مناطق تقسيم المياه وميلان الحوض إلى الاستطالة، إما القيم المرتفعة التي تقترب من الواحد الصحيح فتعني ان الأحواض تقترب من الشكل الدائري، وقد تم استخراج معدل استدارة الحوض لأحواض منطقة الدراسة وفق المعادلة الآتية:

الحوض مازال في مرحلة النضج المبكر أي في بداية دورته الحثية وعدم انتظام خطوط تقسيم المياه فيه وتعرجها، الذي ساعد على بطء وصول الموجات المائية الى المصب وذلك بسبب طول المجاري المائية وتباعدها وهذا يجعل احتمالية خطر الفيضان منخفضة ومحصورة في أماكن محدودة، إضافة إلى الانحدار الكبير في الأحواض ووجود التكوينات الصخرية الشديدة والمقاومة وخاصة في أحواض تغذية المروحة مثل صخور الكلس.

نسبة الاستطالة: ان درجة الاستطالة دليل على اقتراب او ابتعاد شكل الحوض من الشكل المستطيل ونسبته تتراوح ما بين (صفر - ١)، اذ كلما اقتربت القيم من الصفر دل على استطالة شكل الحوض، وبعبكسه دلالة لاقتراب شكل الحوض من الشكل الدائري، تزيد هذه النسبة في الأحواض الطويلة وتقل في الأحواض التي يختلف عرضها مع امتدادها.

وتستخرج نسبة الاستطالة وفق المعادلة الآتية:

مساحة الحوض كم^٢

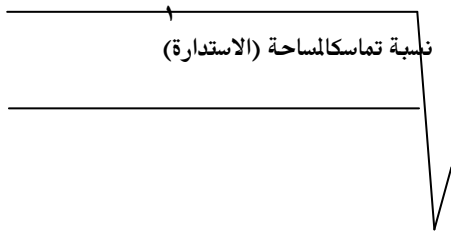
نسبة الاستدارة ^{١٣} = —————

مساحة دائرة محيطها محيط الحوض نفسه/ كم^٢

وتشير القيم المرتفعة لهذا المعامل إلى وجود أحواض مائية مستديرة الشكل بينما تعني القيم المنخفضة إلى عدم انتظام خطوط تقسيم المياه المحيطة بحوض التصريف وتعرجها وقد يؤدي إلى حدوث عمليات الأسر النهري (River capture) في المناطق المجاورة والمتداخلة بين أحواض التصريف المختلفة. (١٤)

وبتطبيق المعادلة على حوض منطقة الدراسة ومن ملحق الجدول (٤) وملحق الخريطة (٦) يتضح أنه يميل إلى الاستطالة منه إلى الاستدارة، حيث بلغ معدل الاستدارة (٠.٣٠) . وهي قيم منخفضة بشكل كبير عن الشكل الدائري ، وهذا يعني ابتعاد شكل الحوض عن الشكل الدائري وتعطيه أشكال متعددة كالمستطيل أو المثلث أو القوس وهذا مؤشر على كون

نسبة تماسك المحيط: هي إحدى المقاييس المستخدمة لتأكيد ابتعاد أو اقتراب شكل الحوض عن الشكل الدائري لها نفس مساحة حوض النهر وتستخرج بالطريقة الآتية ^(١٦) :



نسبة تماسك المحيط =

(Horton, 1932)

فكلما ابتعدت عن الواحد الصحيح ابتعد شكل الحوض عن الشكل الدائري وكان أكثر استطالة، مع العلم ان الناتج دائما أكثر من الواحد الصحيح، وعند تطبيق المعادلة على منطقة الدراسة يتبين أن نسبة تماسك المحيط بلغت (١.٨) وهي نسبة مرتفعة تدل على اقتراب شكل الحوض من الشكل المستطيل وابتعاده عن الشكل الدائري أي ضعف الترابط بين أجزاء الحوض وعدم انتظام خطوط تقسيم المياه أي

طول قطر دائرة بمساحة الحوض نفسه/كم

نسبة الاستطالة ^(١٥) = ———

أقصى طول للحوض/كم

وعند تطبيق هذه المعادلة على حوض منطقة الدراسة يتضح بان نسبة الاستطالة تبلغ (٠.٧٢) ينظر ملحق الجدول (٤)، أي انه يأخذ الشكل المستطيل وهذا يفسر لنا تباطؤ وصول الموجات الى المصب في مدة سقوط الأمطار، فضلا عن طول المجاري المائية كما ان لهذا الشكل أهمية في زيادة الفاقد من المياه عن طريق الترشيح والتبخر فضلا عن ارتفاع درجات الحرارة صيفا، وعلى ضوء ذلك كانت الأحواض المستطيلة الشكل تتميز بتصاريف مائية منتظمة وتلك التصاريف المائية العالية إلى مجاريها الدنيا، وذلك لان مسيلاتها المائية تقطع مسافات أطول من الأحواض المستديرة فيتعرض جزء من هذه المياه للضياع بالتسرب.

الخصائص التضاريسية :

للخصائص التضاريسية أهمية كبيرة في الدراسات الجيومورفولوجية عامة و المورفومترية خاصة لأنها تعد من المؤشرات الواضحة في تحديد العمليات الجيومورفولوجية التي تعكس مدى تطور التعرية وتأثير ذلك في تشكيل سطح الأرض داخل حدود الحوض وعمرها الزمني الذي عكس شدة عمليات الهدم الحاصلة في الأحواض النهرية من جهة وعلاقتها بالشبكة المائية والخصائص المساحية من خلال تحديد كمية التصريف المائي لكل حوض ومقدار الرواسب فيه، أي ان دراسة تضرس الحوض حلقة الوصل بين عمليات التعرية وتفهم أثرها وقوتها ومدى فعاليتها وبين الاختلافات الليثولوجية والتركيبية لمنطقة الدراسة. (١٩) أي أنها انعكاس للطبيعة الصخرية وخصائصها البنيوية لأحواض منطقة الدراسة، وعن طريق التحليل المورفومتري حددت المعايير لحساب الخصائص التضاريسية وهي كالآتي :

تعرجها ويعود هذا إلى كون الحوض يمر بمرحلة النضج المبكر، فضلاً عن الطبيعة الصخرية.

معامل شكل الحوض: هو مؤشر يشير إلى مدى تناسق الشكل العام لأجزاء الحوض المختلفة، فالقيم المنخفضة تشير إلى اقتراب شكل الحوض من الشكل الثلاثي أما ارتفاع القيم يدل على ابتعاد الحوض عن ذلك الشكل، وهذا ناتج من تغير في عرض الأحواض المائية من المنبع إلى المصب بسبب زيادة احد بعدي الحوض على البعد الآخر. (١٧)

ويستخرج وفق القانون الآتي:

مساحة الحوض/كم

معامل شكل

الحوض (١٨) = مربع طول الحوض/كم

نستنتج من تطبيق هذه المعادلة عند تطبيقها على أحواض منطقة الدراسة أن معامل شكل الحوض بلغ (٠.٣٢) وهو مؤشر منخفض يدل على أنه أقرب إلى الشكل المستطيل أو المثلث.

نسبة التضرس: تعد مقياسا لمعرفة الطبيعة الطبوغرافية لأية حوض ويقصد بها الفرق في الارتفاع بين أعلى نقطة وخفض نقطة على خطوط الكنتور في الحوض الواحد، وتعد مؤشرا جيدا في تخمين الرواسب المنقولة كما ونوعا، آذ تزداد نسبتها مع زيادة نسبة التضرس وقد يمتد لمسافات بعيدة عن الحوض والتي تسهم بعد ذلك بتكوين أشكال جيومورفولوجية ومنها المراوح الفيضية، فضلا عن تأثيرها في سرعة وصول موجة الفيضان مما يسهم في زيادة دلالة خطره والذي يزداد بزيادة تلك النسبة وتنعكس زيادتها في ازدياد تأثير فاعلية النشاط الحثي للمياه الذي له تأثير في ازدياد الرواسب المنقولة. (٢٠)

لهذه الخاصية أهمية في إعطاء صورة عن الخصائص التضاريسية لحوض الصرف المائي من حيث التباينات في الارتفاع ما بين المنبع والمصب وانعكاس ذلك على قابلية المجرى المائي في انجاز العمليات الجيومورفولوجية المتمثلة بالتعرية عند أعلى الحوض الترسيب في

منطقة المصب أي يقاس هذا المؤشر وفق الطريقة الآتية:

$$\text{نسبة التضرس}^{(٢١)} = \frac{\text{الفرق بين أعلى نقطة في الحوض وخفضها (متر)}}{\text{طول الحوض (كم)}}$$

أي كلما ازداد الفرق بين منسوب أعلى نقطة وأقل نقطة في الحوض ترتفع قيمة معدل التضرس، ومن مراجعة ملحق الخريطة (٣) وملحق الجدول (٥) تبين ان نسبة التضرس للحوض المدروس بلغت (٨,٤) م / كم، وهي نسبته مرتفعة وتدل على التضرس العالي للحوض وهذا يدل على نشاط عملية أحت النهري والمطري في حوض منطقة الدراسة.

التكامل الهبسومتري: يدل التكامل الهبسومتري على العلاقة بين المساحة الحوضية والتضاريس الحوضية، أي مقارنة تكميلية بين حجم التضاريس الحالية وحجم التضاريس القديمة للحوض الواحد، ومن ثم قياس درجة تضرس سطح الحوض وتحديد المدة الزمنية التي قطعها أحواض التصريف من دورتها التحاتية، كما

يمكن من خلاله معرفة كمية المواد التي تتمكن عوامل التعرية من أزلتها والتي لازال تنتظر دورها من عوامل التعرية في حوض التصريف، وقد اقترح شورلي (١٩٥٧) للتعبير عن هذه العلاقة المعادلة الآتية :

$$\frac{\text{التكامل المساحة الحوضية (كم}^2\text{)}}{\text{الهيسومتري} = \text{التضاريس النسبية (م)}}$$

تدل قيم التكامل الهيسومتري المرتفعة إلى كبر المساحة الحوضية، وانخفاض قيم تضرس الحوض، وتتمثل هذه الحالة في الأحواض المائية التي استطاعت ان تأسر المجاري المائية الأقل قوة منها، على ان تكون هذه المجاري المائية قد بلغت مراحل متقدمة في دورتها التحاتية، في حين تدل القيم المنخفضة على حداثة عمر الأحواض من جهة وعلى صغر مساحتها الحوضية، وإنها لاتزال في بداية مراحل الدورة التحاتية. (٢٢)

يتضح من خلال ملحق الجدول (٥) يتضح أن معدل التكامل الهيسومتري لحوض منطقة

الدراسة بلغ (١,١٤) مما يدل على أن الحوض قد قطعت شوطا لا بأس به من مرحلة التعرية نتيجة لعمليات الانخفاض والارتفاع المستمر للشبكة المائية.

قيمة الوعورة: هو مؤشر يعبر عن العلاقة بين مدى تضرس الحوض ومدى انحدار المجرى المائي فيه، وان ارتفاعها يعد كمؤشر على شدة تضرس الحوض وسيادة التعرية المائية أي أن المسيلات المائية لها القدرة على عملية ألحت ونقل المفتتات الصخرية من الأجزاء العليا للحوض إلى الأجزاء الدنيا، وتستخرج قيمة الوعورة وفق المعادلة الآتية:

$$\frac{\text{تضاريس الحوض} \times \text{كثافة التصريف الطولية}}{\text{قيمة الوعورة} = (٢٣)}$$

١٠٠٠

ان انخفاض أو ارتفاع قيمة الوعورة يرتبط بمراحل الدورة الحتية حيث ان انخفاض قيمة

الوعورة يكون أشده في بداية الدورة الحتية ثم يتدرج بالارتفاع في مرحلة النضج ثم ينتقل إلى الانخفاض عند نهاية الدورة الحتية، وعند تطبيق هذه المعادلة على حوض نهر المالح وكما هو موضح في ملحق الجدول (٥) تتضح قيمة الوعورة (٠.٢٦)، ويعود هذا إلى نوع الصخر ودرجة مقاومته لمثل هذه العمليات إضافة هي عمليات الرفع المستمرة للحوض نفسه كما أن ذلك يتفق مع الحقيقة السابقة التي تشير أن الأحواض في مرحلة الدورة الحتية المبكرة لها قدرة كبيرة على عمليات التعرية وألحت والنقل والإرساب.

خصائص شبكة الصرف المائية:

أن تطور شبكة الصرف المائي في أية منطقة هو انعكاس لمجموعة من المكونات البيئية المتمثلة بالعوامل التضاريسية والمناخية والجيولوجية، وتعتمد قياسات هذه الخصائص بالدرجة الأساس على أطوال الأودية وإعدادها ومراتبها، وهنالك أساليب معتمدة في دراسة هذه

الخصائص من أبرزها طريقة سترالر (Strahler) هورتون (Horton) وذلك بالاعتماد على التدرج الرقمي للروافد، وتتضمن خصائصها الآتي:

المراتب النهرية: يقصد بالمراتب النهرية التدرج الرقمي لمجموعة الروافد (المسيلات والجداول) التي تكون الوادي الرئيسي الذي تشكله شبكة الصرف المائي، والتي تتباين من حوض لآخر ووفق حجم الحوض واتساعه وهذا يعود إلى التباين في مساحة الأحواض نتيجة تأثير العوامل الطبيعية في زيادة وانتشار الشبكة المائية إذ أن التباين الصخري يعد عامل مؤثر بشكل مباشر على الشبكة المائية من حيث صلابة الصخور وقابليته على ألحت المائي فضلا عن عامل التساقط ، الذي يكون له الدور الفعال والأساس في تطور المراتب النهرية والذي يتضح بشكل كبير عند المراتب الدنيا التي تمتاز بانحداراتها الشديدة أكثر من مجاري الرتب العليا. (٢٤)

و قد تعددت طرائق تحديد المراتب النهرية فهناك طريقة سترالر و هورتون وشريف وغيرهم،آلا أن الباحث استخدم طريقة اشتقاق الشبكة النهرية من DEM Iraq باستخدام تقنية برنامج ArcGIS من خلال تطبيق Wadi Analysis وتم استخراج الشبكة النهرية لمنطقة الدراسة،ينظر الخريطة (٧).وتفيد دراسة المراتب النهرية في معرفة كمية حجم التصريف المائي وإمكانية التنبؤ في أي جزء من أجزاء الحوض وتقدير سرعة الجريان وإمكانية التنبؤ بمخاطر الفيضان وما لها من ارتباط في زيادة حجم ألت والترسيب داخل الحوض المائي. (٢٥) ويتبين من ملحق الخريطة (٧) وملحق الجدول (٦) أن حوض نهر المالح وصلت اعداد المراتب فيه الى اربعة مراتب تباينت في أعداده من مرتبة لأخرى فقد كان عدد أودية المرتبة الأولى (٩٦) واديا و(٤٩) واديا في المرتبة الثانية ، وبلغ عدد أودية المرتبة الثالثة (٣٥) واديا وبلغ عدد اودية المرتبة الرابعة (٨) على التوالي، ومن خلال ذلك يتبين أن السيادة للمجاري المنخفضة الرتب، وان

مجموع أطوال الوديان تقل كلما تطورت من مرتبة دنيا إلى مرتبة عليا، وان سبب التناقص يعود إلى ان مجاري المرتبة الأولى تستغل تطورها مجاري المرتبة الثالثة بواسطة الأسر النهرية وما يرافقها من عملية نحت تراجع على حساب منطقة تقسيم المياه.

أطوال المجاري المائية: تتباين أطوال المجاري المائية بين مرتبة وأخرى لكل وادي من الأودية، حيث بلغ مجموع أطوال المجاري المائية لجميع الأودية (٣٠٧,١٦٥) كم، حيث ان طول مجاري المرتبة الاولى (١٥٨,٠٩٣) كم والمرتبة الثانية (٨٢,٧٩٥) والثالثة (٦٠,٦٤٧) والرابعة (٥,٦٣) على التوالي. ينظر ملحق الجدول (٦).

نسبة التشعب: تعد نسبة التشعب من الخصائص المهمة لشبكة الصرف كونها احد العوامل المتحكمة بمعدل التصريف المائي للأنهار، حيث انه كلما قلت نسبة التشعب ارتفعت مؤشرات ودلالات حدوث الفيضان، ويعود سبب ذلك إلى

زيادة حجم الموجات المائية بعد العاصفة المطرية. (٢٦)

ويمكن دراسة نسبة التشعب للحوض وفقا لطريقة هورتون وهي كالآتي :

$$\text{نسبة التشعب (٢٧)} = \frac{\text{عدد مجاري مرتبة ما}}{\text{عدد مجاري المرتبة اللاحقة}}$$

وفي ضوء معطيات ملحق الجدول (٦) وجد تباين كبير في نسبة تشعب المراتب النهرية، حيث بلغت نسبة التشعب لانهار المرتبة الاولى (١,٩) والمرتبة الثانية بنسبة (١,٤) وهي ادنى نسبة تشعب في منطقة الدراسة في حين بلغت اعلى نسبة تشعب في المرتبة التلثة بمقدار (٤,٣)، يتضح ان نسبة التشعب متفاوتة نتيجة لانعكاس الظروف الجيولوجية والمناخية والطبوغرافية، آذ تسود الصخور ذات النفاذية العالية في بعض مناطق الحوض والتي تعمل على تقليل الجريان السطحي مما زاد من ارتفاع نسبة التشعب.

كثافة شبكة الصرف الطولية والعديدية: هي عبارة عن مجموعة أطوال المجاري المائية في حوض التصريف مقسوما على مساحته، ومرتبطة مباشرة بالمناخ السائد لاسيما كمية التساقط فهي ترتبط بشكل طردي مع التساقط، وعكسيا مع درجة الحرارة، وتستخرج وفق المعادلة الآتية:

$$\text{كثافة الصرف الطولية (٢٨)} = \frac{\text{مجموع أطوال المجاري/كم}}{\text{مساحة الحوض/كم}^2}$$

ويظهر من ملحق الجدول (٧) كثافة الصرف الطولية لحوض نهر المالح (١٠٠٤)، مما يشير الى قصر أطوال شبكة التصريف بالنسبة لمساحة الحوض، وهذا بسبب طبيعة المنطقة الجافة مناخيا فيما عدا الزخات المطرية القليلة الحدوث. اما كثافة الصرف العديدة يقصد بها تكرار المجاري النهرية بجميع رتبها على مساحة الحوض لكل كم^٢، وهذه الكثافة تحسب أعداد الأودية دون الأخذ بنظر الاعتبار أطوال الأودية و لهذا الكثافة أهمية في معرفة الخصائص الهيدرولوجية ودوره في معرفة شدة تقطيع

الحوض في كل (كم^٢) من الحوض، ويتم استخراجها وفق المعادلة الآتية:

المساحة كم^٢

معدل بقاء المجرى =

مجموع عدد المجاري للحوض

كثافة

الصرف العددية = مساحة الحوض/كم^٢

مجموع اطوال المجاري / كم

ومن ملحق الجدول (٧) بلغ معدل بقاء المجرى في حوض نهر المالح (٠.٩٣) وهو يشير الى ارتفاع معدل بقاء المجرى مما يشير الى انخفاض عمليات الحث النهري وانخفاض معدل الجريان.

بعض المخاطر الجيومورفولوجية في منطقة الدراسة:

اولا/ التعرية :-

يستعمل مصطلح التعرية كونه كلمة شمولية على الأغلب لوصف تآكل مظهر سطح الأرض ، وعلى أي حال يفضل المؤلفون تعريف التعرية بأنها فصل أو سحب دقائق التربة لتمييزها عن التراكم أو الترسيب ، ونقل الرواسب: (٢٩)

وتعد المياه الجارية من أهم عوامل التعرية التي تعمل على تفتيت الصخور ونقل المواد المفتتة

ومن ملحق الجدول (٧) وبتطبيق هذا المؤشر على حوض منطقة الدراسة يتضح بان كثافة الصرف العددية بلغت (٠,٦) كم^٢، وسبب ذلك الانخفاض في كثافة الصرف يعود الى طبوغرافية المناطق التي تجري فيها الأودية وطبيعة صخورها إضافة إلى العوامل المناخية آذ أن انخفاض كمية التساقط ساعد على تحديد الحوض في زيادة مراتبه وازدياد عدد المجاري ذات الرتب الدنيا.

معدل بقاء المجرى: يشير معدل بقاء المجرى الى متوسط الوحدة المساحية التي تغذي الوحدة الطولية ضمن شبكة حوض الصرف، ان زيادة هذه الكمية تدل على ابتعاد المجاري عن بعضها البعض الاخر، ويقاس من خلال العلاقة الآتية:

من أماكنها إلى أماكن بعيدة قبل ترسيبها في أحواض الترسيب. وتقسم التعرية الى انواع منها:

١- التعرية المائية

٢- التعرية الريحية

وتقسم التعرية المائية بدورها الى :

أ- التعرية المطرية

ب- التعرية الصفائحية

ج- التعرية الأخدودية

وفيما ياتي توضيح لانواع التعرية وطرق قياسها في منطقة الدراسة:

أ- التعرية المطرية:

يحدث هذا النوع من التعرية مباشرةً عندما تلامس قطرات المطر سطح الأرض فتعمل على تفكيك حبيبات التربة المتماسكة والفتات الصخري وتحويلها إلى حبيبات منفردة متناثرة في الهواء بعيداً عن مواقعها الأصلية نسبياً باتجاه أسفل المنحدر بفعل قوة الجاذبية فيؤدي جريان الماء إلى جرف التربة (٣٠).

فضلاً عن قلة الغطاء النباتي وعامل الانحدار وتدخل الإنسان لذلك تكون معرضة إلى عمليات التعرية المطرية بحيث يأخذ تدفق المياه على عاتقه نقل الجزيئات ليكون بذلك أشكال التعرية الأخرى.

ب. التعرية الصفائحية:

يحدث هذا النوع من التعرية فوق الأراضي المنبسطة القليلة الانحدار والتربة ذات النفاذية القليلة الانحدار ، ويتميز هذا النوع بأنه لا يتبع مجاري مائية واضحة المعالم ، وإنما يكون على شكل أغشية رقيقة من المياه والتي تتحرك بعد الزخات المطرية (٣١).

بسرعة بطيئة جارفاً معه نواتج التجوية على شكل طبقة متماثلة السمك ، وكذلك تعني التعرية الصفائحية الإزالة المتجانسة جداً لطبقة رقيقة من سطح الأرض لمنطقة ما.

ج. التعرية الأخدودية و السيلية :-

تعني تحول المجاري الأولية أو المسيلات إلى أخاديد عندما تبدأ بتعميق وتوسيع مجاريها

تم رسم خريطة الشبكة المائية لحوض نهر المالح من المرئية الفضائية DEM Iraq 2007 بواسطة برنامج Arc GIS 10.2 وقد تم انتاج خريطة للحوض النهري وللشبكة المائية والتي صنفتم الى مراتبها بحسب طريقة ادخال Wadi Analysis وهو تطبيق ضمن تطبيقات برنامج Arc GIS، ومن ثم حسبت اطوال الاخاديد المائية في الحوض واستخدمت معادلة بيركزما (Bergsma) (٣٣).

والنتائج قورنت بجدول تصنيف شدة التعرية الجدولية ل (Bergsma) حسب ملحق الجدول (٨)، وبعد استخراج معدلات التعرية الأخدودية من المعادلة ، صنفتم معدلات التعرية إلى درجاتها بحسب نظام (Bergsma)، وتم احتساب درجة تعرية الأحواض ونسبتها من المساحة الكلية للحوض.

بلغ معدل التعرية الأخدودية للمرتبة النهريه الاولى في حوض وادي نهر المالح (٥٤٧,٦٢) م/كم²، وفي المرتبة الثانية (٢٨٦,٧٩) م/كم²

في أثناء عملية النحت الرأسى والجانبى ، وتعد التعرية الأخدودية الأكثر هدماً من أنواع التعرية المائية الأخرى ، وتمتاز الأخاديد بتباين إعدادها وأطوالها وأعماقها في منطقة الدراسة ويعتمد ذلك على نسجة التربة ، فضلاً عن درجة وطول المنحدر وشدة التساقط المطري وتركز الجريان وكثافة الغطاء

النباتى المتوسطة. وتتطور هذه التعرية بفعل الأخاديد الناتجة عن دمج المسيلات المائية الصغيرة بواسطة الأسر النهري فتكون أكثر سعة وطولاً ، تبعا لذلك تزداد كمية المياه الجارية فيها مما يزيد من قدرتها على التعرية (٣٢).

وللتعرية الأخدودية اثار سلبية على النشاط الزراعي في المنطقة إذ تعمل على تعرية مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة وقيست شدة التعرية السيلية و الأخدودية في منطقة الدراسة وفقاً للطريقة الآتية:

طريقة العمل

والمرتبة الثالثة (٢١٠,٠٧) م/كم²، اما المرتبة الرابعة بلغ معدل التعرية (١٩,٥٠) م/كم² يلاحظ ملحق الجدول (٩) الذي يوضح تصنيف درجات التعرية الأخدودية بحسب ما جاء في (Bergsma) ، وبذلك فإن الحوض يقع ضمن التعرية الخفيفه جدا"

ثانيا/ الكثبان الرملية:

تنتشر الكثبان الرملية في مناطق عديدة في العالم وتغطي مساحات شاسعة من المناطق الجافة وشبه الجافة بضمنها سواحل البحار والمحيطات ، إذ تعاني معظم أقطار العالم من هذه المشكلة ، وتشير الدراسات الى أن هناك ما يقارب (٥٧٧) مليون هكتار من أراضي العالم مهددة بالتصحّر لوجود الكثبان الرملية^(١) . وفي الوطن العربي تغطي الكثبان الرملية مناطق واسعة ، ويعد العراق أحد تلك الأقطار التي تعاني من مشكلة الكثبان ، حيث تقدر نسبة المساحات المتأثرة بالكثبان الرملية بين محافظة

النجف وقضاء الزبير في البصرة حوالي (١٥.٥٤%) من مساحة العراق^(٣٤) .

وفي العراق يشغل اقليم المناخ الجاف وشبه الجاف معظم مساحته بحكم موقعه الجغرافي ضمن الحزام الشبه المداري، وسعة المساحات الصحراوية التي تشغل أقسامه الغربية والشرقية وتأثير الصحاري المجاورة له، والتي تسبب في جفاف الرياح الشمالية الغربية المارة عبرها والمحملة بالغبار متجهة نحو السهل الرسوبي، والتي تتأثر بخصائص هذه المناطق، بسبب قلة غطائها النباتي وطبيعة الترب الجافة التي تكون سهلة التعرية إذ تكون هذه المناطق مصدراً آخر للغبار والرمال المحمولة، وتكوين العواصف الغبارية التي تعمل على تكوين وتغذية الكثبان الرملية عن طريق ترسيب حمولة الرياح وتكوين الكثبان الرملية وزيادة مساحتها في مناطق كثيرة من العراق ولاسيما في الأقسام الوسطى والجنوبية والجنوبية الشرقية التي تعد منطقة الدراسة جزءاً منها.

تعد الكثبان الرملية الشكل الشائع في معظم الصحاري في العالم ويبدو انه اساس غالبية الاشكال الرملية الاخرى اذ تنشأ في ابسط الظروف واي تعقيد في عناصر البيئة يحوله الى انماط كثيبية اخرى وانسب البيئات لتشكيل الكثبان هو السهول الواسعة الخالية من التضرس على ان تقبل الرياح السائدة من اتجاهات ثابت معظم الوقت حاملة معها فيضات واسعة من الرمال (٣٥)

يطلق لفظ (كثيب) على التلال الرملية التي يختلف ارتفاعها من بضعة اقدام الى عشرات الامتار وتتكون اساسا من رمال مستديرة الحبيبات ، وقد يكون العامل المساعد في بداية تكوين الكثيب هو تعرض الرياح لحاجز او مانع في طريق اتجاهها وذلك مثل تل او شجرة وتعمل على عرقلة حركة الرياح او الى ضعف سرعة الرياح وعدم قدرتها على نقل ما تحمله واذا كانت الرياح شديدة السرعة ثم توقفت تكونت كثبان رملية عظيمة يتراوح ارتفاعها من (٢٠٠ - ٥٠٠) قدم (٣٦)

وكذلك يمكن تعريف الكثبان الرملية بأنها تجمعات على شكل رابية او سلسلة من الترسبات التي تذررها الرياح وعادة لها منحدر قليل مواجه للرياح وأخر اكثر انحدارا في الجهة المحجوبة عن الرياح اطلق عليها وجه الانزلاق (٣٧)

أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الكثبان الرملية في منطقة الدراسة:

١- انتظام وسيادة هبوب الرياح الشمالية الغربية وترافقها بعض الاحيان رياح جنوبية شرقية والتي نزلت اثار واضحة في طبيعة امتداد الكثبان الرملية في منطقة الدراسة شمالي غربي - جنوبي شرقي.

٢- طبيعة التكوين الجيولوجي لمنطقة الدراسة ووجود التكوينات الحاوية على الرمال من عصر المايوسين الى عصر البلايستوسين وتعد هذه التكوينات مصدر تغذية دائمة للرمال في منطقة الدراسة عن طريق التجوية والنقل ثم تراكمها عن طريق وجود العوائق والعوارض.

٣- انبساط السطح، وقلة التضرس وسعة المساحة التي تتصف بها المنطقة المدروسة مما يساعد زيادة سرعة الرياح على سهولة الحركة ويكثر من عوامل التعرية الريحية كما التدرج النسبي للسطح من الشرق الى الغرب ساعد على زيادة النحت في المناطق المرتفعة وترسبها في المناطق المنخفضة.

٤- سوء الاستغلال البشري للأراضي من خلال الرعي الجائر وتدمير الغطاء النباتي مما يساعد الرياح على تعرية الرواسب الجافة غير المتماسكة .

٥- - وجود تربة الكثبان الرملية تنتشر هذه التربة في مناطق متفرقة من منطقة الدراسة وتمتاز بمساحتها الواسعة وقلة احتفاظها بالماء لخشونة نسجتها التي تكون ذات نسجه رملية ترتفع فيها نسبة الرمل

٦- كما تعد منطقة الدراسة الامتداد الطبيعي لصحراء شبه الجزيرة العربية والتي تحدها من الجنوب والغرب ومن الصحاري المجهزة الكثبان

الرملية ومتصلة بشكل مباشر مع الصحاري المجاورة لمنطقة الدراسة كما انها منطقة مفتوحة امام الرواسب المحمولة وللرياح القادمة من هذه الصحاري مع انعدام مصدات الرياح والحواجز في المنطقة المدروسة والتي تقف بوجه الرياح. ينظر ملحق الخريطة (٨).

انواع الكثبان الرملية في منطقة الدراسة:

١- كثبان النبكة:

وهي مجموعة من التلال أو الروابي الواطئة الصغيرة الحجم المنقولة بواسطة الرياح والمميزة بقممها المنفردة بعد اعتراضها من قبل النباتات النامية أو الصخور البارزة في المناطق المكشوفة للرياح وتكون متقاربة من بعضها (١)، يلاحظ ملحق الصورة (١)

٢- الكثبان الهلالية او البرخان :

عند هبوب الرياح في اتجاه واحد وتتوفر كمية من الرمال كافية تنشأ الكثبان الهلالية او ماتعرف بالبرخان* وهذا النوع من الكثبان يشبه

في شكله العام شكل الهلال وأن النهايتين المقوسين لأطراف الهلال تشيران الى جهة انصراف الرياح كما تشيران الى اتجاه للرياح من وسط الكثيب وبذلك يمتد طرفي الكثيب مع اتجاه الرياح في هيئة جناحين يصل طولهما وتقوسهما الى الدرجة التي تتحقق فيها مقاومة للرياح تساوي درجة مقاومة الجزء حركة الكثيب واتجاه الرياح السائدة.^(٣٨)

وتتكون الكثبان الهلالية عندما تبلغ الكومة الرملية او التجمع الرملي نسبة النضج. وتبدأ بالتحرك باتجاه الرياح السائدة وفي هذه الحركة تكون اطراف الكثيب النحيلة اقل مقاومة الاوسط من الكثيب وعندها يتكون الكثيب الهلالي الذي يبقى على شكله هذا طالما بقيت الرياح تهب في الاتجاه نفسه^(٣٩)

ويتقدم الكثيب البرخاني باتجاه الرياح حيث تزداد عمليات التعرية الريحية ويتم تجمع حبيبات الرمل واستقرارها في جهة الظل والمنطقة المحمية من الكثيب (الجهة المعاكسة لاتجاه

الرياح) ان اهم العوامل التي تتحكم في شكل الكثيب هي اتجاهات الرياح وسعتها وكمية الرمال المتوفرة وكذلك شكل تضاريس السطح^(٤٠)، واهم مناطق تواجد الكثيب البرخاني في منطقة الدراسة هي منطقة علي الغربي ، يلاحظ ملحق الصورة (٢)

ويتراوح عرض الكثيب الهلالي ما بين (٥-٤٠ م) اما المسافة بين الجناحين (١٠٥-١٥٥م) ويتراوح ارتفاع الكثيب (٣٠-٣م) كما يتطلب توافر ثلاث شروط لتكوين الكثبان الرملية، أن هبوب الرياح الثابتة الاتجاه معظم الوقت ويضاف تحليل سرعة الرياح وإيراد محدد من الرمال ووجود ارض مستوية تخلو من التضرس الشديد او من النباتات فاذا لم تتوفر في البيئة الجافة احدى هذه الشروط خرجت الكثبان من شكلها الهلالي وتحولت الى اشكال اخرى، لان تغير اتجاه الرياح يؤدي الى تكوين كثبان رملية غير منتظمة الشكل وتتحرك بطريقة عشوائية، وتعد الكثبان الهلالية من اخطر اشكال

الكثبان الرملية بسبب فعاليتها ونحركها المستمر وزحفها نحو الاراضي الزراعية والمنشآت الخدمية^(٤١)، وتنتشر هذه الكثبان في مناطق واسعة في منطقة الدراسة.

٣- الكثبان القبية:

تمتاز هذه الانواع من الكثبان بقلة الارتفاعات وتكون على شكل دائري يشبه القبة ورأسها المدور من الجهة شديدة الانحدار ولا يتجاوز الارتفاع عن (٣م)^(٤٢) ويوجد هذا النوع من الكثبان من منطقة الدراسة في ناحية الطيب ينظر ملحق الصورة (٣).

٤- الكثبان الطولية :

تتخذ هذه الكثبان شكلاً طويلاً قد يمتد الى عدة كيلومترات وتتفق اغلب الدراسات ان اصل الكثبان الطويلة ناتجة عن الكثبان الهلالية بعد ان تعرضت الاخيرة الى رياح تتقاطع مع الاتجاه للرياح السائدة في المنطقة تعمل على تعديل الشكل البرخاني بواسطة رياح قوية بزوايا قائمة مع اتجاه الرياح السائدة مما يمكنها من قص

اجنحة البرخان ، كما تعمل دوامات الرياح على حمل بقايا هذه الكثبان مما تسبب في طول الحافات لتشكل الكثبان الطولية من الشكل البرخاني ويتكون من انتفاخ يشبه الكثيب الاصلي ومن ثم يستطيل جانب الكثيب الجديد بفعل الرياح الجانبية ويمتد على نحو ما حدث في الكثيب الاول وهكذا تتكون امتدادات رملية مؤلفة من عدد من القمم اتجاها يوازي اتجاه الرياح الدائمة وتعمل الرياح الشديدة هذه الى نحافة شكل الكثيب ويوجد مثل هذا النوع في منطقة الدراسة في البتيرة وعلي الغربي.

٥- الكثبان العرضية:

سميت الكثبان العرضية بهذا الاسم لانها تعترض حركة الرياح السائدة إذ تكون في اتجاه متعامد معها. وينشأ هذا النوع من الكثبان عند وجود وفرة من الرمال وخلو المنطقة من الغطاء النباتي وتتكون الكثبان العرضية من جانبيين (كما في الكثيب الهلالي) يتمددان في اتجاهين متضادين الاول انحدار ضعيف ويتخذ شكلاً

على اقتراب شكل الحوض من الشكل المستطيل وابتعاده عن الشكل الدائري.

٤- أن معامل شكل الحوض بلغ (٠,٣٢) وهو مؤشر منخفض يدل على انه اقرب إلى الشكل المستطيل أو المثلث.

٥- تبين ان نسبة التضرس للحوض المدروس بلغت (٨,٤) م / كم، وهذا يفسر ضعف نشاط عمليات التعرية.

٦- يتضح أن معدل التكامل الهيسومتري لحوض منطقة الدراسة بلغ (١,١٤) مما يدل على أن الحوض قد قطعت شوطا لاباس به من مرحلة التعرية.

٧- تتضح قيمة الوعورة (٠,٢٦)، ويعود هذا إلى نوع الصخر ودرجة مقاومته لمثل هذه العمليات إضافة هي عمليات الرفع المستمرة للحوض نفسه كما ان ذلك يتفق مع الحقيقة السابقة التي تشير أن الأحواض في مرحلة الدورة

مقراً بزاوية تتراوح بين (٥-١٤) درجة، اما جانبية المظاهر للرياح فانه ينحدر بزاوية تتراوح بين (٢٥-٣٢) درجة ، ويوجد هذا النوع من الكثبان في منطقة الدراسة في شمال شرق على الغربي ومنطقة الطيب كما يوجد على طول الحدود الجنوبية مع محافظة ذي قار.

الاستنتاجات

١- يتضح أن حوض نهر المالح يميل إلى الاستطالة منه إلى الاستدارة، حيث بلغ معدل الاستدارة (٠,٣٠).

٢- بلغت نسبة الاستطالة تبلغ (٠,٧٢) أي انه يأخذ الشكل المستطيل وهذا يفسر لنا تباطؤ وصول الموجات الى المصب في مدة سقوط الأمطار.

٣- يتبين أن نسبة تماسك المحيط في حوض نهر المالح بلغت (١,٨) وهي نسبة مرتفعة تدل

١٢- انخفاض كثافة الصرف العديدة التي بلغت (٠,٦ كم^٢)، وسبب ذلك الانخفاض في كثافة الصرف يعود الى طبوغرافية المناطق التي تجري فيها الأودية.

١٣- بلغ معدل بقاء المجرى في حوض نهر المالح (٠,٩٣) وهو يشير الى ارتفاع معدل بقاء المجرى مما يشير الى انخفاض عمليات الحث النهري وانخفاض معدل الجريان.

١٤- حوض منطقة الدراسة يقع ضمن التعرية الخفيفة جدا".

١٥- هناك عوامل قد تؤثر في التوزيع الجغرافي للكتبان الرملية في منطقة الدراسة والتي أدت إلى تواجدها في الاماكن الحالية، إذن تعد منطقة الدراسة مكان مناسب لتكوين الكتبان الرملية.

الحتية المبكرة لها قدرة كبيرة على عمليات التعرية وألحت والنقل والإرساب.

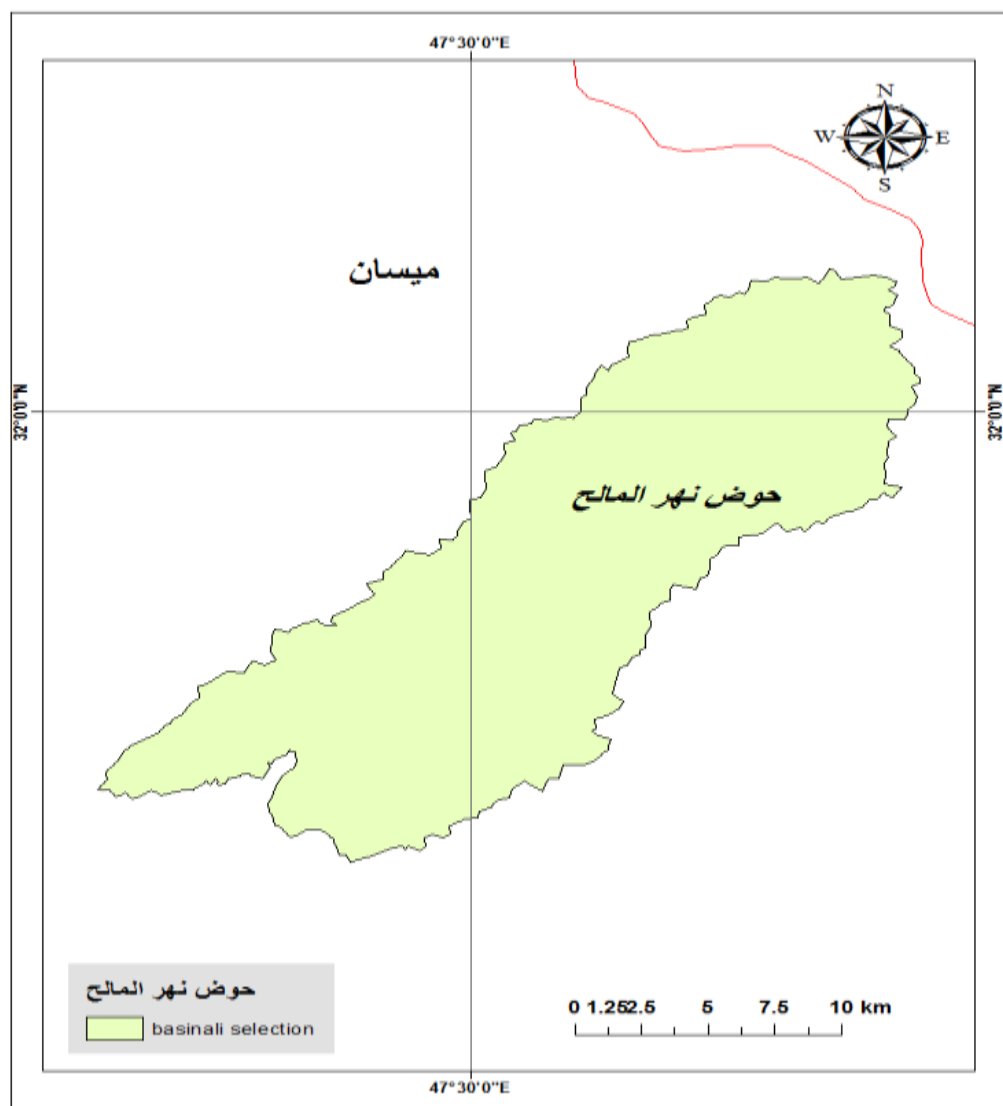
٨- أن حوض نهر المالح وصل إلى المرتبة الرابعة تباينت في أعداده من مرتبة لأخرى فقد كان عدد أودية المرتبة الأولى (٩٦) واديا و(٤٩) واديا في المرتبة الثانية ، وبلغ عدد أودية المرتبة الثالثة والرابعة (٣٥ ، ٨) على التوالي.

٩- تتباين أطوال المجاري المائية بين مرتبة وأخرى لكل وادي من الأودية.

١٠- وجد تباين كبير في نسبة تشعب المراتب النهرية.

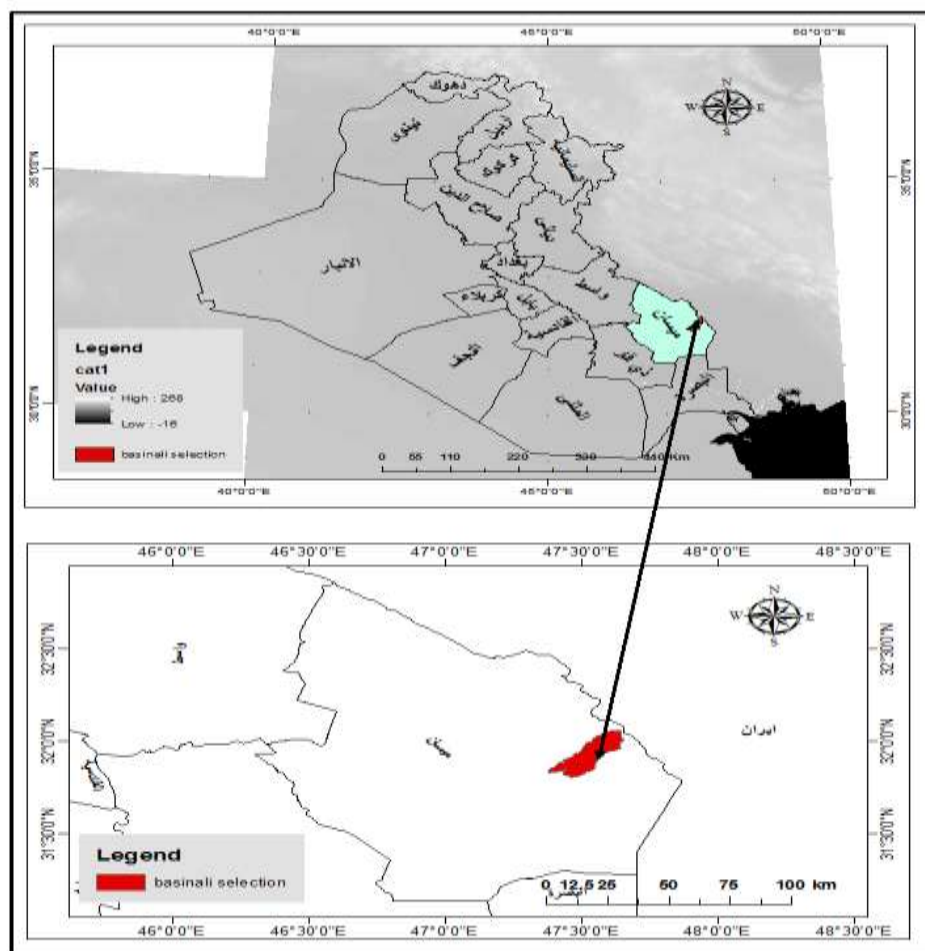
١١- بلغت كثافة الصرف الطولية لحوض نهر المالح (١,٠٦)، مما يشير الى قصر أطوال شبكة التصريف بالنسبة لمساحة الحوض.

ملحق الخريطة (١) انموذج الارتفاع الرقمي للعراق ومنطقة الدراسة DEM



المصدر: المرئية الفضائية DEM 2007 باستخدام برنامج Arc GIS 10.2.

ملحق الخريطة (٢) حوض نهر المالح



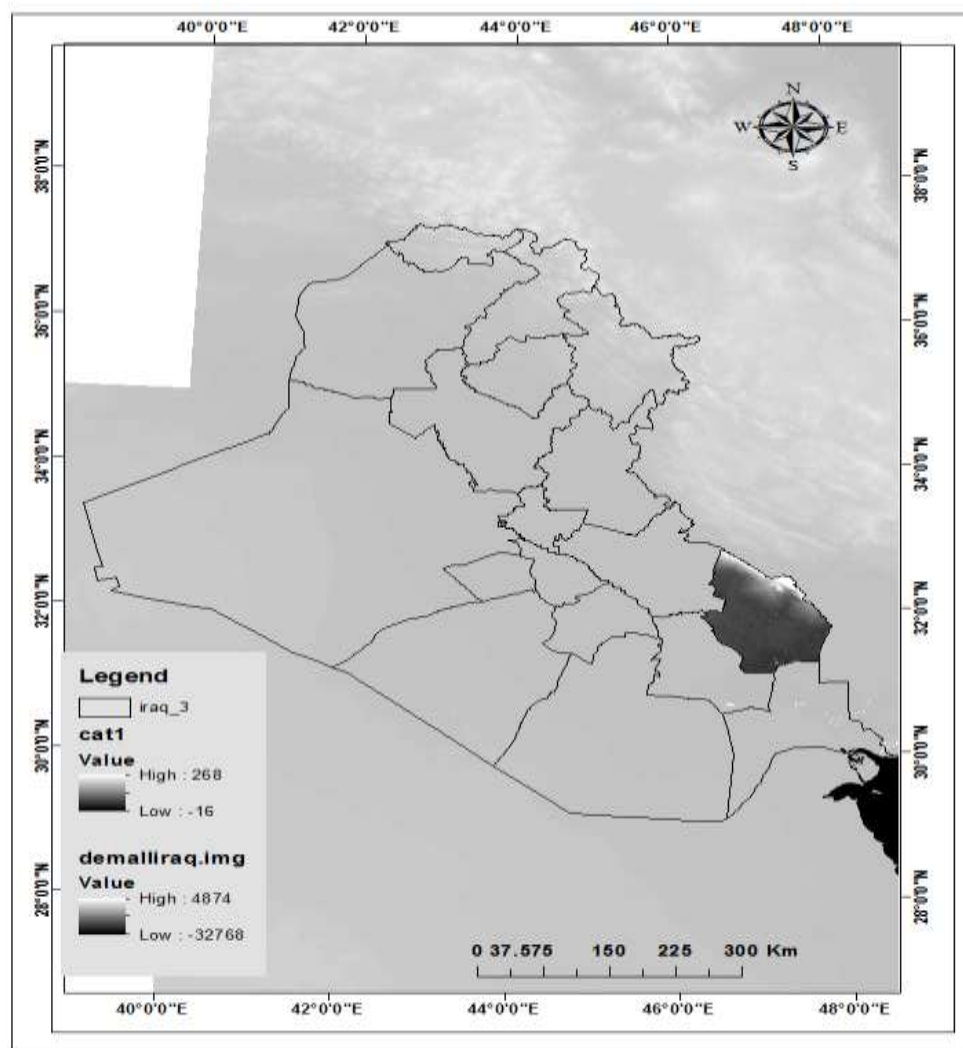
المصدر: عمل
الباحث اعتمادا
على المرئية
الفضائية DEM
2007
باستخدام برنامج
Arc GIS
10.2.

محور الدراسات الجغرافية

الزمن	التكوين	المكونات الصخرية	موقعها	السُمْك (م)
Holocene	الترسبات الريحية- ترسبات السهل الفيضي- ترسبات المنخفضات والوديان	كتبان رملية - رمل - غرين - طين - جبس ثانوي - حصى	مناطق الكتبان الرملية وفي السهل الفيضي والوديان وبعض المراوح الفيضية على الحدود الإيرانية	(٣٠)
Pleistocene	ترسبات المراوح الفيضية والمياه السطحية الجارية	طين - غرين - رمل - حصى	على طول الحدود الإيرانية عند المراوح الفيضية	(١٨٠٠)
Pliocene	ترسبات باي حسن والمقدادية	حجر غريني - حجر رمل - الحصى قليل	على طول تلال الحدود الإيرانية (جبل حميرين) مكشوفاً غرب الطيب	(٣٠٠)
Upper Miocene	انجانه	حجر رمل - حجر غريني - مفتتات كلسية	على طول الحدود الشرقية (الحوض التجميحي)	(٢٠٠)
Middle Miocene	الفتحة	حجر كلس - جبس صخور طينية	على طول جبل حميرين	(٩٠٠)

المصدر: اعتماداً على: شركة نفط الجنوب، قسم الجيولوجيا، بيانات غير منشورة.

ملحق الخريطة (٣) نموذج الارتفاع لحوض نهر المالح



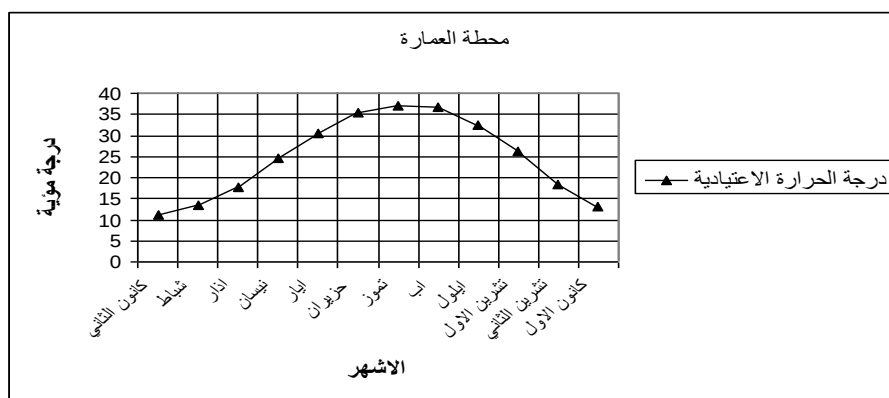
المصدر: عمل الباحث اعتمادا على المرئية الفضائية DEM 2007 باستخدام برنامج Arc GIS 10.2

ملحق الجدول (٢) المعدل الشهري لدرجات الحرارة (°م) ومجموع كميات الامطار (مم) للمدة (١٩٨٠-٢٠١٠) في محطة العمارة المناخية

الشهر	درجات الحرارة(م)	كميات الامطار (مم)
كانون الثاني	١١.١	٣٧
شباط	١٣.٥	٢٥.٤
اذار	١٧.٧	٣٣.٨
نيسان	٢٤.٦	١٧.٤
ايار	٣٠.٥	٦.٦
حزيران	٣٥.٣	٠.٠
تموز	٣٦.٩	٠.٠
اب	٣٦.٧	٠.٠
ايلول	٣٢.٥	٠.٩
تشرين الاول	٢٦.٢	٦.٩
تشرين الثاني	١٨.٤	٢٢.٩
كانون الاول	١٣	٣٦.٧
المعدل السنوي	٢٤.٧	١٨٧.٦

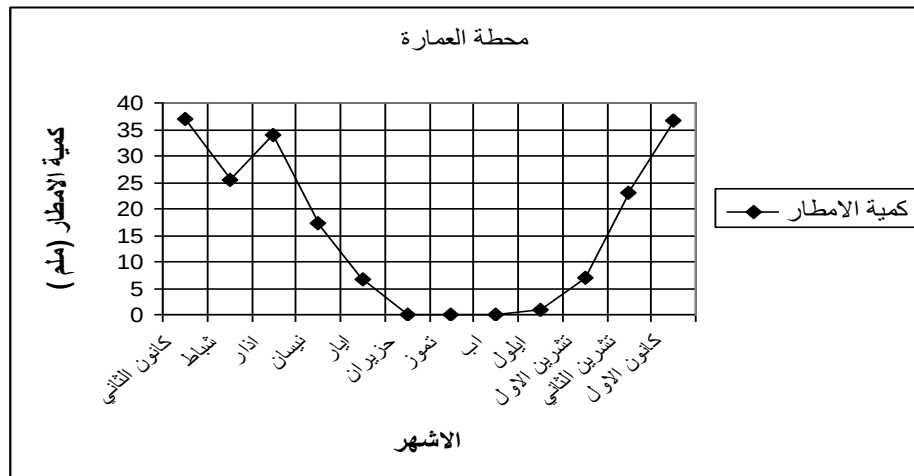
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية، بيانات مناخية غير منشورة

ملحق الشكل (١) درجات الحرارة الاعتيادية لمحطة العمارة المناخية



المصدر: عمل الباحث اعتمادا على جدول (٢).

ملحق الشكل (٢) المعدل الشهري لكمية الامطار (مم) لمحطة العمارة المناخية



المصدر: عمل الباحث اعتمادا على جدول (٢).

جدول (٣) الخصائص المساحية لحوض منطقة الدراسة

الحوض	مساحة الحوض كم ^٢	طول الحوض كم	عرض الحوض	محيط الحوض كم
حوض نهر المالح	٢٨٨.٦٩	٢٩,٨٨	٩	١٠٨.٩

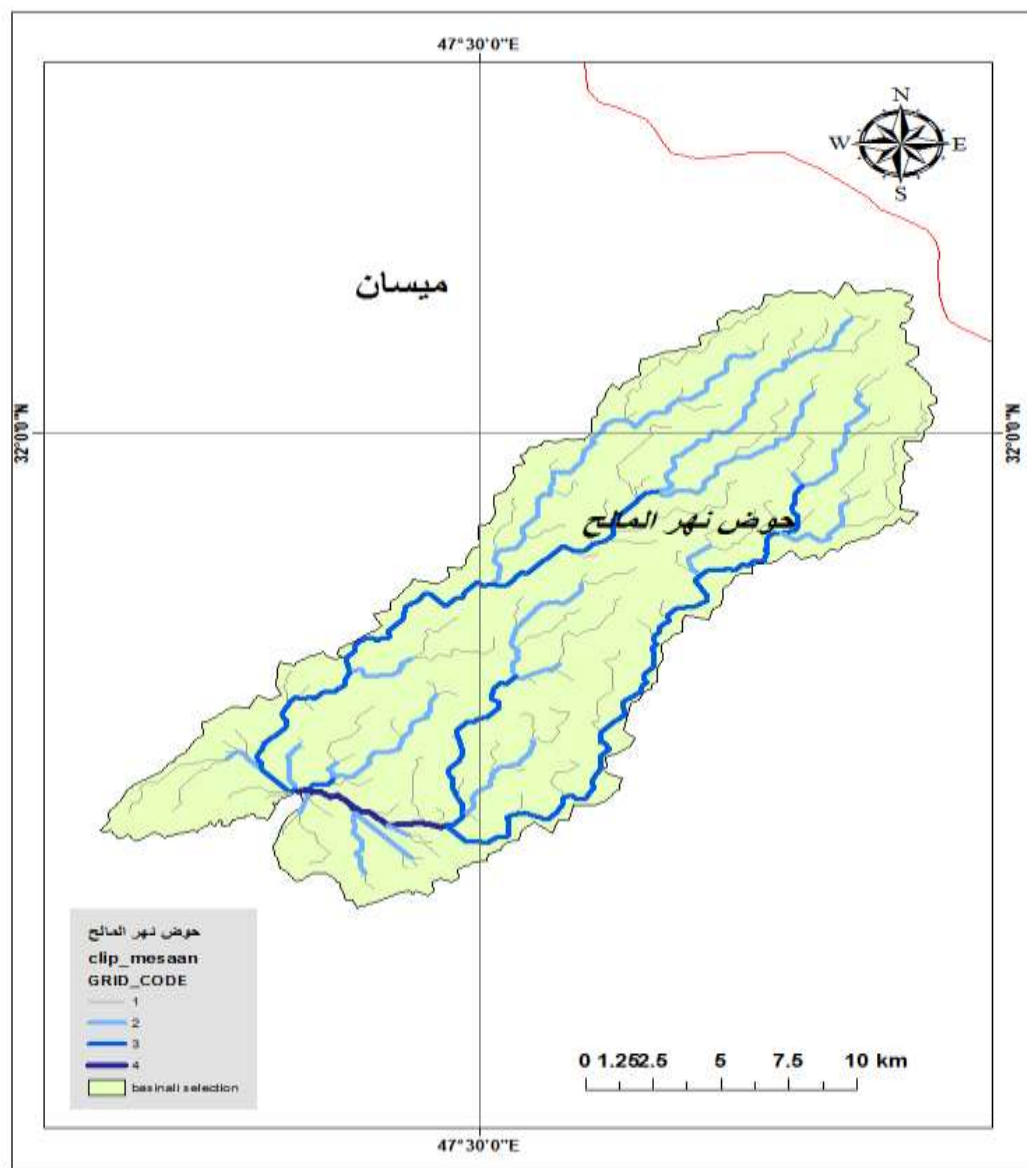
المصدر: عمل الباحث اعتمادا على خريطة (٥).

ملحق الجدول (٤) المعاملات المورفومترية الشكلية لحوض منطقة الدراسة

الحوض	مربع محيط الحوض	نسبة الاستطالة	نسبة الاستدارة	نسبة تماسك المحيط	مربع الطول / كم	معامل شكل الحوض
حوض نهر المالح	١١٨٥٩,٢١	٠.٧٢	٠.٣٠	١.٨	٨٩٢,٨	٠.٣٢

المصدر: اعتمادا على القياسات من خريطة حوض التصريف (٦) باستخدام (ArcGis10.2).

ملحق الخريطة (٦) الحوض وشبكة التصريف النهري لمنطقة الدراسة



المصدر: عمل الباحث اعتمادا على المرئية الفضائية DEM 2007 باستخدام برنامج Arc GIS 10.2

ملحق الجدول (٥) الخصائص التضاريسية لحوض منطقة الدراسة

الحوض	نسبة التضرس	اعلى نقطة	ادنى نقطة	التكامل الهيسومتري	قيمة الوعورة
حوض نهر المالح	٨,٤	٢٦٨	١٦-	١,١٤	٠.٢٦

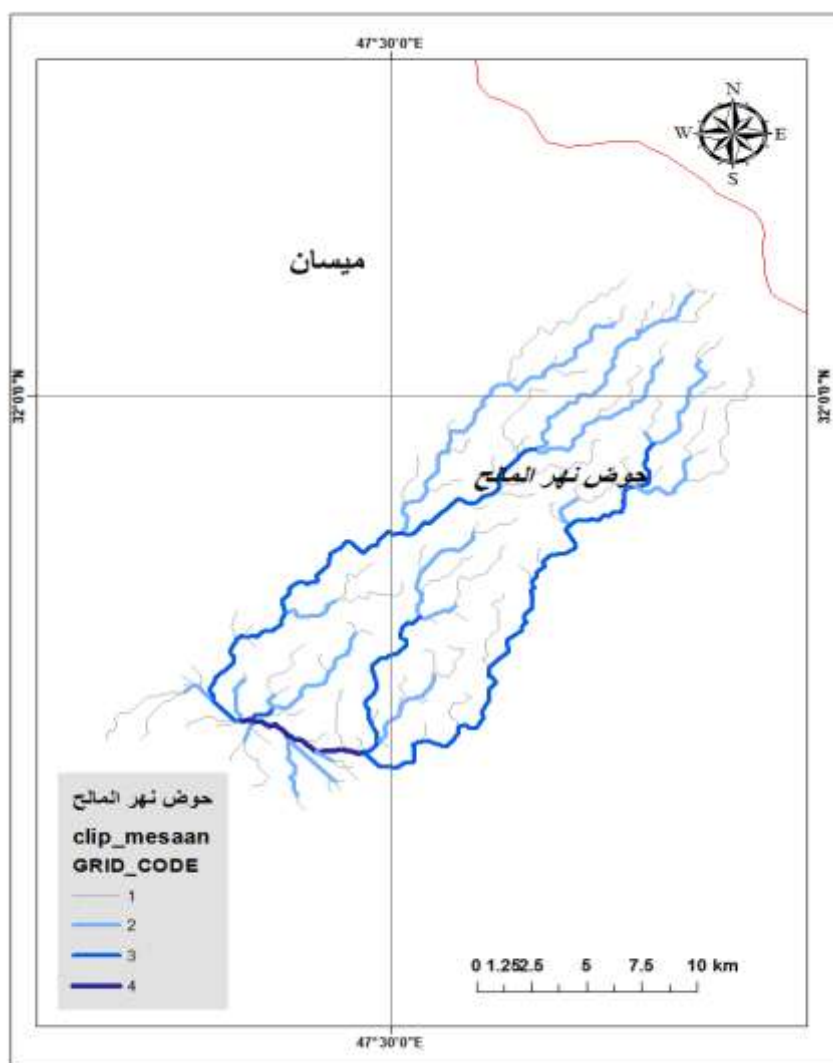
المصدر: عمل الباحث اعتمادا على الخريطة (٣).

ملحق الجدول (٦) خصائص المراتب النهرية

المرتبة النهرية	عدد المجاري	طول المجاري كم	نسبة التشعب
الاولى	٩٦	١٥٨,٠٦٣	١,٩
الثانية	٤٩	٨٢,٧٩٥	١,٤
الثالثة	٣٥	٦٠,٦٤٧	٤,٣
الرابعة	٨	٥,٦٣	

المصدر: عمل الباحث اعتمادا على الخريطة (٨).

ملحق الخريطة (٧) الشبكة النهرية لحوض نهر المالح



ملحق الجدول (٧) كثافة الصرف الطولية والعديدية في منطقة الدراسة

الحوض	متوسط طول المجارى المائي	كثافة الصرف الطولية	كثافة الصرف العديدية	معدل بقاء المجري
حوض نهر المالح	١,٥٨	١,٠٦	٠,٦٥	٠,٩٣

المصدر: عمل الباحث اعتمادا على الخريطة (٨)

المصدر: عمل الباحث اعتمادا على المرئية الفضائية DEM 2007 باستخدام برنامج Arc GIS 10.2

ملحق الجدول (٨) تصنيف التعرية الجدولية حسب (Bergsma)

طول المجرى م/ كم ^٢	درجة شدة التعرية
اقل من ٤٠٠	١
٤٠١ - ١٠٠٠	٢
١٠٠١ - ١٥٠٠	٣
١٥٠١ - ٢٧٠٠	٤
٢٧٠١ - ٣٧٠٠	٥

التحليل المورفومتري لحوض نهر المالح وبعض اخطار المنطقة الجيومورفولوجية

٤٧٠٠ - ٣٧٠١	٦
أكثر من ٤٧٠٠	٧

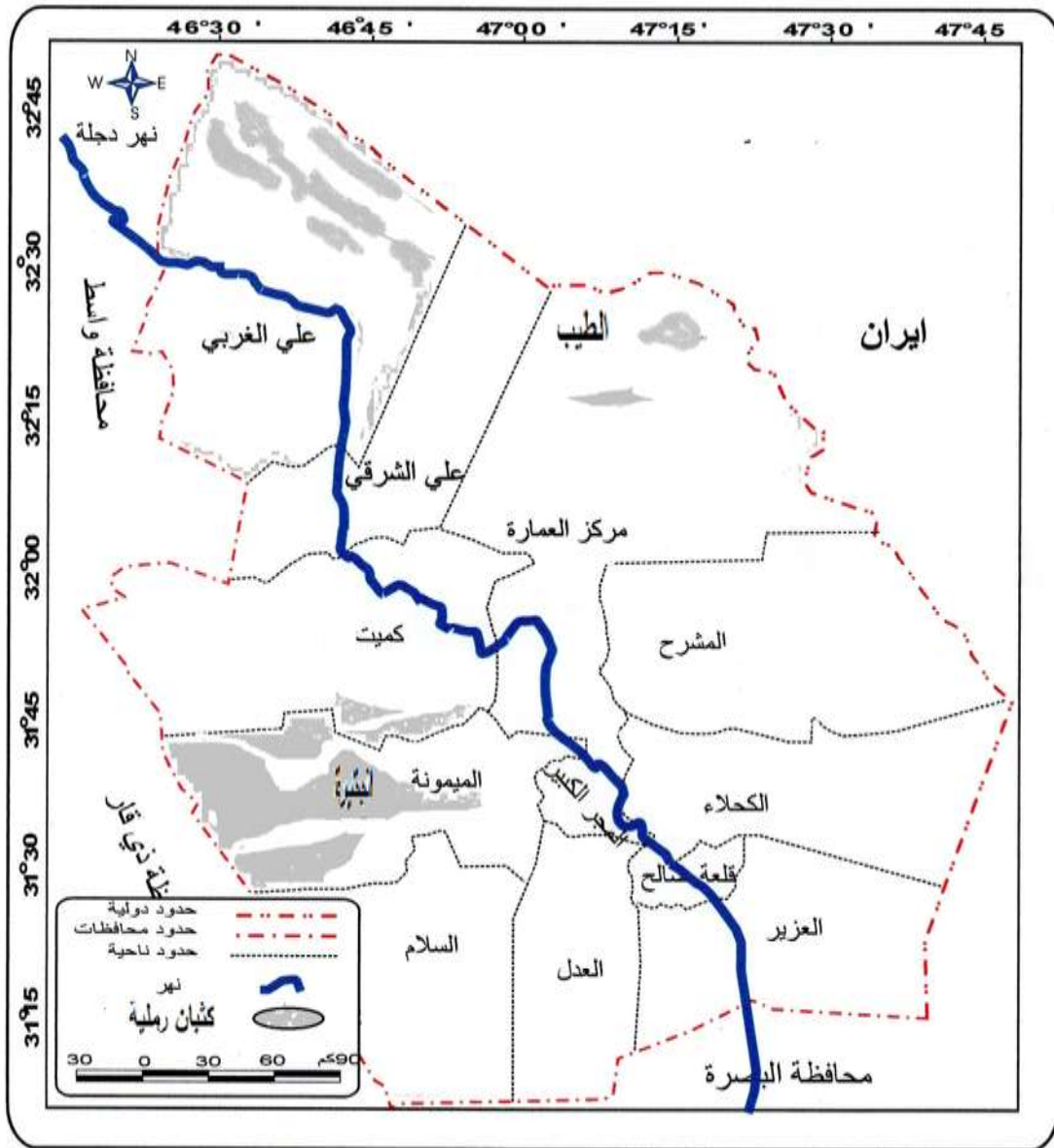
ملحق الجدول (٩) تصنيف درجات التعرية الأخدودية والسييلية بحسب ما جاء في

(Bergsma 1982)

درجة التعرية	الوصف	معدل التعرية
١	نطاق التعرية الخفيفة جداً	٠ - ٤٠٠
٢	نطاق التعرية الخفيفة	٤٠١ - ١٠٠٠
٣	نطاق التعرية المتوسطة	١٠٠١ - ١٥٠٠
٤	نطاق التعرية العالية	١٥٠١ - ٢٧٠٠
٥	نطاق التعرية العالية جداً	٢٧٠١ - ٣٧٠٠
٦	نطاق التعرية الشديدة	٣٧٠١ - ٤٧٠٠
٧	نطاق التعرية الشديدة جداً	أكثر من ٤٧٠٠

المصدر :- من عمل الباحث بالاعتماد على نظام Bergsma 1982 .

ملحق الخريطة (٨) التوزيع الجغرافي للكثبان الرملية في محافظة ميسان

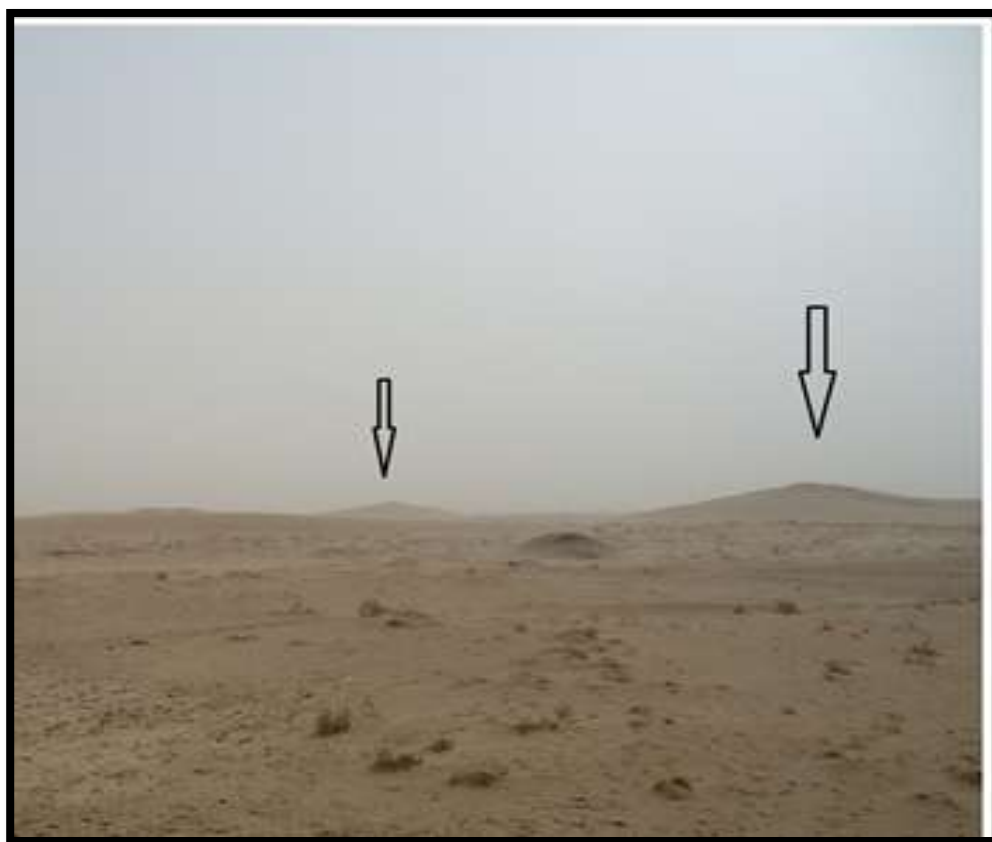


المصدر: صباح باجي ديوان السوداني، اثر المناخ في تشكيل الكثبان الرملية في محافظة ميسان ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠١٢، ص٨١.

ملحق الصورة (١) كثبان النبكة



ملحق الصورة (٢) كثبان البرخان



الهوامش والمصادر

- ^١ - شركة نفط الجنوب، قسم الجيولوجيا، بيانات غير منشورة، ٢٠٠٧.
- 2 - The Ralph M.parsons Engineering company ،Ground water Resources of Iraq mesopotamia plain ،Vol 11, Baghdad ،1957 ،p.36.
- ٣ - ضياء يعقوب بشو، تحريات هيدروجيولوجية لمنطقة شرق ميسان، تحريات القاطع التاسع، المرحلة السادسة، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة لحفر الآبار المائية، ٢٠٠٤، ص١٢.
- ٤ - نفس المصدر، ص١٢.
- ٥ - بشو، مصدر سابق، ص١٣.
- ٦ - رحيم حميد العبدان، التحليل الرقمي للخصائص المورفومترية لحوض وادي تانجرو، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد الحادي عشر، العدد ٣، ٢٠٠٨، ص٢١١.
- ٧ - علي مجيد ياسين البو علي، الرياح الجنوبية الشرقية وعلاقتها بالامطار وظاهرة الغبار في وسط وجنوب شرق العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية/ ابن رشد، ٢٠٠٨، ص٢٢.
- ^٨ - حسن رمضان سلامة، التحليل الجيومورفولوجي للخصائص المورفومترية للأحواض المائية في الأردن، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، عمان، المجلد السابع، العدد ١، ١٩٨٠، ص٩٧.

^٩ - مقداد حسين علي و خليل إبراهيم محمد، السمات الأساسية للبيئات المائية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،

دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٩، ص ٩٣.

¹⁰ - R.J.chorleyclal، models in geography،London،Methuen 1967، p.165.

^{١١} - يحيى احمد سعيد العرومي، حوض وادي زبيد (دراسة جيومورفولوجية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ١٩٩٣، ص ٩١.

^{١٢} - محمود محمد عاشور، طرق التحليل المورفومتري لشبكات الصرف المائي، حولية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد التاسع، جامعة قطر، ١٩٨٦، ص ٤٦٣.

^{١٣} Koshak.N & Dawod.G, A GIS morphometric analysis of hydrological catchments within Makkah Metropolitan area, Saudi Arabia, INTERNATIONAL JOURNAL OF GEOMATICS AND GEOSCIENCE, Volume 2, No 2,p;546, 2011.

^{١٤} - حسن رمضان سلامة، الخصائص الشكلية ودلالاتها الجيومورفولوجية، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٤٣، الكويت، ١٩٨٢، ص ٦.

^{١٥} - حسن سيد احمد ابو العينين، حوض وادي دبا في دولة الامارات العربية المتحدة، مصدر سابق، ص ٧٢.

- ^{١٦} - مهدي الصحاف، كاظم موسى محمد، هيدرولوجية رافد الخوصر، دراسة في الجيومورفولوجية التطبيقية، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، العدد ٢٤ - ٢٥، نيسان ١٩٩٠، ص ٣٢ - ٥٢.
- ^{١٧} - Horton, "Erotrional development of streams & their drainage basins ", Geol. Soc. Amer, Bull., 1956,p.283.
- ^{١٨} - لطفي راشد المفلح المؤمني، هيدرولوجية حوض وادي الموجب الرئيسي في الأردن باستخدام معطيات الاستشعار عن بعد، دراسة تطبيقية / استشعار عن بعد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ١٢٠.
- ^{١٩} - محمد سعيد السلاوي، هيدرولوجية المياه السطحية، ليبيا، دار الجماهير للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ ص ١٧٣.
- ^{٢٠}-F.ritter. process geomorphology، united states of America. c. brown company fifth printing 1982, p.182.
- ^{٢١} - محمد مجدي ترب، التطور الجيومورفولوجي لحوض وادي قصيب بالنطاق الشرقي من شبه جزيرة سيناء، الجمعية الجغرافية العربية المصرية، العدد ٣٠، الجزء الثاني، ١٩٩٧م، ص ٢٧٢.
- ^{٢٢} - حسن سيد احمد أبو العينين، حوض وادي دبا في دولة الإمارات العربية المتحدة، مصدر سابق، ص ٨٤.
- ^{٢٣} - عبد الله علي محمد المعلم، جيومورفولوجية حوض وادي حسان في اليمن، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠٠٤، ص ٨٩.

- ^{٢٤} - حسن سيد احمد أبو العينين، حوض وادي دبا في دولة الامارات العربية المتحدة، مصدر سابق ، ص ٩٠.
- ^{٢٥} - رحيم حميد عبد ثامر العبدان، الأشكال الأرضية لحوض وادي عامج، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٤، ص ١٧٣.
- ^{٢٦} - محمود محمد عاشور، طرق التحليل المورفومتري لشبكات الصرف المائي، حوليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد التاسع، جامعة قطر، ١٩٨٦، ص ٤٦٣.
- ^{٢٧} - احمد علي حسن البيواتي، حوض وادي العجيج في العراق واستخدامات أشكاله الأرضية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٨٠.
- ^{٢٨} - لطفي راشد المؤمني، هيدرولوجية حوض وادي الموجب الرئيسي في الأردن، دراسة في الجغرافي الطبيعية، مطبعة وزارة الثقافة، الأردن، ١٩٩٧، ص ١٤٦.
- ^{٢٩} - أر . لال ، ترجمة : نبيل إبراهيم الطيف ، طرق بحث تعرية التربة ، مطابع دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩١
- ^{٣٠} - الياس بالي مخلوف بلعيد ، تقويم وتقدير الخطر الكامن للتعرية المائية باستخدام معادلة فقد التربة العالمية (usle) ومنظومة المعلومات الجغرافية (GIS) في حوض شط الحضنة (حالة المسيلة) الجزائر ، رسالة ماجستير (غير منشورة جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠١ ، ص ١٣٢.

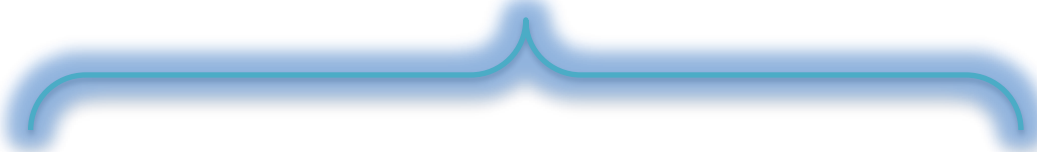
- ^{٣١} - محمد محمود سليمان ، جغرافية البيئة ، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠١٠ ، ص١٨٧ ، ص١٨٨
- ^{٣٢} - رحيم حميد عبد العبدان ، التعرية المطرية لسفوح تلال حميرين باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٨١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٢٨ .
- ^{٣٣} - ابراهيم النحال، اساسيات علم التربة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، سوريا، ١٩٦٤ .
- ^{٣٤} - نعيم نذير ، ظاهرة السباخ والارساب الريحي ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢ ، ص .
- ^{٣٥} - عبد الله يوسف الغنم ، اشكال سطح الارض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية ، الهيئة العامة للمكتبة المصرية، الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٧٠ .
- ^{٣٦} - دعاء فهم فوزي ، علوم الارض، دار صفاء للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٨ ، ص ١٥٠ .
- ^{٣٧} حسين خف هريود ، دراسة أشكال سطح الأرض في منطقة السلطان جنوب - غربي العراق، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦ ، ص ١٧٩ .
- * البرخان كلمة تركمانية تطلق على الكتبان الهلالية في اواسط اسيا .
- ^{٣٩} - ولاء كامل الاسدي ، الكتبان الرملية في محافظة المثنى ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠١١ ، ص ٨٠ .

^{٣٩} - عدنان النقاش ومهدي الصحاف، الجيومورفولوجيا، مصدر سابق، ص (٢٥٠).

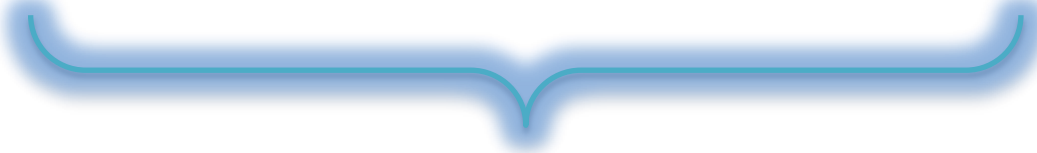
^{٤٠} - منظمة الاغذية والزراعة (FAO) دليل تثبيت الكثبان الرملية، سلسلة ارشادات الصيانة، مصلحة الغابات، روما، ١٩٩٢، ص ٧١.

^{٤١} - محمد صبري ومحمود ذباب، العمليات الجيو مورفولوجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٩٠.

^{٤٣} - سحر نافع شاكر، سحر نافع، جيومورفولوجية الكثبان الرملية للمنطقة المحصورة بين الكويت والديوانية والناصرية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم علوم الأرض، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٩.



محور الدراسات التاريخية



الختان و مراسيمه في الدولتين العباسية والفاطمية

م.د: علاء حميد فيصل

م.د: أحمد عبد الكاظم لجلاج

المقدمة:

إن الأسس التي بني عليها الدين الإسلامي ومناهجه التعليمية في مجالات الحياة كافة التي هي جزء من ذلك الواقع المتمثل بالشرائع السماوية وإتمامها بشريعة الدين المحمدي أضفى عليها الكثير من المميزات التي انبثقت من عمق وتأصل ذلك الدين القائم على أساس تطبيق مبادئ الإسلام ولجميع اطر الحياة الاجتماعية والاقتصادية ... التي كانت من مقتضياتها صقل الإنسان بالشكل الذي أراده الله له إن يكون فاعلا ضمن أطار ذلك المجتمع ومن بين أدوات الصقل تلك هي الختان التي أصبحت من المظاهر العبادية في أنحاء الأمة الإسلامية وخارجها ممن يدين بالدين الإسلامي التي تباينت فيها أغراض إجراء ذلك التشريع فراحث فيها الإعمال بين العمل على نهج الرسالة المحمدية في التقرب إلى الله بهذا العمل وبين الأبهة والفخر ، الذي دفعنا إلى إبراز كلا الحالتين وبيان إقامة مراسيمها عند خلافتين مستقلتين وهما الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية وتوضيح حجم الأموال التي ادخرت لإجرائها بإشكاله المختلفة وإغراضه المتعددة وأيهما كان ذا وقع على العامة والاستفادة من تلك الأموال .

أولاً: الختان لغة واصطلاحاً:

لغة يعني : ختن الغلام والجارية يختنهما ويختنهما ختنا . والاسم الختان والختانة ، وهو مختون ، وقيل: الختن للرجال، والخفض للنساء(١) والختان اسم لفعل الخائن ولموضع الختان أيضا(٢) و الختان بكسر المعجمة وتخفيف المثناة مصدر ختن أي قطع وللختن بفتح ثم سكون قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص(٣)و بالكسر وهو يؤنث بالها - موضع القطع من الذكر(٤).

أما اصطلاحاً فيعني موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية ، وأما في الغلام فقطع جميع الجلد التي تغطي الحشفة(٥) لئلا يجتمع فيها الوسخ ، وليتمكن من الاستبراء من البول ، ولئلا

تتقص لذة الجماع (٦) ويقال لمن لم يختن الأقفل والأغلف والأغزل والأرغل والأعرم (٧) إما الختان للمرأة فهو قطع أدنى جزء من جلدة أعلى الفرج (١٠) لذا يسمى ختان الرجل إعدارا وختان المرأة خفضا (١١).

ثانيا: تشريع وجوب الختان :

لقد اثبت الإسلام وبكل الشرائع التي أتى بها إن الختان واجب على الرجل ومستحب للمرأة منذ عهد نبينا إبراهيم (عليه السلام) فيذكر انه (عليه السلام) أول من اختتن بأمر الله تعالى (١٢) ، وقد اختلفت الروايات في ختن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) لنفسه بدلالة كون الأنبياء ولدوا مختونين لقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عندما سأله احد الأشخاص قائلا له : من خلق الله من الأنبياء مختونا ؟ فقال : خلق الله آدم

(عليه السلام) (١٧) ، فالختان سنة من سنن الأنبياء (١٨) متبعة كما ذكرها الباري عز وجل

مختونا ، وولد شيث مختونا وإدريس ونوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) (١٣) وهذا ما أكدّه الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سئل فقال: "إن الأنبياء (عليهم السلام) كانت تسقط عنهم غلغهم مع سرهم يوم السابع..." (١٤) وما يؤكد ذلك قوله: (صلى الله عليه واله) " من كرامتي على الله تبارك وتعالى أني ولدت مختونا ولم ير سواي أحد" (١٥).

وحديث الإمام علي (عليه السلام) الأنف الذكر يفند الرواية التي تبين إن نبيا الله محمد (صلى الله عليه واله) ختن بنفس الآلة التي ختن بها نبي الله عيسى (عليه السلام) (١٦) ، والظاهر إن عبد المطلب عمل بالسنة بإمرار الموس فوق موضع الحشفة وظاهر هذا ما فعله الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) مع الإمام الرضا بقوله : " ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ

المُشْرِكِينَ (١٩) وهو أمر من الله لنبينا (صلى الله عليه واله) بإتباع ملة إبراهيم (عليه السلام) ، وهي من ملة الإسلام (٢٠)

والى يومنا هذا وهو جزء من السنة النبوية (٢١) وقد حدد الختان بكونه جزء من السنة بالنسبة للرجل ومستحب للمرأة وهذا واضح من حديث الإمام الصادق (عليه السلام) وقوله: "... أما السنة في الختان على الرجال وليس على النساء..." (٢٢) وعدم الإلزام بالنسبة للمرأة هو التخوف من الإكثار من الجزء المستأصل لدى المرأة لان قطع الجزء الأعلى من جلدة المرأة كاملا يؤدي إلى موت الشهوة لديها لذلك يوصى بان لا تقطع بالكامل ، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : كانت امرأة يقال لها : أم طيبة تخفض الجواري فدعاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لها : يا أم طيبة إذا أنت خففت امرأة فأشمي (٢٣) ولا تحجفي فإنه أصفى للون وأحظى عند البعل (٢٤).

إن فالختان واجب (٢٥) على الرجل حتى وان كان شيخا ، فعن الإمام موسى بن جعفر (عليه

السلام) وبإسناد السلسلة الذهبية عن آبائه وأجداده قال : "وجدنا في قائم سيف رسول الله (صلى الله عليه واله) في الصحيفة : " أن الألف لا يترك في الإسلام حتى يختتن ولو بلغ ثمانين سنة " (٢٦) ويسقط الوجوب في الختان إذا ما توفي الإنسان وهو غير مختون فلا يحق ختانه (٢٧).

وقد دفع الالتزام لهذه الشريعة بعض الخلفاء والأمراء إلى تأكيد إجراءات ومعاقبة المهملين ، فقد حذر المعز لدين الله الفاطمي بعد إن عم كتاب الختان عام ٣٥١ هـ من مغبة عدم تنفيذ أمره في الختان (٢٨).

ثالثا: نفقات الختان:

-١-

ظاهر الختان:

لقد بذلت الكثير من الأموال في مراسيم الختان كصورة يتخذها الخلفاء والأمراء للأنبهة لبيان حجم أهمية المختون وأوضح تلك الصور هو ما تطلبه ختان المعتز ابن المتوكل الذي عد فيه اكبر عيد بقصر الخلافة في القرن الثالث

الهجري ، إذ انفق المتوكل في ذلك ستة وثمانين ألف درهم ونيف (٢٩) اذ كرست الجهود وفتحت الخزائن وبذلت الأموال كأعطيات او كمظهر من مظاهر التبجيل ، منها ما تطلبه من فرش لارضية المكان الذي ستقام عليه الحفلة والذي قيم بعشرة الإلف دينار (٣٠) .

أضف إلى ذلك ما وصف لنا من طريقة توزيع الأموال على الحاضرين التي تعطينا دليلا دامغا عن كيفية تبذير الأموال التي يحتاج إليها الفقراء والمساكين ، فيذكر إن السلال التي يطلق عليها "الزبل" كانت تقدم للحاضرين مملوءة بالدنانير والدراهم يأخذ منها الحاضرون بمحضر المتوكل حفنات بمقدار اكف أيديهم وكلما تفرغ تلك الزبل تملا مرة أخرى حتى ظل الحاضرون يملئون سروج خيولهم بعد إخراجها وإعطائها لغلمانهم خارج القصر واستمرت هذه الحالة حتى المغرب (٣١) ؛ بل عمد في تلك الحفلة إلى نثر الدراهم على البليات {الابلية يعني المرأة المغنية} وخدم الدار والحاشية وبلغت ألف ألف درهم ،

فيقول احد الشعراء عن حجم الأموال المنفقة في ذلك الختان:

هذي سماء تمطر الدراهما
عند إمام يعمر المكارما
خليفة قد ولد الضراغما
جاء بهم خلائفاً أكارما

لا زال مُلكُ الأرض فيهم دائما (٣٢)

ولم يوقف المتوكل عند هذا الحد بل قام بعثق ألف عبد بعد إن يعطيه مئة درهم وثلاثه أثواب (٣٣) ومن يسمع عن عمله في عتق الغلمان يجعله ضمن عمل الخير ونقول كان من الأجدر للخليفة إن يفعلها من دون هذه المناسبة.

وقد عمد المتوكل ايضا الى جلب المغنيات عريب المأمونية وبدعة وجاريتها سراب وشارية وجواربها وندمان ومنعم ونجلة وتركية وفريدة وافد وعرفان وحدائق (٣٤)، ونثر عليهن الأموال (٣٥) بحضرة الأمراء وحاشيته والناس (٣٦) واستمرت تلك الاحتفالات عدة أيام (٣٧)

في القرن الثالث الهجري عيد ختان المعتز بن المتوكل (٤٠)

وظلت تلك الاحتفالات الغنائية تتم بمحضر الخلفاء كما تبين من حضور قادة وغلما ن وجلساء المكتفي بالله سنوات حكمه يوم ختانه لابنه احمد عام ٢٩٥هـ (٤١)

إما في خلافة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) (٤٢) وتحديدًا عام ٣٠٢هـ عمل على ختن خمسة من أولاده ، وهم محمد وهارون وعباس وإبراهيم وإسحاق ونثر عليهم خمسة آلاف دينار عينا ومائة ألف درهم ورقا، (٤٣) حتى بلغت فيها النفقة ستمائة ألف دينار (٤٤).

إما في ختان احمد ابن المكتفي بالله عام ٢٩٤هـ فقد زين احد وزراء بني العباس داره للحاضرين . فقد أحضر من الورد ما لم يرى الناس قط مثله مجتمعا فمد في السادلا وفي الصحن إلى آخره فكان ارتفاعه دون الذراع قليلا في عرض أربعة أذر في طول تسعين ذراعا (٤٥) وفي عام ٦٤٤هـ ختن المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ) (٤٦) ولديه أحمد وعبد الرحمن

وقد شكلت مظاهر الختان هاجسا لدى المتزلفين للسلطة من خلال حرصهم نحو التألق في بيان قابليتهم الإدارية بإضفاء البهجة والفوز بعد الخطوة والاستحسان من قبل صاحب المقام بالمكانة وحسن الأداء، إذ نجد حاشية البلاط العباسي زمن المتوكل تجهد في تحضيرات ختان ولده المعتز لإضافة رونق البهجة على البلاط، فنجدهم عندما لم يعثروا على بساط يلائم بلاط القصر الذي ستقام فيه الحفلة يرجعون لمقتنيات الحكام الأمويين وتحديدًا مقتنيات هشام بن عبد الملك للاستفادة من البساط الموجد ضمن تلك المدخرات والذي يستوعب أرضية إيوان القصر الذي يبلغ طوله مئة ذراع وعرضه خمسين ذراعا من الابريس المذهب والمبطن (٣٨) .

ولم يتوقف التحضير عند مد البساط زمن المتوكل بل عمد إلى وضع سرير فيه أربعة الإلف مرفع من الذهب والجوهر تحمل تماثيل على شكل صور مصنوعة من الاطياب كالعنبر والند والكافور والمسك المعجون (٣٩) ، حتى عرف ذلك الختان بأنه اكبر عيد بقصر الخلافة

، وأخاه عليا فذكر أنه أخرج على الختان نحوًا من
مائة ألف دينار (٤٧) .

وجزء من تلك التحضيرات كانت مشاركة
العامّة الخليفة أفراده ، فقد كانت الزينة والحلي
بأثمانها الباهظة تعلق للعرض والافتخار بما
يملكه الخليفة والعامّة من مدخرات ، إذ وعزم
الخليفة المسترشد (٤٨) عام ٥١٧ هـ على ختان
أولاده وأولاد إخوته ، وكانوا اثني عشر ، فأذن
للناس إن يعلقوا الزينة ببغداد فعلقت وعمل الناس
القباب (٤٩) . وعليها غرائب الحلي والحلل ونصب
عليها ستران من الديباج الرومي ومقدار كل واحد
منهما عشرين ذراعًا في عشرين . وعلى أحدهما
اسم المتقي لله وعلى الآخر المعتز بالله ، وأظهر
الناس مخبئاتهم من الثياب والجواهر سبعة أيام
بلياليهن (٥٠)

وإمام هذا الاسراف في تجهيزات الختان
نجد النقيض عند الفاطميين فقد كانت الأموال
تعطى للمختونين التي تتراوح من مائة دينار كحد
أعلى لكل واحد وتصل إلى مائة درهم كحد أدنى،
فقد أحصى ما انفق عام ٣٤٠ هـ من أموال من

قبل اسماعيل بن القائم الفاطمي مائتي ألف
دينار (٥١) ، لما تضمنه ذلك من اكساء
المختونين وأعطائهم ما ينفقون (٥٢)
وفي عام ٣٥١ هـ انفق حاكم جزيرة
صقلية بأمر من المعز لدين الله الفاطمي مائة
ألف درهم وخمسون حملاً من الصلات ففرقت في
المختونين سوى الخلع (٥٣) ويحمل إلى كل بلد
من البلدان التي تحت حكمه من الحضرة أموال
وخلع تفرق على كل من طهر من أبناء المسلمين
من خاص وعام ولكل صبي منهم مائتا درهم إلى
مائة وخمسين . وأقل ما أعطي المجولون من
أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم كل صبي منهم
عشرة دراهم (٥٤).

وقد أثارت تلك النفقات خوف العديد من
المقربين كون هذه الحشود سوف لا تتوقف عن
المجيء لتحضى بالختان دون أجر والفوز
بالأعطيات وهو ما سيكهّل الميزانية وكانت
توقعات المعز في كفاية الأموال صحيحة حتى
نهاية آخر مستحق للختان التي أظهر الله حسن
نية المعز لدين الله وتخميناته في تغطية الأموال

لنتلك المناسبة التي عملها خالصة لوجه الله لقوله
...وهذا شيء أردنا به وجه الله وإقامة فرضه
وإحياء سنة جدنا رسوله وملة خليله إبراهيم " فكان
آخر يوم هو الأربعاء سلخ ربيع الأول (٥٥)،
ويذكر إن الأكياس التي أفرغت من الأموال بلغ
وزنها مئة وسبعين قنطارا (٥٦) .

ويذكر أيضا ان المعز لدين الله الفاطمي
جلس لمشاهدة الناس واختلاف عاداتهم وتقاليدهم
من حضر وبدو بتلك المناسبة (٥٧) ، فكان
يجلس من وقت الغداة فلا يزال جالسا وهم
يظهرون ويمرون بين يديه فيكسون ويوصلون لا
يخيب من ذلك منهم شريف ولا مشرف ولا حر ولا
عبد قريب ولا بعيد حاضر ولا باد فيقول القاضي
النعمان عن تلك الأيام : " وعمهم فضله وتبين
عليهم أثره . وارتفق به أغنياؤهم ، وانتعش له
فقراؤهم . ودخلت المسرة على أهل كل بيت منهم
. وكان أثر جميل لم يسبقه إليه أحد قبله . ولا
أظن أن أحدا يتسع له (٥٨)

وأیضا كان من مظاهر تحضيرات الختان
في الدولة الفاطمية وتحديدًا زمن المعز لدين الله

الفاطمي ضرب السراديق ، إذ أمر ضرب
سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء وبإدخال
الصبيان مع من أراد الدخول معهم من إبنائهم
وأمهاتهم وعبيدهم وخدمهم ومن أرادوا إن يطهره
من عبيدهم (٥٩).

٢-أجرة الخاتن:

من الطبيعي إن يكون لهذا العمل أناس يختصون
فيه من أصحاب خبرة في إجرائها لأهمية وسلامة
المختون ، وباباً من أبواب الاسترزاق واغلب
الذين يختصون بهذا العمل هم الحجامين (٦٠) او
ما يطلق عليه بالمزين (٦١)، فأصبح الختان
صناعة يلقب متقنها بها (٦٢)، او يلقب بلقب
معدّر (٦٣) نسبة إلى الجلدة التي تبقى بعد
الأعذار لذا يقال للخاتنة "بالمبظر" ، وأيضاً يقال
لها خافضة (٦٤) لتتطور وتصبح مقتصرة بالأطباء
فكانت جزءاً من مجالهم الطبي (٦٥) .

فكان لابد لهذه الصناعة أجرا يأخذه الخاتن لتشجع
هذه الصناعة على إن تكون باب رزق للعديد من
الناس ، إذ لم يحرم الأجر وقد حل أخذه (٦٦)،

فكانت أجرة الختان تقع على أب المختون والعبد على سيده (٦٧)

ومن الأمور التي كان يفعلها المزينين زمن الدولة العباسية عند الختان انتظار ما ينثر عليهم من أموال ، فقد نثرت على المزين الذي قام بختان المعتز بن المتوكل ومن في حيزه ألف ألف درهم (٦٨) فكان ما حصل عليه الخاتن في تلك المناسبة نيف وثمانون ألف دينار سوى الصياغات والخواتيم والرهون والعداء (٦٩) .

وعمد بعضهم إلى وضع طشت لجمع المال ، فيذكر أن في إحدى مناسبات الختان زمن الفاطميين إن امتلأ طشت المزين الذي ختن هناك بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان وخلع عليه فروة وشال وانعموا على باقي المزينين بثلاثين كيسا (٧٠) ، ويكون إعطاء أجرة الخاتن بعد الوليمة فعندما ينتهي الأكل يقدم كل واحد من المدعوين هدية للحلاق مثقال او مثقالين ناو أكثر أو أقل حسب مستواه فيلصقها على وجه غلام الحلاق الذي يذكر اسم المتبرع ويشكره وبعد ذلك يقوم الحلاق بختان الطفل (٧١) .

وكان ايضا زمن الدولة الفاطمية ولقلة الإمكانيات المادية في بعض الاوقات ان يختن الأطفال مع حفلات الإعراس في البيت (٧٢) لذا تباينت أجور الختان في مصر بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، فيذكر إن ما حصل عليه سديد الخاتن (٧٣) من اجر ليوم عمل واحد لختان مجموعة ممن يرغبون بختان أولادهم إلى ثلاثون ألف دينار وفي نفس اليوم حصل على خمسون ألف دينار لختانه ولدي احد العلماء (٧٤).

٣.

علام والشمولية :

عمل الكثيرين ممن حاولوا إن يجعلوا من أيام الختان أياما مميزة يخصصونها بأيام العيد يربطونها بمناسبات تخصصهم ، فقسم منهم جهد في تطبيعها بين الناس يتذكرونها إن اقترنت بالختان الشمولي أي الجماعي لتبقى تلك الأيام خالدة في ذكراها مقترنة بالأجيال يتذكرونها الكبير بالفعل والصغير عند الكبير .

فيذكر إن أول من عمل الخاتن الجماعي هو نبي الله إبراهيم (عليه السلام) إذ عمد إلى ختن

رجال بيته مع ختن اسماعيل (عليه السلام) (٧٥) ،
وقد ختن مع الإمام علي (عليه السلام) والذي
نحن متأكدين منه هو إمرار موسى عليه هو
فقط كلا من طلحة والزبير وسعد تزامن في عام
واحد (٧٦)، وتشير الروايات إن أول من اختن مع
أولاد الخلفاء عبد الله بن الشمر بن ذي
الجوشن (٧٧).

وقد عمل بعض الخلفاء على جعل تاريخ
بعض الأعمال مقترنة بالختان كما فعل المتوكل
من يوم فراغه من بناء قصره بقادسية سر من
رأى إن أهداه لابنه المعتز وجعل أعذاره فيه (٧٨)
بل عمدت أم المعتز إلى ضرب دراهم مكتوب
عليها " بركة من الله لا عذار أبي عبد الله المعتز
بالله " (٧٩) .

ونجد في ختان ابن المكتفي بالله احمد
عام ٢٩٥هـ توزع على المهنيين الهدايا ، فيذكر
إن الخلع جعلت تجيء إلى الناس من الثريا
ينفذها المكتفي بالله لواحد واحد برقاع في جيوبها
: لكل إنسان غلالة قصب وجبة فوقها ، ودراعة
. فوق ذلك على أقدار منازلهم ، منها المنسوج
بالذهب ، من الوشى والديباج إلى غير ذلك . ولم

يبقى في المجلس أحد الا ناوله العباس {الوزير} من
يده تحية من الورد معمولة فيأخذها من يده
ويقبلها (٨٠).

وحرص الخلفاء من باب طلب الدعاء والثواب إلى
ختان الأيتام والفقراء ، فقد ذكر انه في خلافة
المقتدر بالله وتحديدًا عام ٣٠٢هـ ختن المقتدر
خمسة من أولاده . وختن قبل ذلك جماعة من
الأيتام ، وفرقت فيه دراهم وكسوة وأحسن
إليهم (٨١)

وهناك من يجعل من يوم الختان يوما يلقب
به الأبناء ويذكروا على المنابر كما فعل القائم
بأمر الله العباسي لابنه أبا العباس محمدا والذي
لقبه بذخيرة الدين عام ٤٤٠هـ (٨٢) وقام الخليفة
المقتفي عام ٥٥٣هـ بختن ولده وختن معه جماعة
من أولاد الأمراء (٨٣) ، وقدم للخليفة المكتفي
بذلك الختان الخلع والتحف ولم يبق أحد من
أرباب الدولة إلا وحمل من التحف كثيرا (٨٤).

اما الفاطميين فقد أمر اسماعيل بن القائم
الفاطمي ان يكون الختان جماعي اذ امر عام
٣٤٠هـ من كتامة أن يطهر أولادهم (٨٥) ، وامر

ايضا أن يكتب له أولاد القواد ووجوه رجاله من كتامة والعبيد والجند وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها ، ليختنوا ويحسن إليهم بالكسي والصلات فبلغوا أكثر من عشرة آلاف فابتدأ في ختانهم... فكان يختن في كل يوم من خمسمائة إلى ألف وثلاثمائة فاقام على هذا سبعة عشر يوما ... وحدث في البلد عند ذلك من الإنفاق والله ما لم ير مثله (٨٦).

وحرص بعض الخلفاء الفاطميين على إدراك اكبر قدر ممكن من الناس ليشملهم الختان الجماعي بغض النظر عن طبقتهم ومكان إقامتهم إذ استوعبت تلك المكرمة الغني والفقير والتاجر والفلاح والمسلم والذمي محققا بذلك نسبة عالية من الشمول ، ففي عام ٣٥١ هـ عزم المعز لدين الله الفاطمي إن يطهر أولاده عبد الله ونزارا وعقيلا وعمل على كتابة كتاب يعمم على سائر المدن التي تحت حكمه ليشملها بمكرمه وليشاركو أبنائه الفرح وليثبت ذلك اليوم بختان أولاده (٨٧) ، فكان يختن في كل يوم من أيام هذا الشهر منهم من عشرة آلاف صبي إلى خمسة آلاف أقل ذلك (٨٨)

وكان الختانون في السراقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ، والقوم يمسونهم في حجوهم ويذرون الذرات الممسكة للدم على ختاناتهم . ويقفون في البخور وماء الورد على رؤوسهم ويرشونهم على وجوههم لما يعتريهم من الروع والسند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلهونهم ويصحبون من طهر منهم يزفون به الى منزله (٨٩)

وقد أحصى حاكم صقلية عام ٣٥١ هـ أطفال الجزيرة بأمر المعز الفاطمي وأمر إن يختنهم ويكسوه في اليوم الذي يطهر فيه المعز ولده وبلغ عدد من في الجزيرة ممن يستحقون الختان خمسة عشر ألف طفل وابتدأ حاكم صقلية بختن إخوته ثم ختن الخاص والعام وخلع عليهم (٩٠) ، وعلى الرغم من إن الحملة استغرقت وقتا طويلا بالإعلان عنها إلا إن مدى من استفاد منها كان عددا كبيرا حتى ذكر إن آخر يوم للتدفق كان قد حضر فيه اثني عشر ألفا فطهروا عن آخرهم لكن في اليوم التالي تدفق على القصر ثلاثمائة فأمر بتطهيرهم (٩١) ، وقد تمثل هذه الشمولية في هكذا

عمل ، فرصة يغتنمها الخليفة فيتصدق بها على بعض الفقهاء المخالفين له في المذهب لاستمالتهم (٩٢) .

٣-

لوليمة:

لأهمية الختان في المجتمع العربي والدين الإسلامي كان لابد لإقامتها إن تعمل المآدب دلالة على الإعلام ومشاركة الفرحة إذ أكدا على إقامتها الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله: لا وليمة إلا في خمس ... ، أو عذار "(٩٣) موصيا فيها الإمام أمير المؤمنين علي(عليه السلام) بقوله : يا علي لا وليمة إلا في خمس ... ، والعذار الختان " (٩٤) ، فأصبح يطلق على تلك المأدبة: العذيرة أو الأعذار (٩٥) ويذكر إن عبد المطلب عمل مأدبة للنبي (صلى الله عليه وآله) يوم ختانه اسمها محمدا (٩٦). لذا عدت مأدبة الختان جزءاً من الولائم المشهورة عند العرب بقول احدهم :

وللضيافة أسماء ثمانية

وليمة العرس ثم الخرس للولد

كذا العقيقة للمولود سابعة

ثم الوكيرة للبنيان إن تجد

ثم النقيعة عند العود من سفر ١

وفي الختان هو الأعذار فاجتهد (٩٧)

حتى حددت كوليمة رسمية في إقامتها فهي من ضمن احد عشر من أسماء الولائم التي نظمها الشعراء فيقول احد الشعراء:

إنّ الولائم عشرة مع واحد

من عدها قد عز في أقرانه

فالخرس عند نفاسها وعقيقة

للطفل والأعذار عند ختانه (٩٨)

ويذكر الإمام الباقر(عليه السلام)إن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) عند ختانه للإمامين الحسن والحسين(عليهما السلام) قد عق عنهما كبشا طبخهما جدولا ، قال - يعني أعضاء فتصدق واكل وأطعم جيرانه(٩٩) ، وهناك من يدعى إليها الأقرباء بهذه المناسبة (١٠٠) و توزيع الحلوى الحارة منها والباردة على الحاضرين(١٠١) ، واختلف في إقامتها فمنهم من

يقيمها صباحا وقسم يقيمها ظهرا وقسم مساء (١٠٢)

وقد كان خروج من تولى بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أمر المسلمين ممن لم يعملوا بالقرآن والسنة والإسلام إلا لادعاء إثبات وجوده من الخلفاء الذين عرفوا بتبذيرهم وخروجهم عن الشرع لتحليل ما هو محرم كما فعل المتوكل العباسي عند ختان ابنه المعتز إذ أمر بتوزيع المشروبات المحرمة من نبيذة على الحاضرين عند حضوره للغداء معهم لموائد الطعام بأواني مصنوعة من الذهب والفضة والفاكهة وقلة وجودها بأنواعها ، من الاترج والنارنج والتفاح الشامي والليمون وخمسة الإلف باقة نرجس وعشرة آلاف باقة بنفسج (١٠٣) بل يذكر انه عمد إلى إجبار بعض ندمائه على شراب وتوزيع النبيذة إرغاما (١٠٤) ، مقارنة بإعمال الفاطميين في مصر فقد أمر اسماعيل بن القائم الفاطمي يوم الختان العام إن تعمل ولائم وأطعم خاصة الناس وعامتهم (١٠٥).

وقد عمد الخليفة المقتفي (١٠٦) عام ٥٥٣هـ بعمل سماطا كبيرا للأمراء والأتراك في الصحراء مما يلي سور الظفيرة (١٠٧)

وكانت تبذل في تلك الولائم أموالا كبيرة لشراء اللحوم فقد ذبح بمناسبة ختان أولاد وأخا المستعصم بالله عام ٦٤٤هـ ألف وخمسمائة رأس شواء (١٠٨) ولم تشر المصادر الى المستفدين من تلك الاطعمة والمتوقع انها ضمت حاشية الخليفة والمقربين منه .

وفي اغلب موائد الطعام لم يشارك فيها اليتامى الذين يتضورون جوعا من اجل الأكل ، فعند ختان أبو جعفر المقتدر من قبل أبيه ترك الناس واليتامى دون أكل ، يذكر ذلك احد الشعراء بقوله "انصرف الناس من ختان يدعون من جوعهم حزاما فقلت {يعني الشاعر} لاتعجبوا لهذا فهكذا تختن اليتامى (١٠٩).

اما الولائم واقامتها عند الفاطميين فنجد الخليفة اسماعيل بن القائم الفاطمي يامر بالختان

العام وإن تعمل ولائم وأطعم خاصة الناس وعامتهم (١١٠).

الخاتمة:

لعل من أهم النتائج التي اطلع اليها البحث بالظفر بها ما يأتي:

١. ثبت البحث أن مراسيم الختان كانت ترتبط بشكل مباشر بامزجة الخلفاء وتقديراتهم للغرض المنشود في تنفيذ مآريهم بطريقتين الاولى انية ترتبط بطبيعة قرب الموالين لهم وكسب رضاهم التي عمل على تفعيلها من خلال تلك المراسيم الخلفاء العباسيين والثانية بعيدة الامد تتمثل بالرضا وكسب العامة كما كان يفعلها الخلفاء الفاطميين.

٢. بين البحث جهود الخلفاء في تقوية الجبهة الاعلامية وتوضيبيها بالشكل الذي يتيح لتلك المراسيم ان تشكل الحدث بالشكل الذي يتيح له ان يكون ذا منزلة من تاريخ تلك الفترة وايضا

لتأكيد الولاء وترسيم الخطوط السياسية لاستمرار الحكم باعلاء مكانة من يخصصونهم بالختان من أبنائهم باشارك اكبر قدر ممكن من العامة وجعله عيدا للتعريف بمكانة المختون.

٣. اكد البحث على بيان حجم الأموال التي كانت تصرف لتبجيل تلك المراسيم وتلك الحفلات وتوضيح كمياتها وطرق انفاقها بين المخصص لوجه الله وبين الإنفاق لغرض الشهرة والبذخ ، التي كانت العامة بحاجة ماسة لها لتتجاوز بها محنها التي كانت تعيش فيها ظروف صعبة .

٤. اظهر البحث حجم الإسراف في إقامة الموائد بمختلف أنواعها وأصنافها من بارد وحار يختص بحضورها كبار رجالات الدولة المتخمة معداتهم والأيتام والفقراء بأمس الحاجة إليها .

٥. بين البحث محاولات الخلفاء الفاطميين الى زيادة الثقة والولاء والتقرب للعامة باشارك الفقراء من العامة البسطاء في افراحهم عكس العباسيين الذين كانوا يبحثون عن الفخامة .

الهوامش:

- (١) ابن منظور، لسان العرب ، ١٣ / ١٣٧.
- (٢) العظيم آبادي، عون المعبود ١٤ / ١٢٢ - ١٢٥
- (٣) ابن حجر، فتح الباري ، ١٠ / ٢٨٦
- (٤) الزبيدي، تاج العروس، ١٧٢/١٨؛ الميرزا القمي، جامع الشتات، ٤ / ٦١٠ .
- (٥) العظيم آبادي، عون المعبود، ١٤ / ١٢٢ - ١٢٥.
- (٦) سابق، فقه السنة ، ١ / ٣٧.
- (٧) ابن إدريس الحلبي، السرائر، ٣ / ٤٨٠ - ٤٨١
- (٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ٢٠ / ٢٠٦.
- (٩) الفراهيدي، العين ، ٤ / ٢٣٨.
- (١٠) العظيم آبادي، عون المعبود، ١٤ / ١٢٢ - ١٢٥.
- (١١) ابن حجر، فتح الباري ، ١١ / ٧٤
- (١٢) النووي، ، المجموع شرح المذهب ، ١ / ٢٩٧
- (١٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٢ / ٢١٩.
- (١٤) البرقي، المحاسن ، ٢ / ٣٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار ، ١٢ / ٨ - ٩.
- (١٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣ / ٤١٢.
- (١٦) الحلبي، السيرة الحلبية ، ١ / ٨٨.

(١٧) روي عن الإمام موسى ابن جعفر (عليه السلام) انه قال : لما ولد ابنه - يعني الإمام الرضا (عليه السلام) قال: "إن ابني

هذا ولد مختوناً طاهراً مطهراً ، وليس من الأئمة أحد يولد إلا مختوناً طاهراً مطهراً، ولكننا سنمر عليه الموسي لإصابة السنة

وإتباع الحنفية :ينظر:المجلسي،بحار الأنوار، ١٠١/١٢٤؛ المدرسي ،الوجيز في الفقه الإسلامي، ١٩٨.

(١٨) الصالحي الشامي ،سبل الهدى والرشاد ، ٧ / ٣٣٧.

(١٩) سورة النحل ، الآية ، ١٢٣.

(٢٠) الفيرواني،النوادر والزيادات، ٤/٣٣٧.

(٢١) روي عن النبي محمد(صلى الله عليه واله) انه قال : عشرة من الفطرة {السنة}، خمس في الرأس ، وخمس في الجسد

،فذكر الختان منها :ينظر:النسائي،سنن النسائي، ٨/١٢٨؛ الطوسي، الخلاف ، ٥ / ٤٩٤ - ٤٩٦.

(٢٢) الكليني، الكافي، ٦/٣٧.

(٢٣) يعني خذي منه قليلاً شبه القطع اليسير في الختان المرأة بإشمام الرائحة :ينظر:الميرزا القمي،جامع الشتات ، ٤/٦١٣.

(٢٤) الكليني، الكافي، ٦/٣٦.

(٢٥) لمعرفة فوائد الختان العلمية والواقية من الأمراض :ينظر: البار،خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ٣٢؛ نجم،الحياة الأسرية

لائمة أهل البيت (عليهم السلام)، ٤٨.

(٢٦) البيهقي،السنن الكبرى ، ٨/٣٢٤.

(٢٧) العلامة الحلي،منتهى المطلب، ١/٤٣١.

(٢٨) القاضي النعمان ،المجالس والمسائرات ، ٥٥٦-٥٥٧

(٢٩) متز،الحضارة الإسلامية ، ٢/٣٠٠.

(٣٠) الشاشتي،الديارات، ١٥٠.

(٣١) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف ، ١١٤-١١٥

(٣٢) الشاشتي،الديارات، ١٥٢.

- (٣٣) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ١١٥
- (٣٤) الشابشتي،الديارات،١٥٤.
- (٣٥) الشابشتي،الديارات ،١٥٢.
- (٣٦) القاضي الرشيد ،الذخائر والتحف ،١١٣.
- (٣٧) يذكر ان عطاء بن أبي رباح ختن بنيه او بني أخيه فكان الأجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم :ينظر:الأصفهاني ،الأغاني،٢٤١/٣.
- (٣٨) الشابشتي، الديارات، ١٥٠
- (٣٩) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ١١٣.
- (٤٠) متر،الحضارة الإسلامية،٢/٣٠٠.
- (٤١) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ١٢٣.
- (٤٢) أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس احمد بويق بالخلافة سنة ٢٩٥هـ وعمره ثلاثة عشر سنة :ينظر: النويري ،نهاية الإرب،٢٣/٤١
- (٤٣) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ١٢٤
- (٤٤) ابن الجوزي،المنتظم،١٣/١٥٠؛ابن كثير،البداية والنهاية ،١١/١٣٨؛الهمداني،تكملة تاريخ الطبري،١/١٥ ؛ السيوطي ،تاريخ الخلفاء،٤١٠.
- (٤٥) القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، ١٢٣
- (٤٦) المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن منصور بن محمد الظاهر آخر خلفاء بني العباس في العراق استخلف سنة ٦٤٠هـ ،قتل يوم دخول التتر بغداد:ينظر:الذهبي،سير إعلام النبلاء ، ٢٣/ ١٧٤ ؛ الزركلي ،الإعلام،٤/١٤٠.
- (٤٧) الذهبي، تاريخ الإسلام ، ٤٧ / ٢٩.

(٤٨) أبا الفضل ويكنى ابا منصور جاءت خلافته بعد وفاة ابيه المستظهر بالله وقد بويغ عام ٥١٢هـ بالخلافة: ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٤/١٧،

(٤٩) يذكر إن خاتون عملت قبة بباب النوبي وعلقت من الثياب الديباج والجواهر ما أدهش الناس: ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٢١٩/١٧،

(٥٠) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١٩/١٧.

(٥١) متر، الحضارة الإسلامية، ٣٠٠/٢.

(٥٢) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ٨١،

(٥٣) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٦؛ أبي الفداء، المختصر في إخبار البشر، ٩٦/٢،

(٥٤) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٦-٥٥٧.

(٥٥) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٧-٥٥٨،

(٥٦) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١٢٥،

(٥٧) ابن حيان، المقتبس الحجي ١٠٩-١١٠..

(٥٨) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٧-٥٥٨.

(٥٩) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٦.

(٦٠) بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ٩٢.

(٦١) السخاوي، الضوء اللامع، ٢٣/٥.

(٦٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ٢١٥، الميرزا القمي، جامع الشتات، ٤ / ٦١٠، الهاشمي الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٢١/١٩.

(٦٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٤٤٤/٩.

(٦٤) ابن سيدة، المخصص، السفر الثاني، ٣٣/١، الزبيدي، تاج العروس، ٦٣٨/١٣.

العدد ٢١ القسم الثاني لسنة ٢٠١٧م

- (٦٥) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٣٩٠/٢١.
- (٦٦) الطوسي، النهاية، ٣٦٧.
- (٦٧) ابن عابدين، حاشية رد المختار، ٣٤٢/١.
- (٦٨) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١١٦.
- (٦٩) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١١٨.
- (٧٠) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ٦١٤/٣.
- (٧١) الوزان، وصف إفريقيا ٢٥٧/١-٢٥٨.
- (٧٢) أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ١٩٣.
- (٧٣) شرف الدين أبو المنصور عبد الله بن علي بن داود بن المبارك أمام الطب بقراط العصر رئيس الأطباء في مصر خدم العاضد صاحبها توفي ٥٩٢هـ: ينظر: الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٣٨٩/٢١.
- (٧٤) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٣٨٩/٢١.
- (٧٥) arabicbible، التوراة والإنجيل، ٢٨..
- (٧٦) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١١١.
- (٧٧) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ١٥٣-١٥٤..
- (٧٨) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١١٢.
- (٧٩) الشابشتي، الديارات، ١٥١.
- (٨٠) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١٢٣.
- (٨١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/١٥٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٣٨.
- (٨٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٤٥/٥.

- (٨٣) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٥/١٨.
- (٨٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٥/١٨.
- (٨٥) ابن حماد، أبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ٨١.
- (٨٦) متر، الحضارة الإسلامية، ٣٠٠/٢.
- (٨٧) المجالس والمسائرات، ٥٥٦.
- (٨٨) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٧.
- (٨٩) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٦.
- (٩٠) أبي الفداء، المختصر في إخبار البشر، ٩٦/٢.
- (٩١) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ٥٥٨.
- (٩٢) بوراس، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية، ٩٨.
- (٩٣) الصدوق، معاني الأخبار، ٢٧٢.
- (٩٤) الصدوق، الخصال، ٣١٤.
- (٩٥) ابن سيده، المخصص "السفر الرابع"، ١٢٠/١؛ العلامة الحلي، تحرير الأحكام، ٥٨٤/٣، المحقق الكركي، جامع المقاصد، ١٨ / ١٢.
- (٩٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥١/١.
- (٩٧) الشربيني، مغني المحتاج، ٣ / ٢٤٥.
- (٩٨) ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ٢٩٧/٦.
- (٩٩) القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ١٥٥.
- (١٠٠) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر "دراسة حضارية"، ١٠٤.
- (١٠١) مجهول، معرفة منازل القمر، ١٨.
- (١٠٢) الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ٢٤٨/١.
- العدد ٢١ القسم الثاني لسنة ٢٠١٧م

(١٠٣) الشابشتي، الديارات، ١٥١.

(١٠٤) القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ١١٨.

(١٠٥) متر، الحضارة الإسلامية، ٣٠٠/٢.

(١٠٦) محمد بن المستظهر بالله يكنى ابا عبد الله ببيع بالخلافة بعد خلع القاهر الراشد: ينظر: ابن الجوزي، المنتظم

٣١٢/١٧.

(١٠٧) ابن الجوزي، المنتظم، ١٢٥/١٨.

(١٠٨) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ١٧٧/٢٣.

(١٠٩) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الذهب، ٢٠٨/٤.

(١١٠) متر، الحضارة الإسلامية، ٣٠٠/٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المخطوطات:

* مجهول

١- منازل القمر، (مخطوطة)، موقع د. يوسف زيدان للتراث والمخطوطات، w.w.w.ziedan.com

ثالثاً: المصادر الأولية:

* الاصفهاني، أبو الفرج

٣- الأغاني، نشر: دار إحياء التراث العربي (بيروت - دت)

* ابن إدريس الحلبي، أبي جعفر محمد بن منصور (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م).

٤ - كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ،تح:لجنة التحقيق، ط ٢ ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة

لجامعة المدرسين المطبعة : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ،(قم المشرفة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م)

*البرقي، أحمد بن محمد بن خالد أبي جعفر ،(ت ٢٧٤هـ/٨٨٧م)٠

٥ - المحاسن ،تح السيد جلال الدين الحسيني ، الناشر: دار الكتب الإسلامية،(طهران - ١٣٨٠ هـ -

١٩٦٠ م).

*البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م)

٦- السنن الكبرى، الناشر : دار الفكر(دت)

* ابن تغري بردي ،جمال الدين أبو المحاسن،(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩ م)

٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،نشر:وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة والطباعة والنشر ،(دم- دت).

* الجبرتي،عبد الرحمن بن حسن،(ت ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م)

٨- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والإخبار ،نشر:دار الجيل ،(بيروت -دت)

* ابن الجوزي،جمال الدين أبو لفرج عبد الرحمن بن علي ، (٥٩٧هـ/١٢٠١ م)

٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ط ١،دار النشر دار صادر ،(بيروت-١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م)

* ابن حبيب،أبو مروان عبد الملك الأندلسي ،(ت ٢٣٨هـ/٨٥٢ م)

١٠- كتاب التاريخ ، اعتنى به :عبد الغني مستو،ط ١،نشر:المكتبة العصرية،(بيروت -١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م)

*ابن حجر العسقلاني،أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ،(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨ م).

١١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط ٢ ، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت - د ت) .

* بن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله ، (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) .

١٢ - شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،نشر: مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، (دم-دت)

* الحلبي، علي بن برهان الدين (ت ٨٤١ هـ / ١٤٤٦م)

١٣ - السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون ، الناشر : دار المعرفة (بيروت - ١٤٠٠هـ)

* العلامة الحلبي ،الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ، (ت ٧٢٦هـ / ١٢٢٥م)

١٤ - منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية ، ط ١ ، نشر: مؤسسة الطبع والنشر ، (الاستانة الرضوية المقدسة - ١٤١٢هـ)

١٥ - تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية ، تح: الشيخ إبراهيم البهادري / إشراف : جعفر السبحاني، ط ١ ، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، (المطبعة: اعتماد - قم المشرفة - ١٩٩٩م) .

* ابن حماد ،أبو عبد الله بن علي الصنهاجي، (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)

١٦ - أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: د. التهامي نقرة ود. عبد الحليم عويس، نشر: دار الصحوة ، (القاهرة - دت)

* ابن، حمدون ،محمد بن الحسن بن محمد بن علي ، (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)

١٧- التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس وبكر عباس، ط١، نشر: دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت-

١٩٩٦م)

* ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي، (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)

١٨- المقتبس في إخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن الحجي، نشر: دار الثقافة، (بيروت-دت)

* الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)٠

١٩- تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت-١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)

٢٠- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط و حسين الأسد، ط٩، الناشر: مؤسسة الرسالة، (بيروت-١٩٩٣م).

* الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)

٢١- أساس البلاغة، نشر: دار ومطابع الشعب، (القاهرة - ١٩٦٠م)

* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

٢٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، نشر: دار الجيل، (بيروت - ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)

* ابن سيده، أبي الحسن علي بن اسماعيل، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)

٢٣- المخصص "السفر الرابع"، تح ونشر: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت-دت)

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

٢٤- تاريخ الخلفاء، تح: لجنة من الأدباء، مطبعة: مطابع معترف إخوان، (بيروت-دت)

* الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد، (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)

٢٥- الديارات، تح: كوركيس عواد، ط٣، نشر: دار الرائد العربي، (بيروت-١٤٠٦/ ١٩٨٦م)

*الشربيني، محمد بن احمد، (ت ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م)

٢٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، نشر : دار إحياء التراث العربي ، (بيروت - ١٣٧٧ هـ - ١٥٦٩ م)

* الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م)

٢٧- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، ط١، الناشر : دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٣ م)

*الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١).

٢٨- الخصال، تح : علي أكبر الغفاري، الناشر : منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في ، (المقدسة - ١٤٠٣)

٢٩ - عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ،تح الشيخ حسين الأعلمي، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م) .

٣٠- معاني الإخبار، تح: علي اكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة - ١٣٧٩ هـ)

*الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) .

٣١ - الخلاف، تح: جماعة من المحققين، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم المشرفة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)

٣٢- النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، نشر: انتشارات قدس محمدي، (قم المشرفة-دت)

*الطبري ، محمد بن جرير بن كثير بن غالب ، (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).

٣٣- تاريخ الرسل والملوك ،تح نخبة من العلماء الأجلاء،الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت - دت).

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمد أحمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)

٣٤-الاستيعاب، تح : علي محمد البجاوي، ط١، الناشر : دار الجيل، المطبعة : بيروت، (بيروت-١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م).

* ابن عساكر،أبي القاسم علي بن الحسن ، (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)

٣٥- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديةا وأهلها ، تح : علي شيري، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت -١٤١٥ هـ / ١٩٩٤)

* الفتال النيسابوري،محمد بن الفتال ،(ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م)

٣٦- روضة الواعظين ،نشر :منشورات الشريف الرضي ،(قم -دت)

*الفراهيدي،عبد الرحمن الخليل بن أحمد ،(ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م).

٣٧- العين ،تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، ط٢، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ،(دم- ١٩٨٩ م).

* القاضي الرشيد ،أبو الحسن أحمد بن القاضي بن الزبير،(ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م)

٣٨- الذخائر والتحف،تح:محمد حميد الله ،مراجعة :صلاح الدين المنجد،(الكويت-١٩٥٩ م)

* القاضي النعمان، بن محمد ،(ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

٣٩- المجالس والمسائرات، تح: الحبيب الفقي وإبراهيم مثنوح ومحمد اليغلاوي، ط١، نشر :دار المنتظر
(بيروت-١٩٩٦م)،

* ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

٤٠- البداية والنهاية ،تح :علي شيري، ط١، الناشر :دار إحياء التراث العربي(بيروت- ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م).
الكركي ، المحقق علي بن الحسين (ت ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣ م)

٤١-جامع المقاصد في شرح القواعد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، الناشر : مؤسسة آل
البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، المطبعة : المهدية (قم ١٤٠٨)

* الكليني، محمد بن يعقوب،(ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

٤٢- الكافي ،تح علي أكبر الغفاري ، ط٣ ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ،المطبعة : حيدري ،(طهران -
١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨م)

* المجلسي، محمد باقر،(ت ١١١١هـ/ ١٦٠٢م)

٤٣-بحار الانوار،تح: ابراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي ، ط٣، نشر: دار احياء التراث العربي،(بيروت-
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)

* المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٤٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، نشر: منشورات دار الهجرة ،(قم المقدسة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)

*ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ،(ت ٧١١هـ/١٣١١م)

٤٥- لسان العرب ، الناشر : نشر أدب الحوزة ، (قم المشرفة- ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

*الميرزا القمي، أبو القاسم القمي(ت ١٢٣١ هـ / ١٧٥٩ م).

٤٦-جامع الشتات ،تح: مرتضى رضوي ،ط١، الناشر : انتشارات كيهان ، المطبعة : مؤسسة كيهاند،(دم-

١٣٧١ هـ)

*النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب،(ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).

٤٧-سنن النسائي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-دت)

*النووي ،محي الدين بن شرف(ت ٦٠٦ هـ/١٢٠٩م)

٤٨-المجموع شرح المذهب، نشر :دار الفكر (دم-دت)

* النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م):

٤٩ _ نهاية الإرب في فنون الأدب ،نشر :وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة ،(دم-دت)

* الهمداني، محمد بن عبد الملك ،(ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م)

٥٠-تكملة تاريخ الطبري، تح: البرت يوسف كنعان،ط٢،نشر:المطبعة الكاثوليكية ،(بيروت-١٩٦١م)

رابعاً: المراجع

* أمين ،احمد

٥١ - قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ،نشر :مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،(القاهرة-٢٠١٣م)

* البار، محمد علي

٥٢- خلق الإنسان بين الطب والقران ، ط٨، نشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع ، (جدة-١٤١٢هـ / ١٩٩١م)

* بوتشيش ، إبراهيم القادري

٥٣- المغرب والأندلس في عصر المرابطين "المجتمع-الذهنيات -الأولياء"، ط١، نشر: دار طليطلة للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٩٣م)

* الزبيدي، محمد مرتضى ، (ت ١٢٥٠ هـ / ١٧٨٠ م).

٥٤- تاج العروس من جوهر القاموس ،تح: علي شيري، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت - ١٩٩٤م).

*الزركلي،خير الدين.

٥٥- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٥، الناشر : دار العلم للملايين ، (بيروت - ١٩٨٠م).

*سابق

٥٦-فقه السنة، نشر ،دار الكتاب العربي (بيروت -دت)

* فرحات، يوسف شكري

٥٧- غرناطة في ظل بني الأحمر "دراسة حضارية " ، ط١، نشر: دار الجيل ، (بيروت-١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)

* المدرسي، محمد تقي

٥٨- الوجيز في الفقه الإسلامي (أحكام الزواج وفقه الأسرة)، ط١، نشر: منشورات البقيع، (دم-١٤١٥هـ)

* ابن عابدين، محمد أمين، (ت١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م)

٥٩- حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار، تح: مكتب البحوث والدراسات، نشر: دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت-١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)

* العظيم آبادي، ابو الطيب محمد شمش الحق

٦٠- عون المعبود شرح سنن ابي داود، ط٢، نشر: دار الكتب العلمية (لبنان - ١٤١٥ م)

* الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى

٦١- نهر الذهب في تاريخ حلب، طبع: المارونية، (حلب-دت)

* متر، ادم

٦٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي

أبو ريده، اعد فهارسه رفعت البدراوي، نشر: دار الكتاب العربي، (بيروت-دت)

* الهاشمي الخوئي، ميرزا حبيب الله

٦٣- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: سيد أبراهيم الميانجي، ط٤، نشر: بنياد فرهنگ امام المهدي

(عجل الله مخرجه الشريف، (طهران-١٣٦٠هـ)

* الوزان، الحسن بن محمد الفاسي

٦٤- وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، نشر: دار الغرب

الإسلامي، (بيروت-١٩٨٣م)

خامسا: الرسائل

*بوراس، رفيق

٦٥- الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية "٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٨-٩٧٢م"، رسالة ماجستير

غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية /جامعة منتوي قسنطينة، الجزائر (٢٠٠٨م)

* نجم، مها عبد الله

٦٦- الحياة الأسرية لائمة أهل البيت (عليهم السلام)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة كلية

التربية، ٢٠١١.

مواقع الانترنت :

* arabicbible

٦٧- التوراة والانجيل، ٣٧٧، الناشر : نسخة التوراة والانجيل من موقع : [www .arbicbible.com](http://www.arbicbible.com)

"مملكة إيبلا وعلاقتها السياسية والاقتصادية مع بلاد الرافدين"

م.د. عدنان محمد مجلي الغزي

المقدمة

لقد كان لاكتشاف مدينة إيبلا ونصوصها دور كبير في معرفة تاريخ بلاد الشام وحضارتها خلال الالف الثالث قبل الميلاد ، فقد كانت معلوماتنا عن هذه المنطقة حتى وقت قريب تتعلق بالالف الثاني قبل الميلاد والتي زودتنا بها نصوص ماري واوغاريت .

تعد مملكة إيبلا إحدى المناطق البعيدة الواقعة في المنطقة الشمالية من بلاد الشام التي وصلتها تأثيرات حضارة بلاد الرافدين والتي اظهرتها لنا المكتشفات الآثرية في مدينة إيبلا تلك التأثيرات التي كانت أغلبها نتيجة ارتباط مملكة إيبلا مع بلاد الرافدين بجوانب مختلفة اظهرتها النصوص الابلائية المكتشفة في القصر الملكي . وشهدت مدينة إيبلا التي قامت في هذا تلك عصرين من الازدهار الاول في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد (نحو ٢٥٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م) والثاني ما بين ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م ، وكانت إيبلا في العصر الاول ملكة مستقلة قوية لها تأثيرها في المناطق المجاورة لها .

تتركز الدراسة حول مملكة إيبلا وعلاقتها مع بلاد الرافدين في عصر نصوص المملكة والذي يطلق عليه مريدخ ، والذي يؤرخ بحدود (٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م) واعتمدت في هذه الدراسة على المعلومات التي قدمتها نصوص مملكة إيبلا وعلى كتابات بلاد الرافدين فضلاً عن المكتشفات الآثرية في إيبلا ، كان توجه إيبلا السياسي والاقتصادي انذاك نحو الفرات وسهوله الغنية ، رغم وجود علاقات وتجارة كبيرة مع الغرب السوري ، اذ اصبحت ثقافة وحضارة

الاشوريين مراكز تجارية في جميع الاناضول منذ مطلع القرن التاسع عشر ق.م .

موقعها وتاريخها .

تقع مدينة إيبلا في شمال سورية يعرف موقعها الحالي باسم تل مريخ الواقع بالقرب من بلدة سراقب على بعد (٥٥ كم) جنوب غربي حلب .^(١) كانت خلال النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد عاصمة مملكة سميت باسمها . وامتدت من البحر المتوسط في الغرب الى نهر الفرات في الشرق ، ومن جبال طوروس في الشمال الى سهول حماه ، وحمص في الجنوب . وارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع بلاد الرافدين ومصر وآسيا الصغرى وقبرص .^(٢)

ان هذا الموقع جعلها تتمتع بمكانه استراتيجية مهمة بالنسبة للاتصال بين نهر الفرات والبحر المتوسط ، فمدينة إيبلا تسيطر على الممر المؤدي الى نهر العاصي عبر جسر الشغور ومن ثم الى الساحل عبر جبال النصيرية .^(٣)

سورية متجانسة ، مركزها الشمال والشمال الشرقي وسوف تراث اشور هذا الميراث الغني بعد اقل من قرنين من سقوط إيبلا بأيدي الاكديين وسيكون ومن المصادر المهمة التي استخدمتها في كتابة البحث .

هورست كلينغل ، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠ - ٣٠٠ ق.م ، وكذلك فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين والاردن ، وكذلك استخدمت الاشقر الاسد ، الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ونشوء العالم العربي ، ج ١ ، وكذلك احمد علي اسماعيل علي ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، وكذلك طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل ، ج ٢ ، واستخدمت مرعي ، عيد ، رحله في عالم الآثار آثاريون ومدن اثرية ، ط ١ ، وعدد من المصادر المهمة التي لها علاقة بالموضوع . هذا بحثي وعسى ان ينال رضاكم والله الموفق .

مدينة إيبلا وعلاقتها السياسية والاقتصادية مع بلاد الرافدين .

كما انها سيطرت على مصادر الاخشاب من جبال الزاوية والنصيرية وسمعان من جهة الغرب وحجر الكلس والبالزت من جبل الحصى في الجزء الشمالي الشرقي فضلاً عن ذلك الفضة في جبال الامانوس . (٤)

اذ تتمتع بمناخ البحر المتوسط ، فالامطار تسقط عليها سنوياً بمعدلات عالية نسبياً ، ورياح باردة جافة قادمة من الشمال ، مما كان له أثر على مواردها الغذائية . (٥)

فقد امتازت الوديان وسفوح الجبال في جهة الغرب والسهوب في جهة الشرق بغزارة العشب ، لذلك يعتقد ان إيبلا كانت تتمتع بمراع واسعة الامتداد لرعي اعداد كبيرة من قطعان الالغنام والماشية والماعز . (٦)

فضلاً عن ذلك فان ارض مدينة إيبلا صالحة للزراعة الجافة التي تعتمد على الامطار وليس على نظام الري ، فقد كانت الاحواض والابار هي الطريقة الوحيدة لحفظ المياه (٧) ، فضلاً عن اعتمادها على المستقعات والانهر الصغيرة

القريبة منها ، وهي غير كافية لقيام الزراعة المعتمدة على الري ، فضلاً عن انها تقع على حافة الصحراء والتي تتمتع بترتها متوسطة الخصوبة ، لهذا يعتقد ان الزراعة في مدينة إيبلا كانت محدودة (٨) ، وعلى الرغم من ذلك ساعدتها عوامل المناخ على زراعة القمح والشعير والكروم واشجار الزيتون في حدودها الغربية . (٩)

اذ تعد هذه العوامل التي يتمتع بها الموقع ساعدت مملكة إيبلا على توسعها الاقتصادي والتجاري وبالتالي بروزها كقوة سياسية في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد . (١٠)

اثبتت الحفريات الاثرية ان الاستيطان في تل مريخ بدأ في الالف الرابع قبل الميلاد . (١١) وشهدت مدينة إيبلا التي قامت في هذا التل عصرين من الازدهار الاول في النصف الثاني من الالف الثالث (نحو ٢٥٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م) والثاني ما بين (٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م) (١٢) كانت إيبلا في العصر الاول مملكة مستقلة قوية لها تأثيرها في المناطق المجاورة ، انتهى هذا

العصر على ايدي ملوك اكد (نرام سين) الذين دمروا اجزاء كبيرة من المدينة وانهوا دورها كقوة مهيمنة في شمال سورية^(١٣) ، الا انها عادت الى الازدهار من جديد في النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد . مع تنازلها عن السيادة السياسية لمدينة حلب القريبة منها التي اصبحت عاصمة مملكة يماهن التي ورثت مملكة إيبلا في شمال سورية .^(١٤)

انتهى هذا الدور على ايدي الحثييين ، سادة آسيا الصغرى الذين سيطروا على شمال سورية ووصلوا الى بابل في بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد .^(١٥)

التنقيبات الاثرية في إيبلا .

اجريت بعثة اثرية إيطالية من جامعة روما برئاسة باولوماتييه (p. matthiae) التنقيب في تل مريخ في العام ١٩٦٤ . وفي العام ١٩٦٨ عثرت على جذع تمثال لاحد ملوك إيبلا الذي حكم خلال الفترة ما بين ٢٠٠٠ - ١٩٠٠ ق.م .^(١٦)

لقد اجريت التنقيبات في عام ١٩٥٧ في مدينة إيبلا وكان اكتشاف القصر الملكي^(١٧) ، الذي جرى العثور بين انقاضه على اثنين واربعين لوحا طينيا منقوشا على الحجر المسماري ، وفي العام نفسه عثر على المكتبة الملكية^(١٨) ، وقد صنفتم بحسب مواضيعها العجمية (الادبية والقضائية والادارية) والقسم الاعظم منها كان مسك الدفاتر وتسجيل حسابات تتعلق بشؤون المال والاقتصاد ، الى جانب قسم محدود نسبياً من النصوص الشرعية ، اما النصوص التي تعالج مسائل سياسية فهي نادرة للغاية يبلغ عدد هذه الرقم (١٦٥٠٠ رقم) منها ١٨٠٠ رقم كاملا ونحو عشرة الاف كسرة كبيرة او صغيرة ، فضلاً عن اهم المكتشفات الآثرية التي تم العثور عليها في داخل القصر هي مجموعة من الحلبي الذهبية وبعض اكمال النحت البارز على الحجر والخشب^(٢٠) ، وكذلك كميات من اللازورد الطبيعي وعدد من الصفائح الذهبية التي كانت تزين اثاث القصر ، ويبدو ان هذه المجموعة النفيسة من الآثار قد قدمت للقصر كهدايا او كانت تجبي كضرائب

خصوصاً كمعدن الذهب^(٢١) . كما عثر على تماثيل منحوتة نحتاً مركباً من عدة مواد منها الحجر والخشب والصدف والذهب ، اما الفخار فقد عثر على انواع عديدة من اوانيه المصنوعة على دولاب الخزف واهم اشكاله الاقداح والاكواب فضلاً عن القدور والجرار التي تستعمل للنقل والخرن ومن الجدير بالذكر ان فخار إيبلا متأثراً بمواصفاته الفنية بفخاريات فلسطين اذ انتقلت اليه هذه التأثيرات عبر مدينة قطنه .^(٢٢)

كانت إيبلا تحكم من قبل حكام ملوك ، وكان ولي العهد يدير القضايا الداخلية ، بينما يدير الامير الثاني السياسة الخارجية . وأشارت الوثائق المكتشفة الى ان الحكام كانوا قد اتخذوا عدة زوجات ، واكدت ان احدهم قد انجب ثمانية وثلاثين ولداً ، وكان يعطي اولاده عندما يكبرون ولاية المقطعات او يعطيهم عند الزواج مدناً كمهر لزواجهم . اما العدالة في إيبلا فكانت تطبق من قبل كاهن .^(٢٣)

اما المرأة والزواج في إيبلا تدل الالواح المكتشفة ان مدناً قد قامت بمثابة مهر الزواج اميرات (ابليات) ، كتلك التي تتضمن مرسوما ملكياً يشير ان مدينة (إيجار) على الفرات كانت قد اهديت الى احدى اميرات إيبلا^(٢٤) ، واعتبرت مهراً لزواجها . فضلاً عن ذلك اشار الباحثون ان شعب إيبلا اعتمد قانوناً يعالج الحالات المتصلة بالعلاقات الجنسية غير الشرعية ، وكان الجزاء مختلفاً على حسب الجرم ، فمثلاً كانت عقوبة من يضاجع امرأة غير متزوجة غرامة مقدارها ثلاثة ثيران ، تدفع لولي امر الفتاة ، اما اذا كانت الجريمة اختصاباً لفتاة عذراء فتكون العقوبة الرجم حتى الموت ، واكدت على ان المرأة كانت مساوية للرجل على صعيد السلطة ، وفي المناصب الدينية علماً ان التمايز بين النساء في المجتمع الابلوي كان موجوداً فمنهن من كانت في سدة السلطة كالمملكة (زوجة الملك) والاميرات وسيدات البلاط ، وبعضهن كن من الطبقة المتوسطة وبعضهن كن من العامة ، وبعضهن الاخر من الرقيق .^(٢٥)

تولى حكم إيبلا عدد من الملوك

١. اجرش حيبا اول ملوك إيبلا ، يذكر ان اسمه حوري وليس سامي ، خلفه في الحكم ابنه ابيت ليم . (٣١)
٢. ابيت ليم هو ابن جريش حيبا ، حكم ما بين (٢٠٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) اسم هذا الملك عموري بخلاف اسم والده ، وفي عام (١٩٦٨م) تم اكتشاف تمثال تذكاري ، كان مشفوعا بكتابه مسمارية تتضمن اسم هذا الملك . (٣٢)
٣. جريش حلم حكم حوالي (٢٤٠٠ ق.م) وهو الذي انشأ القصر الملكي وفي ذلك وثائق موجودة .
٤. اراينوم حكم بحدود (٢٣٤٠ ق.م) وفي عهده اصبحت ماري تابعة لإيبلا ، واصبحت اكد تابعة لنفوذ اثناء حملته التي شنّها على الفرات بقيادة أنا - داغا ، الذي حمل لقب داغا ، فمثلا نفهم من وثيقة الحمة العسكرية ، التي كتبها (انا دجن) ان ملك إيبلا (أراينوم)فتح ماري ، واطاح

ان إيبلا القوية ، التي بلغ تعدادها (٢٦٠) الف انسان كانت قد توسعت حتى حدود سيناء في الجنوب وتشتمل على سورية وفلسطين ولبنات وقبرص ، فضلاً عن بلاد الرافدين ، اخيرا ان اكتشاف إيبلا ذو أهمية لكل العرب (٢٧) ، لانها تكشف وبصدق عن عمق الجذور للحضارة العربية سواء كانت اكدية ام فينيقية ام مصرية . (٢٨)

نظام الحكم والادارة في إيبلا .

يعود تاريخ مدينة إيبلا التي تظهر كمملكة قوية مزدهرة فيها يقارب (٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م) (٢٩) الى تاريخ اقدم فالازدهار الذي بلغته هو نتاج مراحل قديمة وطويلة فقد وجدت الحياة فيما في النصف الثاني من الالف الرابع قبل الميلاد وربما قبلها بدليل الآثار المكتشفة فيها والمؤرخة الى (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) تقريبا . وقد اخذت بالتطور مع مطلع الالف الثالث قبل الميلاد ، والذي ربما ظهرت فيه اولى بوادر التنظيم الاداري في مدينة إيبلا . (٣٠)

بملكها (إيلوم إيل) ونصب نفسه ملكا على ماري . (٣٣)

٥. اركب دامو في عهده توسعت علاقات إيبلا الخارجية ، ووصل نفوذه حتى شمال إيران ، وفي عهده كان الدمارقي إيبلا قد لحقها ، ويذكر ان ملك إيبلا (اركب - دامو) كان محاصرا الملك زيزي حمازي ، اذ كان يرسل له اثاثا ثميناً ، ويخاطبه بكلمة (اخي) ، (٣٤)

علاقات إيبلا الدولية .

أكدت الوثائق المسمارية التي خلفها سرجون الاكدي (٢٣٠٠ق.م) ان جيوشه وصلت مدينة إيبلا البعيدة في حملته الرابعة والثلاثين ، علما ان وثائق إيبلا لا تذكر اسم سرجون ولا اسم نرام سن ، انما تذكر اسم مدينة كيش ، وانما كانت على علاقة حسنة معها ، وان الامبراطوية الاكدية في عهد سرجون كانت قد شملت إيبلا وما بعدها ، كما ان نرام سن هو الذي قضى على إيبلا ودمرها . (٣٥)

اما عن علاقات إيبلا مع مصر فقد عثر في انقاض القصر الملكي على عدد من الاواني الحجرية المصرية من جملتها زبدية من حجر الداويريت ، تحمل اسم الفرعون خفرع ، وغطاء آنيه من الاباتر تحمل اسم الفرعون بيبى الاول (الاسرة السادسة) المميزة ولم يعثر على هذه الاواني خارج مصر الا في جبيل على الساحل السوري . (٣٦)

ومعروف ان جبيل كميناء على الساحل ، كانت على علاقة تجارية مع مصر وكانت جبيل تابعه للمصريين خلال هذه المرحلة ، ولما كانت الوثائق التي اكتشفت في إيبلا لا تذكر اسم الفراعنه المصريين الوارد ذكرهم ، لذلك يمكن ان تعد هذه الاواني (٣٧) ، قد قدمت أمّا هدية لملوك إيبلا او انها كانت غنيمة حرب ، او ان النصوص المكتشفة في إيبلا لم تذكر مثل هذه العلاقة ، ولم يعثر عليها بعد لان الكثير من الرقم كان مهشما ، وبعضها الاخر مكسرا الى قطع ، ولم يصل احد بعد الى حل لترجمة مثل هذه الرقم . اذ

كانت روابط حسنة بين إيبلا ومصر ، لان إيبلا كانت في حرب مع الكلدانيين ، مما يجعل علاقتها جيدة مع مصر وقد تكون لحيل والقوات المصرية المقيمة فيها دور بارز ومهم في هذه العلاقة . (٣٨)

علاقات إيبلا السياسية مع بلاد الرافدين

علاقة مملكة إيبلا مع الامبراطورية الاكدية

اثبتت الوثائق المكتشفة مؤخرا في إيبلا ان هذه الدولة كانت قد لعبت دورا أساسيا في صراع الدولة الاكدية في بلاد الرافدين فقد ذكرت هذه النصوص ان إيبلا كانت قد حققت انتصارات على دولة ماري (تل الحريري) وكان سبب النزاع بين الدولتين ، هو السيطرة على طريق التجارة ، الذي هو نهر الفرات والذي تقع على ضفافه مدينة ماري . (٣٩)

اما الدافع الاساسي للصراع بين مملكة إيبلا ومملكة اكد (٤٠) ، فكان يمكن في السيطرة على تجارة المعادن المستخرجة من الاناضول ، وتجارة الخشب من غابات الساحل السوري ومن

المعروف ان المعادن والخشب كانت المواد الاساسية التي قامت عليها الحضارة في بلاد الرافدين ، حتى ان اكد في بعض مراحلها اضطرت الى دفع الجزية الى ملوك إيبلا ، لذلك عندما حاولت إيبلا سد المنافذ على اكد في عقر دارها كان رد الفعل عند الملك الاكدي نرام سن قويا وعنيفا لذلك جهز قواته وهاجم إيبلا ، فأحتلها ودمرها واحرق قصرها . (٤١) ويعد مؤسس السلالة الاكدية سرجون بحق واحدا من اعظم القادة السياسيين والعسكريين في التاريخ القديم فيعد النصر الساحق الذي حققه على المدن السومرية وانتهى بتوحيدها ، وجه نشاطه الى الفتوحات الخارجية (٤٢) ، وقد بلغت المعارك التي خاضها اربعا وثلاثين معركة حربية قد اتجه فيها باتجاهين الاول تحرك نحو الغرب والآخر نحو الشرق والذي يهمننا هو حملته المتجهة نحو الغرب والتي استطاع فيها من خلال سلسلة من المعارك باخضاع المدن الواقعة على طول نهر الفرات والاستيلاء على بلاد الشام وضمها الى امبراطوريته الجديدة . (٤٣).

علاقة مملكة إيبلا مع كيش

تقع مدينة كيش (تلال الاحيمر) ، شرق مدينة بابل على بعد عدة كيلومترات ، وتؤرخ آثارها الى عصر فجر السلالات ويذكر اثبات الملوك السومرية بان الملوكية نزلت ثانية بعد الطوفان في مدينة كيش ، ولقد كان لهذه المدينة دور سياسي بارز في عصر السلالات ، اذ يعد ملوك هذه السلالة نجحوا في تحقيق الوحدة الداخلية للبلاد في هذا العصر المبكر من تاريخ البلاد فيما يقارب (٢٨٠٠ ق.م) . (٤٤)

وقد تكرر ذكر مدينة كيش بالاخص عن باقي مدن بلاد الرافدين في نصوص مملكة إيبلا ، وان النصوص التي تذكر اسم كيش هي عبارة نصوص اقتصادية تتحدث عن التجارة والتجار وعمليات الاستلام والتسليم من بضائع مختلفة بالاخص الملابس والمنسوجات من مدينة إيبلا الى مدينة كيش وبالعكس (٤٥) ، ويمكن الاستنتاج من بعض النصوص بان هناك علاقة صداقة وليس هناك ما يشير الى أي نزاع حصل بين

الطرفين والنص الوحيد الذي يمكن من خلاله وضع تصور عن علاقات سياسية جيدة بين مملكة إيبلا ومدينة كيش الذي يذكر تخصيص هدايا وهي عبارة عن قطع من الملابس (٤٦) ، كما ان هناك نصا يذكر فيه تخصيص ملك مملكة إيبلا هدايا تتمثل بكميات من الفضة والذهب الى ملك كيش الذي لم يذكر اسمه والى الشيخ ومنشدي المدينة واخوة الملك وأبنائه ، فالملك ابي - زكير كان يعمل على استمرار علاقاته الدبلوماسية بملوك كيش وذلك بتجهيز الرحلات الذهابية الى مدينة نجر ومدينة كيش بالهدايا الثمينة الى ملوك المدينتين (٤٧) ، فضلاً عن ذلك فأبي - زكير كان يزور مدينة كيش ، وكان المواطنون الإيبلايون يزورونها ايضا ويقطنون فيها (٤٨).

كل هذه المعلومات التي حصلنا عليها بأن العلاقة بين مملكة إيبلا وكيش كانت علاقة صداقة ويستبعد ان تكون كيش هي المسؤولة عن تدمير القصر الملكي في مدينة إيبلا كما يعتقد بعض

دول بلاد الرافدين والشرق الاولي القديم فأن العقد قد اختتم بعبارات تحذير الموقعين من لعنات الآلهة التي ستزل بمن يخل بمحتوى الاتفاق^(٥٢).

وقد خلف عصر سلالة اور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م) عدد كبير من النصوص الاقتصادية بعضها مصدره مدن مثل لكش ودرهم ، يشير الى استمرار الاتصالات التجارية مع سورية ، ومما لا شك فيه ، انه يعزى تلك الاتصالات الى نموذج معجم من مفردات من اور ، عثر عليه في جبيل .^(٥٣) الى جانب الاشارات في النصوص الاقتصادية ، هناك نقش لملك شو - سين (shu sin -) (٢٠٣٦ - ٢٠٢٨ ق.م) الذي وصل الينا بوصفه نسخه بابلية قديمة ، عن نقش اصلي تذكراري ، وفيه ذكر لاسماء جغرافية من سورية ، فضلاً عن ذلك فأن سلالة او الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م) كانت على علاقات اقتصادية ، وربما سياسية وطيدة مع مدن عديدة مثل ايبلا واورشو .^(٥٤)

الباحثين . اذ لم تأت نصوص مملكة إيبلا على ذكر اسم أي ملك من ملوك كيش فقد تذكر اللقب EN و Lugal للإشارة الى ملوك كيش باستثناء ذكر اسمي شخصين هما اشقاء ملك كيش Bususum، Irisum^(٤٩) ، لذلك ليس هناك اي اسم من اسماء الملوك الذين حكموا كلا من كيش ومملكة إيبلا يمكن من خلاله وضع مقارنه لمعرفة التعاصر الزمني لهما .^(٥٠)

وهناك نص من المرحلة نفسها تقريبا (السنة السابعة لحكم امار - سين) عثر عليه في دريهم ، فضلاً عن الشواهد الاخرى التي جرى اكتشافها في قطنه (المشرفه قرب حمص) اذ تظهر بوضوح التأثيرات السومرية في عماره (معبد ننجال) وفي آثار اخرى^(٥١).

علاقات إيبلا مع بلاد آشور

تشير نصوص إيبلا الى العديد من المراكز التجارية التي اشركت إيبلا وآشور في انشائها في الاناضول والشمال السوري وتشير الى علاقتها التجارية ، وكما كان معتادا في كل العقود في

العلاقات الاقتصادية بين مملكة إيبلا وبلاد الرافدين

اعتمد اقتصاد مملكة إيبلا على ثلاث أركان رئيسية هي ، التجارة والصناعة والزراعة وتربية الماشية ، وقد شكلت هذه الأركان متانة اقتصاد المملكة وازدهار.^(٥٥)

١. التجارة : يتضح من خلال نصوص مملكة إيبلا ان التجارة كانت ركنا أساسيا مع
٢. أركان الاقتصاد الإيبلائي ، وهناك عدة عوامل ساعدت على قيامها وازدهارها ومنها الموقع الممتاز لمملكة إيبلا ، فهي تقع عند محور تقاطع طرق التجارة الخارجية الرئيسة بين بلاد الرافدين في الشرق والبحر المتوسط في الغرب وبلاد الأناضول في الشمال وبلاد النيل في الجنوب وقربها من مصادر الثروة المتمثلة بغابات الجبال الساحلية وجبال لبنان الشرقية والغربية ولأمانوس وطوروس الفنية بالمواد الأولية ^(٥٦) ، وهي أشجار الصنوبر والسرو والأرز فالمصادر الكتابية من بلاد الرافدين وبلاد النيل ، تشير الى

أهمية خشب لبنان في كل العصور التاريخية وتحدثت عن حملات عسكرية وبعثات تجارية للحصول على الأخشاب المرغوبة جدا في بلاد الرافدين وبلاد النيل لبناء القصور والمعابد ^(٥٧) ، بسبب مقاومتها وطولها مما مكن مملكة إيبلا من جني أرباح من وراء ذلك ، وكانت أيضا تتحكم بطريق تجارة المعادن الثمينة وبالأخص الفضة والذهب من جبال طوروس في بلاد الأناضول الى بلاد الرافدين عبر شمال بلاد الشام ، وبذلك أصبحت كل تلك العوامل المميزة سببا في ان تكون تجاريا مهما . ^(٥٨)

وقد تنوعت البضائع والمنتجات التي جاءت على ذكرها نصوص مملكة إيبلا التي من خلالها يمكن الاستدلال على نوع المواد التي تدخل في تجارة إيبلا في عمليتي الاستيراد والتصدير ، ويمكن تميز نوعين : النوع الأول المنتجات المحلية وتشمل على المنتجات الزراعية والملابس والاثاث الخشبي ، فالمنتجات الزراعية ^(٥٩) ، كانت متنوعة ومنها زيت الزيتون والعنب ومختلف أنواع الحبوب ، والتي كان قسم منها مخصصا

زراعة الاشجار والزيتون ومن المعلوم ان زراعة الحبوب تحتل القسط الاخر من الارض ، تليها زراعة اشجار الزيتون ثم زراعة الكرمة^(٦٢).

إنَّ الزَّراعة في إيبلا كانت مرهونة بدرجة الامطار وكان عليها ان تلي الحاجة الداخلية ، وإن الزراعة وتربية الحيوانات كانت تشكلان اقتصاداً متمماً في إيبلا في الوقت نفسه عدتاً أساس تفتح إيبلا في الالف الثالث قبل الميلاد ، ولحفظ الانتاج الزراعي والغذائي صمم شعب إيبلا مخازن كبيرة وصغيرة لذلك ، وكشف عن بعضها في اكبر المباني وخاصة القصور ، لان القصور كانت منشأة متعددة الوظائف ان الجمع والتوزيع ومعالجة الموارد كانت تجري في ممرات محدودة داخلية لحياة الافراد ، كافيه لحاجات العاملين والمقيمين .^(٦٣)

ان ترتيب المستودعات وامكن معالجة الموارد سواء كان ذلك في الالف الثالث قبل الميلاد ام في الالف الثاني قبل الميلاد ، دليل على ذلك محفوظة للنخبة الملكية والدينية او الضيوف

لسد حاجة القصر الملكي وسكان المملكة والقسم الاخر وجد طريقة الى تصدير نحو المناطق الخارجية ، اما بالنسبة الى المنتجات والملابس فقد كانت اكثر ذكرا في النصوص الاقتصادية وهي على انواع متعددة سواء الكتانية او الصوفية وغيرها ، وكانت هذه المنسوجات واللبسة تزود بها القوافل الذاهبه الى المدن الاخرى لغرض التجارة ، او توزع احيانا الى بعض الموظفين ورجال القصر او ترسل الى حكام المدن والبلدان كهدايا .^(٦٠)

الزراعة وتربية الماشية

ان القرى التي كانت مرتبطة بمدينة إيبلا ، كانت تدفع الضرائب على شكل قسم من الانتاج الزراعي والحيواني ، فضلاً عن تقديم الايدي العاملة علما ان الزراعة كانت اكثرها محلية والمروي منها كان في منطقة محدودة ، فضلاً عن زراعة الحبوب في اراضي إيبلا ، فضلاً عن زراعة الزيتون^(٦١) ، والوثائق التي اكتشفت في إيبلا تعد من اقدم الوثائق التي عالجت موضوع

البارزين ، كما تؤكد النصوص بشكل غير مباشر في الالف الثالث قبل الميلاد .^(٦٤)

ان النصوص المكتشفة في إيبلا توضح مجموعة من الامور هي النصوص الاقتصادية الادارية ، التي تم الكشف عنها ، تزودنا باسماء مئات الاماكن وغالبية تلك الاماكن هي قرى صغيرة او حتى مزارع ، اي ان النصوص تشير الى استيطان كثيف ساعد على ازدهار الانتاج الزراعي في منطقة إيبلا وما حولها^(٦٥) .

كما تشير النصوص الاقتصادية والادارية المكتشفة على وجود تقدم اجتماعي مبني على القدرة الانتاجية للمنطقة ، كما تظهر تنظيم المجتمع اجتماعيا وسياسيا ، وكما اظهرت النصوص المكتشفة ان إيبلا برزت كمركز اقتصادي وسياسي لها حق الاشراف على اجزاء من سورية الشمالية ، وكان لها علاقات تجارية تجاوزت نهري العاصي والفرات ، لانها كانت تحتل مركزاً متوسطاً للعلاقات التجارية ، فتلك العلاقات كانت تتحقق بواسطة اشخاص مسؤولين

عن مستوطنات مختلفة ، وكان يستقبلون كأشخاص لهم صفة سياسية ايضاً ،^(٦٦)

كما اظهرت النصوص المكتشفة ان إيبلا كانت محطة على طريق اللزورد بين افغانستان ومصر ، يستطيع تجار المناطق المجاورة ان يبادلوا بضائعهم النفسية بها ، مما يؤكد ان إيبلا كانت مركزا للتبادل التجاري والبضائع التي تصل من بعيد تمر عبر سلسلة من المراكز الهامة ، من بينها إيبلا وماري ، وعلى الرغم من تقليص دور إيبلا سياسيا وتراجع حدودها الى منطقة صغيرة ، الا انها لم تفقد اهميتها كمركز اقتصادي في شمال سورية .^(٦٧)

اما بالنسبة للمواشي ، فان الهضاب الواقعة في الغرب والبادية الواقعة في الشرق ، سمحت بمزاولة الرعي ، وتعد تربية الماشية من الدعائم المهمة لاقتصاد مملكة إيبلا الى جانب الزراعة ، فقد كانت تقوم المملكة في اراضي صالحة للرعي سواء الاراضي الشرقية شبه الصحراوية^(٦٨) ، او الهضاب وسفوح الجبال الواقعة في جهة الغرب ،

وكان الغطاء النباتي في الماضي افضل مما هو عليه الان حسبما اثبتت الدراسات والبحوث العلمية ذلك وتذكر النصوص التي بلغ عددها تقريبا (٣٧) نصا ، اما موضوع الماشية فيذكر فيها مئات الالاف من رؤوس الاغنام وعشرات الالاف من رؤوس الاغنام وعشرات الالاف من رؤوس الابقار فضلاً عن انواع اخرى من الحيوانات مثل الماعز والخنازير على انها تابعة الى القصر فيتم احصائها من قبل الموظفين المسؤولين ، وبالرغم من تلك الاعداد الكبيرة من الماشية والتي كانت ترعى في اراضي مملكة إيبلا حسبما تذكرها النصوص الا ان مملكة إيبلا استوردت حيوانات من مدن اخرى كما يظهر في عشرات النصوص مقابل البسة او كميات من الذهب او الفضة (٧٠) ، وقد تبين من خلال المقارنة التي اجراها احد الباحثين بين نصوص مملكة إيبلا الاقتصادية ونصوص مدينة لكش جنوب بلاد الرافدين اذ تذكر الاولى اعداد كبيرة من الاغنام والماشية واعداد كبيرة من الانسجة المختلفة ، مع مساحات واسعة من الحقول التي

اعتمدت على الري بمياه الانهار بعكس مملكة إيبلا التي اعتمدت زراعتها بشكل رئيسي على مياه الامطار مع توفر مساحات شاسعة للرعي (٧١) ، ويمكن القول ان لكش كانت منطقة زراعية بالدرجة الاولى . (٧٢) بينما كانت مملكة إيبلا منطقة رعوية من الدرجة الأولى .

نستنتج مما تقدم كان لاكتشاف مدينة إيبلا ونصوصها أهمية كبيرة ، بالرغم من انها القت الضوء على تاريخ وحضارة الشام في الالف الثالث قبل الميلاد لكنها قدمت لنا ايضاحا اكبر حول مدى اتساع تأثير حضارة بلاد الرافدين على هذه المنطقة وارتباطها المتواصل بحضارة بلاد الرافدين فمن الناحية السياسية قدمت لنا صور عن علاقات مملكة إيبلا بالممالك والمدن المعاصرة لها مثل ماري وايمار ومدن اخرى زودتنا بمعلومات مهمة لم تكن معروفة سابقا حول السلالات الحاكمة في هذه الممالك .

كان دور مملكة إيبلا مهم من ناحية العلاقة السياسية ببلاد الرافدين فقد اظهرت النصوص

ارتباط مملكة إيبلا بعلاقات سياسية يسودها طابع الود والصداقة مع مدن بلاد الرافدين وبالاخص مدينة كيش فقد تميزت هذه العلاقات بانها نوع من العلاقات الدبلوماسية التي تمخضت عن زواج ملك كيش باحدى اميرات إيبلا الا ان المعلومات التي تضمنتها النصوص لم تكن كافية .

فضلاً عن ذلك تأثر مملكة إيبلا بحضارة بلاد وادي الرافدين في الجوانب الحضارية فقد استعارت الكثير منها سواء في الجانب الديني بالرغم من انها قدست آلهه محليه وآلهه جزريه ، كذلك تأثرت بمدارس الفن السومرية والاكديّة بشكل واضح وكبير سواء الاختام الاسطوانية او التماثيل والاثاث الخشبي وبشكل محدود من الناحية المعمارية ولذلك لزوال الغالبية العظمى من البقايا المعمارية .

الخلاصة

كان لاكتشاف مدينة (إيبلا) ونصوصها اهمية كبيرة بالرغم من انها اقيمت الضوء على تاريخ وحضارة الشام في الألف الثالث قبل الميلاد الا

انها قدمت ايضاحاً اكبر حول مدى اتساع تأثير حضارة بلاد الرافدين على هذه المنطقة وارتباطها المتواصل بحضارة بلاد الرافدين فمن الناحية السياسية وبالرغم من قلة عدد النصوص التاريخية الا انها قدمت لنا صور عن علاقة مملكة (إيبلا) بالممالك والمدن المعاصرة لها امثال (ماري) و (ايمار) و(الماريتو) ومدن اخرى .

اما علاقة مملكة (إيبلا) السياسية مع بلاد الرافدين وبالاخص مدينة (كيش) فقد تميزت هذه العلاقات بانها من نوع العلاقات الدبلوماسية التي تمخضت عن زواج ملك (كيش) باحدى اميرات (إيبلا) والأهم من ذلك هو تأثير نظام الحكم بهذه المملكة بأسلوب نظام الحكم في بلاد الرافدين .

اما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي فقد قدمت لنا النصوص صورة واضحة عن النشاطات الاقتصادية لمملكة (إيبلا) والأسس التي اعتمدتها في اقتصادها وبالاخص التجارة التي لقيت دوراً مهماً في بروزها كمملكة قوية ومن ثم الصناعة والزراعة ، وان مملكة (إيبلا) تأثرت بحضارة بلاد

الرافدين في الجوانب الحضارية فقد استعادت
الكثير منها سواء في الجانب الديني وبالرغم من
انها قدست الهه محلية واليه محلية، وكذلك تأثرت
بمدارس الفن السومرية والاكديية بشكل واضح
وكبير سواء الاختام الاسطوانية او التماث

الهوامش :

١. مرعي ، عيد ، رحلة في عالم الآثار ، آثاريون ومدن أثرية ، ط ١ ، روافد الثقافة والفنون ، (سورية - دمشق) ، ٢٠١٠ ، ص ٧١ .
٢. ماتيه ، باولو وآخرون ، إيبلا - عبلاء الصخرة البيضاء ، ١٩٨٤ ، ص ٧ .
٣. جليب ، اجناس ، تباين البيئة بين إيبلا في شمال سورية ولكش في جنوب العراق ، اضواء جديدة على تاريخ وآثار وبلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٤٩ .
٤. Matthiac , p , on the ecomic , eound ations of the early Syrian gultur of ebla hzao , band ii Germany 1 , 1988,18
٥. ماتيه وآخرون ، باولو ، تقرير موجز عن حفريات بعثة جامعة روما في تل مردوخ الموسم الثاني عام ١٩٦٥ ، مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، ترجمة نادر العطار ، مج ، ١٧ / ج ١ ، سورية ، ١٩٦٧ ، ص ١٥١ .
٦. جليب ، اجناس ، تباين البيئة بين إيبلا في شمال سورية ولكش في جنوب العراق ، اضواء جديدة على تاريخ وآثار وبلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٤٩ .
٧. مرعي ، عيد ، رحلة في عالم الآثار ، آثاريون ومدن أثرية ، ط ١ ، روافد والفنون ، (سورية - دمشق) ، ٢٠١٠ ، ص ٧٣ .
٨. مرعي ، عيد ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، دمشق ، ١٩٩٧ ، ص ١٧٦ .
٩. المصدر نفسه ، ص ٨١ .
١٠. Matthiac , D , Eblaan Empiro redis coverd London – Tornado , 1988 , p , 73 .
١١. ماتيه ، باولو وآخرون ، إيبلا - عبلاء الصخرة البيضاء ، ١٩٨٤ ، ص ٨ .

١٢. ماتيه ، بولوا ، تنقيبات البعثة الاثرية الايطالية لجامعة روما في تل مريدخ ، ص ١٥٢ .
١٣. يهلستي ، عفيف ، وثائق إيبلا ، طبع دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٢ .
١٤. القيم ، علي ، امبراطورية إيبلا ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٤ .
١٥. المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
١٦. علي احمد اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٠ .
١٧. القيم ، علي ، امبراطورية إيبلا ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ١٣ .
١٨. ماتيه ، بولوا ، تل مريدخ ، إيبلا ، معرض الآثار السوري الاوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص ٧٦ .
١٩. القيم ، علي ، امبراطورية إيبلا ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ١٣ .
٢٠. علي احمد اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣١ .
٢١. الحوليات الاثرية السورية ، المجلد ٣٣ ، ج ١ ، ١٩٨٣ ، ص ١٢ .
٢٢. علي احمد اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٠ .
٢٣. يهلستي ، عفيف ، وثائق إيبلا ، ص ١٢ .
٢٤. مرعي ، عيد ، إيبلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، ص ٨٢ .
٢٥. الصفدي ، هشام ، تاريخ الشرق القديم ، الوجيز في تاريخ حضارات آسيا العربية ، طبع دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٧ .
٢٦. المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
٢٧. علي احمد اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٤٩ .
٢٨. المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

٢٩. الصفدي ، هشام ، تاريخ الشرق القديم ، الوجيز في تاريخ حضارات آسيا العربية ، طبع دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٧ .
٣٠. الحوليات الاثرية السورية ، مج ٤٠ ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٠ .
٣١. القيم ، علي ، امبراطورية إيبلا ، ص ١٣ .
٣٢. يهلستي ، عفيف ، وثائق إيبلا ، ص ١٦ .
٣٣. علي احمد اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٢ .
٣٤. ماتييه وآخرون ، ١٩٤٨ ، ص ١٤٠ .
٣٥. البني ، عدنان ، الكتابة المسمارية وإيبلا ، مجلة التراث العربي ، العدد الرابع، دمشق ، سورية ، ١٩٨١ ، ص ١٤٠ .
٣٦. نخبة من الباحثين ، العراق في التاريخ ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٣ ، ص ٧٢ .
٣٧. البني ، عدنان ، الكتابة المسمارية وإيبلا ، مجلة التراث العربي ، العدد الرابع ، دمشق ، سورية ، ١٩٨١ ، ص ٣٠ .
٣٨. يهلستي ، عفيف ، وثائق إيبلا ، ص ١٤ .
٣٩. Archi , a the region state of anyar accordln to the texts of ebla in subart . iv, p , 2-3 .
٤٠. ماتييه وآخرون ، ١٩٤٨ ، ص ٣٣ .
٤١. Archi , a more on ebla and kish eblaitica , vol , I , indeiana , 1987,p135 .
٤٢. دانيال ، كلين ، موسوعة علم الآثار ، ترجمة ليون يوسف ، ج ٢ ، بغداد ، العراق ، ١٩٩١ ، ص ٤٨٨ .
٤٣. الحلو ، عبدالله ، صراع الممالك في التاريخ السومري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢٠ .

٤٤. مرعي ، عيد ، رحلة في عالم الآثار ، آثاريون ومدن اثرية ، ص ٧١ .
٤٥. اورشو : وهي من المدن التي تقع في شمال شرق سورية ، وتوجد براهين على وجود الكتابات المسمارية منذ عصر ارسيف إيبلا وسلالة اور الثالثة ، ينظر ، هورست ، كلينغل ، تاريخ سورية السياسي ، ٣٠٠٠-٣٣٠٠ ق.م ، ص ٨١ .
٤٦. المصدر نفسه ، ص ٣٨ .
٤٧. دانيال ، كلين ، موسوعة علم الآثار ، ترجمة ليون يوسف ، ج ٢ ، بغداد ، لاعراق ، ١٩٩١ ، ص ٤٨٨ .
٤٨. مرعي ، عيد ، إيبلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، ص ٣٨ .
٤٩. عبدالله ، فيصل ، تاريخ الوطن العربي القديم ، بلاد الشام ، ص ٤٨ .
٥٠. مرعي ، عيد ، التاريخ القديم ، ط ٢ ، دمشق ، سورية ، ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٦ .
٥١. عبدالله ، فيصل ، تاريخ الوطن العربي القديم ، بلاد الشام ، ص ٤٩ .
٥٢. مرعي ، عيد ، إيبلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، ص ٣١ .
٥٣. الحوليات الأثرية السورية ، المجلد ٤٠ ، ص ١٤٦ .
٥٤. علي ، احمد علي اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ص ١٤٦ .
٥٥. الفنسو ، ارشي ، الزراعة وتربية الماشية في إيبلا ، مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، ترجمة حميد وحمادة ، مج ٤٠ ، سورية ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٧ .
٥٦. مرعي ، عيد ، إيبلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، ص ٣١ .
٥٧. عبدالله ، فيصل ، تاريخ الوطن العربي القديم ، بلاد الشام ، ص ٥٣ .
٥٨. رضوان ، معتصم ، آثار إيبلا (تل مردوخ) وتاريخها في الالف الثالث قبل الميلاد ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، الاردن ، ١٩٩٢ ، ص ٦٧ .

٥٩. مرعي ، عيد ، إيبلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، ص ٣٢ .

٦٠. المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

المصادر :

١. Archi , a more on ebla and kish eblaitica , vol , I , indeiana , 1987.

٢. Archi , a the region state of anyar accordln to the texts of ebla in subart .
iv.

٣. Matthiac , p , on the ecomic , eound ations of the early Syrian gultur of
ebla hzao , band ii Germany, 1988 .

٤. البني ، عدنان ، الكتابة المسمارية وإيبلا ، مجلة التراث العربي ، العدد الرابع ، دمشق ، سورية ،
١٩٨١ .

٥. جليب ، اجناس ، تباين البيئة بين إيبلا في شمال سورية ولكش في جنوب العراق ، اضواء جديدة
على تاريخ وآثار وبلاد الشام ، ترجمة قاسم طوير ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

٦. الحلو ، عبدالله ، صراع الممالك في التاريخ السومري القديم ما بين العصر السومري وسقوط
المملكة التدمرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ .

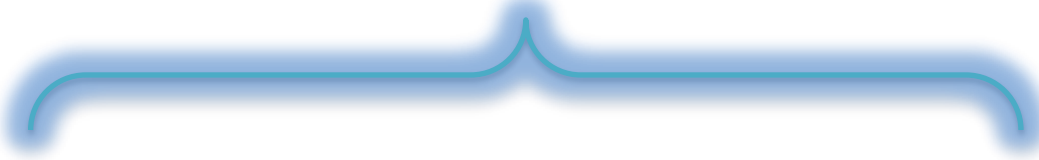
٧. الحوليات ، الاثرية السورية ، مج (٤٠) ، ١٩٩٠ .

٨. الحوليات الأثرية السورية ، المجلد (٣٣) ، ج ١ ، ١٩٨٣ .

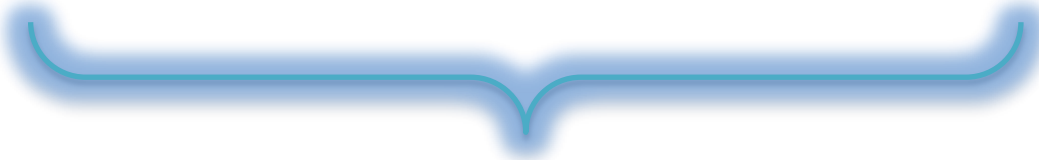
٩. دانيال ، كلين ، موسوعة علم الآثار ، ترجمة ليون يوسف ، ج ٢ ، بغداد ، العراق ، ١٩٩١ .

١٠. رضوان ، معتصم ، آثار إيبلا (تل مريدخ) وتاريخها الالف الثالث قبل الميلاد ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، الاردن ، ١٩٩٢ .
١١. الصفدي ، هشام ، تاريخ الشرق القديم (الوجيز في تاريخ حضارات آسيا العربية ، طبع دمشق ، ١٩٨٤ .
١٢. عبدالله ، فيصل ، تاريخ الوطن العربي القديم ، بلاد الشام .
١٣. علي ، احمد علي اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام القديم ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٨٨ .
١٤. الفونسو ، ارشي ، الزراعة وتربية الماشية في إيبلا ، مجلة الحوليات العربية في سورية ترجمة حميد وحماة ، مج ٤٠ ، سورية ، ١٩٩٠ .
١٥. القيم ، علي ، امبراطورية إيبلا ، (دمشق - ١٩٨٩) .
١٦. القيم ، علي ، امبراطورية إيبلا ، ١٩٨٨ .
١٧. ماتيه ، بالو وآخرون ، إيبلا ، عباء الصخرة البيضاء ، ترجمة قاسم طوير ، ط ١ ، سورية ، ١٩٨٤ .
١٨. ماتيه ، باولوا ، تل مريدخ ، إيبلا ، معرض الآثار السوري الأوربي ، (دمشق) ، ١٩٩٦
١٩. ماتيه ، باولوا ، تنقيبات البعثة الاثرية الايطالية لجامعة روما في تل مريدخ الموسم الاول عام ١٩٦٤
٢٠. مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، ترجمة عدنان الجزبي ، مج. ٢ ، سورية ، ١٩٦٥ .

٢١. ماتيه وآخرون ، باولوا ، تقرير موجز عن حفريات بعثة جامعية روما في تل مريخ الموسم الثاني عام ١٩٦٥ ، مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ، ترجمة نادر العطار ، مج ١٧ ، ج ١ ، سورية ، ١٩٦٧ .
٢٢. مرعي ، عيد ، إيبلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، ١٩٩٩، ٢٠٠٠ .
٢٣. مرعي ، عيد ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سورية ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٢٤. مرعي ، عيد ، رحلة في عالم الآثار ، آثاريون ومدن أثرية ، ٢٠١٠ .
٢٥. مرعي ، عيد ، رحلة في عالم الآثار ، آثاريون ومدن أثرية ، ط ١ ، روافد والفنون ، (سورية - دمشق) ، ٢٠١٠ .
٢٦. مرعي ، عيد ، رحلة في علم الآثار ، آثاريون ومدن أثرية .
٢٧. نخبة من الباحثين ، العراق في التاريخ ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٣ .
٢٨. هورست ، كلينغل ، تاريخ سورية السياسي ، ٣٠٠٠-٣٣٠٠ ق.م .
٢٩. يهلستي ، عفيف ، وثائق إيبلا ، (طبع دمشق - ١٩٨٤) .



محور الدراسات المتفرقة



عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

دراسة ميدانية في عدد من المحافظات العراقية

أ.م.د. طالب عبد الكريم كاظم

اضطرت الظروف المأساوية التي يعيشها العراق اليوم الكثير من الأطفال الى النزوح الى سوق العمل لتحمل مسؤولية الإعالة وهم في عمر الزهور ، فقد اجبرت ظروف الفقر والفاقة واليتم والتهجير القسري هؤلاء الأطفال لممارسة أعمال ومهن شتى لا تتناسب وأعمارهم وقدراتهم النفسية والبيولوجية ، ولا تقي بالحد الأدنى لمتطلبات المعيشة . لقد تمخض عن ظروف الحروب والحصار الاقتصادي اوضاعاً معيشية متردية افرزت العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والامنية والسياسية ومنها مشكلة عمالة الاطفال في بلد يطفو على بحيرة من النفط ، الا انه يتصدر قائمة الدول الاكثر فقراً في العالم .

ان الظاهرة المدروسة محل البحث تشير الى مجموعة من النشاطات والاعمال التي تتعارض كلياً مع قوانين العمل النافذة ، كما انها تتعارض مع حق الطفولة في التعليم والرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية ، كما انها تلقى رفضاً اجتماعياً وعلى مختلف الاصعدة الرسمية منها وغير الرسمية . فضلاً تتعارض ايضاً مع الشروط والالتزامات الدولية التي تضمنها الاعلان العالمي لحقوق الطفل ، بالإضافة الى انها تقع خارج نطاق المضمون الاجتماعي لعملية التنمية . انها ظاهرة اجتماعية معقدة تتشابك فيها عدة عوامل ترتبط بهشاشة البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع لاسيما تلك المتعلقة بالأسرة والطفولة .

ان غياب تفعيل القوانين والتشريعات المتعلقة برعاية الطفولة ، فضلاً عن عدم الجدية بتطبيق مضامينها التي تفرض على الدولة ضرورة القيام بواجباتها تجاه هذه الشريحة المهمة عندما تعجز الاسرة عن القيام بتلك المهمة ، فأن ذلك سوف يفضي الى تفاقم المشكلات المصاحبة لمرحلة الطفولة ، الأمر الذي ينكس بدوره على مستقبل الاسرة والطفولة والمجتمع بأسره .

في مفهوم عمالة الأطفال :

تعارف الخبراء والمختصون على أن مفهوم عمالة الأطفال يتكون من شقين أساسيين هما : العمل والطفل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم العمل كما صدر في العديد من الدراسات والمواثيق الدولية : (أنه الجهد أو الطاقة الجسدية والذهنية لأداء مهمة معينة).^(١) في حين تعرف اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٨٩ الطفل بأنه كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.^(٢)

أما مفهوم عمل الطفل فيُقصد به توظيف الطفل مقابل أجر، وهو بمعنى آخر: كل نشاط مأجور يقوم به الطفل يعود بالنفع على الآخرين (من أفراد أسرته) ، سواء كان هذا النفع مادياً أو معنوياً.^(٣) كذلك يعرف عمل الأطفال بأنه كل شكل من أشكال النشاط الاقتصادي الذي يمارسه الأطفال ، والذي يحرمهم من كرامتهم ويضر بنموهم الطبيعي ، والنفسي ويضع أعباءً ثقيلة على الطفل ،

وفي ضوء ما تقدم فإن هذه الظاهرة تلقى رفضاً اجتماعياً وقانونياً قاطعاً ، ناهيك عن الآثار الاجتماعية والنفسية الجسيمة والاضطرابات الكبيرة التي يتعرض لها هؤلاء الاطفال نتيجة لامتهانهم هكذا اعمال ومهن مرهقة . لذا فإن دراسة هذه الظاهرة ومحولة التعرف على الاسباب والعوامل التي تقف خلفها والآثار الناجمة عنها لا بد ان يلقي دعماً اكبر .

ان ظاهرة عمال الاطفال في العراق اليوم تمثل إحدى الصور المؤلمة التي تهز ضمير الانسان العراقي . ولخطورة هذه الظاهرة وما لآثارها المدمرة على حياة المجتمع تحاول الدراسة التعرف عن كثب على طبيعة وانماط المهن التي يمارسها هؤلاء الاطفال والوقوف على الاسباب والعوامل التي تكمن وراءها والآثار المترتبة عليها من خلال الدراسة الميدانية لعينة ضمت (١٦٠) طفلاً عاملاً توزعوا على عدد من المحافظات العراقية . ويأمل الباحث ان تسهم نتائج هذه الدراسة في تقديم بعض الحلول والمعالجات التي تحد من آثار هذه المشكلة .

(٤). ويُقصد به أيضاً العمل الذي يستفيد من ضعف الطفل وعدم قدرته في الدفاع عن حقوقه. (٥) كما يعرف بأنه العمل الذي يستغل عمل الأطفال كعمالة رخيصة بديلة عن عمل الكبار. (٦) وكذلك يعرف بأنه العمل الذي يستخدم وجود الأطفال ولا يساهم في تمتيتهم ويعيق تعليم الطفل وتدريبه ويغير حياته ومستقبله. (٧) وعلى الرغم من أنه منذ العهود القديمة كان الطفل يعمل ليساعد أسرته اقتصادياً ، خاصة في الزراعة ، ورعي الماشية ، إلا أن هذا لم يكن يمثل مشكلة قوية وقتها ، لكن هذه المشكلة بدأت تتبلور خلال الثورة الصناعية ، وبالتحديد عام ١٧٠٠ في بريطانيا حيث استعان العديد من رجال الأعمال والصناعة باستئجار الأطفال للعمل ، لأن أجورهم أقل كثيراً من العمال الكبار ، وأيضاً لأنهم لا يثيرون مشاكل واعتراضات مثل الكبار ، وكذلك لمرونتهم في التعامل مع الآلات الدقيقة والصغيرة الفتحات. (٨) علاوة على التزامهم بتنفيذ التعليمات داخل المصانع التي تستأجرهم ، وقد كان البعض منهم يبلغ العشرة سنوات من

العمر أو أقل وكانوا يعملون في ظروف صحية صعبة ومخاطر عديدة ويستغرقون في عملهم عدداً كبيراً من الساعات. (٩)

وكانت أهم الأسباب التي تدفع الأطفال إلى العمل في ذلك الوقت ، عدم قدرة الآباء على العمل لأي سبب من الأسباب ، وافتقار الأسرة لمن يوفر الدخل الكافي كحد أدنى لمعيشتها . أو أنهم من الأطفال التاركين لأسرهم ، واعتمادهم على العمل إنما هو محاولة منهم للاستقلال بحياتهم الخاصة بهم. (١٠)

إذن هناك علاقة وثيقة منذ القدم بين الطفل والعمل ، هذه العلاقة قائمة على تحديد في أية مرحلة عمرية يكون الطفل قادراً على إنجاز المهام الموكلة إليه من صاحب العمل ، وتحمله للمسؤوليات في عالم العمل ، وذلك من الناحية الجسدية والعقلية ، وهذا يشمل أيضاً الأخطار التي يتعرض لها الأطفال خلال أدائهم لهذه المهام. (١١)

اما تعريفنا الاجرائي لعمالة الأطفال فقد تحدد بالآتي :

((مجموعة الأعمال والأنشطة الهامشية التي لا ترتبط بالعملية الإنتاجية التي يمارسها الأطفال في الأسواق أو الشوارع أو ورش العمل وغيرها من صور الأعمال المختلفة من أجل استمرار بقائهم أو بقاء أسرهم ، والتي تلحق بالطفل العامل ضرراً أو أذى مادياً أو جسدياً أو نفسياً خلافاً لما نصت عليه قوانين وتشريعات العمل النافذة)) .

مشكلة الدراسة - الإطار والمؤشرات :

أولاً : الإطار النظري للمشكلة :

لقد عانى المجتمع العراقي لفترة طويلة من الحروب والأزمات الاقتصادية بدأ بالحرب العراقية - الإيرانية خلال الأعوام ١٩٨٠-١٩٨٨ مروراً بما سُمي بنظام العقوبات الاقتصادية الذي فرض على العراق بعد أحداث الثاني من آب عام ١٩٩٠ وما تلاها من حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١ وصولاً الى الحرب الأخيرة في عام ٢٠٠٣ التي قادت الى احتلال العراق وما ترتب على كل ذلك من آثار تدميرية على مختلف مؤسسات المجتمع ومناحي الحياة مما دفع

بالكثير من الأسر العراقية لَزَج أبنائها للعمل في الأسواق أو في الشوارع في سن مبكرة بسبب الظروف القاهرة للحياة اليومية .

وتشير ظاهرة عمالة الاطفال الى مدى ضعف البنية الاجتماعية والاقتصادية التي ينتمي اليها هؤلاء الاطفال العاملين ، وعدم قدرتها على الايفاء بمتطلبات العيش دون عمل هذه الفئة العمرية ، كما انها تؤثر في الوقت ذاته تداخل عوامل عدة داخلية وخارجية . ومما لاشك فيه ان العوامل الداخلية قد ارتبطت بالبنية الاجتماعية والسياسية للمجتمع والتي هيمنت عليها الفئات المتنفذة اجتماعياً واقتصادياً على حساب الطبقات الفقيرة التي اصبحت عاجزة عن مواجهة اعباء المعيشة وعدم مقدرة ابنائها على مواصلة تعليمهم ، حيث استثمرت القوة المستغلة عبر التاريخ كما يرى كارل ماركس (K.Marx) الفوارق الطبقيّة لتفرض على الفئات الضعيفة والمقهورة من الفقراء والمعوزين ممارسة الاعمال المرهقة بأجور زهيدة لا تسد الرمق.^(١٢)

ومما لا شك فيه ان هؤلاء الأطفال الذين دفعت بهم الظروف الاقتصادية الصعبة الى العمل في

سن مبكرة مهددين بشتى أنواع الانحراف ومؤهلين للانتقال من الانحراف الى الجريمة بتلقائية . وفي هذا الصدد يؤكد كتيليه (Quetelet) أن هناك ارتباطاً قوياً بين السلوك الانحرافي والظروف الاقتصادية المختلفة وضمنها البطالة والفقر، إضافة إلى خروج صغار السن والأمهات للعمل ، حيث يجعل هذا المجتمع يقوم بفرض قوانين تحفظ النظام الاقتصادي وتوقيع العقوبات على مخالفيها ، وهذا يؤدي إلى ظهور جرائم جديدة.^(١٣)

وفي نفس الإطار يأتي ودسون (R.Wodson) ليربط بين الوضع الاقتصادي عامة وبين السلوك المنحرف ، ويرى أنه حيث تكون معدلات الجريمة مرتفعة يكون البناء الاقتصادي ضعيفاً . ذلك الضعف الذي يتمثل في إهمال المشاريع الاقتصادية الحيوية ، ونمو البطالة ، وتزايد معدلات الخراب والتدمير الفيزيقي بسبب الافتقار إلى الخدمات العامة والدعم المالي.^(١٤) ويوضح جيفري (R.Jefferey) أهمية العوامل الاقتصادية في الدافع إلى الانحراف بقوله (أن

المدخل الأساسي للسيطرة على الانحراف ومحاولة منعه أو ضبطه له صلة قوية بما أصبح يعرف اليوم بالتحليل الاقتصادي لدوافع السلوك المنحرف).^(١٥) ويرى بيرت (Burt) ان للفقر دوراً كبيراً في رفع معدلات الانحراف ، وخاصة جرائم الأموال والتسول والتشرد والدعارة في بعض صورها . وينتهي إلى القول بأن الفقر هو البيئة التي تنهياً فيها كل الفرص لارتكاب الجريمة.^(١٦) ومن جانب آخر تشير نتائج اغلب الدراسات التي أجريت حول ظاهرة عمالة الأطفال الى ان هؤلاء الأطفال العاملين عادة ما يكونون نتاجاً للتفكك العائلي ، أو ما يطلق عليه بـ (البيوت المحطمة) أو (العوائل المتداعية) أو (العوائل المتصدعة)^(١٧)، وان تصدع أسرهم غالباً ما يرجع الى الفقر.^(١٨) كما ان هذه الظاهرة قد ارتبطت بالمناطق الحضرية دون الريفية ، إذ يشدد سيلين (Sellin) على ضرورة تشبيه المجتمع الحضري بالمجتمع الريفي في حرصه على الحفاظ على الروابط الأسرية والاجتماعية وضرورة تنشئة

الطفل تنشئة ريفية تسودها المثل والقيم العليا بعيداً عن مظاهر الحياة الحضرية المنفلتة.^(٢١) وعند التطلع الى واقع المجتمع العراقي المعاصر نجد ان ظاهرة عمالة الأطفال غالباً ما تنتشر في المناطق الشعبية الفقيرة والأحياء العشوائية التي نشأت بعد أحداث عام ٢٠٠٣ وان غالبية سكان هذه المناطق هم من النازحين والمُهجرين من المحافظات الأخرى بعد أحداث العنف التي عصفت بالبلاد خلال السنوات الماضية . وهي مناطق هامشية عشوائية خربة وغير نظيفة بيئياً (Slums) ، وتفتقر الى الخدمات المرافق العامة ويكون اغلب ساكنيها من المهاجرين المنعزلين نسبياً عن بعضهم ، كما ان علاقاتهم الاجتماعية تكون هشّة وغير صميمية ، وعادة ما تكون هذه المناطق مرتعاً خصباً للسلوكيات المنحرفة.^(٢٢) يضاف الى ذلك أعداد من المهاجرين والنازحين من الأرياف الى المدن بسبب تفشي البطالة في تلك المناطق نتيجة إهمال القطاع الزراعي من قبل الجهات الحكومية وشحة المياه اللازمة للزراعة ، فضلاً عن إغراق السوق المحلية بالمنتجات الزراعية المستوردة من الخارج ، الأمر

الذي أدى الى ارتفاع نسبة البطالة والفقر بين صفوف هؤلاء المهاجرين.^(٢١) فإذا كانت البطالة كثيراً ما يتسبب عنها الهجرة ، فإن الهجرة قد ينتج عنها نوع أو آخر من التصدع والتفكك الأسري ، وفي هذا السياق يؤكد جلوك (Glock) في نظريته عن الأسرة المفككة أن الأطفال المنحرفين ينحدرون في الغالب من أسر تتسم بعدد من الخصائص مثل كثرة التنقل الاجتماعي (وهو نوع من الهجرة) ، وغياب أحد الوالدين ، وضعف الإشراف والتوجيه.^(٢٢) وفي ذات مجال الهجرة وارتباطها الوثيق بالبطالة ، يذكر هانسن (J.Hanson) أن كلمة هجرة كثيراً ما تترادف في معناها مع كلمة أزمة ، ويرتبط مفهومها بلفظ مشكلة ، وسواء كان هذا بالنسبة للمجتمع الطارد أو المجتمع الجاذب ، على أساس أن المهاجرين في بعض الأحيان والظروف لا يجدون الأعمال في انتظارهم في البلد المتجه إليه ، وعلى ذلك يبقون فترة تطول أو تقصر - بدون عمل وبدون مورد رزق - وتحت إلحاح الحاجة المادية قد يلجأون إلى سلوكيات انحرافية.^(٢٣)

واستناداً الى ما تقدم ذكره يمكننا ملاحظة ان ظاهرة عمالة الأطفال تكاد تنحصر بالفئات المهمشة من المجتمع التي تشترك في بعض العناصر الثقافية المحددة المتمثلة بنقص المشاركة الفعالة وصعوبة اندماج الفقراء في أهم مؤسسات المجتمع الكبير ، وهي من العناصر الشائعة في الأحياء المتخلفة والتي تشكل بمجملها ما يسمى بثقافة الفقر (Culture of Poverty) وفي ذلك يرى أوسكار لويس (Lewis) ان ثقافة الفقر تمثل مجهوداً لمجابهة مشاعر انعدام الحيلة واليأس التي تتبع من إدراك عدم توفر احتمال إحراز النجاح بموجب الأهداف والقيم التي يتبناها المجتمع الكبير ، كما أنها تعبر عن رد فعل لهؤلاء الفقراء على مكانتهم المهمشة في المجتمع المتعدد الطبقات .^(٢٥)

وقد أشارت نتائج إحدى الدراسات المتعلقة بظاهرة عمالة الأطفال التي أجريت في الهند الى ان هؤلاء الأطفال العاملين ينتمون في العادة الى اسر تعيش عند خط الفقر ، وأن هذا النوع من الأسر ونتيجة لحالة الفقر والضائقة المالية

وضغط الحياة اليومية تستعمل العنف والقسوة تجاه أطفالها في أحيان كثيرة لحملهم على العمل في شتى المهن والأعمال مهما كان نوعها او الآثار الناجمة عنها .^(٢٦)

وعلى هذه النحو من الاضطراب والعوز المادي تعيش اليوم الكثير من الأسر العراقية التي دفعت بأبنائها وبناتها للعمل بأنماط من المهن التي لا تتناسب وأعمارهم ولا حتى بنيانهم الجسماني من قبيل أعمال البناء أو العمل في ورش تصليح السيارات أو بيع الوقود في البيوت والطرقات أو التسول أو تنظيف الشوارع وغيرها من المهن التي يمارسها الأطفال في بيئات عمل غير امنة ، وظروف قاسية ومجحفة بحق الكرامة الانسانية بعدما وجدوا أنفسهم مضطرين الى ممارسة تلك الاعمال في ظروف أمنية صعبة ومناطق عنف ساخنة من اجل تأمين مستلزمات الحياة اليومية . وهذه الظاهرة تنتشر في أماكن عديدة من المحافظات العراقية خاصة الوسطى والجنوبية ، وتحديداً في المناطق الشعبية الفقيرة والأحياء العشوائية المتخلفة . وذلك خلافاً لتطبيقات الفقرة

(أ / ثانياً) من المادة (٩٠) من قانون العمل العراقي رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧ المعدل التي نصت على (عدم جواز تشغيل الأحداث في الاعمال التي تسبب أمراضاً مهنية أو معدية أو تسممات خطرة والأعمال التي تكون بطبيعتها أو بالطرق أو بالظروف التي تجري بها خطرة على حياة الأشخاص الذين يعملون فيها أو على أخلاقهم وصحتهم).^(٢٧) وخلافاً لنص المادة (٣٢) من اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩ التي نصت على (تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يرجح أن يكون خطيراً أو أن يمثل إعاقة لتعليم الطفل ، أو أن يكون ضاراً بصحة الطفل أو بنموه البدني ، أو العقلي ، أو الروحي ، أو المعنوي ، أو الاجتماعي).^(٢٨) وكذلك خلافاً للمواثيق الدولية التي وردت عبر مؤتمرات الأمم المتحدة لحماية حقوق الطفل (عام ١٩٩٠ وعام ١٩٩٣ وعام ١٩٩٥ وعام ٢٠٠٠ وعام ٢٠٠٥) ، والتي أعلنت الدول الأعضاء من خلالها التزامها بالعمل من أجل تحسين أوضاع الأطفال في العالم.^(٢٩) أن قبول

أسر هؤلاء الأطفال لمزاولة تلك الاعمال الخطرة والمرهقة على الرغم تأثيراتها السلبية والظروف المحيطة بها يفصح عن جملة من العوامل والاسباب التي ارغمتها على قبول هذا الأمر . تلك العوامل والاسباب التي سوف نتطرق اليها في ضوء الارقام والبيانات الخاصة بها .

ثانياً : مؤشرات المشكلة :

تتطلب الدراسة الميدانية وضع فروض وتصورات تتعلق بالظاهرة المدروسة وفي هذه القضية على وجه الخصوص فأنا ننطلق من الفرض الأساسي الذي مؤداه ان الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع تدفع بالأطفال الى الدخول مبكراً الى ميدان العمل .

ان التلازم بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وعمالة الأطفال أمر تظهره الشواهد اليومية ويؤيده المنطق ، لاسيما ان هناك ظروفاً استثنائية يمر بها المجتمع العراقي قد تقف وراء ظاهرة عمالة الأطفال والتي يمكن أن نحددها ب :

١- الحروب والأزمات الاقتصادية : تعاني معظم الدول التي مرت بظروف الحرب والأزمات

الاقتصادية من ظاهرة استغلال الأطفال في العمل والنشاط الاقتصادي . فقد شهدت ألمانيا والاتحاد السوفيتي السابق اشتغال الأطفال والنساء من الفقراء في الورش ومعامل السلاح والذخيرة الحربية ، بعد ان فقد هؤلاء آبائهم ومعيلهم من الرجال الذين تم زجهم في جبهات القتال إذبان الحرب العالمية الثانية .^(٣٠) وفي افغانستان يشتغل (٣٠%) من الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين (٧-١٤) سنة ، اذ يعمل نحو (٤٠٠٠٠) طفلاً في كابل وحدها .^(٣١) كما شهدت بعض الدول العربية التي عانت من الحروب والأزمات الاقتصادية ومن بينها (مصر والمغرب ولبنان وفلسطين واليمن والسودان)^(٣٢) نزوح الفتيات الصغيرات الى المدن ليفترشن الطرقات للبيع او التسول او الخدمة في البيوت ، وربما يغوى بعضهن الى الدعارة كمصدر سهل وكبير للدخل.^(٣٣)

وفي حالة العراق يتضح ارتفاع التكاليف المادية والبشرية للحروب والأزمات الاقتصادية والسياسية والأمنية ، فقد بلغت التكلفة الاقتصادية

للحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ما يقدر بـ (٤١٦ مليار دولار) حتى عام ١٩٨٥ فقط ، وكلف احتلال العراق للكويت والحرب لاستعادتها (١٩٩٠-١٩٩١) حوالي (٦٧٦ مليار دولار) .^(٣٤) ناهيك عن التكاليف الخيالية غير المعلنة التي سببها الاحتلال الأمريكي للعراق في ٩/٤/٢٠٠٣ التي تفوق تكاليفها المادية والبشرية الحريين السابقتين ، والتي قوضت البنية التحتية والاقتصادية للعراق وأحالت المنشآت الصناعية الى خراب وعطلت الاعمال ، فضلاً عما تعرضت له الممتلكات العامة من أعمال السلب والنهب والحرق والتدمير.^(٣٥)

٢- ارتفاع معدلات الفقر: يشير تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥ ان بلدان الدخل المتدني وحدها التي تبدي ترابطاً قوياً بين النزاع العنفي والاضطراب الاقتصادي . فالنزاع يزيد الفقر ويعطل سوق العمل ويقوض البنية التحتية التي يعتمد عليها التقدم في رفاه الإنسان وبالتالي يكون الفقراء هم الأكثر عرضة للتأذي البالغ من جراء الأثر الاقتصادي للنزاع .^(٣٦) فقد ترتبت على

أوضاع الفوضى العارمة التي يمر بها العراق حالياً تكاليف اقتصادية واجتماعية كبيرة تمثلت بارتفاع معدلات البطالة ، وتردي الأوضاع المعاشية ، وتعطل شبه تام لماكنة الحياة الاقتصادية . مما أدى الى اتساع دائرة الفقر لتضم المزيد من الشرائح الاجتماعية . حيث يشير آخر إحصاء رسمي معتمد تيسر لنا ان (٣٥%) من السكان يعيشون تحت خط الفقر ، بينما يعيش (٥%) من السكان في فقر مدقع (٣٧). الأمر الذي دفع العوائل الفقيرة الى قبول عمالة الأطفال وتشجيع أبنائها وبناتها على ترك الدراسة والتوجه الى سوق العمل مبكراً ، فقد بين مسح إحصائي عن ظاهرة التسرب المدرسي عام ٢٠٠٤ ان الفقر كان دافعاً لتسرب (٢٤%) من الأطفال من المدرسة والتوجه للعمل (٣٨). وتسعى الحكومة العراقية جاهدة الى معالجة أوضاع الفقراء بزيادة أعداد المشمولين بإعانات شبكة الحماية الاجتماعية بعد تزايد اعداد الفقراء والمعوزين (٣٩).

٣- البطالة : تشكل ظاهرة البطالة في العراق مشكلة كبيرة من بين جملة الأزمات والإشكالات

السلبية التي يواجهها العراق اليوم من دون حلول . فقد أدت الحروب المتتالية والأزمات السياسية والاقتصادية والأمنية ، والإجراءات التي اتخذتها إدارة الاحتلال بحل الجيش وتسريح مئات الآلاف من المطوعين والمكلفين في الجيش والشرطة وقوى الأمن الداخلي ، وتدهور الإنتاج الصناعي والزراعي والخدمي ، والزيادة الحاصلة في عدد السكان وتخلي الدولة عن الالتزام بتعيين الخريجين ، وتشجيع القطاع الحكومي وسوء التخطيط التعليمي وتدني ربط المؤسسات التعليمية بسوق العمل ، وعدم قدرة القطاع الخاص على استيعاب العطالة الى رفع معدلات البطالة ، إذ تقدرها بعض الإحصائيات بحوالي (٦٠%) عام ٢٠٠٣ من مجموع القوى العاملة (٤٠). في حين أظهرت نتائج مسح التشغيل والبطالة لسنة ٢٠٠٤ ان معدل البطالة للفئة العمرية (١٥ - ٢٤) سنة حوالي (٤٣,٨%) منها (٤٦%) بالنسبة للذكور، و(٣٧,٢%) للإناث . وتقضح المسوحات التفاوت الصارخ بين معدلات البطالة بين المحافظات حيث تأتي محافظة ذي قار في مقدمة المحافظات ذات البطالة المرتفعة

(أكثر من ٤٦%) ، بينما سُجلت أدنى المعدلات في كربلاء بـ(١٤%) عام ٢٠٠٣ والبصرة بـ(١٠,٥%) عام ٢٠٠٤. وسجلت البطالة نسبة (٣٠%) في الحضر ، بينما كانت (٢٥,٤%) في المناطق الريفية .^(٤١) وقد أعلنت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ان أعداد العاطلين عن العمل المسجلين بمراكز التشغيل والتدريب المهني في بغداد والمحافظات حتى نهاية عام ٢٠٠٦ بلغ (٩١٩) ألفاً و(٣٣٥) عاطلاً ، بينما بلغ عدد العاطلين عن العمل في العراق من المسجلين في دوائر وزارة العمل في شهر آب عام ٢٠٠٩ أكثر من مليون و(٤٠٦) ألف عاطل .^(٤٢) ومهما كانت نسبة البطالة في العراق في الوقت الحاضر فهي تفوق المعدلات المسموح بها عالمياً.

٤- التسرب من المدرسة : يختلف مفهوم التسرب من بلد الى آخر حسب أنظمة التعليم ، ففي العراق يعني التسرب ترك التلميذ للمدرسة قبل إنهاء الصف السادس الابتدائي وفقاً لقانون التعليم الإلزامي رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ الذي شمل الفئة العمرية (٦-١١) سنة .^(٤٣) وقد

عُرفت اليونيسيف التسرب عام ١٩٩٢ بعدم التحاق الأطفال الذين هم بعمر التعليم بالمدرسة أو تركها دون إكمال المرحلة التعليمية التي يدرس بها بنجاح ، سواء كان ذلك برغبتهم أو نتيجة لعوامل أخرى ، وكذلك عدم المواظبة على الدوام لعام أو أكثر.^(٤٤) وقد اظهر المسح المدرسي الذي نفذته وزارة التربية عام ٢٠٠٤ بدعم من اليونيسيف أن الملتحقين بالمدارس الابتدائية في العراق تبلغ نسبتهم (٨٦%) من الأطفال بعمر التعليم الإلزامي ، أي ان هناك (٦٠٠) ألف طفل غير ملتحق بالمدرسة ، (٧٤%) منهم فتيات . وان(٢١%) من الفتيات بعمر الإلزام غير ملتحقات بالمدارس . وقد أظهر المسح ان حوالي (٢٤%) من الأطفال يتسربون من المدارس قبل إتمام المدرسة الابتدائية الإلزامية . كما بلغ عدد المتسربين لسنة (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤) وحدها (١٦٦) ألف متسرب ومتسربة . وأظهرت دراسة وزارة التربية و منظمة اليونيسيف ان نسبة تسرب الفتيات كانت (٣١%) في المدن و(٥١%) في المناطق الريفية ، وأظهر

المسح ان (١٥%) من مجموع الأطفال العاملين هم بعمر التعليم الإلزامي . كما أظهر المسح ان حوالي (١٠%) من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (٥ - ١٤) هم من الأيدي العاملة ، ويجري تشغيلهم وفق شروط مجحفة للعمل وبأجور زهيدة جداً.^(٤٥)

٥- ارتفاع أعداد الأيتام : اشارت دراسة متخصصة لمنظمة اليونيسيف التابعة للأمم المتحدة في بغداد ، ان عدد الأطفال الأيتام في العراق يقدر بنحو (٤ - ٥) ملايين طفل وأنهم في تزايد نتيجة الاعمال المسلحة والوضع الأمني غير المستقر . في حين اشارت احصائية اخرى لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية الى ان عدد الأيتام في العراق يقدر بحوالي مليوني يتيم.^(٤٦)

٦- ارتفاع أعداد المهاجرين والمهجرين والنازحين : اصدرت المنظمة الدولية للهجرة بالتعاون مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين ووزارة المهاجرين والمهجرين العراقية تقريراً لها عام ٢٠٠٨ أوضح فيه ان هناك (٢,٨) مليون عراقي قد نزحوا من مناطقهم الى مناطق اخرى اكثر امناً ، وان أكثر من نصف النازحين بعد

عام ٢٠٠٦ اتجهوا الى محافظات الوسط ، و(٢٧%) اتجهوا الى الجنوب ، و(١٥%) الى المحافظات الشمالية . فضلاً عن مليوني مهاجر خارج العراق.^(٤٧)

أهمية الدراسة وأهدافها :

أن أهمية هذه الدراسة تكمن في الآتي :

١- ان الاهتمام بالطفولة هو اهتمام برأس المال البشري الذي يعد بدوره من الركائز الأساسية للتنمية . فالأطفال ثروة قومية ولا بدّ من المحافظة عليها ورعايتها للحصول على ثمارها المرجوة ، فهي أولى مراحل الحياة وعماد المستقبل ، لذا فهي الأولى بالرعاية والعناية لبناء مستقبل افضل وضماناً لسلامة المجتمع واستقراره .

٢- يشكل الاطفال نسبة كبيرة في الهرم السكاني ، إذ يقدر عدد الأطفال في العالم بـ (١,٧) مليار نسمة أي حوالي (٣٢%) من سكان الأرض ، يعيش (١,٢) مليار منهم أي حوالي (٨٢%) في البلاد النامية .^(٤٨) أما في العراق فقد بلغ مجموع الصغار والأحداث بحسب تعداد عام

- ٢- التعرف على العوامل الاجتماعية التي تقف وراء ظاهرة عمالة الأطفال .
- ٣- التعرف على الآثار الاجتماعية والقانونية والتربوية والنفسية والصحية التي تترتب على ممارسة الاطفال لهكذا أعمال .

اجراءات الدراسة الميدانية :

اعتمدت الدراسة الحالية منهج المسح الاجتماعي (Social Survey Method) بغية الحصول على اكبر قدر من المعلومات المتعلقة بالظاهرة المدروسة ، وضمن المحاور التالية :

أولاً : مجالات الدراسة :

- ١- **المجال البشري** : تحدد المجال البشري للدراسة بالأطفال العاملين في الأسواق والشوارع والورش الصناعية وغيرها.
- ٢- **المجال المكاني** : اما المجال المكاني فقد شمل محافظات (بغداد ، واسط ، القادسية ، النجف) .
- ٣- **المجال الزمني** : وقد أمتد المجال الزمني للدراسة ما بين الفترة من ٢٠١٥/٩/١ الى ٢٠١٦/٣/٣٠ .

١٩٩٧ حوالي (١٠٢٤٩١٧٤) نسمة ، في حين بلغ مجموع سكان العراق بحسب ذلك التعداد (٢٢٠٤٦٢٤٤) نسمة . وعليه تكون نسبة الصغار والأحداث إلى المجموع الكلي للسكان حوالي (٤٦,٤٨ %) ، وهي نسبة تقترب من نسبة الأطفال والفتيان- دون الخامسة عشر- في الوطن العربي ، إذ بلغت (٤٥ %) من إجمالي السكان ، وهي أعلى نسبة في العالم . وقد بلغت النسبة العالمية (٣٧ %) في دول العالم ككل ، و (٢٨ %) في البلدان الصناعية المتقدمة ، و (٤٤ %) في بلدان العالم الثالث.^(٤٩)

٣- ان هذه الدراسة تركز على ظاهرة عمالة الاطفال بوصفها ظاهرة لها خصائصها المميزة وبكونها ظاهرة تقع في نطاق التجريم والمسائلة القانونية ، فضلاً عن الآثار السلبية التي تلحق بالطفل أثناء وجوده في الأسواق أو الشوارع والنظرة المجتمعية السلبية التي يجابه بها .

أما أهداف الدراسة فقد تحددت بما يلي :

- ١- التعرف على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والتربوية للأطفال العاملين.

ثانياً : أدوات الدراسة :

تم اعداد استمارة مقابلة ، تم صياغة فقراتها وفقاً لعدد من الخطوات المنهجية المعروفة التي بدأت بعرض الصيغة الأولية لفقرات الاستمارة على مجموعة من الخبراء الذين أبدوا ملاحظاتهم حول صلاحية بعض الأسئلة . وبعد إجراء التعديلات على صياغة بعض الفقرات وحذف بعض الفقرات وإضافة فقرات أخرى ، وتطبيق الاستمارة على عينة استطلاعية . تم التأكد من صلاحية أداة الدراسة لجمع المعلومات لحصولها على قيمة صدق قدرها (٩٢%).

وقد قام الباحث بمقابلة الاطفال الذين شملتهم الدراسة وتبادل معهم الحديث حول الغاية الاساسية من البحث وان المعلومات التي سيدلون بها ستحاط بسرية تامة ولن تطلع عليها أي جهة اخرى مهما تكن الظروف . كما قام الباحث بتوجيه الاسئلة للمبحوثين بطريقة سهلة وبلغة بسيطة تتناسب وطريقة فهمهم واستيعابهم ، وقد تجنبنا طلب ذكر الاسم بغية اشعار المبحوثين بالطمأنينة والثقة للحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات . وقد جرى اثناء تلك المقابلات

استخدام طريقة الملاحظة البسيطة للتعرف على الظروف الاجتماعية المحيطة بالعمل ، فضلاً عن علاقاتهم مع رفاقهم وسلوكياتهم وتصرفاتهم وطبيعة الاعمال التي يمارسونها .

ثالثاً : العينة :

ان اختيار عينة الدراسة من الأطفال الذين تنطبق عليهم الشروط التي حددناها في تعريفنا الإجرائي لـ (عمالة الأطفال) قد شكل واحدة من الصعوبات التي واجهت الباحث اثناء الدراسة الميدانية ، لذا تم الاعتماد على بعض الأشخاص من ارباب العمل العاملين في المناطق التي يعمل فيها هؤلاء الأطفال وأصدقاءهم .

اذ تم مقابلة (١٦٠) طفلاً عاملاً ضمن الفئة العمرية ما بين (٦ - ١٧) سنة وهم مجموع عينة الدراسة الذين تم اختيارهم بصورة قصدية ، ومن مناطق مختلفة من محافظات (بغداد ، واسط ، القادسية ، النجف) ، نظراً لتباعد أماكن عمل أفراد العينة وانتشارها على بقعة جغرافية واسعة ، وصعوبة التنقل من مكان الى آخر بسبب الظروف الامنية الاستثنائية التي يمر بها

المرتبي (سبيرمان) ، وقانون الأوزان الرياضية لجوزيف كيهل (Kahl) ، واختبار كا^٢ (٥٠) عرض وتحليل بيانات الدراسة :

أولاً : وصف وتحليل البيانات الأولية :

أظهرت البيانات المتحصلة عن الأطفال المبحوثين في عينة الدراسة الخصائص الآتية :

١- الأعمار: نلاحظ من الجدول الخاص بالتوزيع العمري لعينة الدراسة ان (٢٤) طفلاً من مجموع (١٦٠) طفل ونسبة (١٥%) تقع أعمارهم ضمن الفئة العمرية (٦-٨) سنة ، وهي مرحلة وان كانت تتصف بالحيوية والنشاط إلا أنها تفتقر في اغلب الأحيان الى التجارب والخبرات الحياتية . وكذلك نجد ان (٤٠) طفلاً من مجموع أفراد العينة تقع أعمارهم ضمن الفئة العمرية (٩-١١) ويشكلون نسبة (٢٥%) . كما أظهرت النتائج ان (٤٩) طفلاً من مجموع (١٦٠) طفلاً ونسبة (٣١%) تقع أعمارهم ما بين (١٢-١٤) . كذلك نجد ان (٤٧) طفلاً من مجموع (١٦٠) طفلاً عاملاً ونسبة مقدارها (٢٩%) تتراوح أعمارهم ما بين (١٥-١٧) سنة .

العراق من ناحية ، فضلاً عن تجانس مجتمع البحث من ناحية اخرى . لذلك أعتبرت هذه العينة ممثلة وكافية لإجراء الدراسة الميدانية . والجدول الآتي يوضح تفاصيل توزيع عينة الدراسة.

جدول (١)

يبين توزيع عينة الدراسة

المحافظة	العدد	%
بغداد	٦٤	٤٠
واسط	٤٥	٢٨
القادسية	٢٧	١٧
النجف	٢٤	١٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

رابعاً : الوسائل الإحصائية المستعملة في الدراسة :

استعانت الدراسة الميدانية بعدد من الوسائل الاحصائية التي تمثلت بالنسبة المئوية ، والوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، وقانون الترابط

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

نسبة الذكور في العينة هي أعلى من نسبة الإناث بكثير، ولعل السبب في ذلك يعود الى خصوصية ظاهرة عمل الأطفال بكونها ظاهرة ترتبط بجنس الذكور أكثر من ارتباطها بجنس الإناث بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية التي تربط عمل الإناث في الغالب بالمنزل في حين تربط عمل الذكور في اغلب الأحيان خارج إطار المنزل. والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٣)

يبين توزيع العينة حسب الجنس

الجنس	العدد	%
ذكر	١٣٧	٨٦
إناث	٢٣	١٤
المجموع	١٦٠	١٠٠

٣- الحالة الأسرية : كشفت نتائج الدراسة الميدانية المتعلقة بالحالة الأسرية للأطفال المبحوثين ان (٣٠) طفلاً من أصل (١٦٠) طفلاً عاملاً أشاروا الى ان والديهم مطلقان وبنسبة مقدارها (١٩%) ، وان (٥٠) طفلاً من مجموع

أما الوسط الحسابي لأعمار المبحوثين فقد بلغ (١٢) سنة والانحراف المعياري هو (٣) وهذا يعني ان اكبر عمر (١٥) سنة ، واصغر عمر هو (٩) سنة . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٢)

يبين التوزيع العمري للمبحوثين

الأعمار	العدد	%
٨ - ٦	٢٤	١٥
١١ - ٩	٤٠	٢٥
١٤ - ١٢	٤٩	٣١
١٧ - ١٥	٤٧	٢٩
المجموع	١٦٠	١٠٠

٢- الجنس : تشير نتائج الدراسة الميدانية المتعلقة بالتوزيع الجنسي للمبحوثين الى ان (١٣٧) مبحوثاً من أصل (١٦٠) طفلاً عاملاً وبنسبة بلغت (٨٦%) هم من الذكور ، في حين كانت النسبة المتبقية البالغة (١٤%) تمثل عدد الإناث في العينة المدروسة والبالغ عددهن (٢٣) مبحوثة . ويلاحظ من بيانات الجدول رقم (٣) ان

مفككة أو متصدعة أما بالموت أو بالطلاق أو الانفصال وان بعض الأطفال يعيشون في عائلات غير طبيعية (كأن يعيشون مع زوج الأم أو زوجة الأب أو الأقارب) وبناء على ما تقدم يمكن القول بان الظروف غير الملائمة التي يعيشها الطفل قد تدفعه الى العمل في سن مبكرة لتحمل أعباء توفير العيش لهم ولأسرهم. والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٤)

يبين الحالة الأسرية للمبحوثين

الحالة الأسرية	العدد	%
طلاق الأبوين	٣٠	١٩
وفاة أحد الأبوين	٥٠	٣١
وفاة كلا الأبوين	١٢	٨
كلاهما على قيد الحياة	١٩	١٢
الأسرة مُهجّرة	١٦	١٠
أعيش مع الأقارب	٨	٥
أعيش مع زوجة	١٥	٩

(١٦٠) أجاب بوفاة أحد الوالدين وبنسبة بلغت (٣١%) . كما بلغ عدد الأطفال الذين أجابوا بوفاة كلا الوالدين (١٢) طفلاً من مجموع أفراد العينة وبنسبة مقدارها (٨%) ، في حين بلغ عدد الأطفال الذين أكدوا على ان الوالدين مازالوا على قيد الحياة (١٩) طفلاً من مجموع (١٦٠) طفلاً وبنسبة بلغت (١٢%). أما الأطفال الذين أكدوا على أنهم ينتمون الى أسر مُهجّرة من محافظات أخرى فقد بلغ عددهم (١٦) طفلاً من مجموع (١٦٠) طفلاً عاملاً وبنسبة قدرها (١٠%) ، فيما أشار (٨) أطفال امن مجموع أفراد العينة البالغة (١٦٠) طفلاً الى أنهم يعيشون مع الأقارب وبنسبة مقدارها (٥%). أما عدد الأطفال الذين أجابوا بأنهم يعيشون مع زوجة الأب فقد بلغ (١٥) طفلاً من مجموع أفراد العينة وبنسبة قدرها (٩%) ، في حين أكد (١٠) أطفال من مجموع (١٦٠) طفلاً عاملاً على أنهم يعيشون مع زوج الأم وبنسبة بلغت (٦%) .

ومن خلال ما تقدم من بيانات يمكننا الاستنتاج بان اغلب الأطفال العاملين ينحدرون من عائلات

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

الأطفال يمنعون أطفالهم من دخول المدرسة أصلاً وتدفعهم نحو العمل مبكراً.

في حين وجد ان (٥٣) مبحوث من مجموع العينة الكلية البالغة (١٦٠) مبحوثاً لم يتجاوزوا المرحلة الابتدائية من التعليم ويشكلون نسبة مقدارها (٣٣,١%) ، ووجد ان (٣٠) مبحوثاً من مجموع العينة الكلية وبنسبة (١٨,٨%) وصلوا الى المرحلة المتوسطة . في حين وجد ان (٨) مبحوثين من أصل (١٦٠) مبحوثاً وبنسبة (٥%) قد وصلوا الى مرحلة التعليم الإعدادي . ومن البيانات أعلاه نلاحظ ان غالبية الأطفال العاملين هم أميون أو لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الابتدائي وان القلة منهم ممن استطاع الوصول إلى مرحلة التعليم المتوسط أو الإعدادي . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٥)

يبين التحصيل الدراسي للمبحوثين

التحصيل الدراسي	العدد	%
أمي	٦٩	٤٣,١

الأب		
أعيش مع زوج الأم	١٠	٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

٤- مستوى التعليم : تؤكد نتائج كثير من الدراسات مسؤولية النظام التعليمي عن تنامي ظاهرة عمالة الأطفال من خلال إضافة رصيد دائم من المتسربين من العملية التعليمية نتيجة للمشكلات التي يعاني منها هذا النظام ونتيجة عجز هذا النظام عن الاستيعاب الكامل للأطفال في هذه الشريحة العمرية ، وقد يكون لهذا الاستنتاج ما يبرره على أرض الواقع والمبني على الشواهد الواقعية . ومن بيانات الجدول رقم (٥) نلاحظ ان (٦٩) مبحوثاً من مجموع (١٦٠) وبنسبة (٤٣,١%) هم أميون أي أنهم لم يلتحقوا بالتعليم أصلاً ، وهي نسبة ليست بالقليلة لاسيما مع وجود قانون التعليم الإلزامي وقانون رعاية الأحداث ، وهنا نؤكد على ان النظام التربوي ليس وحده المسؤول عن تنامي هذه الظاهرة بقدر ما هي عوامل اقتصادية واجتماعية تجعل أسر هؤلاء

بالقليلة من أولئك الذين هجرت أسرهم مناطقها وأراضيها الزراعية وتوجهت صوب المدن بسبب انحسار النشاط الزراعي وتفشي البطالة .
والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٦)

يبين الخلفية الاجتماعية للمبحوثين

الخلفية الاجتماعية	العدد	%
ريفية	٩٥	٥٩
حضرية	٦٥	٤١
المجموع	١٦٠	١٠٠

٦- مكان الإقامة : تعد منطقة السكن واحدة من المؤشرات المهمة للمستوى الاجتماعي والاقتصادي والتربوي لوحدات العينة . كما انها تمنح الفرد شعوراً بالانتماء الى المجتمع وهذا الشعور يتحدد سلباً أو إيجاباً اعتماداً على طبيعة التفاعل القائم بين الفرد والبيئة المحيطة به والمتمثلة في الخصائص الاجتماعية والاقتصادية العمرانية والتربوية للجيرة . ومع ان الطفل يعمل في الريف والحضر ، إلا ان نتائج الدراسة تبين

ابتدائية	٥٣	٣٣,١
متوسطة	٣٠	١٨,٨
إعدادية	٨	٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

٥- الخلفية الاجتماعية : ان ما تحتويه البيئة الاجتماعية من مؤثرات تلعب دوراً كبيراً في تحديد سلوك الفرد ، وطريقة الحكم على الأمور ، وكيفية تفسير الظواهر المختلفة ، ونوعية القيم السائدة ، إذ تمارس الخلفية الاجتماعية دوراً مهماً في تشكيل شخصيات الأفراد وتحدد نمط سلوكهم واستجاباتهم المختلفة . ومن بيانات الجدول رقم (٦) نلاحظ أن نسبة مقدارها (٥٩%) من المبحوثين في العينة المدروسة قد انحدروا من خلفيات ريفية ، في حين بلغت نسبة المبحوثين المنحدرين من خلفيات حضرية (٤١%) . وهذا عائد الى طبيعة توزيع تركيبة العينة المدروسة حيث ان غالبية أفرادها هم من محافظات الفرات الأوسط التي تتميز بسعة وانتشار المناطق الزراعية والريفية فيها ، فضلاً عن نسبة ليست

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

أحياء شعبية في المدن	٤٥	٢٨
أطراف المدن والقصبات	٤٣	٢٧
مسكن عشوائية	٣٧	٢٣
قرى وأرياف	٣٥	٢٢
المجموع	١٦٠	١٠٠

ان ظاهرة عمالة الأطفال تزداد في الحضر عنها في الريف . والنتيجة الأهم والأكبر سوسيولوجياً هي انتشار أعلى نسبة من حالات عمالة الأطفال والبالغة (٢٨%) بين الأطفال المقيمين في الأحياء الشعبية الفقيرة المكتظة بالسكان ، وان (٢٧%) من المبحوثين يسكنون أطراف المدن والقصبات ، وغالبية هؤلاء الأطفال هم من الذين يعملون في معامل الطابوق والبلوك أو بائعي المشتقات النفطية (البنزين) على الطرق الخارجية . بينما كان (٢٣%) من المبحوثين من المبحوثين يسكنون في مساكن غير شرعية تجاوز ساكنوها على أراضي الدولة أو المنشآت أو الدور الحكومية بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ . وهناك (٢٢%) من سكان الأرياف الذين دفعت الحاجة بأسرهم الى البحث عن فرص عمل في المدن . ولم يرد ذكر للسكن في الأحياء الراقية بين المبحوثين. والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٧)

يبين مكان الإقامة للمبحوثين

مكان الإقامة	العدد	%
--------------	-------	---

ثانياً : عرض وتحليل البيانات الخاصة بالظاهرة :

١ - مهن وأنماط عمل الأطفال :

يعتبر نوع العمل واحداً من مؤشرات المكانة الاجتماعية إضافة الى انعكاساته المهمة على المستوى المعيشي للأفراد . وإذا كان العمل خارج نطاق الأسرة يمثل نوعاً من الألم والمعاناة بالنسبة للأطفال العاملين ، فإن طبيعة العمل وظروفه تفوق في مشقتها لظروف معاناتهم من جراء عملهم خارج نطاق الأسرة . إذ ان نوعية العمل هي التي تفرض نفسها على الطفل فليس أمامه

مجال للاختيار ، وباستقراء طبيعة المهن والأعمال التي يعمل بها الأطفال نلاحظ الكثير من مظاهر الاستغلال والمعاناة والتي تكشف بجلاء المستوى المتدني والوضع البائس الذي يروح تحته هؤلاء الأطفال.

وقد أظهرت النتائج الخاصة بالمهن التي يمارسها الأطفال المبحوثين ، أنهم يتوزعون في سبعة مجالات رئيسية للعمل . تتضمن مهناً وأعمالاً تتدرج في أسفل السلم المهني ، وأقل ما يمكن ان يقال عنها أنها أعمال شاقة لا يقدر عليها سوى الرجال.

وقد تبين من الجدول رقم (٨) ان (٤٠) مبحوثاً ، وهي أعلى نسبة (٢٥%) من الأطفال العاملين يعملون في ورش صناعية ميكانيكية ، ويأتي ثانياً الأطفال الذين يعملون في محطات غسل وتبديل زيوت السيارات حيث بلغ عددهم (٢٩) وبنسبة مقدارها (١٨%) . وجاء بالمرتبة الثالثة الأطفال العاملين في أعمال البناء والتشييد وتحميل المواد المختلفة الذين بلغ عددهم (٢٦) طفلاً وبنسبة قدرها (١٦,٢%) . وامتهن (٢٢) مبحوثاً يمثلون

(١٤%) من العينة مهنة بيع المشتقات النفطية (كالغاز ، والنفط ، والبنزين) ، وهناك (١٥) مبحوثاً يمثلون (٩,٣%) من العينة يعملون في بيع الأكياس والمواد المختلفة على الأرصفة . ومثلهم (٩,٣%) يمارسون مهنة التسول . وأخيراً هناك (١٣) يمثلون (٨,١%) من العينة يزاولون مهنة البيع والشراء في الأسواق العامة أو على الأرصفة . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٨)

يبين المهن والأعمال التي يمارسها المبحوثين

نوع المهنة	العدد	%
عامل في ورش صناعية أو ميكانيكية	٤٠	٢٥
عامل في محطات غسل وتبديل زيوت السيارات	٢٩	١٨
أعمال البناء والتشييد والتحميل	٢٦	١٦,٢
بيع المشتقات النفطية	٢٢	١٤

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

ونلاحظ من خلال البيانات الواردة في الجدول المذكور أدناه ، أن أعلى النسب في عدد ساعات العمل كان لعدد ساعات العمل ضمن الفئة الثالثة أي (٨ - ١٠) ساعات عمل ، وأوطأ النسب كانت للفئة الأولى والتي تتضمن ساعات عمل من (٢ - ٤) ساعات عمل . نستدل من خلال البيانات الواردة في الجدول المذكور أدناه ، ان اغلب الاطفال المبحوثين يقضون ساعات طويلة في العمل مما يعرض صحتهم البدنية لمخاطر كبيرة كون ان اغلب تلك الاعمال لا تتناسب مع القدرة البدنية لأجسامهم ، لذا تبدو مظاهر التعب والاعياء عليهم واضحة للعيان . كما ان طول ساعات العمل اليومية يتسبب في حرمانهم من ممارسة الانشطة الترويحية والترفيهية الأمر الذي ينعكس سلباً على صحتهم النفسية والعقلية ، فضلاً عن حرمانهم من مواصلة التعليم او التسرب منه بعدما وجدوا انفسهم مضطرين لممارسة تلك الاعمال والمهن المرهقة . ان اشتغال الاطفال لساعات طويلة يومياً يتعارض مع قوانين العمل النافذة وحقوق الطفل التي كفلها الدستور العراقي ، وهي في ذات الوقت تكشف

بيع الأكياس والمواد المختلفة على الأرصفة	١٥	٩,٣
التسول	١٥	٩,٣
البيع والشراء	١٣	٨,١
المجموع	١٦٠	١٠٠

٢- عدد ساعات العمل :

تشير البيانات الواردة في الجدول رقم (٩) إلى أن (٧,٥ %) من العينة الكلية يقضون من (٢-٤) ساعة في العمل ، في حين أن ما نسبته (١٩,٣) % من العينة الكلية يقضون ما بين (٥ - ٧) ساعات في العمل ، وبلي ذلك نسبة (٣٢ %) من العينة الكلية ممن يقضون ما بين (٨ - ١٠) ساعات في العمل ، وبلغت نسبة المبحوثين الذين يقضون ساعات عمل تتراوح من (١١ - ١٣) ساعة (١٥,٦ %) ، وأخيراً فأن نسبة (٢٥,٦ %) من العينة الكلية كان عملهم يتراوح يومياً ما بين (١٤ - ١٦) ساعة عمل .

بجلاء مدى الاستغلال المضاعف الذي يتعرض له هؤلاء الاطفال الذين يعملون لساعات طويلة مقابل اجور زهيدة لا تسد حاجاتهم واسرهم اليومية . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٩)

يبين عدد ساعات عمل المبحوثين

ساعات العمل	العدد	%
٢ - ٤	١٢	٧,٥
٥ - ٧	٣١	١٩,٣
٨ - ١٠	٥١	٣٢
١١ - ١٣	٢٥	١٥,٦
١٤ - ١٦	٤١	٢٥,٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

٣- طبيعة العمل :

يتعرض الأطفال لمخاطر العمل بنسبة اكبر بالمقارنة مع الكبار لوجود اختلافات جسدية

ونفسية واجتماعية بين المجموعتين اللتين هما عرضة لمخاطر العمل . ناهيك عن ان عمل الأطفال في بيئات وظروف غير ملائمة يؤدي الى نتائج وآثار سلبية تمتد لتشمل الطفل والمجتمع على حد سواء .

وتشير البيانات الواردة في الجدول رقم (١٠) الى ان (١٠٦) طفلاً من مجموع أفراد العينة الكلية البالغة (١٦٠) طفلاً وبنسبة مئوية قدرها (٦٦%) يمارسون أعمالاً مرهقة من الناحية البدنية لا تتناسب و بنيانهم الجسماني والمرحلة العمرية التي يمرون بها ، فيما أشارت النسبة المتبقية من أفراد العينة البالغة (٣٤%) وبتكرار قدره (٥٤) طفلاً الى أنهم يمارسون أعمالاً خفيفة لا تتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً. والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (١٠)

يبين طبيعة عمل المبحوثين

طبيعة العمل	العدد	%
-------------	-------	---

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

أعمال خفيفة	٥٤	٣٤
أعمال مرهقة	١٠٦	٦٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

ولمعرفة مدى وجود علاقة بين متغيري العمر وعلاقته بطبيعة العمل لدى المبحوثين ، أظهرت نتائج اختبار (كا^٢) وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية حيث كانت القيمة المحسوبة (٧,٢) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٦,٦) على مستوى ثقة (٩٩%) ودرجة حرية (١) . وهذا يعني ان الطفل يميل في الأعمار التي تتراوح ما بين (٦-١١) الى ممارسة الاعمال الخفيفة والبسيطة التي لا تحتاج الى مجهود بدني كبير ، في حين ان الطفل في الأعمار التي تتراوح ما بين (١٢-١٧) من الممكن ان يعمل في بعض الاعمال التي تحتاج جهد بدني اكبر. والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (١١)^(*)

يبين علاقة أعمار المبحوثين بطبيعة العمل

طبيعة العمل العمر	أعمال خفيفة	أعمال مرهقة	المجموع
٦-١١ سنة	٣٠	٣٤	٦٤
١٢-١٧ سنة	٢٤	٧٢	٩٦

٤- العمر وعلاقته بطبيعة العمل:

هناك علاقة وثيقة بين عمر الطفل العامل وطبيعة العمل الذي يمارسه بحسب المجهود البدني الذي يتطلبه ذلك النوع من العمل . وقد لوحظ أن هناك تناسباً طردياً بين عمر الطفل وطبيعة العمل الذي يمارسه ، إذ كلما زاد عمر الطفل فإنه يصبح أكثر قدرة على تحمل صعوبات العمل بعكس الطفل الأصغر سناً الذي لا يقوى على تحمل الاعمال المرهقة بحكم صغر سنه وضعف بنيانه الجسدي .

حيث تشير بيانات البحث الى ان (٣٠) من الأطفال العاملين الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٦-١١) سنة يمارسون أعمالاً خفيفة ، في حين ان (٧٢) طفلاً عاملاً من أصل (١٠٦) طفلاً من الأطفال الذين يمارسون أعمالاً مرهقة تتراوح أعمارهم ما بين (١٢-١٧) سنة.

المجموع	٥٤	١٠٦	١٦٠
---------	----	-----	-----

(*) انظر الجدول السابق والجدول رقم (٢).

٥- العمر وعلاقته بأسلوب العمل:

يشغل الشعور بالأمن والطمأنينة النفسية جانباً كبيراً من تفكير الطفل العامل ، اذ تضيء رفقته العمل لدى هؤلاء الاطفال مع اقرانهم جانباً من الشعور بالانتماء أو الهوية ، فضلاً عن كونها توفر أيضاً آلية الدفاع عن النفس ضد التهديدات التي يتعرضون لها . ويتضح هذا الشعور أكثر لدى أولئك الأطفال الأصغر سناً بالمقارنة مع الأطفال الأكبر منهم .

حيث تشير بيانات البحث الى ان (٤٠) من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (٦-١١) سنة والبالغ عددهم (٦٤) يعملون بشكل جماعي مع أطفال آخرين ، في حين ان (٦٣) مبحوثاً من أصل (٨٧) من الأطفال الذين بشكل انفرادي تقع أعمارهم ضمن الفئة العمرية (١٢-١٧) سنة .

ولمعرفة مدى وجود علاقة بين متغيري العمر وأسلوب العمل للمبحوثين ، أظهرت نتائج اختبار (كا^٢) وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية

حيث كانت القيمة المحسوبة (١٢,٤) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٦,٦) على مستوى ثقة (٩٩%) ودرجة حرية (١) . وهذا يعني ان الأطفال يميلون في الأعمار دون الحادية عشرة سنة الى العمل الجماعي ، في حين ان الطفل بعد هذه السن من الممكن ان يعمل بشكل انفرادي . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (١٢)

يبين العلاقة بين العمر وأسلوب العمل

أسلوب العمل	فردى	جماعى	المجموع
العمر			
٦-١١ سنة	٢٤	٤٠	٦٤
١١-١٧ سنة	٦٣	٣٣	٩٦
المجموع	٨٧	٧٣	١٦٠

٦- الجنس وعلاقته بطبيعة العمل:

وأمام الظروف المعيشية القاسية ولتخفيف العبء على كاهل الأسرة ، تضطر شريحة من الفتيات

الأقل حظاً في التعليم للبحث عن عمل لغرض تأمين مصدر رزق يحميهم من الفقر والجوع والعوز ومحاولة لتحسين الظروف الاقتصادية لأسرهم . فحين تنزل الفتاة إلى سوق العمل دون أن تمتلك التعليم الكافي والكفاءة المطلوبة ، فإن ذلك يقلل من فرصتها في العثور على مجالات وظيفية واسعة ومتنوعة ، فلا حيلة أمامها غير القبول بأعمال لا تتطلب مهارة أو مجهود بدني كبير من قبيل التسول أو الخدمة في المنازل وغيرها من الاعمال التي لا تتلائم وطبيعة التكوين البيولوجي للمرأة . ويكشف انخراط أعداد من الفتيات الصغيرات في ممارسة هكذا أعمال عن فداحة الحاجة والعوز المادي لأسرهن بالشكل الذي جعلها تتخلى عن عادات وتقاليد المجتمع التي تستنكر ممارسة الفتيات لتلك الاعمال .

حيث تشير بيانات البحث الى ان (٢١) مبحوثة من أصل (٢٣) مبحوثة يمارسن أعمالاً خفيفة ، في حين ان (١٠٤) مبحوثة من الذكور يمارسون أعمالاً مرهقة من أصل (١٣٧) مبحوثة.

ولمعرفة مدى وجود علاقة بين متغيري الجنس وطبيعة العمل لدى المبحوثين ، أظهرت نتائج

اختبار (كا^٢) وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية حيث كانت القيمة المحسوبة (٣٦,٨) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٦,٦) على مستوى ثقة (٩٩%) ودرجة حرية (١) . وهذا يعني أن الإناث بحكم تكوينهن البيولوجي لا يستطعن القيام بالأعمال الصعبة والمرهقة بعكس الذكور الذين يمكنهم القيام بتلك الاعمال.

جدول (١٣)

يبين العلاقة بين الجنس وطبيعة العمل

المجموع	أعمال مرهقة	أعمال خفيفة	طبيعة العمل / الجنس
١٣٧	١٠٤	٣٣	ذكر
٢٣	٢	٢١	أنثى
١٦٠	١٠٦	٥٤	المجموع

٧- إصابات العمل:

تتضمن الأعمال التي يزاولها الأطفال العديد من المخاطر الصحية ، وهذه المخاطر تترك آثارها الواضحة في حياة الأطفال سواء على

٦٦	١٠٥	نعم
٣٤	٥٥	لا
١٠٠	١٦٠	المجموع

وعند سؤال أفراد العينة عن نوعية الإصابات التي تعرضوا لها أظهرت نتائج الدراسة الميدانية ان غالبية أفراد العينة يعانون من أمراض فقر الدم وهو ما أشارت اليه إجابات (٩٥) مبحوثاً يمثلون (٩٠,٤%) من العينة وقد جاء بالتسلسل المرتبي الأول ، وجاء في المرتبة الثانية ما أشارت اليه إجابات (٨٠) مبحوثاً يمثلون (٧٦,١%) من العينة من أنهم يعانون من الإصابة بالأمراض الصدرية وأمراض الجهاز التنفسي . وجاء في التسلسل المرتبي الثالث ما أشارت اليه إجابات (٧٥) مبحوثاً يمثلون (٧١,٤%) من العينة من أنهم يعانون من التعرض لدرجات الحرارة العالية أثناء العمل ، وجاء في المرتبة الرابعة إجابات (٧٣) مبحوثاً ونسبة (٦٩,٥%) من العينة والتي أشارت الى الإصابة بالجروح والمشكلات البصرية . وأخيراً هناك الحروق والتعرض للغازات والمواد

المدى القريب أو البعيد . ويمكن لنا قياس وملاحظة تلك الآثار بصورة أسهل من الآثار النفسية . فالأطفال هم أكثر عرضة للمخاطر من الكبار وهم أقل إدراكاً للمخاطر التي يمكن أن يسببها لهم عملهم .

وتشير البيانات الرقمية الواردة في الجدول رقم (١٤) الى إجابات أفراد العينة حول مدى تعرضهم للإصابة أو الأذى أثناء العمل . حيث أجاب (١٠٥) طفلاً ونسبة مقدارها (٦٦%) بأنهم تعرضوا لمثل هذه الإصابات ، أما بقية الأطفال والبالغ عددهم (٥٥) فقد أجابوا بالنفي ، وهم يمثلون نسبة مقدارها (٣٤%) . وهذا يعني ان الأطفال الذين يعملون في الاعمال المرفقة هم الأكثر عرضة الى الإصابة بسبب تلك الاعمال التي لا تتناسب وأعمارهم ونموهم الجسدي . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (١٤)

يبين مدى تعرض المبحوثين للإصابة أثناء العمل

إجابات العينة	العدد	%
---------------	-------	---

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

والمشكلات البصرية			
الحروق والتعرض للغازات والمواد السامة	٣٨	٥	٣٦,١

(*) ان مجموع الإجابات أكبر من حجم العينة

(١٦٠) لتعرض الطفل الواحد لأكثر من نوع من أنواع الإصابات.

٨- صعوبات العمل :

تتطوي بيئة العمل على الكثير من الصعوبات التي تؤثر على الطفل من الناحية النفسية والاجتماعية . فضلاً عن كونها مصدر خطر بدني كبير على الأطفال ، إذ إن انخراط الطفل المبكر في سوق العمل له آثار سيئة ، تتمثل بمشكلات سوء التكيف والانحراف ، نظراً لعدم اكتمال النمو الجسماني وما يرافق ذلك من أزمات وانفعالات

وتوضح البيانات الرقمية الواردة في الجدول رقم (١٦) إجابات المبحوثين حول مدى مواجهتهم للصعوبات أثناء العمل. حيث أكد (١٢٠) طفلاً وبنسبة مقدارها (٧٥%) مواجهتهم لمثل هذه

السامة والذي يتمثل بإجابات (٣٨) مبحوثاً يشكلون نسبة (٣٦,١%) من العينة . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول تسلسل مرتبي (١٥)(*)

يبين نوعية الإصابات التي تعرض لها المبحوثين كما أشرها (١٠٥) مبحوثاً

نوع الإصابة	العدد	التسلسل ل المرتبي	الوزن المئوي
أمراض فقر الدم	٩٥	١	٩٠,٤
الأمراض الصدرية وأمراض الجهاز التنفسي	٨٠	٢	٧٦,١
التعرض لدرجات الحرارة العالية	٧٥	٣	٧١,٤
الإصابة بالجروح	٧٣	٤	٦٩,٥

نفسية . ناهيك عن المشكلات النفسية المصاحبة لمرحلة المراهقة التي قد تتسبب في إحياتات وانحرافات خطيرة تؤثر على سلوك الطفل ومستقبله.

العملية التي تؤهلهم للقيام بتلك الاعمال المناطة بهم . وجاءت بالمرتبة الثالثة إجابات (٩٨) مبحوثاً يمثلون نسبة (٨١,٦%) من المبحوثين الذين أكدوا مواجهتهم لتلك الصعوبات ، بأنهم يتعرضون للمشاكسة والتحرش من قبل الآخرين . وأخيراً هناك التعرض للتوبيخ وسماع الكلمات النابية والذي تمثل بإجابات (٨٧) مبحوثاً يمثلون نسبة (٧٢,٥%) من المبحوثين الذين أكدوا مواجهتهم لمثل تلك الصعوبات . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول تسلسل مرتبي (١٧)

يبين نوعية الصعوبات التي يواجهها المبحوثين كما أشرها (١٢٠) مبحوثاً

الصعوبات ، في حين لم يؤكد بقية أفراد العينة والبالغ عددهم (٤٠) طفلاً مواجهتهم لتلك الصعوبات وهم يشكلون ما نسبته (٢٥%) من مجموع أفراد العينة . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (١٦)

يبين مدى مواجهة المبحوثين للصعوبات أثناء

العمل

إجابات العينة	العدد	%
نعم	١٢٠	٧٥
لا	٤٠	٢٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

وعند سؤال الأطفال الذين أكدوا أنهم يواجهون صعوبات أثناء العمل عن ماهية هذه الصعوبات ، أجاب (١١٥) طفلاً يمثلون نسبة (٩٥,٨%) ، بأنهم يواجهون صعوبة الاندماج بالعمل ، وقد احتل هذا النوع من الصعوبات التسلسل المرتبي الأول بين إجابات المبحوثين . وجاء بالمرتبة الثانية ما أشارت إليه إجابات (١٠٠) مبحوثاً يمثلون نسبة (٨٣,٣%) من الذين أكدوا مواجهتهم لمثل تلك الصعوبات من أنهم لا يمتلكون الخبرة

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

وفاة رب الأسرة او غيرها من حالات التفكك الاسري . حيث تشير بيانات الدراسة الى كبر حجم اسر المبحوثين التي بلغ متوسطها (١٠) والانحراف المعياري (٣) . وهذا يعني أن أدنى حجم لأسر المبحوثين هو (٧) وأعلى حجم هو (١٣) ، وقد جاءت أعلى النسب (٣٥%) من المبحوثين يعيشون في اسر يتراوح عدد أفرادها (٩-١١) فرداً ، تليها (٢٢%) من المبحوثين يعيشون في اسر تضم (١٢-١٤) فرداً ، ومثلهم (٢٢%) يعيشون في اسر يتراوح عدد أفرادها ما بين (٦-٨) أفراد ، و (١١%) من المبحوثين يعيشون في اسر تضم ما بين (١٥-١٧) فرداً . وأخيراً هناك (١٠%) من المبحوثين يعيشون في اسر تضم ما بين (٣-٥) أفراد . والجدول الآتي يوضح ذلك .

نوع الصعوبة	العدد	التسلسل المرتبي	الوزن المئوي
أجد صعوبة في الاندماج بالعمل	١١٥	١	٩٥,٨
لا امتلك الخبرة العملية	١٠٠	٢	٨٣,٣
التعرض للمشاكسة والتحرش من قبل الآخرين	٩٨	٣	٨١,٦
التعرض للتوبيخ وسماع الكلمات النابية	٨٧	٤	٧٢,٥

جدول (١٨)

يبين عدد أفراد أسر المبحوثين

ثالثاً : علاقة الظروف الأسرية بالظاهرة :

٩- حجم أسر المبحوثين :

ان كبر حجم الأسرة يشكل دافعاً مهماً للأبناء للانخراط مبكراً بميدان العمل لاسيما في حالة

ويلاحظ من بيانات الجدول السابق ان معظم أفراد العينة يعيشون مع أسر كبيرة العدد نسبياً مما يؤكد لنا ان حجم الأسر يتناسب طردياً مع ظاهرة عمل الأطفال . اذ تشير بيانات البحث الى ان (٤٠) من الأطفال العاملين الذي يتراوح عدد أسرهم بين (٣-١١) فرداً والبالغ عددهم (١٠٧) كانوا يعملون لفترة تمتد بين (٢-٧) ساعات يومياً ، في حين ان (٥٠) مبحوثاً من أصل (٥٣) من الأطفال الذين يتراوح أفراد أسرهم بين (١٢-١٧) فرداً كانوا يعملون لأكثر من ثمان ساعات يومياً .

ولمعرفة مدى وجود علاقة بين متغيري حجم الأسرة وعدد ساعات العمل ، أظهرت نتائج اختبار (كا^٢) وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية حيث كانت القيمة المحسوبة (١٦,٥) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٦,٦) على مستوى ثقة (٩٩%) ودرجة حرية (١) . وهذا يعني ان الأسر الكبيرة الحجم تحتاج الى دخول إضافية لسد متطلبات المعيشة ، الأمر الذي يتطلب من معيّلها العمل لساعات طويلة لتأمين تلك المتطلبات . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (١٩) (*)

عدد أفراد الأسرة	العدد	%
٣-٥	١٦	١٠
٦-٨	٣٥	٢٢
٩-١١	٥٦	٣٥
١٢-١٤	٣٥	٢٢
١٥-١٧	١٨	١١
المجموع	١٦٠	١٠٠

١٠- حجم الأسرة وعلاقته بعدد ساعات العمل :

يشكل حجم الاسرة في كثير من الأحيان دافعاً مهماً لعمالة الأطفال . إذ ان كبر حجم الأسرة يشكل عبئاً كبيراً يتحمل كاهل رب الأسرة ، الأمر الذي يدفع بهم الى زج أبنائهم في سوق لعمل لتوفير مصادر دخل إضافية من اجل الإيفاء بالمتطلبات المعيشية للأسرة . كما ان هذه الحالة تفرض على هؤلاء الاطفال الاشتغال لعدد اكبر من الساعات من اجل جمع اكبر قدر ممكن من المال لسد تلك المتطلبات .

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

يبين العلاقة بين حجم الأسرة وعدد ساعات العمل

حجم الأسرة	ساعات العمل (٢-٧) ساعات	٨ ساعات فأكثر	المجموع
٣ - ١١ فرداً	٤٠	٦٧	١٠٧
١٢ - ١٧ فرداً	٣	٥٠	٥٣
المجموع	٤٣	١١٧	١٦٠

(*) انظر الجدول السابق والجدول رقم (٩) .

استمرارية للأسرة الممتدة ليس في الريف فحسب ، بل كذلك في الحضر الشعبي الفقير . وهذا ما يتضح من بيانات البحث التي كشفت عن إقامة (١١٧) أسرة وبنسبة (٧٣,١%) من أفراد العينة بصورة مشتركة تضم أكثر من أسرة ، مقابل (٤٣) أسرة وبنسبة (٢٦,٩%) من أفراد العينة تقيم أسرهم بشكل منفرد . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٢٠)

يبين نوع الإقامة الأسرية للمبحوثين

نوع الإقامة الأسرية	العدد	%
سكن مستقل	٤٣	٢٦,٩
سكن مشترك لأكثر من أسرة	١١٧	٧٣,١
المجموع	١٦٠	١٠٠

١٢ - عدد مداخل الأسرة :

في ظل ارتفاع تكاليف المعيشة التي أصبح رب الاسرة ينوء بحملها تظهر هنا وسيلة أخرى يمكن عن طريقها زيادة دخل الأسرة وإضافة مدخولات

١١ - نوع الإقامة الأسرية :

اضطرت الأسرة الحضرية العراقية تحت وطأة أزمة السكن الحالية والظروف الاجتماعية والسياسية غير المستقرة الى الإقامة المشتركة لأكثر من أسرة في مسكن واحد يضم الأبناء المتزوجين وأحياناً الأخوة المتزوجين ، وقد تضم بعض الأسر أقارب آخرين . فقد تميز الاسرة العراقية بخصائص فرضتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أدت الى تعايش أنواع من الأسرة في ظل نظام الأسرة والزواج السائدين . فعلى الرغم من انتشار الأسرة النووية في الحضر على وجه الخصوص ، نجد ان هناك

العدد ٢١ القسم الثاني اسنة ٢٠١٧م

٢	٥١	٣١,٩	٦٥
٣	٣٣	٢٠,٦	
٤	٢٠	١٢,٥	
المجموع	١٦٠	١٠٠	

١٣- كيفية التصرف بالأجر :

ان الأجر الذي يحصل عليه الطفل يمثل السبب الرئيسي الذي يدفع بأسر المبحوثين الى زج ابنائها الى العمل المبكر بغض النظر عن المخاطر المحيطة به من اجل الكسب وازافة دخل يمكنها من العيش والبقاء . إذ تشير بيانات البحث الى ان (١٣٣) من أفراد العينة يسهمون في دخل أسرهم ، وهم يشكلون نسبة (٨٣%) من العينة ، مقابل (٢٧) من أفراد العينة لا يسهمون في دخل أسرهم وبنسبة (١٧%) من العينة .

والجدول الآتي يوضح ذلك

جدول (٢٢)

يبين مدى مساهمة المبحوثين في دخل الاسرة

إجابات العينة	العدد	%

جديدة ، اذ تلجأ بعض الأسر الى زج أبنائها للالتحاق بأي عمل تحت وطأة الحاجة المادية .
إذ تشير بيانات البحث الى ان متوسط عدد الدخول لأسر المبحوثين يبلغ (٢,٦) دخلاً ، حيث ان هناك (١٠٤) طفلاً يمثلون نسبة (٦٥%) من المبحوثين يرد أسرهم أكثر من دخل ، مقابل (٥٦) مبحوثاً يمثلون نسبة (٣٥%) لا يرد أسرهم سوى دخل واحد .

فقد أشار (٥١) مبحوثاً يمثلون نسبة (٣١,٩%) من العينة الى حصول أسرهم على دخلين ، في حين ذكر (٣٣) مبحوثاً يشكلون نسبة (٢٠,٦%) من العينة الى حصول أسرهم على ثلاثة دخول ، فيما أشار (٢٠) مبحوثاً يمثلون نسبة (١٢,٥%) الى حصول أسرهم على أربعة دخول . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٢١)

يبين عدد مدخولات أسر المبحوثين

عدد الدخول	العدد	%
١	٥٦	٣٥

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

الإجابات	العدد	%
أسلم أجري كله للأسرة	٧٥	٥٦
أحتفظ بجزء من الأجر لتلبية احتياجاتي الشخصية	٥٨	٤٤
المجموع	١٣٣	١٠٠

١٤ - الموقف من التعليم :

يأتي تدني الوضع المادي للأسرة وعدم قدرتها على تحمل الابعاء المالية الدراسة في مقدمة الاسباب التي تحول دون استمرار الأطفال في التعليم . لهذا تنتشر ظاهرة التسرب المدرسي عادة بين أبناء الأسر الفقيرة التي تحتاج إلى عمل أبنائها لكي توفر مستلزمات الحياة اليومية . ومن معطيات الجدول رقم (٢٤) نلاحظ ان (٩١) مبحوثاً من مجموع العينة التحق بالتعليم وهم يشكلون نسب مقدارها (٥٧%) ، في حين أكد (٦٩%) مبحوثاً وبنسبة (٤٣%) من مجموع أفراد العينة بأنهم لم يلتحقوا بالتعليم أصلاً . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٢٤) (*)

أسهم في دخل الأسرة	١٣٣	٨٣
لا أسهم في دخل الأسرة	٢٧	١٧
المجموع	١٦٠	١٠٠

ويتضح لنا من هذه النتائج ان هناك فئات اجتماعية يتوقف بقائها على ما مقدار ما يسهم به ابنائها في اعانتها على مواجهة الظروف المأساوية التي تعيشها تلك الأسر من خلال العمل في مختلف الاعمال الهامشية .

وعند سؤال الأطفال عن مقدار الإسهام في دخل الأسرة أشارت بيانات البحث الى أن (٧٥) مبحوثاً من مجموع (١٣٣) مبحوثاً ممن يسهمون في دخل الأسرة يسلمون أجرهم كاملاً إلى الأسرة ويشكلون نسبة مقدارها (٥٦%) ، في حين وجد أن (٥٨) مبحوثاً وبنسبة قدرها (٤٤%) يحتفظون بجزء من أجرهم لمصروفاتهم الخاصة ومتطلباتهم الشخصية . والجدول الآتي يوضح ذلك

جدول (٢٣)

يبين طبيعة إسهام المبحوثين في دخل أسرهم

الموقف من الدراسة	العدد	%
مستمر بالدراسة	١٣	١٤
متسرب من الدراسة	٧٨	٨٦
المجموع	٩١	١٠٠

١٥ - أسباب ترك الدراسة :

ويأتي في مقدمة هذه الاسباب الوضع الاقتصادي للأسرة وبالتالي يتسرب الكثير من الاطفال من الدراسة ويلتحقون مبكراً بسوق العمل . فضلاً عن انخفاض المردود المادي للوظيفة بشكل عام ، الامر الذي يدفع بالعديد من الأطفال للاتجاه نحو العمل منذ الصغر وترك التعليم . مما يتسبب في حرمانهم مستقبلاً من الحصول على وظيفة ، فيبقوا عاطلين عن العمل معظم حياتهم .

وتشير معطيات الجدول رقم (٢٦) الى إجابات المبحوثين عن أسباب ترك الدراسة . إذ يتبين لنا ان العامل الأول الذي احتل التسلسل المرتبي الأول هو المشاركة في إعالة الأسرة وبنسبة قدرها (٩٤,٨%) من العينة ، وجاء بالمرتبة الثانية إجابات (٧١) يمثلون (٩١%) من العينة أشاروا

يبين التحاق المبحوثين بالتعليم من عدمه

الالتحاق بالتعليم	العدد	%
التحق بالتعليم	٩١	٥٧
لم يلتحق بالتعليم أصلاً	٦٩	٤٣
المجموع	١٦٠	١٠٠

(*) انظر جدول رقم (٥).

وفي سؤال وجه الى الأطفال الذين التحقوا بالدراسة عن مدى استمراريتهم بالدراسة ، تشير بيانات البحث الى أن نسبة عالية من الأطفال العاملين في عينة الدراسة ممن التحقوا بالمدرسة قد تركوا المدرسة وانصرفوا للعمل بصورة كلية . إذ بلغت نسبتهم (٨٦%) ، بينما بلغت نسبة الأطفال الذين استمروا بالدراسة على الرغم من انخراطهم بالعمل (١٤%) من مجموع الـ (٩١) مبحوثاً ممن التحقوا بالمدرسة ، في حين تشكل نسبتهم (٨%) من مجموع العينة الكلية البالغة (١٦٠) مبحوث . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٢٥)

يبين مدى استمرارية المبحوثين بالدراسة

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

التعليم			
شعور الأسرة بعدم جدوى التعليم من الناحية الاقتصادية	٦٨	٣	٨٧
صعوبة الجمع بين العمل والدراسة	٦٦	٤	٨٤,٦
إفساح المجال أمام أخوتي لإكمال دراستهم	٤٤	٥	٥٦,٤

الى ارتفاع تكاليف التعليم . وفي التسلسل المرتبي الثالث جاءت إجابات (٦٨) مبحوثاً يمثلون نسبة (٨٧%) من العينة من أنهم تركوا الدراسة بسبب شعور الأسرة بعدم جدوى التعليم من الناحية الاقتصادية ، أما سبب صعوبة الجمع بين العمل والدراسة فقد أحتل المرتبة الرابعة بين إجابات (٦٦) من المبحوثين وبنسبة قدرها (٨٤,٦%) . وأخيراً جاء إفساح المجال أمام أخوتي لإكمال دراستهم بالمرتبة الخامسة بين إجابات (٤٤) مبحوثاً يشكلون نسبة (٥٦,٤%) من العينة . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول تسلسل مرتبي (٢٦)

يبين أسباب تسرب المبحوثين من الدراسة كما أشرها (٧٨) مبحوثاً

أسباب ترك الدراسة	العدد	التسلسل	الوزن المئوي
المشاركة في إعالة الأسرة	٧٤	١	٩٤,٨
ارتفاع تكاليف	٧١	٢	٩١

١٦- الرغبة في إكمال الدراسة :

تلعب الأسرة بالدرجة الأولى الدور الكبير في مسيرة الطفل الدراسية ، اذ ان تدني مستوى تعليم الوالدين يؤدي قصور الوعي الثقافي لديهم وعدم الايمان بأهمية التعليم بالنسبة للفرد ، لذلك فهم كثيراً ما يهملون في متابعة الأبناء أثناء الدراسة . لذا يعد انخفاض المستوي التعليمي للوالدين واحداً من الاسباب المهمة لظاهرة عمالة الاطفال حيث لا يجد هؤلاء الاطفال التشجيع الكافي لمواصلة

الدراسة . بل قد تشجع الاسرة اطفالها لتترك المدرسة والتوجه نحو سوق العمل .

وتوضح معطيات الجدول رقم (٢٧) رغبة المبحوثين في العودة الى مقاعد الدراسة . إذ تشير بيانات البحث الى ان (٥٠) مبحوثاً وبنسبة (٦٤%) أشاروا الى عدم رغبتهم في مواصلة الدراسة ، مقابل (٢٨) مبحوثاً من أصل (٧٨) مبحوثاً ويشكلون نسبة مقدارها (٣٦%) أكدوا رغبتهم بمواصلة الدراسة ان سنحت لهم الفرصة بذلك مستقبلاً . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٢٧)

يبين رغبة المبحوثين بالعودة للدراسة من عدمها

الإجابات	العدد	%
أرغب بالعودة الى الدراسة	٢٨	٣٦
لا أرغب بالعودة الى الدراسة	٥٠	٦٤
المجموع	٧٨	١٠٠

١٧- دوافع العمل لدى الأطفال :

تقف وراء ظاهرة عمالة الأطفال دوافع متداخلة ، وهي تختلف من حيث درجة أهميتها وقد توزعت على الشكل الآتي :

١- **العوز المادي** : إذ تشير بيانات البحث الى ان انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة بسبب الفقر والحاجة المادية كان الدافع الرئيسي وراء عمالة (٩١) مبحوثاً يشكلون نسبة (٥٧%) من العينة ، وان هذا العامل قد اشتمل في (١٩,٣%) منه على بعض حالات التفكك الأسري كالهجر والطلاق والوفاة . وشكّل عدم كفاية دخل المعيل للأسرة دافعاً لعمالة (٢٧) مبحوثاً يمثلون نسبة (١٦,٨%) من العينة ، وهناك (١٧) مبحوثاً يشكلون نسبة (١١%) من العينة اضطروا الى العمل بسبب عجز المعيل أو بطالته أو مرضه . كما أسهمت ظروف التهجير القسري والنزوح في إقبال (١٦) مبحوثاً يمثلون نسبة (١٠%) من العينة على الانخراط في العمل لمواجهة لظروف الحاجة المادية التي تتعرض لها .

٢- **تحقيق رغبة الأسرة في العمل** : إذ تمتاز بعض الأسر بامتهانها لبعض الأعمال والحرف والتي تتناقلها عبر الأجيال والأمثلة في ذلك

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

٥- استثمار وقت الفراغ : وأخيراً هناك (٧) مبحوثين يمثلون نسبة (٤,٣%) من العينة أشاروا بأن الدافع من وراء عملهم هو الرغبة في استثمار وقت الفراغ . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٢٨)

يبين دوافع عمل المبحوثين

العدد	%	دوافع العمل
٩١	٥٧	العوز المادي
٣٨	٢٣,٧	تحقيق رغبة الأسرة في العمل
١٣	٨,١	ارتفاع أجور بعض الأعمال
١١	٦,٨	الرغبة في الاستقلال المادي والاعتماد على النفس
٧	٤,٣	استثمار وقت الفراغ
١٦٠	١٠٠	المجموع

وأمام جسامه الحاجة المادية لأسر هذه الشريحة من الأطفال العاملين واضطراهم الى ممارسة أعمال أقل ما يقال عنها أنها لا تتناسب مع قدراتهم البدنية والبيولوجية ، إضافة إلى أن هناك

عديدة ، فالخلفية المهنية للآباء تؤثر بشكل فعال في توجيه الأبناء للعمل بمهن معينة دون أخرى يستطيع الآباء تقدير فائدتها في أعداد الطفل للمستقبل . وكان هذا دافعا لـ (٣٨) مبحثاً يمثلون (٢٣,٧%) من العينة للانخراط في العمل .

٣- ارتفاع أجور بعض الاعمال : وجاء في المرتبة الثالثة بين دوافع العمل لدى المبحوثين ، إذ تكون عوائد بعض الاعمال مربحة أحياناً كما هو الحال بالنسبة لبائعي المشتقات النفطية والتي يروج العمل عند حصول أزمة المشتقات النفطية ، وهي مهنة اتخذها البعض ومنهم الأطفال وذلك بالحصول على الوقود بطرق غير مشروعة ومن ثم بيعه بأسعار باهضة تكون عوائدها مجزية لممارسي هذه المهنة . وقد كان هذا دافعا لعمالة (١٣) مبحثاً يشكلون نسبة (٨,١%) من العينة .

٤- الرغبة في الاستقلال المادي والاعتماد على النفس : وقد اوضحت النتائج ان (١١) مبحثاً يمثلون نسبة (٦,٨%) من العينة كان الدافع من وراء عملهم هو الرغبة في الاستقلال المادي في الصرف على أنفسهم والاعتماد على النفس في تلبية احتياجاتهم.

المحسوبة (٤٧,٨) وهي اكبر من القيمة الجدولية (٦,٦) على مستوى ثقة (٩٩%) ودرجة حرية (١) . وهذا يعني ان غالبية المبحوثين يفضلون ترك العمل والعودة الى كنف الأسرة في حالة ضمان معيشتهم بغض النظر عن الأسباب التي دفعتهم للعمل سواء أكانت دوافع مادية أو غير ذلك . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول (٢٩) (*)

يبين رغبة الطفل في ترك العمل في حال تحسن ظروف المعيشة

دوا فع العم ل	الرغبة في ترك العمل في حالة تحسن ظروف المعيشة				الم جمو ع	%
	موا فق	%	غير موا فق	%		
الفق رو الجا دة الماد ية	91	56,8	-	-	91	56,8
دوا فع آخر ى	38	23,8	31	19,4	69	43,2
المج	12	80,	31	19,	16	100

انعكاسات خطيرة على نفسية الطفل عندما يجد أقرانه في المدارس ويجد من هم في عمره في أماكن أخرى منتجين تحت رعاية أسرة تحميهم وترعاهم ، ويجد هو نفسه في الشارع يشتغل ببيع أنابيب الغاز وغيرها من المهن . حتى إن بعضهم قد انخرط فيما يمكن أن يصنف على كونه من زمرة المتسولين ، وكذا العمل في ورشات صناعية هي بعيدة كل البعد عن أحلام الطفولة . لذلك لا يخفي الكثير من هؤلاء الأطفال تدمرهم واضطرارهم لممارسة تلك الاعمال تحت ضغط الحاجة المادية ، ورغبتهم في ترك العمل فيما لو توفرت لهم الظروف المناسبة التي تؤمن لهم ولأسرهم عيشاً كريماً . وهي رغبة أكدها (١٢٩) مبحوثاً يشكلون نسبة (٨٠,٦%) من العينة ، مقابل (١٩,٤%) من المبحوثين فضلوا الاستمرار بالعمل.

ولمعرفة مدى وجود علاقة بين دوافع العمل لدى المبحوثين وبين موافقتهم على ترك العمل من عدمه في حالة ضمان معيشتهم ، أظهرت نتائج اختبار (كا^٢) وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين . حيث بلغت قيمة (كا^٢)

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

موع	9	6	4	0
-----	---	---	---	---

(*) انظر الجدول السابق .

رابعاً : المجتمع وظاهرة عمالة الأطفال :

١٨- مسائلة اسر المبحوثين عن تركهم

للمدرسة :

أن الظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق حالياً وما ترتب عليها من مظاهر الاضطراب والفوضى التي تعيشها اغلب مؤسسات الدولة ، وعدم التطبيق الجدي للقوانين والتشريعات ومنها تلك المتعلقة بمشكلة التسرب الدراسي تمثل احد أهم العوامل الدافعة نحو العمل المبكر لاسيما الأطفال المنحدرين من الأسر الفقيرة الذين يشكلون تلك النسب العالية بين أولئك الأطفال المتسربين من الدراسة . الأمر الذي دفع بأسر هؤلاء الأطفال على حثهم لترك الدراسة والتوجه نحو ميدان العمل ، في ظل ضعف مؤسسات الدولة وانشغالها بمجابهة التحديات الأمنية والسياسية والاقتصادية . وعدم وجود جهات رقابية فاعلة تعمل على محاسبة أسر هؤلاء الأطفال ، على الرغم من سريان مفعول قانون التعليم الإلزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦ ، والذي يشمل

العدد ٢١ القسم الثاني اسنة ٢٠١٧م

الفئة العمرية من (٦-١١) سنة . فضلاً عن استفحال ظاهرة الفساد المالي والإداري التي تعاني منها اغلب المؤسسات والدوائر الحكومية في العراق اليوم .

إذ تشير بيانات البحث الى ان جميع الأطفال المتسربين من الدراسة في العينة والبالغ عددهم (٧٨) مبحوثاً قد أكدوا عدم تعرض أسرهم للمسائلة القانونية بسبب تركهم لمقاعد الدراسة والتوجه للعمل ، وهذه النتيجة توحى للباحث حجم التخريب الذي تتعرض له المؤسسة التربوية في العراق اليوم . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٣٠)

يبين مدى تعرض أسر المبحوثين للمسائلة بسبب ترك المدرسة

الإجابات	العدد	%
نعم	-	-
لا	٧٨	١٠٠
المجموع	٧٨	١٠٠

١٩- مسائلة المبحوثين بسبب العمل :

يوجد في العراق العديد من القوانين والتشريعات التي تحرّم تشغيل الأطفال وتعاقب من يشغلهم ، إلا أن فاعليتها كانت ولا زالت ضعيفة ولم تحقق الحد الأدنى من مستلزمات تطويق هذه الظاهرة وإيجاد الحلول المناسبة لها ، بدليل عدم وجود أية إحصائيات دقيقة بهذا المجال ولم تتخذ أية عقوبات رادعة لمستغلي الأطفال سواء في الشارع أو البيت أو أي مجال آخر .

ولم يتم وضع أي مشروع عملي يعتمد على آليات قانونية لمعالجة هذه الظاهرة ، مما أسهم أيضاً في شيوع الحالة واستهتار أصحاب العمل وتشويه هذا العالم الجميل الذي انتُهكت محرماته وقديسيته وجماليته ، ولم تحرك صور اليتامى والمرضى والمعاقين وجامعي النفايات والعاملين في بيع الحاجات بالشوارع نوازع الخير لاتخاذ إجراءات حاسمة بهذا الصدد . ولم تتعد بعض الممارسات الخجولة التي لم ترتقِ الى مستوى خطورة هذه الظاهرة لأنها ببساطة افتقرت الى العقوبات الرادعة والخطوات الإجرائية المشددة .

إذ لا يحظى تشغيل الأطفال اليوم بالاهتمام المطلوب من قبل الجهات الحكومية ومنظمات

العدد ٢١ القسم الثاني اسنة ٢٠١٧م

المجتمع المدني في العراق ، على الرغم من ارتفاع أصوات المطالبين بتفعيل القوانين التي تمنع عمل الأطفال تحت سن الثامنة عشرة ، لكن تلك الأصوات لا تجد من يهتم لهذا الأمر في ظل احتدام الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية التي تعصف بالبلاد بين حين وآخر .

حيث تشير بيانات البحث الى ان جميع أفراد العينة والبالغ عددهم (١٦٠) مبحوثاً أكدوا أنهم لم يتعرضوا الى المسائلة القانونية من قبل أي جهة رسمية بسبب انخراطهم في العمل في سن مبكرة . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٣١)

يبين مدى تعرض المبحوثين للمسائلة القانونية بسبب العمل

إجابات العينة	العدد	%
تعرضت للمسائلة القانونية بسبب العمل	-	-
لم أتعرض للمسائلة القانونية بسبب العمل	١٦٠	١٠٠
المجموع	١٦٠	١٠٠

ممارستهم لبعض أنواع السلوكيات الانحرافية ،

مقابل (٦٢) مبحوثاً يمثلون نسبة مقدارها

(٣٨,٨%) قد أجابوا بالنفي. الجدول الآتي

يوضح ذلك.

جدول (٣٢)

يبين مدى ممارسة المبحوثين لبعض السلوكيات

الانحرافية

إجابات العينة	العدد	%
نعم	٩٨	٦١,٢
لا	٦٢	٣٨,٨
المجموع	١٦٠	١٠٠

وعند سؤال المبحوثين الذين أجابوا بـ (نعم) عن

ماهية السلوكيات التي يمارسونها أو يتعرضون

ليها من قبل الآخرين ، أظهرت بيانات البحث

الى ان (٩٠) مبحوثاً يمثلون نسبة (٩١,٨%) من

إجابات العينة أكدوا تعلمهم للعادات الاجتماعية

المرذولة وقد جاءت بالتسلسل المرتبي الأول .

فيما أشار (٧٨) مبحوثاً يشكلون نسبة (٧٩,٥%)

الى أنهم تعرضوا للتحرش والإغواء الجنسي من

٢٠- عمل الأطفال ومخاطر انحراف السلوك :

يمثل عدم اكتمال النمو الجسمي والعقلي

للأطفال العاملين احد ابرز الاسباب التي تجعلهم

معرضين للكثير من المخاطر الاجتماعية

المحيطة ببيئة العمل لغياب الرعاية الاسرية عنهم

مما يجعلهم طعماً سهلاً للآخرين ، اذ

يسهل خداعهم والتحايل عليهم ، فضلاً عن ان

احتكاك الطفل بعالم البالغين في مرحلة مبكرة

يؤدي الى تقليده لسلوكيات غير محببة ، مما

يجعله يسلك سلوك الراشدين في أقواله وتصرفاته

.

ولعل اكبر المخاطر التي يتعرض أولئك الاطفال

هو اختلاطهم بأشخاص آخرين يعانون من

انحرافات مختلفة مما قد يدفع بالأطفال الى

الانزلاق مهاوي الرذيلة والسلوك المنحرف في ظل

غياب الرعاية الأسرية لهم . ناهيك مشاعر

الخوف والقلق التي قد يتعرض الاطفال في ذلك

المحيط الذي يعملون فيه .

وتشير بيانات البحث الى ان (٩٨) مبحوثاً

يمثلون نسبة (٦١,٢%) من العينة أشاروا الى

تناول المسكرات والعقاقير المخدرة	٤٣	٤	٤٣,٨
---	----	---	------

٢١- خصائص العمل من وجهة نظر المبحوثين

:

ونظراً لاقتران ظاهرة عمالة الأطفال بالقطاع الخاص ، وارتباطها بظرف الحاجة المادية للأطفال العاملين واضطرارهم للعمل بأي شكل من الأشكال ، فقد تعرض هؤلاء الأطفال الى اجحاف كبير في التعامل مع حقوقهم ، تمثل في عدم تطبيق الشروط والضمانات الصحية والاجتماعية الواردة في قانون العمل العراقي النافذ . إذ تشير بيانات الدراسة الميدانية الى ان جميع المبحوثين أكدوا بأنهم محرومون تلك الحقوق والضمانات ، مما زاد من معاناة هذه الشريحة من الأطفال .

وجاء في المرتبة الثانية إجابات (١٤٥) مبحوثاً يمثلون نسبة (٩٠,٦%) من العينة والتي أشارت الى انخفاض أجور العمل التي يتقاضونها مقارنة

قبل الآخرين وقد احتلت المرتبة الثانية بين إجابات المبحوثين ، وجاء بالمرتبة الثالثة إجابات (٦٦) مبحوثاً يمثلون نسبة (٦٧,٣%) من أنهم تعلموا التدخين إما عن طريق رفاقهم أو مشغليهم في محيط العمل ، وأخيراً هناك تناول المسكرات والعقاقير المخدرة الذي تمثل في إجابات (٤٣) مبحوثاً وهم يشكلون نسبة (٤٣,٨%) من الإجابات . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول تسلسل مرتبي (٣٣)

يبين أنواع السلوك التي يمارسها المبحوثين كما أسرها (٩٨) مبحوثاً

أنواع السلوك	العدد	التسلسل المرتبي	الوزن المثوي
تعلم العادات المرذولة	٩٠	١	٩١,٨
إغوائهم أو التحرش بهم من قبل الآخرين	٧٨	٢	٧٩,٥
تعلمهم للتدخين	٦٦	٣	٦٧,٣

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

الوزن المئوي	التسلسل المرتبّي	العدد	خصائص العمل
١٠٠	١	١٦٠	لا تتوفر فيه الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي
٩٠,٦	٢	١٤٥	انخفاض أجور العمل
٧٣	٣	١١٧	طول وقت العمل
٦٨,٧	٤	١١٠	عدم تكفل رب العمل بأجور النقل والطعام

٢٢- نظرة المجتمع لظاهرة عمالة الأطفال:

ان ظاهرة عمالة الأطفال في الوقت الحالي هي ظاهرة مستهجنة ، فغالباً ما يواجه الطفل بالرفض وعدم التشجيع ، فضلاً عن النظرة السلبية التي يواجهها من المجتمع عندما يتوجه الى العمل في بعض المجالات التي تعتبر خارج نطاق الأسرة ، وخروجهم عن الوضع الطبيعي في هذه المرحلة

بأجور العمال الكبار ، فهي تتراوح بين نصف الحد الأدنى للأجر إلى الحد الأدنى من الأجر القانوني ، كما اشتكى عدد من الأطفال العاملين من أنهم لا يحصلون على أجورهم في موعدها المحدد . وجاء في المرتبة الثالثة ما أشارت اليه إجابات (١١٧) طفلاً عاملاً يمثلون نسبة (٧٣%) من العينة من أنهم يعانون من طول وقت العمل الذي قد يصل الى أكثر من (١٠) ساعات ، وقد يغطي النهار كله وبضع من الليل خاصة عندما يعمل الطفل بالقطعة كما هو الحال بالنسبة للعاملين في معامل الطابوق والكاشي والموزائيك .

وجاءت في التسلسل المرتبّي الأخير إجابات (١١٠) يشكلون نسبة (٦٨,٧%) من العينة والتي أشارت الى عدم تكفل أرباب العمل بدفع أجور النقل من وإلى مكان العمل وأجور الطعام خلافاً لتقاليد العمل المعتاد عليها سعيّاً منهم في استغلال ظروف الحاجة المادية لأولئك الأطفال لزيادة أرباحهم . والجدول الآتي يوضح ذلك .

جدول تسلسل مرتبّي (٣٤)

يبين خصائص العمل من وجهة نظرالمبحوثين

العمرية الذي يقضي بضرورة تواجدهم على مقاعد الدراسة.

ان الآثار المترتبة على ظاهرة عمالة الاطفال تتسحب على الأسرة والمجتمع ، فالطفل صورة المستقبل وهو الذي يغذي طاقة العمل التي يحتاجها المجتمع ، وان ممارسة الأطفال لأعمال غير ذات قيمة من الناحية الاقتصادية ولا تشكل أي إضافة للثروة البشرية أو المادية التي يمتلكها المجتمع تعكس في الوقت ذاته صورة مشوهة عن أوضاع المجتمع.

وفي تقييم المبحوثين لنظرة المجتمع الى عمالة الأطفال أجاب (٩٧) مبحوثاً يمثلون (٦٠,٦%) من العينة بأن هناك نظرة اجتماعية سلبية تجاه انخراط الطفل في العمل بسن مبكرة . فيما رأى (٣٩) مبحوثاً يمثلون نسبة (٢٤,٤%) من العينة ان صورتهم لدى المجتمع كأطفال عاملين في تلك الأنماط المختلفة من الاعمال هي صورة ايجابية . فيما أكد (٢٤) مبحوثاً يمثلون (١٥%) من العينة ان نظرة المجتمع لهم وهم في هذه الحال تتراوح بين السلب والإيجاب . ولعل هذا الموقف باعتقادنا يرتبط في جزء كبير منه الى

العدد ٢١ القسم الثاني اسنة ٢٠١٧م

وجهة النظر الاجتماعية التي ترى ان خبرة العمل قد تكون مفيدة اذا كانت في بيئة مناسبة وفي حال احتوائها على قيم تثقيفية تسهم في تنشئة الطفل وبناء شخصيته بناءً سليماً بالشكل الذي يمكنه من ان يكون مواطناً نافعاً في مجتمعه . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٣٥)

يبين تقييم المبحوثين لنظرة المجتمع لظاهرة عمالة الأطفال

نظرة المجتمع	العدد	%
سلبية	٩٧	٦٠,٦
ايجابية	٣٩	٢٤,٤
تتراوح بين السلب والإيجاب	٢٤	١٥
المجموع	١٦٠	١٠٠

٢٣- مشاعر المبحوثين نحو العمل :

ان عمل الاطفال تحت ضغط الحاجة المادية وفي ظل اوضاع اجتماعية واقتصادية مأساوية وفي بيئات غير آمنة غالباً لا يمكن ان يكون بمعزل عن السمات النفسية للطفل ، تلك السمات

عمالة الأطفال بين المسؤولية الأسرية والمسائلة القانونية

يبين مشاعر المبحوثين تجاه العمل

مشاعر المبحوثين	العدد	%
الاستغلال والظلم المجتمعي	٨٧	٥٤,٤
الشعور بالحرّج	٤٤	٢٧,٥
افتخر بعملتي كوني أساعد عائلتي	٢٩	١٨,١
المجموع	١٦٠	١٠٠

استنتاجات الدراسة :

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة

نستطيع ان نؤكد الاستنتاجات التالية :

- ١- افرزت ظروف الحروب المتتالية والاحتلال والازمات الامنية والسياسية وارتفاع معدلات البطالة والفقر اوضاعاً انسانية مأساوية للكثير من الاسر العراقية ، تمثلت بارتفاع أعداد الأيتام والمشردين والأرامل والمطلقات وغيرها من حالات التفكك الاجتماعي .

- ٢- أظهرت الدراسة ان استغلال عمالة الأطفال يبدأ بمراحل عمرية مبكرة ، فهي تبدأ من

التي تمتد شخصيته بجوانب القوة او تحد منها احياناً اخرى .

فقد أكد (٨٧) مبحوثاً يمثلون (٥٤,٤%) من العينة بأنهم يشعرون بالاستغلال والظلم المجتمعي ، لأن المجتمع تخلى عنهم وهم يجابهون شتى المصاعب في سن مبكرة بعد فقدانهم أو تخلي معيلهم عنهم . كما ان إحساس الأطفال بأنهم يتعرضون للاستغلال من طرف مشغليهم يعمق لديهم الشعور بالإحباط والظلم ، خاصة عندما تكون الأسرة متواطئة مع هذا الظلم وشريكة فيه . فيما أشار (٤٤) مبحوثاً يمثلون (٢٧,٥%) من العينة بأنهم يشعرون بالحرّج نتيجة مزاولتهم لمثل هذه الاعمال ، إذ غالباً ما تضطر هذه الفئة من الأطفال الى التخفي عند رؤيتهم لأقرانهم في المدرسة أو المنطقة السكنية والعمل في أماكن غير معروفين فيها . وقد ذكر (٢٩) مبحوثاً يمثلون (١٨,١%) من العينة بأنهم فخورون بكونهم يعيلون أسرهم وأنهم يُقبلون على امتحان تلك الاعمال وهم راضين ومتحدين للظروف التي يمرون بها . والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول(٣٦)

٦- إن انخراط الطفل المبكر في سوق العمل له آثار سيئة تتمثل بمشكلات الانحراف والوقوع في مسالك الجريمة ، ناهيك عن المخاطر الصحية والبدنية ، نظراً لعدم اكتمال النمو الجسماني وما يرافق ذلك من أزمات وانفعالات نفسية .

٧- ان تشغيل الأطفال لا يحظى بالاهتمام المطلوب من قبل الجهات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني في العراق ، اذ أكد جميع الباحثين أنهم لم يتعرضوا الى المسائلة القانونية من قبل أي جهة رسمية بسبب انخراطهم في العمل في سن مبكرة .

التوصيات :

ومن اجل علاج مشكلة عمالة الأطفال وفي ضوء نتائج الدراسة نوصي بالآتي :

١- توسيع أعداد المشمولين بإعانات شبكة الحماية الاجتماعية ورفع مبالغ الإعانة بما يكفل اسباب العيش الكريم ، وبما يمكن الاسر الفقيرة من القيام بمسؤولياتها تجاه اطفالها وتوفير فرص العمل الملائمة لكل الراغبين به من خلال اقامة

السن السادسة في العمر وتمتد حتى سن السابعة عشرة من العمر .

٣- ان ظاهرة عمل الأطفال ترتبط بجنس الذكور أكثر من ارتباطها بجنس الإناث بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية التي تربط عمل الإناث في الغالب بالمنزل في حين تربط عمل الذكور في اغلب الأحيان خارج إطار المنزل .

٤- أظهرت الدراسة بأن هناك علاقة قوية بين ظاهرة عمالة الأطفال والتسرب من المدرسة ، إذ ان غالبية الأطفال العاملين كانوا من الأميين والمتسربين من الدراسة . وان جميع المتسربين من الدراسة أكدوا عدم تعرض أسرهم للمسائلة القانونية بسبب تركهم لمقاعد الدراسة والتوجه للعمل .

٥- كشفت الدراسة تعرض هؤلاء الأطفال الى اجحاف كبير في التعامل مع حقوقهم ، تمثل في عدم تطبيق الشروط والضمانات الصحية والاجتماعية الواردة في قانون العمل العراقي النافذ . إذ أكد جميع الباحثين بأنهم محرومون من تلك الحقوق والضمانات ، مما زاد من معاناة هذه الشريحة من الأطفال .

والجهات المعنية بشؤون الاسرة والطفولة ومنظمات المجتمع المدني وتخصيص الاموال اللازمة لذلك ، بما يسهم بشكل فاعل في تطوير هذه الظاهرة والحد من مسبباتها والتوعية بآثارها الاجتماعية الخطيرة على الاسرة والمجتمع بأكمله .

٥- محاسبة أولياء الامور لعدم إلحاق ابناءهم بالمدارس عند اكمالهم سن السادسة من العمر عملاً بالمادة (١٣) من قانون التعليم الالزامي النافذ المرقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦ .

٦- العمل على نشر الوعي الاجتماعي فيما يتعلق بحقوق الطفل في التعليم والرعاية ووضع البرامج الكفيلة لحمايتهم من الاستغلال الاقتصادي .

٧- تفعيل القوانين والتشريعات الصادرة لحماية الاطفال من كافة اشكال الاستغلال الاقتصادي وفي جميع القطاعات والاعمال التي قد تتسبب بضرر في صحتهم البدنية او اخلاقهم ونموهم من الناحية العقلية والنفسية والاجتماعية .
والتأكيد على وجوب تطابق الاعمال المكلفين بها مع المرحلة العمرية وتحديد ساعات العمل

المشروعات الصغيرة التي تدر دخلاً مادياً للأسر الفقيرة والمتعففة مما يجعلها قادرة على الاستغناء عن تشغيل اطفالها .

٢- وضع البرامج الكفيلة لتوفير فرص العمل للملائمة للشباب بغية الحد من مشكلات البطالة والفقير واعتماد سياسة تنموية متكاملة الابعاد والتركيز على الشرائح الفقيرة من خلال اقامة المشروعات الاقتصادية التي تستوعب اعداد العاطلين عن العمل .

٣- العمل على سد منافذ التسرب من الدراسة بوصفه واحداً من أهم أسباب عمالة الأطفال ومعالجة الأسباب المؤدية اليه ، من خلال تعديل المناهج التربوية وربطها بسوق العمل والتركيز على الجانب العملي وتعليم المهارات ضمن تلك المناهج والارتقاء بالمستوى العلمي للكوادر التعليمية والتدريسية والنهوض بها .

٤- وضع خطة شاملة بعيدة المدى لمكافحة ظاهرة عمالة الاطفال تشترك فيها جميع الجهات المختصة في الدولة ، ووضع برامج علمية يشرف عليها متخصصون من الجامعات والوزارات

وشروطه وفرض الرقابة المشددة على اماكن
العمل وتوافر الشروط الصحية فيها .

- (١) منظمة العمل الدولية ، المخاطر الاجتماعية لظاهرة عمل الأطفال ، مجلة عالم العمل ، العدد (٣٩) جنيف ، مكتب العمل الدولي ، أيلول ٢٠٠١ ، ص ١٨.
- (٢) الأمم المتحدة ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ، اتفاقية حقوق الطفل ، المادة (١) .
- (3) Black, Maggie. The Urban Child in Difficult Circumstance Philippine Children of Runaway Cities , UNICEF , Florence , Italy , 1991, P.17.
- (٤) دعد حسن سلامة ، الأطفال .. ظاهرة عمالة :

<http://www.amanjordan.org/conferences/vaciaw/vaciaw25.htm>

- (5) Boyden , J.,Birgitta ling , William Myers. What Works for Working Children, 1st Ed. , Sweden, Fath & Hassler , 1998, P.12.
- (٦) الأمم المتحدة ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ، تقرير وضع الأطفال في العالم لعام ٢٠٠٧ ص ٤٨.
- (7) Bequele , A. , and W.E.Myers , First things first in child labour : Eliminating work detrimental to children, UNICEF/ILO, Geneva , 1995.P.P.6-7.
- (8) Child Labour in Britain: Report to the International Working Group on Child

labour , September 1995,P.34.

(9) Ibid.,P.35.

(10) Ibid.,P.37.

(11) Johnson, Victoria, Joanna Hill and Edda Ivan-Smith, Listening to Smaller Voice : Children in an environment of change , Action Aid ,London , 1995,P.77.

(١٢) كارل ماركس ، رأس المال ، ترجمة راشد البراوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٧ ، ص ١٣١.

(١٣) د.محمد عبد الله الوريكات ، مبادئ علم الإجرام ، الطبعة الأولى ، عمان ، دار وائل للنشر ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٨.

(14) Wodson ,R. Youth Crime and Urban Policy Research , Washington and London USA ,1981,P.33.

(15) Jeffery C. Ray, Crime Prevention Through Environment Design Sage, Publication Inc., Beverly Hills, London, ,1977,P.89.

(16) Burt, Cyril. The Yong Delinquent 4th Ed., London, University of London Press,1961,P.53.

(١٧) جعفر عبد الأمير الياسين ، التشرذ وانحراف سلوك الصغار والأحداث في العراق – دراسة ميدانية في

علم الاجتماع الجنائي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢

، ص ١٣ وما بعدها.

(18) Ennew, Judith. Street and Working Children : A guide to Planning , Published by Save Children Development ,London, 1994,P.47.

(19) Sellin, and Wolfgang. The Measurement of Crime , New York , The Free Press,1964, P.17.

(٢٠) د.معن خليل العمر ، علم المشكلات الاجتماعية ، الطبعة الأولى ، عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ ، ص ١١٨-١١٩.

(٢١) د.فلاح خلف الربيعي ، ظاهرة البطالة في العراق .. الأسباب وسبل المعالجة :

<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=interpage&sid=58647>

(22) Gibbons,D.C., Society : Crime and Criminal Careers 2nd Ed. , New Jersey , Englewood Cliffs , 1973, P.225.

(٢٣) زكريا مصطفى ، الانفجار الحضري السائد : أسبابه وانعكاساته على البيئة وأبعاده الثقافية ، المجلة العربية للثقافة ، السنة السادسة عشرة ، العدد ٣١ ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٢ .

(٢٤) د. ناهدة عبد الكريم حافظ ، الفقر والثقافة الفرعية ، مجلة دراسات اجتماعية ، قسم الدراسات الاجتماعية ، بيت الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثالثة ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ١١٨ .

(٢٥) د.عدنان ياسين مصطفى ، الفقر والمشكلات الاجتماعية ، مجلة دراسات اجتماعية ، قسم الدراسات الاجتماعية ، بيت الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثالثة ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٨١-٨٢ .

(26) Burra , Neera , Born to Work : Child Labour in India , Delhi , Oxford

University Press, 1995 , P.P.228-229.

(٢٧) قانون العمل رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧ ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد ٣١٦٣ في ١٧/٨/١٩٨٧ ، المادة (٩٠) .

(٢٨) الأمم المتحدة ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ، اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩ ، المادة (٣٢) .

(٢٩) الأمم المتحدة ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ، تقرير وضع الأطفال في العالم لعام ٢٠١٠ ، ص ٧ .

(30) United Nations , (UNICEF),The State of the World's Children ,1997,P.18.

(٣١) د.كريم محمد حمزة ، أطفال فاقدون للحماية : دراسة ميدانية لأطفال الشوارع في مدينة بغداد ،

مجلة العلوم الاجتماعية ، الجمعية العراقية لعلم الاجتماع ، بغداد ، العدد (١) ، ٢٠١٢ ، ص١١٧ .

(٣٢) د.ناهد رمزي ، حماية صغار الفتيات في سوق العمل في البلاد العربية ، مجلة الطفولة والتنمية ،

المجلس العربي للطفولة والتنمية ، القاهرة ، العدد (٥) مجلد (٢) ، ٢٠٠٢ ، ص١٦ .

(٣٣) د.عبد العظيم أنيس ، دليل المؤشرات لقياس أحوال المرأة العربية ، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية

لغرب آسيا ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٢٣ .

(٣٤) مايكل رينر، وضع ميزانيات لنزع السلاح - أوضاع العالم ، ترجمة د.علي حسين حجاج ، عمان ،

دار الكرمل للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ ، ص٢٤٢ .

(٣٥) أنيس شهيد ، مظاهر السلوك الانحرافي بعد تغيير النظام السياسي في العراق ٢٠٠٣- دراسة ميدانية

في مدينة الديوانية ، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٥

، ص١ .

(٣٦) الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥ ، ص ١٥٥ .

(٣٧) سلام إبراهيم عطوف ، الليبرالية الاقتصادية الجديدة وتتامي معدلات الفقر والبطالة في العراق :

(٣٨) <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=189786#>

(٣٩) د. عامر صالح ، ظاهرة التسرب المدرسي في التعليم الابتدائي : أبعاد المشكلة ، أسبابها وعلاجها عراقياً - رؤية مقارنة :

[http:// www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11392](http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11392)

(٤٠) د.كريم محمد حمزة ، شبكة الحماية الاجتماعية في العراق - معوقات ومزايا ، بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص٤.

(٤١) سلام إبراهيم عطوف ، الفقر والبطالة والحلول الترقية في العراق :

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=156888#>

(٤٢) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي - الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، نتائج مسح التشغيل والبطالة للأعوام (٢٠٠٤-٢٠٠٦) .

(٤٣) سلام إبراهيم عطوف ، الليبرالية الاقتصادية الجديدة وتنامي معدلات الفقر والبطالة في العراق ، مصدر سابق .

(٤٤) قانون التعليم الإلزامي رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦ ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد ٢٥٥٢ في ١١/١٠/١٩٧٦ ، المادة (١) .

(٤٥) ماجد زيدان الربيعي ، ظاهرة التسرب من التعليم الابتدائي - الأسباب والآثار والمعالجات:

<http://www.althakafaaljadedda.com/319/15.htm>

(٤٦) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٩١٣٩ ، ٦ ديسمبر ، ٢٠٠٤ ، ص٣.

- (٤٧) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ١٠٣٥٨ ، ١٨ ابريل ٢٠٠٧ ، ص٢.
- (٤٨) الأمم المتحدة ، تقرير بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) ، بغداد ٦/٨/٢٠١٠ ، ص١٦.
- (٤٩) الأمم المتحدة ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ، تقرير وضع الأطفال في العالم لعام ٢٠١١ ، ص٢.
- (٥٠) جعفر عبد الأمير الياسين ، مصدر سابق ، ص١٥٠.
- (٥١) د.فايز جمعة النجار وآخرون ، أساليب البحث العلمي - منظور تطبيقي ، عمان ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣٨ - ٢٠٧ .

استمارة مقابلة

- ١- العمر () سنة
- ٢- الجنس : ذكر () أنثى ()
- ٣- الحالة الأسرية : طلاق الأبوين () وفاة أحد الأبوين () وفاة كلا الأبوين () كلاهما على قيد الحياة () الأسرة مُهجرة () أعيش مع الأقارب () أعيش مع زوجة الأب () أعيش مع زوج الأم ()
- ٤- مستوى التعليم : أمي () ابتدائية () متوسطة () إعدادية ()
- ٥- الخلفية الاجتماعية : ريفية () حضرية ()
- ٦- مكان الإقامة : أحياء شعبية في المدن () أطراف المدن والقصبات () مساكن عشوائية () قرى

وأرياف ()

- ٧- المهنة الحالية :
- ٨- عدد ساعات العمل : () ساعة
- ٩- أسلوب العمل : فردي () جماعي ()
- ١٠- طبيعة العمل : أعمال خفيفة () أعمال مرهقة ()
- ١١- هل تعرضت للإصابة أثناء العمل : نعم () لا ()
- ١٢- إذا كان الجواب (نعم) فما هي نوعية الإصابة : أمراض فقر الدم () الأمراض الصدرية وأمراض الجهاز التنفسي () التعرض لدرجات الحرارة العالية () الإصابة بالجروح والمشكلات البصرية () الحروق والتعرض للغازات والمواد السامة ()
- ١٣- هل تواجهك صعوبات أثناء العمل الذي تمارسه : نعم () لا ()
- ١٤- إذا كان الجواب (نعم) فما هي نوعية تلك الصعوبات : أجد صعوبة في الاندماج بالعمل () لا امالك الخبرة العملية () التعرض للمشاكسة والتحرش من قبل الآخرين () التعرض للتوبيخ وسماع الكلمات النابية ()
- ١٥- عدد أفراد الأسرة : () فرداً
- ١٦- نوع الإقامة الأسرية : سكن مستقل () سكن مشترك لأكثر من أسرة ()
- ١٧- عدد الدخول التي ترد الأسرة : () دخل
- ١٨- كيفية التصرف بالأجر : أسهم في دخل الأسرة () لا أسهم في دخل الأسرة ()

١٩- مقدار الإسهام في دخل الأسرة : اسلم اجري كله للأسرة () احتفظ بجزء من الأجر لتلبية احتياجاتي الشخصية ()

٢٠- الموقف من التعليم : التحقت بالتعليم () لم ألتحق بالتعليم أصلاً ()

٢١- مدى الاستمرار بالدراسة : مستمر بالدراسة () متسرب من الدراسة ()

٢٢- اذا كنت من المتسربين من الدراسة فما هو سبب تركك للمدرسة : المشاركة في إعالة الأسرة ()

ارتفاع تكاليف التعليم () شعور الأسرة بعدم جدوى التعليم من الناحية الاقتصادية () صعوبة الجمع بين

العمل والدراسة () إفراح المجال أمام أخوتي لإكمال دراستهم ()

٢٣- لو سحنت لك الفرصة بمواصلة الدراسة فهل ترغب بالعودة الى المدرسة : ارغب بالعودة للدراسة () لا

ارغب بالعودة للدراسة ()

٢٤- ما هي الأسباب التي دفعتك للعمل : الفقر والحاجة المادية () ارتفاع أجور بعض الاعمال ()

تحقيق رغبة الأسرة في العمل () الرغبة في الاستقلال المادي والاعتماد على النفس () إشغال وقت

الفراغ ()

٢٥- ما هي أسباب الفقر والحاجة المادية : ليس للأسرة معيل آخر () عدم كفاية دخل المعيل ()

تهجير الأسرة وفقدانها للمأوى () عجز المعيل أو بطالته أو مرضه ()

٢٦- لو تحسنت الظروف المعيشية وإعالتك أصبحت مكفولة فهل توافق على ترك العمل : نعم () لا ()

٢٧- هل تمت مسائلة أسرتك عن تركك للدراسة : نعم () لا ()

- ٢٨- هل تعرضت للمسائلة القانونية بسبب العمل : نعم () لا ()
- ٢٩- هل مارست أو تعرضت لأي نوع من السلوكيات الانحرافية : نعم () لا ()
- ٣٠- إذا كان الجواب (نعم) فما هو نوعية ذلك السلوك : تعلم العادات المرذولة () تعلم التدخين ()
- التحرش من قبل الآخرين () تناول المسكرات والعقاقير المخدرة ()
- ٣١- أياً من الخصائص التالية تنطبق على العمل الذي تمارسه : لا تتوفر فيه الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي () طول وقت العمل () عدم تكفل رب العمل بأجور النقل والطعام () انخفاض أجور العمل ()
- ٣٢- كيف تقيم نظرة المجتمع لظاهرة عمالة الأطفال : سلبية () ايجابية () تتراوح بين السلب والإيجاب ()
- ٣٣- ما هي مشاعرك تجاه العمل الذي تمارسه حالياً : أشعر بالاستغلال والظلم المجتمعي () أفخر بعلمي كوني أساعد عائلتي () أشعر بالحر ()